حراس الخليج



تاريخ توسّع الدور الأمريكي في الخليج العربي ١٨٣٣-١٩٩٢

مايكل أ. بالمر

ترجمة

نبيل زكي





يثبت هذا الكتاب بالوقائع التاريخية والوثائق والأرقام ، أن عملية « عاصفة الصحراء » التى قادتها الولايات المتحدة للتصدى لاجتياح العراق للكويت ، كانت نتيجة منطقية لقرنين من السياسة الأمريكية الدؤوبة فى الخليج العربى ، ويستعرض كيف تضافرت المصالح التجارية والاستراتيجية والتطلعات السياسية لأمريكا فى المنطقة لتزيد مسؤولياتها فيها سنة وراء سنة إلى أن وصلت فى النهاية إلى حدّ أنها حلت محل بريطانيا ليس فقط فى الحلبة التجارية ، وإنما أيضا فى المجالين السياسى والعسكرى ، بحيث باتت هى حارس الخليج العربى . ويورد الكتاب الحقائق والمستندات التى تثبت الطابع العملى للسياسة الأمريكية وحرصها على المصلحة الذاتية أولا وأخيرا من جانب ، وسذاجتها وعدم نضجها من جانب آخر .

والمؤلف مايكل أ . بالمر هو أستاذ التاريخ المساعد فى جامعة ايست كارولينا ، وله عدة مؤلفات مشهورة .

الناشــر

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام
التوزيع فى الداخل والخارج ـ وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء ـ القاهرة
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



تاريخ توسّع الدور الأمريكي
فى الخليج العربى ١٨٣٣-١٩٩٢

مايكل أ. بالمر

ترجمة
نبيل زكى

327.73053
٣٢٧,٧٣٠٥٣
95-960961
بالمر ، مايكل أ .
حراس الخليج : توسع الدور الأمريكى فى الخليج العربى ، ١٨٣٣ - ١٩٩٢ / تأليف مايكل أ . بالمر ؛ ترجمة نبيل زكى .. الطبعة 1 .. القاهرة : مركز الأهرام للترجمة والنشر - مؤسسة الأهرام ، ١٩٩٥ . ، ٣٣٢ ص ، .
ترجمة لـ Guardians of the Gulf
١ - دول الخليج العربى .. العلاقات الخارجية .. الولايات المتحدة .
٢ - الولايات المتحدة .. العلاقات الخارجية .. دول الخليج العربى
أ . عنوان

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء القاهرة
تليفون : ٥٧٨٦٠٨٣ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

إلريان وليزا

المحتويات

الصفحة

● **مقدمة** : إلى وادى الفرات ٧

■ **الفصل الأول** : ساحة مفتوحة لرأس المال والصناعة الأمريكيين (١٨٣٣ ـ ١٩٣٩) ٩

■ **الفصل الثانى** : مركز الثقل البترولى العالمى (١٩٣٩ ـ ١٩٤٦) ٢٨

■ **الفصل الثالث** : بترول الشرق الأوسط ومصير أوروبا (١٩٤٧ ـ ١٩٥٠) ٤٧

■ **الفصل الرابع** : وهم الدفاع الإقليمى (١٩٥٠ ـ ١٩٦٧) ٥٨

■ **الفصل الخامس** : قصة مبدأين : مبدأ نيكسون ومبدأ كارتر (١٩٦٨ ـ ١٩٨٠) ٨٨

■ **الفصل السادس** : ليس أثناء ولاية هذا الرئيس : إدارة ريجان والخليج (١٩٨١ ـ ١٩٨٧) ١١٤

■ **الفصل السابع** : حرب الناقلات (١٩٨٧ ـ ١٩٨٨) ١٢٩

■ **الفصل الثامن** : الطريق إلى عاصفة الصحراء (أغسطس ١٩٨٨ ـ أغسطس ١٩٩٠) ١٥٢

■ **الفصل التاسع** : درع فى الصحراء (أغسطس ١٩٩٠ ـ يناير ١٩٩١) ١٦٥

■ **الفصل العاشر** : حلم قائد عسكرى : تخطيط عاصفة الصحراء ١٩٣

■ **الفصل الحادى عشر** : وفقا للخطة المقررة تماما : العاصفة من الجو ٢١٣

■ **الفصل الثانى عشر** : أم المعارك ، أم الهزائم : العاصفة فى البر ٢٢٨

■ **الفصل الثالث عشر** : الضامن للملاذ الأخير ٢٤٢

● **خرائط** ٢٤٩

ـ حرب الخليج عام ١٩٩١ .... ٢٥١

ـ الخليج العربى ٢٥٢

ـ الشرق الأوسط ٢٥٣

● **الهوامش** ٢٥٥

● **البيبليوغرافيا** ٣٠١

● **الفهرس** ٣١٥

مقدمة

إلى وادى الفرات

عند مغيب نهار يوم ٢٥ فبراير ١٩٩١ وحلول المساء ، تدفقت طلائع فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرين التابعة للجيش الأمريكى على وادى نهر الفرات ، قاطعة الطريق الرئيسى رقم ٨ جنوبى مدينة الناصرية فى العراق . وبعد إقامة شبكة مخازن رئيسية للعتاد الحربى ومطارات حربية فى طليل وجليبه ، قامت الألوية المتقدمة فى الفرقة بتوجيه ضربتها ناحية الشرق صوب البصرة فى حركة أوقعت فى المصيدة بقايا جيش صدام حسين ، الذى كان جباراً فى وقت من الأوقات ، وعزلتها فى ركن موحش بجنوب شرقى العراق وشمال الكويت .

وكانت سرعة ومدى انتصار قوات التحالف فى حرب الخليج نقطة الحسم لأزمة دامت سبعة شهور . وجاءت النهاية مع دقات طبول النصر ووسط إجماع سياسى فى الولايات المتحدة . ولكن ، بين غزو صدام للكويت فى ٢ أغسطس ١٩٩٠ ، والعمليات العسكرية البرية النهائية فى أواخر فبراير ١٩٩١ ، تساءل الكثيرون عن سبب قيام الولايات المتحدة بنشر قوات عسكرية بهذه الأعداد الضخمة بعيداً جدا عن الوطن . وثار الجدل حول التورط فى الخليج ، وشارك فى هذا الجدل الساسة والعقول المفكرة فى وسائل الاتصال والإعلام وملايين الأمريكيين فى بيوتهم وأماكن عملهم .

وبصرف النظر عما إذا كانوا يساندون سياسات الرئيس جورج بوش ، فقد أراد الأمريكيون أن يتفهموا السبب الكامن وراء قيام الولايات المتحدة بالمخاطرة بحرب قد تكون دموية مع العراق .

لم تكن بيانات إدارة بوش ، التى طرحت مبررات لا تعد ولا تحصى لموقفها فى الخليج ، تعبر عن ازدواجية أو اضطراب فى التفكير . ولم تحدد مسار سياسة الولايات المتحدة أثناء أزمة الكويت فى ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ ، « مصلحة » أمريكية وحيدة حتى لو كانت القلق بشأن إمدادات البترول . فقد اتخذت الولايات المتحدة موقف المواجهة إزاء صدام لردع عدوان جديد ، ولتشجيع قيام نظام عالمى جديد ، ولدعم الأمم المتحدة ، ولصيانة المصالح الأمريكية ، وضمان تدفق نفط الخليج العربى ، وإنقاذ فرص العمل فى الولايات المتحدة ، وردا على الانتهاكات العراقية لحقوق الإنسان فى الكويت .

ولكن كيف قامت الولايات المتحدة بتجميع مثل هذه المصالح المتعددة على اتساعها فى المنطقة ؟ ومتى أصبح الأمريكيون حماة الخليج العربى ؟

ينظر معظم الأمريكيين إلى مصلحة بلادهم فى الخليج باعتبارها ظاهرة حديثة نسبياً ، ترجع فى جذورها إلى حملة ريجان التصعيدية فى مجال الشئون الدفاعية فى الثمانينات أو إلى فترة المواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فى الحرب الباردة . غير أن جذور التورط الأمريكى أعمق من ذلك بكثير . ذلك أن المصالح التجارية والاستراتيجية والتطلعات الدينية والسياسية قد توحدت لكى تضفى شكلا مميزاً على السياسة الأمريكية عبر قرنين من الزمن . وقد اتسمت النظرة الأمريكية للخليج بالبراجماتية (الطابع العملى) والحرص على المصلحة الذاتية والسذاجة .

وكان الأمريكيون ، إبان القرن التاسع عشر ، يلعنون السيطرة البريطانية على الخليج ، واتجهوا لإزاحة البريطانيين عن الساحة التجارية ، وإضعافهم سياسياً فى نفس الوقت . ولكن مع حلول القرن العشرين ، ومع نجاح التجار ورجال الأعمال الأمريكيين فى تعميق مصالحهم فى المنطقة ، أصبح الأمريكيون متعاطفين بصورة متزايدة مع الدور الذى تلعبه بريطانيا فى الخليج . واكتشف الأمريكيون أيضا ـ كما فعل البريطانيون قبل قرون ـ أنه مع توسع المصالح التجارية ، أصبح من الصعب تجنب المسئوليات الاستراتيجية .

إذن ، فنحن بإزاء تعميق للمصالح باطراد تقابله مقاومة منحسرة للتورط فى شئون منطقة متفجرة . هكذا قبلت الولايات المتحدة مسئولية أكبر تجاه أمن الخليج العربى ، وجاء القبول بطيئاً أثناء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ثم بسرعة أكبر فى العقود التالية للحرب العالمية الثانية ، ثم بسرعة مذهلة فى الفترة التى أعقبت أواخر السبعينات . وعند كل خطوة على هذا الطريق ، صدرت قرارات بشأن تورط أمريكى أعمق ، وكانت القرارات تتخذ بعد ترو أو بعد تردد من جانب حكومات اعتبرت نفسها فى مواجهة خيار وحيد أو فى موقف ليس فيه مجالٌ للاختيار . وزادت المسئوليات الأمريكية سنة بعد سنة ، وعقدا وراء آخر ، إلى أن وصلت فى النهاية إلى حد أن الولايات المتحدة حلت محل بريطانيا العظمى ليس فقط فى الحلبة التجارية ، وإنما أيضا فى المجالين السياسى والعسكرى . وأصبحت الولايات المتحدة حارسة الخليج العربي . وكانت عملية درع الصحراء / عاصفة الصحراء هى النتيجة المنطقية لقرنين من السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ، رغم أنها بالقطع ليست نتيجة محتومة .

الفصل الأول

ساحة مفتوحة لرأس المال والصناعة الأمريكيين

١٨٣٣ ـ ١٩٣٩

يمكن التعرف على جذور التورط الأمريكى والمصلحة الأمريكية فى الخليج بالرجوع إلى بدايات تاريخ الولايات المتحدة . ذلك أنه على مدى مائتى عام مضت ، حملت الضرورة التجارية ، والرغبات السياسية الثورية ، والحماس التبشيرى ممثلى مملكة « إسرائيل الأمريكية ، مملكة الرب » إلى الأركان الأربعة للمعمورة .(١) وتوحدت المصالح التجارية (للجشع ، إذا كان المرء يفضل هذه الكلمة) مع الاندفاع نحو تحول انقلابى سياسى وروحى لتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية . ولم يكن ما تنشده الولايات المتحدة هو إقامة إمبراطورية اقتصادية أو سياسية ، فليس هذا هو ما تحاوله وراء تخوم القارة الأمريكية الشمالية على الأقل ، وإنما كانت تسعى وراء منافذ مفتوحة ومتبادلة للأسواق لا تثقلها مسئوليات دبلوماسية وعسكرية ، ووراء فرصة أيضاً للترويج للرسالة الأمريكية ـ سواء المدنية أو الدينية ـ ونقلها إلى شعوب العالم التى شاء حظها العاثر أن تكون رازحة تحت السيطرة السياسية والاقتصادية للدول الأوروبية .

وكانت السياسات التجارية والسياسية (ولا تزال) مرتبطة ببعضها البعض على نحو لا ينفصم فى العقل الأمريكى . فقد كان التوسع التجارى ضرورة فى وقت كانت تواجه فيه أمة أمريكية ناشئة أنظمة إمبراطورية راسخة عريقة . وحققت معاهدة باريس عام ١٧٨٣ الاستقلال السياسى للولايات المتحدة ، ولكنها لم تؤمّن استقلالها الاقتصادى . ولم يعد الأمريكيون جزءاً من النظام التجارى البريطانى ، وبالتالى كان عليهم حينئذ أن يشقوا طريقهم فى عالم قاس ، بحثا عن فرص فى تلك الزوايا من المعمورة التى لا تخضع بالكامل لسيطرة الدول الأوروبية الراسخة . واقتنع الأمريكيون بأنه ينبغى تقويض الأنظمة الإمبراطورية للعالم القديم إذا كان لابد للولايات المتحدة أن تبقى وتزدهر . وأمكن تحقيق هذا الهدف على أيدى التجار والمبشرين الأمريكيين الشماليين (اليانكى) الذين لقنوا العالم رسالة الحرية الاقتصادية والسياسية الأمريكية . ومن هنا تساءل تيموثى دوايت رئيس جامعة ييل قائلا : « ألا يستطيع الوثنيون الأغبياء ، أو اليهود المتصلبون ، أن يقبعوا صامتين

وجامدين في ظل مثل هذه التدابير العليا التي اختصت بها العناية الآلهية هذه الأرض ؟ »(٢)

وهكذا كانت السياسة الأمريكية براجماتية وسانجة في وقت واحد . وفهم الأمريكيون على الوجه الصحيح أنهم لكي يظلوا على قيد الحياة ، يجب أن يقتحموا الأنظمة الإمبراطورية للدول الأوروبية . ولكن الآمال الأمريكية المعلقة على قدرة النشاط التجاري الأمريكي على كسر هياكل السلطة الإقليمية التي يسيطر عليها الأوروبيون دون أن ينهار البناء كله على رؤوسهم ، أو بدون اضطرار الولايات المتحدة لقبول أي مسئوليات دبلوماسية أو عسكرية ، كانت آمالاً سانجة . وكان من السذاجة أيضا الاعتقاد بأن شعوب العالم سوف تصعقها المنجزات السياسية والاقتصادية الأمريكية إلى الحد الذي يدفعها للنهوض للتصدي للسيطرة الأوروبية ، ولأن تلقي جانباً بالثقافة والدين في محاولة طائشة لمحاكاة نموذج الولايات المتحدة .

تلك هي المصالح والمثل العليا التي حفزت الأمريكيين الذين بدأوا الدخول إلى مياه المحيط الهندي لأول مرة في السنوات التي أعقبت الثورة . وكان ذلك المحيط ، بالنسبة لمعظم التجار الأمريكيين الشماليين ، مجرد عقبة يجب عبورها في الطريق إلى الشرق ، غير أن قلّة منهم رأت فرصاً ـ وإن تكن محدودة ـ للتجارة .(٣) ومع نهاية القرن الثامن عشر ، كان التجار وصائدو عجول البحر والحيتان الأمريكيون يمارسون نشاطهم في حوض المحيط الهندي ، مع أن عدداً محدوداً اختار تعقب الفرص التجارية في الخليج العربي ذاته .(٤)

كانت هذه التجارة واسعة إلى الدرجة التي تكفي لأن ترسل الولايات المتحدة سفينتين حربيتين شراعيتين لحماية التجارة الأمريكية شرقي رأس الرجاء الصالح إبان « شبه الحرب » غير المعلنة مع فرنسا (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) .(٥) وحطمت ريح شتوية هوجاء صاري إحدى القطعتين الحربيتين ، إلا أن سفينة الكابتن إدوارد بريبل التي تحمل اسم « اسكس » أصبحت أول سفينة حربية تابعة للبحرية الأمريكية تدخل المحيط الهندي ، وذلك في عام ١٨٠٠ . ولاحظ بريبل ، في يوميات رحلته ، شواهد الوجود الأمريكي المتنامي في المنطقة . فبينما كان يبحر عبر جزيرتي سان بول وأمستردام الفرنسيتين بالاسم فقط ، رأى العلم الأمريكي يخفق على أكواخ صيادي عجول البحر الأمريكيين الشماليين .(٦)

وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر ، استمر توسع التجارة الأمريكية في المحيط الهندي ، الأمر الذي دفع حكومة الولايات المتحدة إلى بحث إقامة علاقة تجارية رسمية مع سلطان مسقط .

ويعود تاريخ السلطنة إلى حقبة كان العرب يسيطرون خلالها على التجارة في المحيط الهندي ، وهي فترة دامت لحين وصول البرتغاليين في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر . وواقع الأمر أن البرتغاليين حكموا مسقط ابتداء من سنة ١٥٠٧ إلى أن استولى عليها العمانيون في منتصف القرن السابع عشر .(٧)

وسمح البريطانيون ، الذين ساعدوا على طرد البرتغاليين من المحيط الهندي وكانوا أقل عجرفة من البرتغاليين ، بدرجة ما ، في سياستهم ، للعرب من سكان السواحل باستئناف نشاطهم التجاري

التقليدى . وأصبحت مسقط ، التى لم تكن ميناءً ذا شأن كبير قبل الغزو البرتغالى ، مركزا تجارياً رئيسياً فى المحيط الهندى ، وامتد نفوذ السلطان إلى حد أنه سيطر على جزء كبير مما كان يشكل الإمبراطورية البرتغالية فى الخليج العربى ، وشبه الجزيرة العربية ، والساحل الشرقى لإفريقيا .

وبينما كان عرب الخليج يشعرون بالقطع بالاستياء من الوجود الأوروبى ، فإنهم فى أغلب الأحوال لم يعانوا قط من الحكم الاستعمارى المباشر بالمقارنة بما قاسى منه أندادهم العرب فى أماكن أخرى من الشرق الأوسط وفى شمال إفريقيا (وهى حقيقة تساعد على تفسير الرغبة الأشد لدى عرب الخليج المعاصرين فى التعاون مع الغرب) . وعلى ذلك فإن العرب الذين اتصل بهم الأمريكيون على طول السواحل الجنوبية والخليجية لشبه الجزيرة العربية لم يكونوا شعوباً تابعة تعيش تحت سطوة الاستعمار الأوروبى ، وإنما مجتمعات مهيأة للنشاط التجارى وتتكون من عائلات حاكمة تقف فى صف الطوائف التجارية المحلية التى تولت الحكم بنجاح وتتعاون معها بما يحقق المنافع ، وهى طوائف تتلهف على توسيع تجارتها .(٨)

وفى حين أن العرب كانوا يمتلكون خبرة قرون من التعامل مع الأوروبيين ، فإن الأمريكيين الذين وصلوا فى البداية إلى المحيط الهندى ، بعد رحلات مرهقة استغرقت شهوراً عدة ، وجدوا أنفسهم فى منطقة غريبة وغير مضيافة من الناحية المناخية .(٩) ولاحظ ألفريد ت . ماهان ، الذى زار مسقط فى عام ١٨٦٧ ، كضابط بحرى شاب ، أن الأحوال المناخية هناك تؤكد « العلاقة بين اسم شبه الجزيرة العربية والحرارة المحرقة والصحراء » .(١٠)

وبينما اعتبر العديد من الناس فى الولايات المتحدة أن هؤلاء الذين ينتمون إلى العالم الإسلامى غير متمدينين يعيشون فى الظلام ، فإن الأمريكيين الذين طافوا حول رأس الرجاء الصالح وجدوا العرب رجال أعمال أذكياء ينتمون إلى مجتمعات منظمة بوجه عام ومدنية . وفى القرن التاسع عشر ، اعتبر ضباط البحرية الأمريكيون الموانىء « المحمدية » طرقاً آمنة بصورة استثنائية للبحارة ، وإن تكن مضجرة إلى حد ما . ولاحظ ماهان أنه عندما تتوجه جماعة من الرجال من سفينته إلى الشاطىء فإنه « يشهد حدثاً غير مسبوق ، إذ يعود جميع الرجال إلى السفينة فى الموعد المقرر وهم متمالكون لأنفسهم » .(١١)

وتقع مسقط على خليج صغير ، بيد أنها ميناء رائع له حاجز طبيعى يحميه من عنف الأمواج . ويستطيع المرء أن يتبين من مسافة ما على مبعدة من الشاطىء المنحدرات الصخرية الشاهقة والحصون التى تحيط بالمدينة وتحميها ، رغم أنه يصعب على المرء - كما كتب ماهان - « أن يلمح مسقط نفسها عن بعد ، ويستطيع المرء أن يتبين اللون الرمادى للأحجار المستخدمة فى الإنشاءات يمتزج مع خلفية من الجبال التى يحتمل أن تكون هذه الأحجار قد اقتلعت منها » . وفقط عندما يقترب المرء من المدينة تبدو « مهيبة .. وهناك مآذن عديدة وبعض المبانى الضخمة بينها أطلال الكاتدرائية البرتغالية التى تحمل شهادة صامتة على مرحلة عابرة فى تاريخ الشرق الطويل . »(١٢)

وفى عام ١٨٣٣ ، وصل إلى مسقط الكابتن ادموند روبرتس وكيل الأعمال الأمريكى الخاص من مدينة ساليم بولاية ماساشوسيتس ، وهو تاجر يمثل المجموعة التجارية المعنية بالتجارة الشرقية ، وكانت برفقته قوة بحرية صغيرة لاستعراض العضلات ـ أسطول من سفينتين تحت إمرة القائد الربان ديفيد جيزينجر هما السفينة الشراعية الحربية وحيدة الصارى « بيكوك » (الطاووس) ، والسفينة الشراعية الحربية متعددة الصوارى « بوكسر » (الملاكم) . ووجد الأمريكيون أسواقا جاهزة لمنسوجاتهم القطنية وأثاثهم ولشحنة من الروم من وقت لآخر فى مسقط وزنجبار ، وهما مركزان تجاريان رئيسيان لتوزيع السلع فى المحيط الهندى تحت سيطرة السلطان . ولرحلات العودة كان فى استطاعة الأمريكيين شراء شحنات قيمة من العاج والتمر واللؤلؤ من إفريقيا وشبه الجزيرة العربية ، وكذلك التوابل وسلع أخرى من الشرق الأقصى . غير أن السوق الأمريكية استوعبت كميات محدودة من العاج والتمر واللؤلؤ ، أما الكثير من السلع التى تنقل من سفن إلى سفن أخرى خلال رحلة الشرق الأقصى ، فقد كان يمكن الحصول عليها بأسعار أرخص فى موطنها الأصلى . والواقع أنه إلى أن تطورت صناعة النفط فى الخليج العربى فى القرن العشرين ، لم يكن لدى الدول العربية سوى القليل من السلع القيمة التى تستحق البيع . وهكذا وجد روبرتس أن السلطان يرغب بإلحاح فى التجارة ، ووقع الرجلان معاهدة تفاهم وتجارة فى ٢١ سبتمبر عام ١٨٣٣ ، ومن ثم فقد أقاما أول رابطة بين الولايات المتحدة وإحدى دول الخليج العربى وعلاقة دبلوماسية لا تزال باقية بين الولايات المتحدة وعمان .(١٣)

وجرت المفاوضات بين روبرتس والسلطان تحت ظلال الإمبراطورية الشرقية لبريطانيا العظمى . وكانت مسقط أقوى قوة بحرية موجودة فى المنطقة ، ولكن كلا من روبرتس والسلطان كان يدرك أن إمبراطورية مسقط التجارية المترامية الأطراف ـ والتى تمتد من الساحل الشرقى لإفريقيا حتى الخليج ـ استطاعت أن تبقى لسبب واحد ، هو تسامح البريطانيين .(١٤)

والحقيقة هى أنه لو لم يكن الوافدون الأمريكيون الجدد قد أعرضوا بسرعة شديدة عن التجارب الاستعمارية البريطانية ونبذوها ، لكانوا قد تعلموا درساً أو درسين من تاريخ تورط بريطانيا العظمى فى المنطقة . وكان التجار البريطانيون قد وصلوا إلى المحيط الهندى والخليج العربى فى القرن السادس عشر ليس سعياً وراء إمبراطورية البرتغاليين الذين سبقوهم ، وإنما ـ وعلى نحو يشبه كثيراً الأمريكيين بعد قرنين من الزمان ـ سعيا وراء فرصة تجارية فى الشرق .(١٥) ولكن البريطانيين تعرضوا لمحاولات دؤوبة لاستدراجهم للتورط فى شئون المنطقة . وفى عام ١٦٢٢ انضموا إلى الفرس فى الهجوم الناجح على جزيرة هرمز والذى أنهى سيطرة البرتغاليين على الخليج .(١٦) وأدى احتلال فرنسا القصير الأجل لمصر فى عام ١٧٩٨ ، والذى اعتبرته لندن بمثابة تهديد للهند ، إلى حمل بريطانيا العظمى على إقامة روابط دبلوماسية وعسكرية رسمية مع مسقط التى تتمتع بموقع استراتيجى .(١٧) ووجد البريطانيون أنفسهم متورطين ـ بصورة تدريجية ولكنها مطردة ـ أكثر فأكثر مع مرور الوقت فى شئون المنطقة ، وهو اتجاه سوف يستمر خلال القرن التاسع عشر .

وبالنظر إلى مركز البريطانيين فى المنطقة ، فليس من المستغرب أنهم كانوا على علم كامل

بالانفتاح الأمريكى على مسقط . وعندما طرح ممثلو بريطانيا على السلطان سؤالا حول الترتيبات الجارية ، عرض عليهم تمزيق المعاهدة . ولكن نظراً لأن المعاهدة بين الولايات المتحدة ومسقط كانت تجارية محضة ، كما أن الأمريكيين لم يبدوا اهتماماً بتوريط أنفسهم فى شئون السلطان ، فقد ظلت المعاهدة قائمة . واستمر توسع التجارة الأمريكية ، وتوصلت الولايات المتحدة بأسرع وقت إلى احتكار فعلى للتجارة مع زنجبار . وكان الوجود الأمريكى واسع المدى إلى حد أنه عندما وصل قنصل بريطانى إلى زنجبار فى عام ١٨٤١ ، وجد قصر السلطان مزيناً بنشرات مطبوعة عن انتصارات البحرية الأمريكية على قطع الأسطول الملكى البريطانى فى حرب عام ١٨١٢ .(١٨)

وهكذا واصل الأمريكيون توسيع فرصهم التجارية فى المحيط الهندى ، وذلك ، جزئيا على الأقل ، على حساب البريطانيين ، وفى الوقت نفسه استفادوا من النظام الذى جاءت به بريطانيا إلى منطقة غير مستقرة . وإبان القرن التاسع عشر ، كان الأمريكيون يراقبون الأمور وهم فى حالة من السلبية ، بينما البريطانيون يصارعون لمنع المنطقة بأسرها من الانحدار إلى هاوية الفوضى . وشهدت الأنماط التجارية تغيراً مثيراً مع حلول السفن البخارية والشركات التجارية الأوروبية تدريجيا محل المراكب الشراعية العربية والتجار العرب . كذلك فإن الحملة البريطانية الناجحة التى استهدفت غاية طيبة هى إنهاء تجارة العبيد ، مزقت الأنماط التجارية المستقرة وهددت النظام القديم فى المنطقة . وأدى عدم استقرار الأسر الحاكمة إلى تطاحن داخلى وهبوط اقتصادى وفوضى ، كما أدى مراراً إلى إقامة محمية بريطانية . وأسفر الجزر والمد فى الحركة الوهابية ـ الإسلام السنى الأصولى الذى ناصره السعوديون فيما بعد ـ عن تهديد لشيوخ القبائل العربية المجاورة للبحر حول محيط شبه الجزيرة العربية ، وعن تفاقم القرصنة التى عكرت ، بوجه عام ، مياه الخليج . وكان من شأن حملات القرن التاسع عشر التأديبية لوقف أعمال القرصنة بالخليج ، والمساندة الدبلوماسية والعسكرية للدول المعرضة للخطر دفع بريطانيا إلى التورط على نحو متزايد فى شئون الخليج .

وأتاح نجاح الإمبراطورية البريطانية فى المحيط الهندى والخليج للأمريكيين زيادة توسيع عملياتهم التجارية فى المنطقة . ومع حلول منتصف الخمسينات من القرن التاسع عشر ، أصبحت التجارة الأمريكية فى الخليج نفسه كبيرة إلى الدرجة التى تكفى لحمل الولايات المتحدة على إبرام معاهدة تجارية مع الإمبراطورية الفارسية . وكان الأمريكيون ، الذين توصلوا إلى اتفاق مماثل مع تركيا المجاورة فى عام ١٨٣٠ ، يتطلعون إلى الفوز بقنصلية فى بوشير فى الخليج الأعلى .(١٩)

وكانت المفاوضات بين ممثلى الولايات المتحدة والملكية الفارسية أشد صعوبة بكثير ، كما كانت القضايا المتصلة بهذه المفاوضات أشد تعقيداً بكثير مما كان عليه الحال فى مسقط عام ١٨٣٣ . ووقع المفاوضون الفرس والأمريكيون معاهدة تجارية فى أكتوبر عام ١٨٥١ فى إسطنبول . وصدَّق مجلس الشيوخ الأمريكى على المعاهدة ، أما فى طهران فإن « نفوذ إنجلترا فى البلاط العربى » جعل الاتفاقية تموت موتا بطيئاً .(٢٠)

وسقطت المعاهدة ضحية لـ « اللعبة الكبرى » الجارية بالفعل عندئذ فى الشرق الأدنى وآسيا الوسطى بين بريطانيا وروسيا القيصرية . فبينما كان البريطانيون يوسعون باطراد مواقعهم فى الخليج حول شبه الجزيرة العربية وفى الهند ، كان الروس يندفعون من منطقة السهوب صوب الجنوب . وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، تحقق التوسع الروسى فى الجنوب فى المحل الأول على حساب الأتراك العثمانيين وخانات آسيا الوسطى . أما فى ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣ ، خلال عهد بطرس الأكبر ، فقد شن الروس فى البداية حرباً ضد الفرس وحصلوا ، مؤقتاً ، على موطىء قدم على بحر قزوين . وقاتل الفرس بين عامى ١٨٠٤ و ١٨١٣ ضد جارهم الشمالى مرة أخرى ، وذلك للسيطرة هذه المرة على جورجيا . ومرة أخرى انتصر الروس . وضمنت معاهدة تركمانشاى التى أنهت صراعاً روسياً ـ فارسياً ثالثاً ـ من ١٨٢٦ إلى ١٨٢٨ ـ المركز الروسى فى القوقاز .(٢١)

وترتب على التهديد الروسى من الشمال دفع الفرس مؤقتاً وعلى مضض إلى أحضان البريطانيين . وفى أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر ، لم يكن الشاه نصير الدين ، وكبير مستشاريه ميرزا تقى خان بوجه خاص ، راغبين فى الإقدام على أية خطوة قد تعرض للمخاطرة المساندة البريطانية فى المستقبل ضد هجوم روسى من الشمال . واعتبر البريطانيون ، الحريصون على المحافظة على مركزهم فى بلاد فارس ذات الموقع الاستراتيجي وتوسيع مواقعهم هناك ، أن التغلغل التجارى الأمريكى فى البلاد ينطوى على خطر محتمل .

ولكن العلاقات بين بلاد فارس وبريطانيا فسدت فى منتصف الخمسينات من القرن التاسع عشر بسبب سيطرة الأخيرة على طرق التجارة فى المنطقة ، والمنازعات حول الحدود بين بلاد فارس وأفغانستان . وعلاوة على ذلك ، فإن نشوب الحرب فى عام ١٨٥٤ وحشد قوات عسكرية روسية وبريطانية على السواء فى القرم ، أتاح للفرس حرية أكبر بكثير فى المناورة .

وفى خريف عام ١٨٥٤ ، أعاد الفرس فتح المفاوضات مع الولايات المتحدة بتحريض من قيصر روسيا . وكان الشاه فى ذلك الوقت يبدى اهتماما بإقامة علاقة تجارية مع الأمريكيين ، ليس هذا فحسب بل أيضا « بشراء عدة سفن حربية أو صنعها لحسابه فى الولايات المتحدة ، والحصول على خدمات ضباط وبحارة أمريكيين للإبحار بهذه السفن . »(٢٢)

وما إن بدأت المفاوضات ، مرة أخرى فى إسطنبول ، حتى تحقق على الفور لدى كارول سبنس ، الممثل الأمريكى ، أن الشاه يأمل فى جر الولايات المتحدة ليس فقط إلى علاقات تجارية وإنما سياسية وعسكرية أيضا . واشتملت المسودة الأولى للمعاهدة ، التى قدمها الفرس ، على بنود تدعو الولايات المتحدة إلى حماية السفن التجارية الفارسية و « الموانىء والجزر الصغيرة » فى الخليج من الهجمات .(٢٣) وطلب ممثلو الشاه ، فى مسودة تالية للمعاهدة ، المساعدة الأمريكية فى الهجمات الفارسية ضد مسقط والبحرين ، وأدرجوا بنداً يسمح للشاه بأن يرفع على سفنه العلم ذا النجوم والشرائط (كما فعل الكويتيون فى أواخر ثمانينات هذا القرن لحماية سفنهم ـ وبالعجائب

القدر - من الهجمات الإيرانية) . ودعا بند آخر فى المسودة الولايات المتحدة إلى « حماية البحار الفارسية من السلوك السيىء والمخططات الشريرة لأعداء بلاد فارس . »(٢٤)

وكانت البنود المقترحة تستهدف بوضوح بريطانيا العظمى لأنه لم تكن هناك دولة أخرى تهدد موانىء وسفن الشاه المحملة بالسلع ، وكانت بريطانيا وحدها هى حامية البحرين ومسقط . ومما لا شك فيه أن الشاه كان يخطط بالفعل للحرب التى سيشعلها فى عام ١٨٥٦ بهجوم على حيرات فى أفغانستان . ويرد البريطانيون ، كما كان يخشى ، بتوجيه ضربة فى الخليج وقطع طرق التجارة والاستيلاء على جزيرة خرج وبوشير وموانىء فارسية أخرى .

كان الأمريكيون سعداء الحظ لأنهم لا يملكون القدرة العسكرية ، ولا تحدوهم الرغبة فى أن يلعبوا فى الخليج الدور المقترح من جانب الفرس . وأدرك البريطانيون ، الذين كانوا على علم برغبة الشاه فى توجيه ضربة أثناء انشغال بريطانيا فى مكان آخر ، أن مشروع المعاهدة ، الذى حصلوا على نسخة منه رغم سرية المفاوضات ، يمكن أن يقود إلى حرب أنجلو - أمريكية أخرى .(٢٥)

وليس من الواضح ما إذا كان سبنس قد تعرف تماما على أبعاد اللعبة الفارسية أو أغراضها ، غير أنه كان من الحكمة بحيث يدرك حدود السياسة الأمريكية ، ولذلك قام بإبلاغ نظيره الفارسى بأن البنود المقترحة غير مقبولة على الإطلاق من جانب الرئيس ومجلس الشيوخ . فالمقترحات الفارسية كانت ستورط الولايات المتحدة حتماً فى شرك الشئون الخاصة بالشاه . وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم يكن بوسع الولايات المتحدة أن تنضم إلى هجوم ضد مسقط ، وهى بلد صديق كان ينظر إليه كحليف لبريطانيا . ووافق الفرس على إسقاط البنود المتعلقة بمسقط ، غير أن اقتراحهم التالى كان لا يزال يتضمن فقرات حول رفع الأعلام على السفن التجارية وتخويل الشاه سلطة الاستعانة بخدمات أسطول بحرى أمريكى لإعادة فرض سيطرته فى الخليج ، وخاصة على البحرين .(٢٦)

ومرة ثانية ، رفض سبنس البنود المزعجة . وفى محاولة منه لإقناع الفرس بأن معاهدة تجارية صرفة تتفق مع مصلحتهم ، أكد القوة الاقتصادية للولايات المتحدة ، فهى « دولة تتمتع بموارد تجارية مساوية لموارد بريطانيا العظمى » ، وأوضح أن « تجار الولايات المتحدة مؤهلون بوجه خاص لتدمير احتكار التجارة الإنجليزية فى فارس . »(٢٧)

وانسحب الفرس من المفاوضات ، فقد تجلت خيبة أملهم بسبب عجزهم عن جرّ الأمريكيين إلى التورط فى شئون الخليج . ولكن سبنس انتظر فى صبر أن يستأنفوا المناقشات ، مقتنعاً بأنهم سيعودون إلى مائدة المفاوضات إذا تمسك بموقفه ، وذلك بعد أن لاحظ أن الشاه « تعتريه الرغبة فى أن يفتح أبواب بلاده لنفوذ يوازن به نفوذ إنجلترا ، الذى كان قد أصبح مؤخرا ، قوياً للغاية . »(٢٨)

وعندما استأنف الفرس المفاوضات بالفعل ، أكد سبنس مرة أخرى على المنافع التى ستعود على

فارس من علاقة مع بلد « مقدر له يوماً السيطرة على تجارة العالم . »(٢٩) وفى هذه المرة ، وافق المفاوض باسم الشاه على قبول معاهدة تجارية صرفة ، وهى المعاهدة التى وقعت فى ١٣ ديسمبر ١٨٥٦ . ووافق سبنس من جانبه على أن ينقل إلى وزير الخارجية الأمريكى طلباً شفوياً من الفرس بأن توفد الولايات المتحدة وزيراً مفوضاً إلى طهران وسفينة حربية إلى الخليج بأسرع وقت ممكن .

وصدّق مجلس الشيوخ الأمريكى على المعاهدة فى الثانى عشر من مارس فى العام التالى . وتم تبادل وثائق التصديق فى شهر يونيو ، وأصبحت المعاهدة سارية المفعول فى ١٨ أغسطس ١٨٥٧ . وبناء على طلب وزارة الخارجية الأمريكية ، أرسلت البحرية الأمريكية فى عام ١٨٥٨ سفينة إلى المنطقة ، ولكن - وهو أمر يتعذر تفسيره - إلى مسقط عاصمة السلطان ، الخصم اللدود للشاه ، ولم ترسلها إلى الخليج .(٣٠) وسوف تمضى عشرون سنة أخرى قبل أن تجتاز قطعة حربية أمريكية مضيق هرمز ، وسوف يمضى ربع قرن قبل أن يصل وزير مفوض أمريكى إلى طهران .

ومع ذلك ، فإن الولايات المتحدة أصبحت فى نهاية المطاف طرفاً ، حتى لو اقتصر ذلك على المعنى التجارى ، فى مكائد الخليج . وبرهنت مفاوضات المعاهدة على أنه حتى فى منتصف الخمسينات من القرن التاسع عشر ، اعتبرت بريطانيا وروسيا وبلاد فارس أن الولايات المتحدة قوة كبيرة محتملة فى شئون الخليج . وواضح من رسائل وتعليمات سبنس أن الأمريكيين توقعوا أن يحلوا فى آخر الأمر محل البريطانيين فى المنطقة على الصعيد التجارى ، رغم أن الولايات المتحدة كانت تنفر من تحمل المسئوليات السياسية والعسكرية التى تحملتها بريطانيا العظمى . وبطبيعة الحال فإن الأمريكيين كانوا سنجاً فى اعتقادهم بأنه يمكن بطريقة ما الإبقاء على الفرص التجارية دون تحمل الأعباء الدبلوماسية والعسكرية . وما دامت بريطانيا العظمى هى القوة الاقتصادية المسيطرة فى المنطقة ، فقد كان فى إمكان الولايات المتحدة أن ترفض كما تشاء مقترحات رفع العلم ومبيعات الأسلحة وإرسال المستشارين ومرابطة أسطول بحرى أمريكى فى الخليج . ولكن ما إن زادت حصة أمريكا الاقتصادية فى الخليج حتى زادت أيضا الضغوط للاضطلاع بمسئوليات إضافية تتصل بالأمن والاستقرار فى المنطقة .

ولكن هذه الاعتبارات والتقديرات للموقف مدخرة للمستقبل . وفى غضون ذلك ، فإن التجار الأمريكيين الشماليين أخذوا يلتحقون ، أثناء إبحارهم فى الخليج العربى عن طريق المحيط الهندى ، بمجموعة صغيرة من المبشرين الأمريكيين الذين شقوا طريقهم إلى شمال فارس عبر أرمينيا التركية العثمانية وجورجيا الروسية . وفى ديسمبر عام ١٨٣٠ ، وصلت بعثة بقيادة اثنين من المبشرين التابعين للكنيسة المشيخية البروتستانتية - هما هاريسون جراى أوتيس دوايت ، وإيلى سميث - إلى أذربيجان الفارسية . وبحلول نهاية العقد ، جرى توطيد دعائم وجود تبشيرى أمريكى فى أورومية بشمال فارس ، وبحلول السبعينات من القرن التاسع عشر إمتد هذا الوجود إلى تبريز وطهران وهمدان . وقدم المشيخيون البروتستانت خدمات روحية وتربوية ومادية إلى المسيحيين النسطوريين والكلدانيين والأرمن وإلى عدد ضئيل ، ضئيل جداً ، من المسلمين .(٣١)

وخلال نصف القرن التالى ، كان هؤلاء المبشرون البروتستانت يمثلون الوجود الأمريكى الرئيسى فى فارس حيث إن التجارة بين الولايات المتحدة والخليج ظلت محدودة . فالمبشرون هم أول الأمريكيين الذين واجهوا واقع الشرق الأوسط ، لأنهم اكتشفوا بسرعة أن « غير المتمدينين » المحليين لم يتأثروا أكثر مما ينبغى بالأفكار التجارية والسياسية والدينية الأمريكية . وكما لاحظ اللورد البريطانى كيرزون فى دراسته فى عام ١٨٩٢ « للمسألة الفارسية » : فهى أفكار « تصطدم بالسور الصخرى المنيع للإسلام ، كنظام يشتمل على كل مجالات النشاط والواجبات والعمل فى الحياة ، تتحطم عنده موجات الجهد التبشيرى التى تحاول اختراقه بلا جدوى . »(٣٢)

ولم يكن الطلب على المثل العليا الأمريكية كبيراً فى الخليج ، بينما كانت السلع الأمريكية مطلوبة على نحو مؤكد تقريبا . ومع حلول أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر ، كانت الولايات المتحدة قد بدأت الاستفادة بصورة أكمل من الفرص التجارية فى المنطقة . ففى عام ١٨٧٩ ، زار العميد البحرى روبرت ويلسون شافيلت ، بسفينته الحربية « تيكونديروجا » ، مسقط فى طريقه إلى آسيا فى بعثته الناجحة لفتح كوريا أمام التجارة الأمريكية .(٣٣)

واكتشف شافيلت أن أشياء كثيرة تغيرت منذ بعثة روبرتس عام ١٨٣٣ . فقد انحسر نفوذ مسقط .(٣٤) ولكن المصالح التجارية الأمريكية ظلت قوية ، وتشكل ثلثى تجارة السلطان .(٣٥) وعلم شافيلت أن فرصاً ازدهرت فى أماكن أخرى من الخليج رغم تحفظ الحكومة الأمريكية تجاه مساندة النشاط التجارى دبلوماسياً أو عسكرياً .

وفى ديسمبر ١٨٧٩ ، اجتازت « تيكونديروجا » مضيق هرمز وأصبحت أول سفينة حربية أمريكية تدخل الخليج . وزار شافيلت كلا ًمن بوشير والبصرة ، وقطعت سفينته البخارية سبعين ميلاً فى اتجاه شط العرب .(٣٦) وكتب شافيلت عن الخليج قائلا « لا يوجد مكان فى العالم تتضح فيه الضرورة الشديدة للاستعراض المادى للقوة لنشر مجموع معارف الملكات الأدبية لأمة متمدينة كما هو الحال بين الشعوب شبه البربرية والبربرية التى تقطن هذه الشطآن . »(٣٧) واكتشف أيضا أن البريطانيين ليسوا متحمسين بحال إزاء نمو التجارة الأمريكية فى المنطقة لأسباب مفهومة . واعترف شافيلت قائلا إن بريطانيا العظمى تعتبر الخليج العربى « بحيرة إنجليزية » .

ولكن المظاهر الواضحة للقوة البريطانية اخفقت فى التأثير على العميد البحرى الأمريكى . واعتبر شافيلت الإمبراطورية البريطانية واجهة زائفة . فالعرب والأتراك والفرس تواقون لرؤية دولة أخرى تحل محل بريطانيا فى الخليج . وأخيراً ، افترض شافيلت أن الدخول فى تحد لبريطانيا فى المياه الأوروبية سوف يضعف الإمبراطورية البريطانية فى الشرق ، وربما يقضى عليها . واعتقد العميد البحرى أن الولايات المتحدة تستطيع أن تسيطر على الخليج إذا رغبت فى ذلك ، بشرط أن يتحدى الأمريكيون البريطانيين فى الميدان التجارى وعلى الصعيد الدبلوماسى ويرفضوا « الاستمرار فى ممارسة الدور الذى أسند إلينا منذ وقت طويل فى الصين - وهو دور الإنجليز رقم ٢ . »(٣٩)

وكان شافيلت أيضا هو أول أمريكى يتطلع إلى ما وراء المصالح التجارية البحتة ويتخطاها إلى

اهتمامات استراتيجية أو جيوبوليتيكية أوسع فى الخليج العربى . وأدرك أن بلاد فارس هى إحدى النقاط الرئيسية التى تشكل بؤرة الصراع الإمبراطورى الأنجلو - روسى فى الشرق أو فى « اللعبة الكبرى . »(٤٠)

وازدادت حدة الصراع القديم بين بريطانيا وروسيا ، عندما أكمل الروس ، فى عهد القيصر الكسندر الثانى ، عمليات إخضاع القبائل الإسلامية فى القوقاز وتولوا غزو الاقطاعيات المغولية فى كوكوند وبخارى وتشيفا . وبحلول عام ١٨٨١ ، أصبحت روسيا القيصرية تجابه وجها لوجه كل الحدود الشمالية لبلاد فارس .(٤١)

وعندما وجدت القيادة الفارسية نفسها فى مواجهة هذا التهديد الروسى الجديد من الشمال ، والتهديد البريطانى القديم من الجنوب ، أخذت تجوب الآفاق بحثا عن جهة الحماية ، أى القوة الدبلوماسية المقابلة التى تعيد التوازن إلى الموقف . وكما فعل الفرس إبان مفاوضات المعاهدة فى الخمسينات من القرن التاسع عشر ، فقد عرضوا على الأمريكيين إمكانيات اقتصادية موسعة فى مقابل الدعم الدبلوماسى . وبعد سنوات من المقترحات التى تقدم بها ممثلو الفرس فى أوروبا ، وبالتحديد فى يونيو ١٨٨٣ ، سافر وزير مفوض أمريكى ، أخيراً ، إلى طهران لإقامة علاقة دبلوماسية رسمية .(٤٢)

كان الفرس تواقين بدرجة كبيرة إلى تعزيز النشاط الاقتصادى الأمريكى والتغلغل الأمريكى ، وقال الشاه للوزير الأمريكى فى طهران ، إ . سبنسر برات ، « إن الساحة قد فتحت لرأس المال والصناعة الأمريكيين ، وما على رأس المال والصناعة سوى الحضور وجنى الثمار » . وتطلع الشاه إلى المهارات التقنية الأمريكية للمساعدة على تنمية الموارد الطبيعية والنشاط التجارى لفارس .(٤٣) واعتبر الشاه أن الولايات المتحدة ، وهى بلد بعيد عن فارس ودولة بلا أطماع إقليمية واضحة ، بمثابة قوة ثالثة أقل خطورة بكثير على المصالح الفارسية من بريطانيا العظمى أو روسيا .

ولكن إذا كان الأمريكيون قد وجدوا أنفسهم وقد عرضت عليهم ثروات فارس ، فإنهم وجدوا أنفسهم أيضا فى مواجهة موقف غير مستقر على نحو خطير . وأنفق الدبلوماسيون الأمريكيون جزءاً كبيراً من وقتهم فى السهر على رعاية السلامة الشخصية لمواطنيهم ، وفى الأساس المبشرين . وخلال الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر ، كان الصراع الطائفى منتشراً ، وخاصة فى الشمال الغربى حول تبريز ، حيث يغتال الأكراد بطريقة روتينية المسيحيين الفرس ، ومن وقت لآخر يهددون بقتل أمريكيين أو يقتلونهم بالفعل .

وفى أوائل عام ١٨٩٢ ، شهد الأمريكيون فى طهران بصورة مباشرة نفوذ الملالى الفرس ، قبل حوالى قرن من صعود آية الله خومينى ! ففى العام السابق ، كان الشاه قد منح مجموعة (كونسورتيوم) من الشركات البريطانية امتياز احتكار استيراد وتصدير التبغ الذى كان يجرى تعاطيه على نطاق واسع فى بلاد فارس . وأثار قرار الشاه رد فعل شعبيا بقيادة الملالى الذين تعللوا

بأن التحكم الأجنبى جعل التبغ « غير نظيف » وغير ملائم للاستخدام من جانب المسلم المؤمن . وانتشرت فى أنحاء البلاد حركة مقاطعة شعبية للتبغ . واضطر الشاه ـ أمام هذه المعارضة القوية ـ لإنهاء احتكار الواردات ، على أمل تهدئة الموقف ، كما أمر أحد الملالى القياديين فى طهران بأن يدخن فى المسجد الرئيسى ، فى محاولة رمزية لإقامة البرهان على وجوب إنهاء الناس « لإضرابهم » . وعندما رفض الملاّ تنفيذ الأمر ، أصدر الشاه أوامره بنفيه .

وأثارت استعدادات الملاّ لمغادرة طهران رد فعل شعبيا دفع بالناس إلى الشوارع . وزحفت جمهرة من الغوغاء الغاضبين على القصر ، وهم عازمون على قتل الشاه . وقال الملالى للناس إن الملكية تبيع البلاد قطعة بعد قطعة إلى الأوروبيين . وانضم الجنود الذين يحرسون بوابة القصر إلى الجمهور . ولم ينقذ الملكية سوى تدخل فوج من الجنود بقيادة نجل الشاه شخصياً . ودوت الأعيرة النارية لتقتل اثنين من الملالى المعممين بالعمائم الخضراء من سلالة النبى .

وتحرك الناس فى دائرة بلا نظام ، وهددوا بالزحف على مجمعات المبانى الأجنبية وذبح الأوروبيين . ووافق الشاه ، لحسن الحظ ، على التفاوض مع الملالى لتجنب الكارثة قبل أن ينفجر الموقف فى طهران ويتحول إلى اضطراب شامل . وانتهى احتكار بريطانيا للتبغ .

والتقرير الذى أرسله تروكستن بيل ، الوزير الأمريكى المفوض فى طهران ، إلى واشنطن حول الحادث كان يمكن أن يكتب ببساطة بعد قرابة قرن من الزمان عندما تحدى الملالى ، مرة أخرى ، الشاه فى عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ .

كتب بيل يقول :

> هذه المسألة كشفت عن قوى فى هذا البلد لم يحلم بوجودها أقدم المستشرقين ، بل ولا الفرس أنفسهم ، أى أنها كشفت عن مدى قوة الملالى . والملا هو ، ببساطة ، رجل دين وليس عضوا فى أى مؤسسة مثل كنيسة إنجلترا أو واحدة من كنائسنا ، ولكن جماعة منهم وحدت موقفها من خلال اتفاق مشترك ، ودخلت فى مفاوضات مع الشاه ، وطرحت مطالب وتنازلات وتوصلت فى النهاية إلى تفاهم معه .
>
> لقد تم فجأة العثور على وسيلة للتعبير عن السخط الشعبى وعلاج المظالم التى تعانى منها الجماهير .
>
> وفى ظل حكم مستبد يشبه حكم قورش واحشويرش أكثر مما يشبه أى حكومة قائمة فى أى مكان آخر اليوم ، يبدو أن برلماناً قد انبثق من الأرض .(٤٤)

وظل الموقف بعيداً عن الاستقرار فى بلاد فارس طوال العقدين التاليين . وفى عام ١٨٩٦ ، اغتيل الشاه . وفى العالم التالى ، قرر خليفته حظر استيراد الكتب الأجنبية خوفا من انتشار الأفكار الغربية .

ومع ذلك ، فإن الملكية الفارسية استعادت ، فى آخر الأمر ، توازنها واستدارت مرة أخرى نحو الولايات المتحدة طلباً للمعونة المالية والخبرة . واقترح الفرس فى عام ١٩١٠ تعيين أمريكى « غير متحيز » لمراقبة المالية الفارسية . وفى العام التالى ، وصل و. مورجان شوستر إلى طهران

وأصبح الأمين العام لخزانة بلاد فارس . وقد أجبر على ترك عمله بسرعة تحت الضغط الروسى .(٤٥) ولكن الفرس ظلوا يتطلعون إلى الأمريكيين للحصول على المساعدة «.. ومساعدة أكبر حجما نظراً لأنه كان يتضح فى ذلك الوقت أن بلاد فارس تملك موردا طبيعياً عظيماً - البترول - يمكن أن يدر المكاسب على الدولة ، وإن كان سيجعل فارس هدفاً أكثر جاذبية للإمبرياليين البريطانيين والأمريكيين .

ومع نهاية القرن ، كان العديد من الأمريكيين على دراية بـ « اللعبة الكبرى » التى تلعبها بريطانيا وروسيا فى أوراسيا . وفطن الضابط البحرى الأمريكى ، ألفريد ثيار ماهان ، إلى أهمية الخليج العربى ، وخاصة أهمية تركيا وإيران كقلعتين فى مواجهة التوسع الروسى فى الجنوب .(٤٦) وفى الحقيقة أن ماهان هو الذى نظر إلى المنطقة كموقع استراتيجى محصور بين أوروبا والشرق ، وهو الذى صك تعبير « الشرق الأوسط » .(٤٧) ورغم كل ما كان يتميز به من نظر ثاقب ، فإنه قصر عن إدراك تطور أساسى واحد كان يجرى فى العالم عندئذ - هو انتقال الصناعة والملاحة البحرية تدريجيا من استخدام الفحم إلى استخدام النفط . وبذلك يكون سيد القوة البحرية وأستاذ الاستراتيجية قد غفل عن عنصر يمكن أن يغير الجغرافيا الاستراتيجية بشكل واضح .

والواقع أن الثورة الصناعية غيرت وجه العالم . فمع نهاية القرن ، حلت الطاقة الآلية محل الطاقة المستمدة من الحيوانات أو الطبيعة . وكان الفحم قد حل ، قبل وقت طويل ، محل الخشب ، ثم حل البترول - وهو نوع آخر من الوقود الأحفورى - محل الفحم . ولم يكن ماهان ، أو أى شخص آخر يعيش فى عام ١٩٠٠ ، ليتخيل أن التصنيع فى أوروبا وأمريكا الشمالية والشرق الأقصى ، والطلب المتزايد على النفط لتشغيل عجلة ذلك التصنيع ، سوف يجعل الخليج العربى خلال نصف قرن بهذه الأهمية الحاسمة للعالم .(٤٨)

وبعد عام ١٩٠٠ زادت الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى باطراد ، حتى فى وقت كان الإنتاج النفطى للشرق الأوسط لا يزال فيه محدودا والاحتياطيات المعروفة للمنطقة هامشية . وكان السبب بسيطا . فمن بين القوى الصناعية والعسكرية فى العالم ، كانت الولايات المتحدة وروسيا القيصرية فقط هما الدولتين المنتجتين والمصدرتين الرئيسيتين للنفط .(٤٩) أما القوى الأخرى - ألمانيا واليابان وفرنسا وبريطانيا العظمى - فإنها اعتمدت على الواردات الأجنبية ، وفى العادة .. الواردات الأمريكية ، وأخذت تتطلع بلهفة إلى الخارج بحثاً عن موارد جديدة للنفط .

وفى مايو عام ١٩٠١ ، فاز رجل إنجليزى هو وليام كنوكس دارسى ، بامتياز للتنقيب عن النفط ، من الشاه ، يغطى كل بلاد فارس باستثناء الولايات الشمالية الخمس . ودشن الاكتشاف الكبير المفاجىء الأول للنفط عند مسجد السليمان ، بعد سبع سنوات من تاريخ الحصول على هذا الامتياز ، بداية عصر النفط فى الخليج العربى .

وفى ابريل عام ١٩٠٩ ، شرعت شركة النفط الأنجلو - فارسية المنشأة حديثا فى مد خط أنابيب لنقل النفط من الحقول إلى الخليج لشحنه . وفى عام ١٩١٣ ، بدأ معمل التكرير ، التابع للشركة فى عبدان ، إنتاجه .(٥٠)

وفى عشية الحرب العالمية الأولى ، أصبح الوصول إلى البترول أيضا أحد عناصر القوة البحرية . واحتاجت بريطانيا العظمى ، القوة البحرية المتفوقة فى العالم ، إلى إمدادات آمنة من النفط للبحرية الملكية الجبارة . وكان الأميرال سير جون فيشر النصير الأكبر فى البحرية الملكية للنفط كوقود يحل محل الفحم فى السفن الحربية . وفى وقت مبكر يرجع إلى عام ١٨٨٦ ، اشتهر فيشر بلقب « مجنون النفط » بسبب دفاعه عن البترول .(٥١) وتوصل فيشر إلى أن السفن التى تستخدم النفط كوقود ، أكثر نظافة وسرعة وأقدر على التحمل ، كما إن إعادة شحنها بالوقود وصيانتها أكثر سهولة . (٥٢) وبناء على ذلك ، أصبحت الحكومة البريطانية الشريك المسيطر فى إدارة شركة النفط الأنجلو ـ فارسية .

وامتد احتياج بريطانيا العظمى لتأمين طرق الوصول إلى بترول الشرق الأوسط لكى يتجاوز بلاد فارس ويشمل ما وراءها . ففى عام ١٩١٢ ، بدأت بريطانيا تنمية الموارد النفطية للإمبراطورية العثمانية بالاتفاق مع شركتين إحداهما ألمانية والأخرى هولندية ، وتركز العمل فى الأساس على المنطقة التى ستصبح فى العشرينات من القرن العشرين .. العراق . وفى الخليج ، وتحت ضغط بريطانى ، وافق شيوخ وأمراء الكويت والبحرين وقطر وعمان وساحل الهدنة ـ دول عبارة عن مدن التزمت بهدنة بحرية فى عام ١٨٥٣ فرضتها بريطانيا ـ على عدم منح امتيازات نفط لشركات غير بريطانية .(٥٣)

وبينما كان الألمان والروس هما مصدر التهديدات الرئيسية لمركز بريطانيا الأستراتيجى فى المنطقة ، فإن المصالح الأمريكية ظلت ، كما كان الحال خلال القرن التاسع عشر ، تشكل تحدياً لتلك الدولة . وجعل رجال النفط الأمريكيون هدفهم الإمبراطورية العثمانية ، التى ظلت لوقت طويل بؤرة النشاط التجارى والتبشيرى القائم للولايات المتحدة . وكسبت عدة اتحادات لشركات أمريكية (كونسورتيوم) حقوق التنقيب عن النفط فى الإمبراطورية العثمانية . وتولى الأميرال المتقاعد كولبى شستر تكوين اتحاد للشركات الأمريكية تولى التفاوض مع القسطنطينية للحصول على امتيازات السكك الحديدية والتعدين والنفط (١٩٠٩ ـ ١٩١٠) .(٥٤) وحصلت شركة « ستاندارد أويل » فى نيويورك على تراخيص للتنقيب عن النفط فى شمال الأناضول وفلسطين . ولسوء حظ الأمريكيين ، فقد امتدت الحرب العالمية الأولى إلى الشرق الأدنى قبل أن تبدأ عمليات الحفر .(٥٥)

وأظهرت حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ الأهمية المتزايدة للنفط بالنسبة للعالم الصناعى ، وأدت إلى تركيز الاهتمام على إمكانات الخليج العربى . ومع حلول عام ١٩١٨ لم تعد أسلحة البحرية وحدها هى التى تعتمد على البترول ، وإنما انضمت إليها الجيوش التى أصبحت آلية بصورة جزئية والقوات الجوية ، وأخذت تعتمد على البترول هى أيضا . ولاحظ لورد كيرزون البريطانى ، بعد وقت قصير من نهاية الحرب العظمى ، أن الحلفاء « طفوا فوق بحر من النفط إلى النصر . »(٥٦) وكانت الولايات المتحدة هى مصدر أكثر من تسعين فى المائة من ذلك النفط .(٥٧)

وأسفر انتصار الحلفاء عن جعل بريطانيا القوة الأكثر تفوقاً فى الخليج العربى . وتسبب تحالف الإمبراطورية العثمانية مع ألمانيا والنمسا ـ هنغاريا فى هزيمة الإمبراطورية وانحلالها . وهكذا

طرد البريطانيون .. الأتراك من فلسطين وبلاد ما بين النهرين والبحر الأحمر وسواحل الخليج العربى الواقعة فى شبه الجزيرة العربية . وشملت حملة بلاد ما بين النهرين ، رغم النكسات الأولى ، المواقع البريطانية فى الخليج ومصالح شركة النفط الأنجلو - فارسية فى جنوب غربى إيرانت ، حيث زاد إنتاج البترول وزادت طاقة التكرير أربعمائة فى المائة إبان الحرب . ومع مجيء عام ١٩١٨ ، اختفى التهديد الألمانى الذى كان يتمثل بصورة مركزة فى مشروع خط السكة الحديدية بين برلين وبغداد . وفى أوائل العشرينات من القرن العشرين ، انحسر الخطر الروسى وسط لهيب الثورة والحرب الأهلية .(٥٨) وخضعت فلسطين والعراق والكويت لسيطرة بريطانيا العظمى . ولم تعد هناك قوة أجنبية ، غير فرنسا التى قامت بتثبيت وجودها فى لبنان وسوريا ، يمكن أن تهدد مركز بريطانيا المتفوق ظاهرياً فى الشرق الأوسط .(٥٩)

ولم يتبق سوى التهديد الداخلى . فقد تبلور خلال الحرب وعى جديد ، نكان مفتقدا ، بالقومية العربية ، ولعب هذا الوعى دوراً كبيراً فى مساعدة البريطانيين على طرد الأتراك من المنطقة . وبذلت كل من بريطانيا وفرنسا وعوداً لا تحصى بالاعتراف بالحقوق القومية العربية لضمان الحصول على تلك المساعدة ، بيد أن الحلفاء رفضوا ، بعد أن انتهت الحرب ، التخلى عن مكاسبهم . واتجه العرب نحو الولايات المتحدة ورئيسها وودرو ولسون طلباً للمساندة ، غير أن الأمريكيين كانوا عازفين عن التورط فى شئون الشرق الأوسط . وتجاهل البريطانيون آمال وتطلعات الحركة القومية الوليدة لعلمهم أن العرب المنقسمين سياسيا يفتقرون إلى دولة غربية تحميهم ، ودفع البريطانيون ثمن هذا التجاهل .(٦٠)

وتحرك البريطانيون على عجل لاستثمار انتصارهم إلى أقصى حد . وقررت بريطانيا انتهاج سياسة نفطية قومية لتأمين السيطرة على مورد استراتيجى حيوى ، هو البترول .(٦١) وقامت شركة النفط الأنجلو - فارسية بتوسيع حقوق امتيازها فى فارس .(٦٢) وفى العراق المستقل حديثا ، اعتبر البريطانيون أن الامتياز الذى حصلوا عليه فى السابق من الإمبراطورية العثمانية لا يزال سارى المفعول ، وتعجلوا القيام بمزيد من العمليات . وأصبح التعاون الأنجلو - فرنسى فى الشرق الأوسط ، والذى تجلى فى اتفاقية سايكس - بيكو عام ١٩١٥ لتقسيم الإمبراطورية العثمانية ، واضحاً فى مؤتمر سان ريمو فى أبريل عام ١٩٢٠ . وفازت الشركات الفرنسية بحصة نسبتها ٢٥ فى المائة فى شركة البترول التركية التى ستصبح فى القريب العاجل شركة البترول العراقية ، مقابل اتفاقية تسمح بإنشاء خط أنابيب يمتد من حقول شمال العراق عبر سوريا ، التى تسيطر عليها فرنسا ، إلى البحر المتوسط .(٦٣)

ولما وجد الأمريكيون أنفسهم وقد أغلقت أمامهم أبواب العراق وشبه الجزيرة العربية ، تطلعوا إلى بلاد فارس حيث يبدو الموقف ، إلى حد ما ، مبشراً بدرجة أكبر . وكانت بريطانيا وتركيا وروسيا قد انتهكت حياد فارس أثناء الحرب . وعندما نشبت الحرب الأهلية فى روسيا ، بدأت بريطانيا تدخلها فى القوقاز من أراض فارسية متجاهلة بصورة شبه كاملة رغبات الدولة المضيفة . وما إن شرع البلاشفة فى تدعيم سلطتهم فى أنحاء روسيا وإعادة تثبيت أقدامهم فى الجنوب ، حتى

انسحب البريطانيون تاركين الفرس ليواجهوا عدوهم التقليدى فى الشمال والذى يتحرك الآن تحت القناع البلشفي . وفى فبراير عام ١٩٢١ ، وبينما كانت قوات الجيش الأحمر تحتل إقليم غيلان الشمالى ، وقّع الفرس معاهدة مع الاتحاد السوفيتى تمنح الأخير حق التدخل إذا قام « طرف ثالث » بإرسال قوات عسكرية إلى فارس .(٦٤)

وكما فعل الفرس مرات كثيرة من قبل ، فقد أتجهوا إلى الولايات المتحدة ـ كطرف « متجرد » ـ طلباً للمساعدة . وإذ كان الموقف يتدهور فى القوقاز ، فقد عرض الزعماء الفرس على شركات البترول الأمريكية حقوق امتياز للتنقيب عن النفط فى شمال بلادهم ، وهى المنطقة التى تتعرض للتهديد من جانب السوفيت والتى ينسحب منها البريطانيون . وعندما بدا أن السيطرة البريطانية على المنطقة مضمونة ، أقام مسئولو شركة النفط الأنجلو ـ فارسية العوائق أمام الجهود الأمريكية لتنمية موارد البترول فى الولايات الشمالية . أما الآن ، والقوات العسكرية لبريطانيا العظمى تنسحب من القوقاز ، فإن شركة النفط الأنجلو ـ فارسية اتخذت موقف الليونة .(٦٥) ذلك إن منح الأمريكيين حقوق امتياز نفطية فى الشمال سيلعب دور الرادع لأى زحف سوفيتى على بلاد فارس . ولسوء الطالع ، فإنه عندما فازت شركة أمريكية ، فى آخر الأمر ، بالامتياز رفض الروس السماح بنقل النفط عبر القوقاز إلى موانىء البحر الأسود مما جعل هذا الامتياز عديم الجدوى .

وهكذا فإن نتائج الحرب العظمى تبدو وكأنها قللت من الفرص التجارية الأمريكية فى الشرق الأوسط بدلاً من تعزيزها .(٦٦) وعاد ممثلو شركات البترول الأمريكية إلى فلسطين وبلاد ما بين النهرين ليجدوا أنفسهم مستبعدين من النشاط التجارى . ومما أزعج رجال البترول الأمريكيين أنه ظهر للعيان أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تقدم مساندة لهم فى تلك الظروف إلا بقدر ضئيل بدافع التعاطف لا أكثر . وبحلول السلام ، انتهى على نحو مفاجىء ذلك التعاون الذى كان قائما فى الولايات المتحدة بين الحكومة وصناعة البترول على نحو طيب للغاية أثناء الحرب .(٦٧)

ورغم الرعب الذى استحوذ على الأمريكيين فى عام ١٩١٩ بسبب حالة احتياطياتهم البترولية (التى لا تبقى سوى عشر سنوات لاستنفادها وفقاً للتقديرات الرسمية الحكومية) ، فإن حكومتى وودرو ولسون ووارين ج . هاردنج لم تضعا أى سياسة بترولية قومية . وشعر رجال البترول الأمريكيون بالإحباط بسبب موقف الدبلوماسيين الأمريكيين فى مؤتمر السلام فى فرساى الذين فضلوا الانتظار إلى أن يتقرر مصير الإمبراطورية العثمانية قبل أن يلحوا فى طلب تنازلات من الحلفاء المنتصرين . واقتصرت الجهود الدبلوماسية الأمريكية التالية ، دفاعا عن مصالح الصناعة البترولية ، على تقديم احتجاجات غاضبة على السلوك البريطانى ، وإعلانات عن سياسة الباب المفتوح القائمة على المساواة فى الفرص التجارية بين كل الدول ، ورفض الاعتراف بشرعية امتياز شركة البترول العراقية الذى يستند إلى ترتيبات سابقة زمنياً على إقامة دولة العراق .(٦٨)

كان الفشل الدبلوماسى فى تأمين مشاركة صناعة البترول الأمريكية فى تنمية الشرق الأوسط نتيجة منطقية حيث إن حكومتى ولسون وهاردنج لم تكن لهما قبضة قوية تؤهلهما لدخول الملعب فى تلك المنطقة . فالولايات المتحدة كانت مجرد دولة « مشاركة » وليست دولة متحالفة بالكامل

أثناء الحرب العظمى ، كما أنها لم تعلن الحرب مطلقا على العثمانيين . أما البريطانيون الذين تحملوا القسط الأكبر من تكلفة الانتصار على الأتراك ، فقد رأوا ، بحق ، أنه لا مبرر للسماح للأمريكيين بالحصول على نصيب من غنائم النصر . فالولايات المتحدة لم تصدق على معاهدة عصبة الأمم والتي تجرى في ظلها إدارة المناطق الخاضعة للانتداب فى الشرق الأوسط . وعلاوة على ذلك ، فإن أى جهد تقوم به وزارة الخارجية الأمريكية للفوز بحقوق امتياز لشركة بترول أمريكية معينة سوف يعتبر فى نظر الشركات الأخرى ، وبحق ، نوعاً من المحاباة .

ورغم امتناع الولايات المتحدة عن ممارسة دور رئيسى فى الشئون العالمية ، فإنها كانت قوة دولية ، كما أن شركات البترول الأمريكية ظلت هى الأكبر والأقوى على نطاق العالم . ومن ثم فقد فُتحت أبواب الشرق الأوسط بالفعل أمام الأمريكيين فى العشرينات من القرن العشرين . ففى عام ١٩٢٣ ، أصبح أ. س. ميلزبوف ، وهو مسئول سابق بوزارة الخارجية الأمريكية ، مستشاراً مالياً للشاه . وانتهجت كل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة على السواء ، بخطى متدرجة ، مواقف أكثر ميلاً إلى التوافق فيما بينهما فيما يتعلق بحق الوصول إلى بترول الشرق الأوسط .(٦٩) ذلك أن بريطانيا العظمى عندما وجدت نفسها فى مواجهة تركيا قومية تنبعث من جديد وتبدو عازمة على استعادة ولاية الموصل الغنية بالبترول ، قامت (بريطانيا العظمى) بتشجيع المشاركة الأمريكية فى تنمية صناعة البترول فى العراق الذى أعطيت له هذه الولاية بصورة نهائية .(٧٠) والأكثر أهمية من ذلك أن شركات البترول البريطانية كان ينقصها رأس المال اللازم لتنمية المنطقة الشاسعة التى اقتطعتها حكومتها ومنحتها لهذه الشركات .

وعقب تسوية الحدود بين تركيا والعراق ، والاتفاقيات الجديدة بين شركة البترول العراقية وحكومة العراق ، والاكتشافات البترولية الضخمة فى عامى ١٩٢٣ و ١٩٢٧ ، وقّعت شركات بترول أمريكية متعددة الاتفاقية سيئة السمعة التى عرفت باسم اتفاقية « الخط الأحمر » فى ٣١ يوليو عام ١٩٢٨ .(٧١) وبموجب هذه الاتفاقية ، تم تأسيس « كارتل » (مجمع شركات تجارية وصناعية للتحكم فى الإنتاج والأسعار والتسويق - المترجم) يمارس نشاطه داخل المنطقة المحددة بخط أحمر على الخريطة ، ويمتد هذا الخط حول الأراضى الآسيوية السابقة للإمبراطورية العثمانية ، وهى منطقة تشمل الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية . وبالنسبة للولايات المتحدة ، فإن الاتفاقية المذكورة كانت إعلاناً عن نهاية صراعها الدبلوماسى ضد الاعتراف بشركة البترول العراقية باعتبارها الوريث الشرعى لشركة البترول التركية ، وهذا القرار من جانب الولايات المتحدة يعنى ترك الاتفاقيات السابقة على الحرب العالمية الأولى سارية المفعول ، وهى الاتفاقيات التى استبعدت رجال البترول الأمريكيين .

ومع أن إشراك بعض شركات البترول الأمريكية فى « الكارتل » كان علامة على تحسن فى الفرص التجارية المتاحة للشركات الأمريكية ، فإن تأسيس هذا « الكارتل » كان نكسة كبرى لسياسة الباب المفتوح فى الشرق الأوسط . غير أنه يمكن القول إن شركات البترول الأمريكية استقرت فى الخليج العربى من خلال جهودها الذاتية فى الأساس ، وقامت بتثبيت وجودها متحدية التفوق البريطانى ، ولم يكن ذلك لآخر مرة .

وسعى الأمريكيون للحصول على حقوق امتياز فى الكويت والبحرين وشبه الجزيرة العربية ، ونجحوا فى ذلك . ورغم أن الشركات البريطانية ، وبالأخص « ايسترن آند جنرال سنديكيت » ، التى يمثلها ميجور فرانك هولمز ، كانت تملك حقوق امتياز التنقيب عن البترول فى أنحاء المنطقة ، فإن محاولات العثور على شركات بريطانية مستعدة لشراء هذه الحقوق وقادرة على شرائها قد فشلت فى أغلب الأحيان . ولم يمض الوقت حتى كانت الشركات الأمريكية ، الغنية برؤوس أموالها الضخمة ، قد ظهرت على المسرح وهى جاهزة بأوراق النقد .

وكانت البحرين محمية بريطانية منذ عام ١٨٨٠ . وعقب اكتشاف بترول يتسرب من فتحات صغيرة فى قاع البحر فى عام ١٩١٠ ، توصل البريطانيون إلى اتفاقية تمنح بريطانيا حق « الفيتو » (الاعتراض) على تنمية صناعة البترول فى المستقبل . وانتهى أجل الاتفاقية التى كان هولمز قد عقدها فى ديسمبر عام ١٩٢٥ بعد أربع سنوات من إبرامها ، وعندما عجز عن إثارة اهتمام أى مستثمرين بريطانيين ، باع حقوقه فى البحرين لشركة « ايسترن جالف أويل » ، وهى أحد فروع شركة « أميركان جالف أويل » .

وكانت الشركة الأخيرة ، وهى شريك فى شركة البترول العراقية ، ملتزمة بالقيود التى تنص عليها « اتفاقية الخط الأحمر » التى تشمل أرخبيل البحرين . ورفضت شركة البترول العراقية ، التى يسيطر عليها البريطانيون ، أن تتولى مهمة تنمية البترول فى البحرين كما رفضت السماح لشركة « أميركان جالف أويل » بأن تقوم بهذه المهمة . ولذلك باعت شركة « أميركان جالف أويل » حقوق الامتياز لشركة « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » مقابل خمسين ألف دولار .

وواجهت « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » ـ وهى شركة أمريكية ـ المتاعب بسبب البند الخاص بالجنسية فى الاتفاقية الأنجلو ـ بحرينية لعام ١٩١٤ ، ولكنها تغلبت على هذه العقبة بالتحايل ، فقامت بتأسيس « شركة بترول البحرين » كفرع يمتلكه كنديون بصورة كاملة . وبدأ الحفر فى عام ١٩٣٢ ، وقامت الشركة بتصدير أول برميل من البترول الخام البحرينى بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ . وفى آخر الأمر ، باعت « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » نصف أسهمها « لشركة بترول تكساس » وأسست معها شركة « كالتكس » ، التى حصلت على ترخيص وسجلت فى جزر الباهاما كشركة لتسويق سلع شركة بترول البحرين على النطاق الدولى .(٧٢) وعلى ذلك ، فإن السنوات الأولى من ثلاثينيات القرن العشرين شهدت استقرار عملية تنمية صناعة النفط فى البحرين ، التى أصبحت قاعدة استراتيجية للقوات العسكرية البريطانية فى الخليج العربى ، فى أيدى الولايات المتحدة بصورة حاسمة .(٧٣)

وأصبحت الكويت أيضا ، بموقعها الاستراتيجى على قمة الخليج ، بؤرة الاهتمام الأمريكى بعد أن كان قد تم استبعادها بطريقة مقصودة من اتفاقية « الخط الأحمر » . واشترت شركة « أميركان جالف أويل » حق الامتياز الذى كان يملكه ميجور هولمز ، وتدافع البريطانيون بالمناكب فى وجل ليضمنوا أن شركة النفط الأنجلو ـ فارسية أصبحت شريكاً لشركة « أميركان جالف أويل » فى تأسيس شركة النفط الكويتية .(٧٤)

غير أن أهم تغلغل أمريكى فى المنطقة حدث فى شبه الجزيرة العربية ، التى كان البريطانيون يسيطرون عليها فى السابق ، والمنقسمة على نفسها من الناحية السياسية . وكان عبد العزيز ، الذى عرف بعد ذلك باسم ابن سعود ، وهو سلطان نجد ، يحكم وسط وشرقى شبه الجزيرة ، بينما كان الشريف حسين أمير مكة يحكم الحجاز الغربى . وفى سبيل مواصلة الحرب ضد تركيا بين عامى ١٩١٤ و ١٩١٨ ، تحالفت بريطانيا مع الشريف حسين ، وأخذت على عاتقها ضمان الأمن الداخلى فى شبه الجزيرة عن طريق تقديم إعانة مالية شهرية قدرها خمسة آلاف جنيه استرلينى لابن سعود ، وأيضا عن طريق معاهدة عقدت فى ديسمبر عام ١٩١٥ تجعل من ممتلكاته محمية بريطانية . ووافق ابن سعود على عدم مهاجمة حسين ، وعلى الامتناع عن منح حقوق امتياز فى مجال التعدين أو التجارة بدون موافقة بريطانية .(٧٥)

وعقب الحرب ، أوقفت بريطانيا الإعانات المالية لعبد العزيز بدافع القلق من القومية العربية الصاعدة والسخط على قيادة حسين ، وأفسحت المجال فعلياً لحركة عبد العزيز وأطلقت العنان له . وفى يناير عام ١٩٢٦ ، استولى رجال القبائل التابعون للملك على الحجاز . وأنهت معاهدة جدة فى عام ١٩٢٧ نظام الحماية البريطانية وألغت القيود الاقتصادية لاتفاقية عام ١٩١٥ .(٧٦)

وتطلع ابن سعود ، الذى كان فى حاجة إلى المال لتدعيم سيطرته على القبائل فى دولته المملكة العربية السعودية التى قام بتأسيسها للتو ، إلى القروض والرسوم التى جاءت مع تنمية النفط . وفى عام ١٩٢٣ ، تفاوض ميجور هولمز مع ابن سعود للحصول على حقوق امتياز نفطية فى منطقة الأحساء فى الجزء الشمالى الشرقى من شبه الجزيرة على طول الخليج العربى ، ولكنه أخفق فى إثارة اهتمام أى شركة بريطانية لكى تتولى المشروع . وبدت احتمالات العثور على النفط فى المملكة العربية السعودية غير مشجعة إلى أن حدث اكتشاف بترولى عام ١٩٣٢ فى تكوين صخرى فى البحرين حمل علماء الجيولوجيا على الاقتناع بأن هذا التكوين الصخرى يشكل وحدة تمتد إلى إقليم الأحساء المحاذى فى داخل شبه الجزيرة . ولما كان إقليم الأحساء يقع ضمن الخط الأحمر ، فإن شركة « أميركان جالف أويل » لم تستطع المضى فى طريق تنمية المنطقة ، غير أن شركة « ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا » ، التى كانت تعمل بالفعل فى البحرين ، تحركت وعرضت ثمنا أكبر من ذلك الذى عرضته « شركة البترول العراقية » ، وفازت بامتياز ضخم مدته ستون عاما لشركة « كاليفورنيا - آريبيان ستاندارد أويل . »(٧٧)

وفى أواخر الثلاثينات من القرن العشرين ، تسارعت خطى تنمية صناعة البترول فى الشرق الأوسط . وزاد إنتاج النفط فى منطقة الخليج العربى بنسبة ٩٠٠ فى المائة بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٣٩ . وانضم العراق والبحرين والمملكة العربية السعودية إلى إيران كمنتجين كبار . وبينما كان أقل من خمسة فى المائة من النفط غير المنتج فى الولايات المتحدة يأتى من الخليج فى عام ١٩٢٠ ، إذا بهذه النسبة ترتفع فى عام ١٩٣٩ إلى ١٤ فى المائة .(٧٨)

وأخذت مجموعات واتحادات الشركات الأمريكية تدعم ، بصورة متزايدة ، عمليات تنمية المنطقة . وربما تكون بريطانيا قد احتكرت لنفسها القوة العسكرية والسياسية فى الخليج ، ولكن

رأس المال المالى الأمريكى تحدى البريطانيين على الصعيد الاقتصادى فى العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين . وظلت إيران ، التى كانت تخضع لسيطرة البريطانيين ، مصدر حوالى ثلثى نفط الخليج العربى ، ولكن المشاركة الأمريكية فى شركة البترول العراقية والسيطرة على حقوق امتياز النفط فى البحرين والمملكة العربية السعودية أوضحتا الدور الأمريكى المتنامى فى المنطقة .

ومن هنا ، فإن الولايات المتحدة التى لم تكن بالتأكيد قوة عسكرية فى الخليج العربى فى عشية الحرب العالمية الثانية ، كانت - مع ذلك - قوة اقتصادية من الدرجة الأولى . واعتنق الأكراد والعرب والفرس جميعاً آراء إيجابية تجاه الولايات المتحدة التى كانت صورتها غير ملطخة حتى ذلك الوقت . وواصل الفرس - أكثر شعوب المنطقة تطوراً من الناحية السياسية - نفس سياستهم التى طبقوها على مدى حوالى قرن لموازنة قوة بريطانيا وروسيا ، وهى عرض حقوق امتياز تجارية على الأمريكيين فى محاولة لجر الولايات المتحدة إلى التورط فى الشئون الفارسية . وجاءت سيطرة شركات البترول الأمريكية على حقوق امتياز النفط فى البحرين ، وهى المحور الاستراتيجى للمركز البريطانى فى الخليج ، لكى تكشف بوضوح مدى التغلغل الاقتصادى الأمريكى فى منطقة يسيطر عليها البريطانيون ظاهرياً .

وحتى ذلك الوقت ، رفض أصحاب القرار السياسى فى واشنطن أى تورط دبلوماسى أو عسكرى فى الخليج . ولكن تضخم المصالح الاقتصادية الأمريكية بسرعة متزايدة ، كما ظهر بالفعل فى سنوات ما بين الحربين ، لم يكن من الممكن أن يظل مصوناً إلى ما لا نهاية عن طريق اتباع سياسة رفع الأيدى عن المنطقة .

الفصل الثانى

مركز الثقل البترولى العالمى

١٩٣٩ ـ ١٩٤٦

كانت مصالح الولايات المتحدة فى الخليج العربى ، قبل الحرب العالمية الثانية ، مصالح اقتصادية . وكان الوجود الذى يتسع نطاقه بسرعة لشركات البترول الأمريكية فى المنطقة يمثل مؤسسات تجارية صرفة ، لأن الولايات المتحدة ظلت أكبر منتج ومصدر للنفط فى العالم . فقد كان البترول الذى تضخه الشركات المملوكة للأمريكيين من الخليج يتدفق إلى أسواق ما وراء البحار ولا يتجه عائداً إلى الولايات المتحدة .

وبينما كان العدد الأكبر من الأمريكيين يعترفون بالأهمية الاستراتيجية للخليج العربى ، كما فعل « شوفيلت » و « ماهان » قبلهم ، ويقدرون تقديراً عالياً ما تحقق من استقرار فى المنطقة نتيجة السيطرة السياسية والعسكرية البريطانية ، فإن القلة فى الولايات المتحدة هى التى لم تعرب عن أى رغبة فى أن تحل بلادهم محل بريطانيا العظمى أو تساندها . فقد كان الأمريكيون لا يزالوا يعتقدون بأنهم يستطيعون تقويض المركز الاقتصادى لبريطانيا دون أن يضطروا لتحمل مسئوليات سياسية أو عسكرية .

ودفع مجرى أحداث الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأوسط الولايات المتحدة إلى ممارسة دور أكبر فى شئون الخليج العربى ، وإن كانت قد فعلت ذلك على مضض . فالحرب العالمية أبرزت بصفة خاصة الأهمية المتزايدة للبترول ، وكشفت ضعف المركز الاستراتيجى لبريطانيا فى الخليج العربى على السواء .

وأثناء الحرب العالمية الأولى كانت القوات البريطانية والإمبراطورية تفى بغرض الدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكن مجموعة متنوعة من الأخطار أجبرت بريطانيا بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٤٥ على الاعتماد على القوات السوفيتية والأمريكية فى إصلاح الخلل فى توازن القوى الإقليمى . وفى بداية الحرب ، هددت المشاعر الموالية للمحور فى إيران والعراق أمن موارد النفط الرئيسية لبريطانيا . وسحقت القوات البريطانية وقوات الجيش الهندى انقلاب مايو ١٩٤١ فى العراق ، الذى

لم يدم إلا لوقت قصير ، وذلك على حساب ضرورات مواصلة الحملة العسكرية فى ليبيا ضد الألمان والإيطاليين .(١) وفى تلك الأثناء ، قامت قوات المحور بغزو الاتحاد السوفيتى فى شهر يونيو . وأصبحت للمواصلات البرية عبر إيران ، التى تحتل موقعاً استراتيجياً ، أهمية كبرى ، وأثار وجود خبراء ألمان فى طهران أزمة فى أواخر الصيف . وعندما رفض رضا شاه بهلوى طرد الألمان ، قامت القوات البريطانية بغزو إيران من ناحية الجنوب بينما وجهت القوات السوفيتية ضربتها من ناحية الشمال . وأرغم الحلفاء رضا شاه على التنازل عن العرش لأبنه محمد رضا شاه بهلوى . ووقع الشاه الجديد المعاهدة الأنجلو ـ سوفيتية ـ الفارسية فى يناير ١٩٤٢ ، ووفرت المعاهدة الغطاء الشرعى للاحتلال المشترك ، ولكنها أعطت ضمانا بوحدة الأراضى الإيرانية والاستقلال السياسى لإيران .

كذلك فإن التهديدات الخارجية عرضت للخطر مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط . ففى الفترة ما بين يونيو ١٩٤٠ وديسمبر ١٩٤٢ واجه البريطانيون الأخطار من ناحية الشمال ، حيث أوشك الألمان على اختراق المواقع السوفيتية فى القوقاز ؛ ومن ناحية الغرب ، حيث كانت القوات الألمانية ـ الإيطالية فى ليبيا تهدد مصر ؛ ومن ناحية الجنوب ، حيث كانت إثيوبيا والصومال ، الخاضعتان لإيطاليا ، تجابهان وتتحديان خليج عدن والبحر الأحمر ؛ ومن ناحية الشرق ، حيث قام الجيش اليابانى بغزو الهند ، وشن الأسطول الإمبراطورى اليابانى غارات مفاجئة فى المحيط الهندى .(٢)

ومع بداية عام ١٩٤٣ كان البريطانيون قد تمكنوا من تأمين مركزهم فى الشرق الأوسط ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك إلا بمساعدة كبرى من جانب حلفائهم ، على خلاف التجربة التى مروا بها فى الحرب العالمية الأولى . وكانت القوات الروسية تتحصن فى شمال إيران . وكانت القوات البحرية والبرية والجوية الأمريكية قد اشتبكت مع قوات المحور فى شمال إفريقيا ووصلت إلى الخليج العربى لتأمين الطريق البرى إلى الاتحاد السوفيتى لتنفيذ معونة الإعارة والتأجير .(*)

كذلك فإن التهديدات المبكرة للمحور والموجهة ضد الشرق الأوسط أعاقت تطور صناعة البترول فى الخليج العربى رغم أهمية البترول فى مواصلة الحرب ، وأدت إلى إضعاف مركز بريطانيا فى المنطقة أكثر فأكثر . ثم إن المخاوف من احتمال اجتياح قوات المحور لحقول النفط ، وغيبة رأس المال البريطانى ، وعدم الاستقرار السياسى ، وانقطاع الاتصالات البرية والبحرية ، كل ذلك تسبب فى إبطاء اتجاهات النمو والتطور ، وتسبب فى بعض الحالات فى تحول هذه الاتجاهات إلى المسار المضاد . ففى العراق ، انخفض الإنتاج السنوى للنفط من ٣٢٦٤٣٠٠٠ برميل فى عام ١٩٣٨ إلى ١٢٦٥٠٠٠٠ برميل فى عام ١٩٤١ قبل أن يرتفع مرة أخرى إلى ٣٢١١٢٠٠٠ برميل فى عام ١٩٤٥ .(٣) وهبط إنتاج النفط الإيرانى من ٢١٣٧٣٧ برميلا يومياً

(*) معونة مادية قدمت فى الحرب العالمية الثانية فى شكل ذخائر وآلات وطعام الخ .. للدول الأجنبية التى اعتبرت واشنطن أن الدفاع عنها حيوى للدفاع عن الولايات المتحدة . (المترجم) .

فى عام ١٩٣٨ إلى ١٣٨٧٠٤ براميل فى عام ١٩٤١ ، قبل أن يرتفع من جديد إلى ٢٨٠٠٠٠ برميل فى عام ١٩٤٤ .(٤) كذلك عانت فى تلك الفترة دول ساحل الهدنة ، وهى قطر وعمان والكويت ، التى دخلت مؤخرا إلى مجال تنمية النفط وكانت تعتمد على رأس المال البريطانى .(٥) وقامت الشركات التى يسيطر عليها البريطانيون بإغلاق الآبار وإرجاء العمل فى استخراج البترول . ولم تتغير الأمور إلا قرب نهاية الحرب ، عندما استأنفت الكويت الإنتاج ، حيث إن الكونسورتيوم كان يضم مؤسسات أمريكية يتوافر لديها رأس المال .(٦) وأدى هبوط الإنتاج وانخفاض العائدات إلى تفاقم التوترات بين دول الخليج والبريطانيين ، وخاصة فى العراق وإيران . وفى أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣ ، بينما كان الحلفاء معزولين عن إمدادات النفط فى جنوب غربى المحيط الهادى ، وبينما كان الشرق الأوسط قد أصبح آمناً وأعيد فتح البحر المتوسط للمواصلات البحرية ، وكانت اقتصاديات الحلفاء الغربيين تتوسع وقواتهم العسكرية تنمو ، فى ذلك الوقت فقط أدى الطلب على بترول الخليج العربى إلى الضغط من أجل زيادة الإنتاج .

وكانت البحرين والمملكة العربية السعودية ، حيث المصالح الأمريكية هى المسيطرة ، أفضل حالاً بشكل ملحوظ . ففى البحرين انخفض الإنتاج ، ولكن ليس بدرجة كبيرة كما حدث فى أماكن أخرى ، وذلك بفضل وجود مرافق متطورة بصورة جيدة ومعمل تكرير داخل البلاد .(٧) واستمر تزايد النشاط فى المملكة العربية السعودية فى عام ١٩٤٠ عندما وصل الإنتاج السنوى إلى ٥٠٧٥٠٠٠ برميل بعد أن كان ٥٨٠٠٠٠ برميل فى سنة ١٩٣٨ ، ثم انخفض الإنتاج إلى ٤٣١٠٠٠٠ برميل فى عام ١٩٤١ ، ولكنه ارتفع إلى ٢١٣١١٠٠٠ برميل بحلول عام ١٩٤٥ !(٨) وأشار مسئول فى شركة البترول العراقية فى ذلك الوقت إلى أن الانخفاض الكبير فى إنتاج النفط فى المناطق الواقعة تحت سيطرة بريطانيا « خلق انطباعاً فى أنحاء الشرق الأوسط ... بأن سرعة التطور الأمريكى تتجاوز بكثير سرعة التطور البريطانى . »(٩)

وإذا كانت الحرب العالمية الثانية قد أضعفت مركز بريطانيا العظمى فى الخليج العربى ، فإنها أدت إلى تعميق القلق الاستراتيجى الأمريكى على أمن المنطقة . وكان يمكن أن يكتب النجاح للاستراتيجية الأمريكية فى زمن الحرب فى حالة واحدة هى استمرار الاتحاد السوفيتى فى القتال . فالطريق عبر الخليج وإيران كان حيوياً لنقل معونة الإعارة والتأجير إلى روسيا فى ظل ستالين . وأصبح نفط الخليج ، قرب نهاية الحرب ، سلعة استراتيجية تزود طائرات الحلفاء ودباباتهم وسفنهم وشاحناتهم المنتشرة فيما وراء البحار بالوقود . ونتيجة لذلك ، فإن الولايات المتحدة زادت ، مع نهاية الحرب ، بدرجة هائلة رهانها الاقتصادى فى المنطقة ، وقامت لأول مرة بنشر قوات عسكرية فى الخليج .

وتغيرت أيضا السياسة البترولية الأمريكية بشكل واضح أثناء الحرب . وكان الرئيس فرانكلين د . روزفلت قد استهل ، فى الثلاثينات ، عصراً جديداً من التعاون بين الحكومة ورجال الأعمال ، كجزء من برامج « السياسة الاقتصادية الجديدة » (النيو ديل) لإخراج البلاد من هاوية الكساد الكبير ، وقد استهدف هذا التعاون فى المحل الأول التحكم فى الأسعار من خلال وضع ضوابط

للإنتاج .(١٠) وتسببت الحرب فى أن تغير الإدارة الأمريكية سياستها وتسعى لزيادة الإنتاج المحلى . وترتب على ذلك أن الولايات المتحدة أصبحت فى الفترة من ديسمبر عام ١٩٤١ حتى أغسطس ١٩٤٥ قادرة على تقديم ثمانين فى المائة من النفط اللازم للمجهود الحربى للحلفاء . وشكّلت المنتجات البترولية أكثر من نصف إجمالى الشحنات من المواد الحربية التى تم نقلها من الولايات المتحدة ، مقدّرة بالأطنان .(١١) وجعلت « إدارة البترول من أجل الحرب » برئاسة هارولد ايكس من الحكومة الحَكَم وصاحب القول الفصل فى صناعة البترول ، وهذه الإدارة تعكس تطوراً أرقى بالمقارنة بالوكالات التنظيمية البيروقراطية الأسبق والتى أسسها روزفلت فى الثلاثينات .

وفى محاولة لتأمين إمدادات كافية من النفط للمجهود الحربى للحلفاء ، اتجهت الولايات المتحدة إلى استثمار موارد أجنبية للبترول وليس فقط موارد محلية .(١٢) وعلق أصحاب القرار السياسى الأمريكى آمالهم على زيادة الإنتاج وطاقة التكرير فى زمن الحرب ، وعلى ضمان المشاركة الأمريكية في تنمية النفط فيما وراء البحار فى أعقاب الحرب . وكان ايكس يرى أن أفضل وسيلة لتحقيق هذه الأهداف هى أن تصبح الولايات المتحدة شريكا فعلياً فى صناعة البترول ، على نحو يماثل تقريبا ما فعلته الحكومة البريطانية التى كانت مالكة أسهم فى شركة النفط الأنجلو ـ فارسية .(١٣) ولو كانت سياسات ايكس قد طبقت ، لأصبحت الولايات المتحدة شريك بريطانيا وملتزمة دبلوماسياً وعسكرياً بضمان حصة البلاد فى صناعة البترول فى الخليج .

وفى الخليج العربى ، حقق ايكس أول أهدافه . فقد اعتمدت « إدارة البترول من أجل الحرب » تحقيق زيادات فى الإنتاج والتكرير فى الخليج وفقاً لبرنامجها لعام ١٩٤١ للإنتاج الأجنبى . وأدت الهموم العسكرية بشأن أمن المنطقة ، والتى تردد الحديث عنها فى الفترة الأولى للحرب ، إلى تأخير تنفيذ خطط زيادة التكرير المحلى . ورغم ذلك ، فقد زادت طاقة تكرير الخليج العربى بنسبة ٨٩ فى المائة بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤٤ . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه مع نهاية الحرب تم إنتاج منتجات مكررة نوعية مثل غاز الأوكتين العالى للطيران وزيت وقود محركات الديزل للبحرية ووقود نوعى للبحرية ، وذلك فى عبدان والبحرين ورأس تنورة بالخليج العربى .(١٤) وكان التوسع كبيراً والزيادة هائلة ، فى واقع الأمر ، إلى حد أن الشرق الأوسط اكتسب مكانة خاصة فى عيون الأمريكيين . وفى فبراير عام ١٩٤٤ ، وصف تقرير تقنى أعدته « إدارة البترول من أجل الحرب » الخليج العربى بأنه « مركز الثقل » فى تنمية البترول فى المستقبل .(١٥)

ومع أن الجهود لزيادة إنتاج ما وراء البحار كانت ناجحة بشكل ملحوظ ، فإن ايكس كان عاجزاً عن تشكيل تحالف بين الحكومة والصناعة تكون له صفة رسمية ، وكذلك كان عاجزاً عن التوصل إلى اتفاقية أنجلو ـ أمريكية بشأن البترول تتحكم فى تطورات ما بعد الحرب فى الشرق الأوسط . وكان رجال الأعمال الأمريكيون يتطلعون بلهفة إلى قيام حكومة الولايات المتحدة بدور أكبر فى تنمية مصالح شركات البترول الأمريكية فى الخليج العربى . غير أن خطط ايكس لتحقيق مشاركة بين الحكومة والصناعة أثارت القلق حول أشكال التنظيم الحكومية والتدخل والرقابة ، وفى

أغسطس عام ١٩٤٤ رفض ممثلو صناعة البترول الأمريكية الاتفاق البترولى المبدئى الذى وضعه المفاوضون البريطانيون والأمريكيون . وفى الوقت الذى قبل فيه ممثلو الصناعة صيغة منقحة للاتفاق فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩٤٥ ، جاء السلام لينهى الشعور بالعجلة الذى كان سائدا وقت الحرب .. وتركت المعاهدة أمام الكونجرس دون التصديق عليها .(١٦) وظلت شركات البترول الأمريكية مستقلة ، ولم توضع اتفاقية رسمية تكفل مشاركة حكومة الولايات المتحدة فى تنمية نفط الخليج العربى .

ومع ذلك ، فإن نمو الدور الدبلوماسى والاقتصادى والعسكرى الأمريكى فى الشرق الأوسط أثناء الحرب جعل قيام شركات البترول الأمريكية بدور قيادى فى الخليج العربى مسألة مضمونة . وكان من شأن برامج الإعارة والتأجير التى خصصت لبريطانيا والاتحاد السوفيتى ، وشملت فى النهاية إيران والمملكة العربية السعودية ، أن ينتقل عسكريون أمريكيون إلى المنطقة لتدريب قوات محلية . وقامت الولايات المتحدة فى كل مكان من الخليج العربى بمد خطوط الأنابيب ، وبناء مطارات وطرق وسكك حديدية وموانىء ومرافق للتخزين ، وتحسين مثل هذه الإنشاءات وتطوير شبكة المواصلات . وساعدت الحرب على تقوية المواقع الأمريكية التى أقيمت حديثاً فى البحرين والمملكة العربية السعودية ، وأتاحت للولايات المتحدة مدخلاً إلى إيران ، المصدر الرئيسى لإمداد بريطانيا بالبترول . وكانت القيود التى فرضتها إدارة روزفلت على التفاوض للحصول على حقوق امتياز نفطية جديدة هى السبب الوحيد الذى حرم شركات البترول الأمريكية من جنى مكاسب غير متوقعة من فرص تجارية جديدة فى الخليج . والدافع وراء تلك القيود كان مراعاة الحكمة بالحيلولة دون زرع الشكوك بين الحلفاء .

وكان الوضع فى إيران أوضح تعبير عن الواقع السياسى الجديد فى المنطقة . فالغزو والاحتلال الأنجلو ـ سوفيتى ، وتنازل الشاه بالإكراه عن العرش جعلا العديد من الإيرانيين يشعرون بقلق على مستقبل بلادهم ، وهو أمر مفهوم . وجاء وصول فريق أنجلو ـ أمريكى إلى طهران فى عام ١٩٤١ ، لإدخال تحسينات على السكة الحديدية الحكومية ، ليشجع الكثير من الإيرانيين على أن ينظروا إلى الولايات المتحدة كمصدر للمساندة ، تقريبا كما كانت تفعل الملكية الفارسية الواقعة تحت ضغوط قوية منذ الخمسينات من القرن التاسع عشر .(١٧) واقترح الإيرانيون مرة أخرى منح حق امتياز بترولى للأمريكيين فى الشمال ، ولكن الولايات المتحدة رأت تأخير المفاوضات لحين انتهاء الحرب حيث إنها كانت تحرص على الامتناع عن أى عمل قد يضايق البريطانيين أو السوفيت .(١٨)

ومع ذلك اتخذت الولايات المتحدة عدة خطوات أثناء الحرب لمساندة إيران . فبالرغم من أن الاتفاقية الثلاثية المبرمة فى يناير ١٩٤٢ كانت تمنع إيران من الدخول فى الحرب إلى جانب الحلفاء ، فقد أعلنت الولايات المتحدة أن إيران جديرة بالانتفاع من معونة الإعارة والتأجير . وفى أواخر عام ١٩٤٢ وأوائل عام ١٩٤٣ ، أقامت الولايات المتحدة فى إيران بعثات من المستشارين العسكريين لبناء جهاز شرطة البلاد ولبناء الجيش لإقرار الأمن الداخلى .(١٩) ولم يكن هناك غنى

عن هذه المساندة إذا كان لابد أن يعيد الشاه الشاب تأكيد السلطة الحكومية عندما ينسحب السوفيت والبريطانيون ، إذا انسحبوا . وإلى جانب هذا الوجود العسكرى الاستشارى ، فإن عام ١٩٤٥ شهد نمو قوة « القيادة الأمريكية لخدمة الخليج العربى » ، المسئولة عن تحسين المواصلات فى المنطقة ونقل مواد معونة الإعارة والتأجير إلى السوفيت والإيرانيين والسعوديين ، ليصبح قوامها ثلاثين ألف رجل ، معظمهم يوجدون فى إيران .(٢٠) وفى وقت انعقاد مؤتمر طهران فى أواخر عام ١٩٤٣ ، رفعت الولايات المتحدة مستوى بعثتها الدبلوماسية فى طهران من مفوضية إلى درجة سفارة . وتولت الولايات المتحدة ، فى المؤتمر نفسه وبناء على إيعاز من إيران ، صياغة ومساندة « إعلان الدول الثلاث بشأن إيران » . ونظمت هذه الوثيقة ، التى وقعها فى أول ديسمبر عام ١٩٤٣ كل من تشرشل وستالين وروزفلت ، وجود القوات الأمريكية فى إيران ، وأشارت إلى المصاعب الخاصة والإهانات التى فرضها الاحتلال الأجنبى ، والتزمت بضمان وحدة أراضى واستقلال إيران بعد الحرب .(٢١) وتلقت إيران وعداً بالمساندة من جانب الولايات المتحدة مكافأة لها على تحمل الاحتلال الأنجلو - سوفيتى ووجود أمريكى واسع النطاق .

وفى شبه الجزيرة العربية على الجانب الآخر للخليج العربى ، تطلع ابن سعود على نحو يشبه الشاه الشاب كثيرا ، وبصورة متزايدة إلى الولايات المتحدة طلبا للمساعدة . فقد أدت الحرب إلى تخفيض عائدات البترول السعودى وتسببت فى ركود حركة سفر الحجاج المربحة إلى مكة . وكانت مشاكل ابن سعود المالية واضحة للمراقبين البريطانيين والأمريكيين الذين كانوا يشعرون أيضا بقلق إزاء مشاعر التعاطف المحتملة للعاهل السعودى تجاه الألمان .(٢٢)

وفى الفترة الأولى للحرب ، كان ابن سعود ينظر إلى بريطانيا باعتبارها أكبر قوة فى المنطقة ، ويعتبر الولايات المتحدة دولة لا تربطها بشئون الخليج سوى مصلحة عابرة .(٢٣) وهكذا تحملت بريطانيا فى البداية عبء التكاليف المالية لدعم حكم ابن سعود عندما ثبت عجز شركة « كاليفورنيا آريبيان ستاندارد أويل » ، وعدم رغبة حكومة الولايات المتحدة فى دفع مبالغ مقدماً أو تقدم القروض التى يطلبها الملك . ورفع البريطانيون بسرعة حجم المعونة لابن سعود عقب الثورة العراقية فى ربيع عام ١٩٤١ . ورغم مركز شركات البترول الأمريكية فى المملكة العربية السعودية ، ظل الرئيس روزفلت يعتبر شبه الجزيرة العربية منطقة مصالح بريطانية .(٢٤)

كان رجال البترول الأمريكيون يشعرون بالقلق من الوجود البريطانى المتزايد فى زمن الحرب فى الرياض وكذلك النفوذ البريطانى المتزايد هناك ، بيد أن السبب الرئيسى لقلقهم ظل يتركز حول احتمال الانهيار الداخلى للملكية السعودية .(٢٥) ولم تصل المعونة الأمريكية إلى مستويات كبيرة إلا فى أوائل عام ١٩٤٣ عندما ضعفت القوة الاقتصادية البريطانية وزادت الشكوك البريطانية فى قدرة ابن سعود على الحكم .

وما إن أصبح الأمريكيون على وعى أكثر فأكثر بعجز بريطانيا العظمى ، وبالقيمة الاستراتيجية للشرق الأوسط ، وبأهمية طرق الوصول إلى البترول فى الخليج العربى أثناء الحرب ، وربما بعد الحرب أيضا ، حتى شرعوا فى إعادة تقييم سياسات طويلة الأمد للولايات المتحدة تجاه المنطقة .

وإبان السنوات الأخيرة للحرب العالمية الثانية ، أظهرت حكومتا روزفلت وترومان اهتماما أكبر بكثير بالخليج ، وهو اهتمام يقوم على أساس سياسة بترولية قومية تقررت حديثا لعالم ما بعد الحرب وضعتها وزارة الخارجية الأمريكية فى أواخر عام ١٩٤٣ وأوائل عام ١٩٤٤ . وتدعو هذه السياسة الجديدة إلى « المحافظة على احتياطيات البترول فى نصف الكرة الغربى » عن طريق « الحد من تدفق البترول ومنتجاته ، بقدر ما يمكن عمليا ، من موارد نصف الكرة الغربى إلى أسواق نصف الكرة الشرقى » بحيث تتزامن هذه الخطوات مع « توسع جوهرى ومنظم فى إنتاج موارد الإمدادات فى نصف الكرة الشرقى ، وأساساً فى الشرق الأوسط » . ودعا التقرير أيضا إلى مشاركة أمريكية كاملة فى هذه التنمية للإنتاج ، سواء لضمان نجاحها أو « لخلق مصدر خارجي يمكن أن يوفر الإمدادات للولايات المتحدة فى حالة عدم حدوث انعطافة نحو الأفضل عقب المنحنى السلبى الذى ظهر مؤخراً فى الاكتشافات المحلية . »(٢٦)

وكان القرار الأمريكى بالاضطلاع بدور قيادى فى تنمية صناعة البترول فى الشرق الأوسط بعد الحرب يستند إلى تقدير رصين ، وواقعى فى الوقت نفسه ، للقدرات البريطانية فى المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والسياسية . فمنذ نهاية الحرب العالمية الأولى ، اتضح أن بريطانيا ينقصها رأس المال اللازم لتنمية المنطقة ، وبالقطع تفتقر إلى ذلك القدر من المال الذى اعتبرته الولايات المتحدة ضرورياً حينئذ . كذلك فإن البريطانيين لم يتخذوا « خطوات كافية لرعاية الأوضاع الاجتماعية لمصلحة الجماهير » فى منطقة تتصاعد فيها المشاعر القومية والمناوئة للاستعمار . وكان صناع السياسة الأمريكيون قلقين من عدم الاستقرار فى المنطقة ، وذلك لأن عدم الاستقرار يمكن أن يهدد التوسع المستمر فى صناعة النفط ، أو يغرى السوفيت بإمكان التورط أو التدخل الخطير الذى ينطوى على إثارة القلاقل .(٢٧) ورأى المسئولون فى حكومتى روزفلت وترومان - تمشيا مع مبادئهم الديمقراطية الليبرالية والتقاليد السياسية التى شكلت دوافع البعثات التبشيرية الأمريكية والكثير من التجار فى الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الثامن عشر - أن أفضل ضمان للاستقرار فى الخليج هو التنمية الاقتصادية السريعة والشاملة . فهذا هو السبيل المؤدى إلى تحقيق مستوى أعلى للمعيشة للشعوب « وبالتالى زيادة القدرة الشرائية واستقرار سياسى واقتصادى أكبر . »(٢٨)

وطرح الوعى المتزايد بالانحدار الإمبراطورى لبريطانيا العظمى مشكلات أمام سياسة الولايات المتحدة . فقد أتاح تدهور مركز بريطانيا فى الخليج العربى ، وفى كل أنحاء الشرق الأوسط ، فرصاً اقتصادية ودبلوماسية فريدة بالنسبة للأمريكيين ، ولكنه هدد أيضا بانسياق الولايات المتحدة نحو تورط سياسى وعسكرى أعمق فى منطقة غير مستقرة . وكتب لينكولن ماك فيف ، السفير الأمريكى لدى الحكومة اليونانية فى المنفى ، من مقر عمله فى القاهرة فى أكتوبر عام ١٩٤٤ يقول :

« أشك فى أن الأمر واضح تماما على هذا النحو فى أى مكان آخر فى العالم كما هو الحال هنا . أما هذا الأمر فهو أن الإمبراطورية البريطانية - على طول شريانها الرئيسى (قناة السويس) - تنطوى ، إذا تحدثنا على المستوى العسكرى ، على مفارقة تاريخية ، فقد كانت هذه الإمبراطورية

مستكملة لجميع شروطها ومناسبة على الوجه الأكمل للقرن الثامن عشر ، ولكنها مستحيلة فى القرن العشرين ولم تعد تنتمى إلى هذا العصر . وكل يوم يحمل معه دليلا على الضعف والتشتت ، وما يترتب عليهما من انتهازية واعتماد على قوة أمريكا التى أصبحت نووية . وأشعر بأنه لا أحد هنا يستطيع أن يحتفظ بعينيه مفتوحتين ، وكذلك أذناه ، ثم لا يقتنع بأن الإبقاء على الإمبراطورية مستقبلا يعتمد على أمرين : إلى أى مدى تقبل انجلترا صياغة سياستها الخارجية بالاتفاق مع واشنطن ، وإلى أى مدى نتعرف بدورنا على الموقع الذى تتعرض فيه الإمبراطورية ، التى تشكل أهمية كبيرة لأمننا ، لتهديد مباشر أكثر من غيره . »(٢٩)

ومع ذلك ، فلم تكن لدى صناع السياسة الأمريكيين الرغبة فى إلزام مصادر القوة العسكرية للولايات المتحدة بمساندة الإمبراطورية البريطانية أو بالدفاع عن الشرق الأوسط . وخلال الحرب العالمية الثانية ، تصور المخططون الأمريكيون عالماً يمكن أن تمارس فيه القوة العسكرية للولايات المتحدة نشاطها فى نصف الكرة الغربى وغربى المحيط الهادى . وفى هذه الحالة يبقى البحر المتوسط والشرق الأوسط منطقتين خاضعتين للمسئولية البريطانية . وفى ديسمبر عام ١٩٤٣ ، تحدث فرانك كنوكس ، وزير البحرية عندئذ ، عن « اتفاقية عمل بين الأسطولين البريطانى والأمريكى لفترة ما بعد الحرب ، تقضى بإسناد مهمة الرقابة على شرقى المحيط الأطلسى والبحر المتوسط والمحيط الهندى للقطع البحرية البريطانية ، على أن يتولى أسطول الولايات المتحدة حراسة غربى المحيط الأطلسى والمحيط الهادى بأكمله ..» ، وقال « إن هذا هو العمود الفقرى لقوة الشرطة البحرية لما بعد الحرب ، والتى جرى تنظيمها بالفعل وتضطلع بوظيفتها . »(٣٠) ونتيجة لذلك ، فإن العسكريين الأمريكيين وضعوا خطتهم وبدأوا فى تنفيذ عملية انسحاب كاملة من المياه الأوروبية ، فى وقت كان الأمريكيون يدركون فيه أن متاعب الدول الكبرى ومشكلاتها تتجمع وتتخمر ، وفى وقت كانوا يعرفون فيه أن البريطانيين يريدون ويتوقعون مساعدة أمريكية بعد الحرب .(٣١)

وظهرت واضحة ، اتجاهات جديدة فى السياسة الأمريكية إزاء دول الخليج من خلال العلاقة بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية ، حيث قاوم الأمريكيون حتى وقت متأخر يرجع إلى عام ١٩٤٣ فكرة ممارسة دور سياسى أكبر . ولكن مع مجىء السنة التالية ، كان الأمريكيون مستغرقين بنشاط فى صراع مع البريطانيين لينالوا الحظوة لدى الملك ابن سعود . وحاول الأمريكيون ، الذين فاتحوا السعوديين بشأن حقوق إنشاء قاعدة جوية فى الظهران على ساحل الخليج العربى ، أن يستثمروا دورهم القيادى فى تنمية صناعة النفط فى شبه الجزيرة العربية . أما البريطانيون ، الذين كانوا يسعون أيضا للحصول على حقوق إنشاء قاعدة ، فقد عملوا على الاستفادة بأقصى درجة ممكنة من مركزهم السياسى القديم العهد فى شبه الجزيرة العربية . ولكن الولايات المتحدة أصبحت لها اليد الطولى وفازت فى الصراع . وجاء القرار الأمريكى بأن تشمل معونة الإعارة والتأجير السعوديين فى عام ١٩٤٤ ، والزيادة فى إنتاج نفط شركة « كاليفورنيا آريبيان ستاندارد أويل » وفى رسوم العائدات لكى يضعا حداً للتهديد المباشر بانهيار الملكية ، ولكى يرفعا حصة أمريكا فى رأس المال السعودى .(٣٢)

وخلال السنة الأخيرة للحرب ، عملت الولايات المتحدة بجهد وعناية من أجل تأمين النفوذ

التجارى والسياسى الأمريكى فى المملكة العربية السعودية بعد الحرب . وعندما كان الرئيس روزفلت يستعد للعودة من مؤتمر يالطا فى فبراير عام ١٩٤٥ ، وجه الدعوة إلى الملك سعود لعقد لقاء بينهما على ظهر طراد أمريكى فى البحيرات المرة فى قناة السويس .(٣٣) وتولت مدمرة البحرية الأمريكية « مورفى » نقل ابن سعود وحاشيته من جدة إلى اللقاء المباشر مع روزفلت على ظهر الطراد « كوينسى » . وقام الأمريكيون بتزويد المدمرة « مورفى » بخيمة لتغطية الجزء الأمامى من السفينة . وكانت هناك خراف حية - لحوم طازجة لخراف قائمة (حيّة) - محبوسة فى حظيرة فى مؤخرة السفينة .(٣٤) وبينما كان موضوع المناقشة ظاهرياً هو فلسطين ، وليس مستقبل النفط السعودى ، فإن اللقاء أكد الأهمية المتنامية للمملكة العربية السعودية بالنسبة للولايات المتحدة ، وبرهن لابن سعود على أن الأمريكيين عازمون على القيام بدور سياسى فى المنطقة بعد الحرب .(٣٥) وترك روزفلت أيضا انطباعا طيبا لدى ابن سعود الذى التقى أيضا مع ونستون تشرشل فى طريق عودته من يالطا . وقارن العاهل السعودى ، فيما بعد ، بين الأسلوب الدبلوماسى البارع الذى يتميز به الرئيس الأمريكى وبين التلويح المراوغ « بطريقة ملتوية » من جانب رئيس الوزراء البريطانى « بالعصا الغليظة » - أى استخدامه للتهديدات التجارية والعسكرية .(٣٦)

ومن سوء الطالع أن وفاة روزفلت التى حدثت فى غير أوانها فى أبريل عام ١٩٤٥ وانتهاء الحرب فى أوروبا عام ١٩٤٥ أيضا ، هددا بتقويض العلاقة السعودية - الأمريكية . وأصبح النقاش حول ما إذا كانت الولايات المتحدة ستظل ملتزمة دبلوماسياً بشئون ما بعد الحرب فى الخليج يتركز على مسألة الإنشاءات التى يستمر بناؤها فى قاعدة الظهران الجوية .

ولم يعد امتلاك قاعدة جوية فى الظهران ضرورة عسكرية ، فقد كان الغرض الأصلى من إقامتها هو الربط بين القاهرة وكراتشى « لإعادة نشر القوات الأمريكية فى الشرق الأقصى وزيادة كفاءة عمليات النقل الجوى الحربية الحالية والمرتقبة عبر الشرق الأوسط . »(٣٧) ورغم ذلك فإن المؤيدين للقاعدة طالبوا ، بعد انتهاء الحرب فى أوروبا ، باستمرار عمليات التشييد .

> « إن موارد النفط فى المملكة العربية السعودية ، والتى هى من بين أكبر الموارد فى العالم ، يجب أن تظل تحت السيطرة الأمريكية لغرض مزدوج هو أن تضيف إلى مواردنا التى تتناقص وتحل محلها من ناحية ، ولمنع سقوط هذه القوة التى تنطوى على إمكانات كبيرة فى أيدٍ غير صديقة ... إن الولايات المتحدة يجب أن تحصل على وضع الدولة المفضلة فى المملكة العربية السعودية فى حالة ما إذا أصبح إنشاء قواعد عسكرية وبحرية فى منطقة الخليج العربى أمراً ضرورياً . »(٣٨)

وحتى النهاية الوشيكة لحرب المحيط الهادى ، لم تهز تصميم هؤلاء الذين يدافعون عن بناء القاعدة الجوية .(٣٩) وتوصلت اللجنة الفرعية للشرقين الأدنى والأوسط التابعة للجنة التنسيق بين وزارات الخارجية والحرب والبحرية إلى ما يلى :

> « وهكذا فإن مركز الثقل البترولى العالمى ينتقل إلى الشرق الأوسط حيث عهد إلى مؤسسات أمريكية باستثمار واحد من أكبر حقول النفط . وتقتضى مصلحتنا القومية أن يظل هذا المورد الحيوى فى أيدٍ أمريكية حيث إنه من المرجح فى أغلب الأحوال أن تجرى تنمية هذا المورد على نطاق وبمقدار من شأنهما أن يخففا بدرجة كبيرة من استنزاف احتياطيات نصف الكرة الغربى ... ولا يمكن أن يكون

الأساس الوحيد لتقييم مشروع المطار هو المسائل المتعلقة بفائدته كمطار . فهناك تفرعات وتشعبات في المجال الخاص بالعلاقات الأمريكية ـ السعودية تجعل هذه المسألة معقدة . »(٤٠)

كانت الحجة المؤيدة لاستكمال بناء القاعدة حجة سياسية وليست عسكرية . وتشاور جوزيف س . جرو القائم بأعمال وزير الخارجية الأمريكي مع الرئيس هارى س . ترومان فى شهر يونيو :

« بعد أن أجرينا مفاوضات ناجحة مع الملك ابن سعود للحصول على تصريح بتشييد المطار ، فإنه إذا حدث واضطرت هذه الحكومة لإبلاغه بأنها قررت عدم تشييده ، فالأرجح أن يكون الانطباع لدى الملك ابن سعود بأن سياساتنا تجاه المملكة العربية السعودية تحمل طابع التذبذب . وسوف يسهم ذلك فى تعميق شكوكه الحالية بشأن المدى الذى يمكن أن يعتمد فيه على الولايات المتحدة . »(٤١)

ولما كانت هذه المشورة التى تلقاها ترومان ، فقد وافق فى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٤٥ على استكمال بناء القاعدة الجوية فى الظهران(٤٤) . وأدى فقدان الطمائنينة كشىء أساسى لدى الملكية السعودية غير المستقرة حالياً والضعيفة عسكريا ، والادراك الأمريكى المتزايد لأهمية بترول شبه الجزيرة العربية ، أديا إلى تشييد المطار الذى سيعلب دوراً رئيسيا فى عمليتى درع الصحراء وعاصفة الصحراء بعد خمسة وأربعين عاما من ذلك التاريخ . وكان قرار ترومان يرمز إلى التحام المصالح الدبلوماسية والاقتصادية الأمريكية فى الخليج العربى ، ويظهر عزم أمريكا على الاحتفاظ بما كان من المتوقع أن يكون وجوداً عسكرياً محدوداً من مخلفات الحرب فى المنطقة .

ولسوء الطالع ، فإن المعنى الكامل لقرار الولايات المتحدة بأن تلعب دوراً سياسياً أكبر فى الخليج العربى لم يتضح بسرعة لمعظم الأمريكيين والبريطانيين والعرب والإيرانيين أو ـ وهذا هو الأكبر أهمية ـ لقيادة الاتحاد السوفيتى . ففى نهاية الحرب ، اختار جوزيف ستالين أن يختبر تصميم حلفائه السابقين بطريقة أكدت أن عالم ما بعد الحرب لن يتسم بوفاق شامل وإنما بمجابهة مزمنة بين السوفيت والغرب : الحرب الباردة . وبصرف النظر عن دوافع ستالين ، فإنه بوضوح لم يسع إلى معركة وتصرف بحذر ، وخاصته فى أوروبا وآسيا حيث بقيت قوات عسكرية أمريكية تساندها الترسانة النووية للولايات المتحدة . ولكن الأمريكيين كانوا قد انسحبوا بالكامل تقريبا من الخليج العربى ، عندما تطلع ستالين صوب الخليج ، لم يرسوى بريطانيا العظمى تعترض طريقه .

وسجلت التحركات العسكرية السوفيتية فى شمال إيران ذروة حملة ممتدة من التهديدات كانت قد بدأت فى صيف عام ١٩٤٥ . وكان السوفيت قد قاوموا فى مؤتمر بوتسلام الجهود الأمريكية والبريطانية الضاغطة من أجل انسحاب القوات الروسية من إيران قبل الموعد النهائى ـ ستة أشهر بعد انتهاء الحرب ـ وهو الموعد المتفق عليه فى البند الخامس من المعاهدة الأنجلو ـ سوفيتية ـ الإيرانية فى يناير ١٩٤٢ . وعندما استسلم اليابانيون فى ٢ سبتمبر عام ١٩٤٥ ، أصبح الموعد النهائى للانسحاب من إيران محدداً تلقائياً ، أى أنه كان على السوفيت الانسحاب فى ٢ مارس عام ١٩٤٦(٤٣) .

وتصاعد القلق تجاه النوايا السوفيتية فى إيران ، عندما بدأ الانفصاليون فى أذربيجان وكردستان الذين يرعاهم السوفيت ، بعد وقت غير طويل من اجتماع بوتسدام ، بالسيطرة على الموقف تحت

الغطاء السياسي للحزب الديمقراطي في أذربيجان . وعندما أرسلت الحكومة الإيرانية قوات إلى الشمال لإعادة تأكيد السلطة المركزية ، أغلقت القوات السوفيتية الطريق أمامها « وهددت بإطلاق النار إذا لم تصدع القوات الإيرانية للأوامر الصادرة إليها بالتوقف . »(٤٤)

وأدرك الدبلوماسيون الأمريكيون في طهران وواشنطن أن سلطة الحكومة في إيران ضعيفة . فقد كانت هناك عناصر سياسية عديدة في إيران غير متحمسة للسلطة المتزايدة للنظام الملكي الذي بدأ تحت حكم رضا شاه ليستمر تحت حكم ابنه(٤٥) . وكانت هناك مشاعر قومية مشروعة ، وخاصة بين غير الإيرانيين من الشعوب التركمانية والأذربيجانية والأرمنية والكردية في الولايات الشمالية والغربية . وكان لدى الروس أنفسهم شكاوى عديدة مشروعة من الإيرانيين .(٤٦) غير أنه كان من الواضح أن السوفيت عملوا على تفاقم هذه التوترات ، وتلاعبوا بها لخلق نظام حكم عميل في المنطقة تحت سيطرتهم . وحذر جورج كينان ، من موسكو ، قائلاً إن تكتيكات « القومية » قد استخدمت من قبل « في بساربيا ، وروثينيا وشرقي بولندا ، وأنها واضحة الآن فيما يتعلق بسينكيانج وأرمينيا التركية . »(٤٧)

ومع بلوغ الأزمة قمتها في مارس عام ١٩٤٦ ، مارست موسكو ضغطاً في نفس الوقت على تركيا جارة إيران .(٤٨) واحتشدت القوات البرية والجوية السوفيتية في بلغاريا وبدأت في الإعداد لعمليات هجومية . وبدا أن تحرك القوات الروسية عبر شمال إيران صوب شرقي الأناضول جزء من جهد منسق للهجوم ، أو في الحد الأدنى إثارة أعصاب الجارين الجنوبيين للاتحاد السوفيتي .(٤٩) وكما كتب ترومان في وقت لاحق : « كان المطلوب من إيران أن تتفاوض مع روسيا بينما المدفع مصوب إلى رأسها . »(٥٠)

ودفعت التهديدات السوفيتية لتركيا وإيران صناع السياسة الأمريكية إلى إعادة تقييم افتراضاتهم بشأن تعاون الحلفاء بعد الحرب ، ولكنهم لم يدخلوا أي تغييرات فورية في السياسة الأمريكية .(٥١) ورغم القلق الذي سيطر على خبراء شئون الشرق الأوسط بوزارة الخارجية الأمريكية ، فقد قرر جيمس ف . بيرنز وزير الخارجية عدم الضغط على السوفيت بشأن مسلكهم في الشرق الأدنى خلال مؤتمر لوزراء خارجية دول الحلفاء عقد في موسكو في ديسمبر عام ١٩٤٥ .(٥٢) كذلك لم يكن العسكريون الأمريكيون يتلهفون على تبني خط أكثر تشددا في الشرق الأدنى . وعمد تقرير للجنة المخابرات المشتركة في ٣١ يناير عام ١٩٤٦ إلى التهوين من شأن احتلال السوفيت لشمال إيران .

« التحركات السوفيتية الحالية فيما يختص بإيران وتركيا تشمل فيما يبدو إقامة حكومات « صديقة » للاتحاد السوفيتي ، وإدخال هذه المناطق في حدود منطقة الأمن السوفيتية . والأمر الواقع الذي فرض في الأونة الأخيرة في أذربيجان الإيرانية قد حقق عمليا الأهداف السوفيتية في شمال إيران . »(٥٣)

وبعد ثلاثة أسابيع من تاريخ هذا التقرير ، وافقت رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية على مذكرة توصي الولايات المتحدة بأن تتشبث بخططها وتتجنب الالتزامات العسكرية في الشرق الأدنى ، رغم الضغوط السوفيتية الواضحة على وضع بريطانيا العظمى في المنطقة .(٥٤)

وربما تكون حالة انعدام القلق الاستراتيجى الأمريكى إزاء التحركات السوفيتية فى الشرق الأدنى قد ساعدت ، فى الواقع ، على تسريع احتدام الأزمة فى إيران . وربما كان ستالين على علم بتقديرات رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية بفضل جهاز مخابرات قوى يعمل فى خدمته فى الغرب بصورة جيدة . وبالقطع فإنه لم يكن لدى ستالين مبرر قوى للشك فى أن الولايات المتحدة التى تسرّح قواتها بسرعة وتسحب قواتها من أوروبا سوف تتخذ موقفا صلباً فى إيران .

ولكن سياسة ضبط النفس الأمريكية انتهت فجأة فى بداية شهر مارس عندما تخطى ستالين حدوده فى شمال إيران . ففى الرابع من مارس عام ١٩٤٦ ، لاحظ « روبرت روسو جونيور » نائب القنصل الأمريكى أن قوات سوفيتية آلية تتحرك نحو تبريز فى ولاية أذربيجان الإيرانية الشمالية . واجتازت القوات الروسية تبريز ، ثم توجهت جنوبا « صوب طهران » بدلاً من أن تتجه شمالاً ناحية الحدود السوفيتية . ورغم أن ٢ مارس كان الموعد النهائى لانسحاب القوات السوفيتية من إيران ، فإن ستالين قرر تعزيز جيشه فى شمال إيران .(٥٥) وكتب روسو فيما بعد يقول : « يستطيع المرء أن يقول بأمانة إن الحرب الباردة بدأت فى الرابع من مارس عام ١٩٤٦ . »(٥٦)

وكان ذلك التاريخ أيضا بداية القلق الأمريكى على أمن الشرق الأوسط . وخلال الأيام القليلة التالية ، تدهورت بسرعة العلاقات السوفيتية - الأمريكية واجتاح الولايات المتحدة مناخ أزمة وما يشبه هستيريا الحرب . وفى فولتون ، بولاية ميسورى ، ألقى ونستون س . تشرشل فى الخامس من مارس خطابه الشهير الذى عُرف باسم خطاب « الستار الحديدى » . وتحدث تشرشل عن « الظل القاتم » الذى خيم « على المواقع التى أضاءها انتصار الحلفاء مؤخراً جداً . »(٥٧) وأشار رئيس الوزراء البريطانى السابق إلى أن إيران « تعرضت للإزعاج والمضايقة على السواء بصورة مؤلمة » بسبب « المطالب » و « الضغوط » السوفيتية .(٥٨) وفى مساء نفس ذلك اليوم ، بعث وزير الخارجية بيرنز ببرقية من واشنطن إلى القائم بالأعمال الأمريكى فى موسكو جورج ف . كينان ليسلمها إلى وزير الخارجية السوفيتى فياشيسلاف مولوتوف ، لمطالبة السوفيت بإيضاح نواياهم بخصوص إيران .(٥٩) وفى السادس من مارس أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن السفينة الحربية « ميسورى » ستقل جثمان السفير التركى الراحل محمد منير ارتيجون إلى إسطنبول . ومع أن وزارة الخارجية رفضت اقتراح البحرية إرسال الأسطول الثامن بقيادة نائب الأميرال مارك أ . ميتشر ، بما فى ذلك حاملة طائرات ، إلى البحر المتوسط ، إلا أن إرسال « ميسورى » كان برهانا قوياً على الاهتمام الأمريكى بالمنطقة .(٦٠)

وخلال يوم ٧ مارس ، رصد مكتب شئون الشرق الأدنى وإفريقيا بوزارة الخارجية الأمريكية الموقف المتدهور فى إيران . وأمر مدير المكتب لوى هندرسون مساعده الخاص إدوين م . رايت بإعداد خريطة كبيرة لأذربيجان يعين فوقها مواقع التحركات السوفيتية . وأعد رايت الخريطة وعرضها ، وهى مغطاة بالأسهم التى تشير إلى عمق الاختراقات الروسية ، على وزير الخارجية بيرنز فى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم . وعلق بيرنز قائلا : « الآن سنبلغهم بأنه من الأفضل لهم ألا يفعلوا ذلك إذا كانوا يعرفون ما هو خير لهم » . وفى صباح اليوم التالى ، استخدمت

الخريطة ، التى تعكس أحدث التطورات فى الموقف ، فى شرح الأمور بإيجاز للمسئولين الآخرين بوزارة الخارجية . أما دين اتشيسون وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ، الذى شعر بالانزعاج بسبب عدم رد السوفيت على برقية بيرنز والتقارير المستمرة من روسو فى تبريز عن التحركات الروسية صوب طهران وشرقى تركيا وكردستان ، فقد قرر أن أفضل ما يمكن أن تفعله الولايات المتحدة هو أن تتأكد من أن الاتحاد السوفيتى قد فهم أن واشنطن على علم بما كان يجرى فى إيران .(٦١)

ولسوء الحظ ، فإن العديد من المؤرخين الأمريكيين البارزين خلطوا بين الوقائع وهم يتناولون سجل الأحداث التى وقعت فى إيران فى أواخر عام ١٩٤٥ وأوائل عام ١٩٤٦ وأدت إلى التعجيل بانفجار الأزمة الأولى للحرب الباردة . والكثيرون يصفون تقارير روسو بأنها مغالى فيها ، أو أنها تتجاهل ببساطة تقديم الدليل على النشاط السوفيتى فى إيران . وعلى سبيل المثال ، لا يتعرض ملفين ب . ليفلار - فى روايته عن الأزمة - بالذكر لمسألة أن السوفيت لم يرفضوا فقط الجلاء عن إيران ، بل أرسلوا قوات إضافية إلى البلاد .(٦٢) ويقول والتر لافيير فى متن كتابه عن الدبلوماسية الأمريكية والمستخدم على نطاق واسع : « إن الدبابات الروسية كانت تهدر متجهة إلى الحدود الإيرانية فى أوائل مارس . »(٦٣) وفى الحقيقة ، إن الدبابات الروسية كانت تهدر على الحدود وعلى مسافة عشرين ميلا من العاصمة الإيرانية . ويكتب جويس وجابرييل كولكو عن « الشائعات حول حشود كثيفة للقوات السوفيتية . »(٦٤) ويلاحظ جون لويس جاديس أن جيمس رستون محرر صحيفة « نيويورك تايمز » أوضح فى عمود كتبه فى ٢٠ مارس عام ١٩٤٦ أن التقارير مبالغ فيها .(٦٥) ويتبع روبرت ل . ميسر خطأ مشابهاً ، فيكتب قائلاً : « يبدو من خلال استعادة الأحداث الماضية وتأمل وقائعها ، أنه رغم وجود بعض الحقيقة فى التقارير عن حشود عسكرية داخل منطقة تمركز القوات السوفيتية ، فإن التقارير الدبلوماسية والصحفية المعاصرة للأحداث حول هجوم سوفيتى ضخم يتعدى المنطقة إلى بقية إيران كانت من جانب محض اختلاقات إيرانية متعمدة ومن جانب آخر نتاج عمل من يريدون إثبات قدرتهم الشخصية على قراءة الغيب فى بيروقراطية وزارة الخارجية الأمريكية . »(٦٦) والمصدر الذى استند إليه ميسر فى روايته هو ستيفن ل . ماكفرلاند ، الذى كتب يقول :

« واصلت حكومة إيران الضغط على واشنطن عن طريق تمرير تقارير حول تحركات واسعة للقوات السوفيتية فى كل أنحاء شمال إيران . وكتب القنصل الأمريكى فى تبريز ، عاصمة أذربيجان ، تقارير عن تحركات مماثلة ، رغم أن بعض تقاريره كان يستند إلى مشاهدات نقلت إليه من مصادر إيرانية . وكتب مراسل « نيويورك تايمز » فى إيران قائلا إنه لم يقع بصره على علامة لحشود أو تحركات لقوات سوفيتية فى قزوين ، واستندت هذه المعلومات إلى رحلة جوية استطلاعية فوق أذربيجان ، ولكنه وجد أربع عشرة دبابة ومركبات أخرى فى خرج ... وقد حدثت بالتأكيد تحركات سوفيتية إلى الأمام ، ولكن من المحتمل أن تكون هناك مبالغة فى التقارير التى كتبت عنها . »(٦٧)

بيد أن خَرَجْ تقع على مسافة عشرين ميلاً فقط من طهران ، ومع أن بعض تقارير « روسو » عن وجود سوفيتى متزايد قد وصلت إليه بواسطة الإيرانيين ، فإن معظمها كان نتيجة لملاحظاته الخاصة ، كما توضح قراءة برقياته . وبالفعل كتب جين كوريفان ، مراسل « نيويورك تايمز » الذى

حلق فى الجو ليبحث عن السوفيت ، قائلا إنه لم يتم رصد حشود سوفيتية ، ولكنه لاحظ أيضا : « أن المراقبة عن طريق الجو غير فعالة لأن الروس لا يتحركون إلا أثناء الليل . »(٦٨) وعلاوة على ذلك ، فإنه بعد شكوك فى البداية لدى السفارة البريطانية فى طهران نجمت عن عدم وصول تقارير مماثلة من دبلوماسييها فى إيران ، أكدت السفارة أن تقارير روسو لا تنطوى على مبالغة .(٦٩) وقد سافر ألكسيس م . جاجارين ، الضابط بجيش الولايات المتحدة ومساعد الملحق العسكرى فى إيران بالطريق البرى من طهران إلى تبريز ، وكتب تقريراً جاء فيه « أنه شاهد شخصياً طابورا من ٢٥ دبابة سوفيتية يتحرك فى اتجاه طهران » . وقال « إن الحامية السوفيتية فى قزوين زاد عدد أفرادها وأن هناك وحدة من قوات المشاه السوفيتية فى زينجان ، وأنه لاحظ وجود قوات حمراء مسلحة فى نفس الشاحنات التى تقل « ديمقراطيين » أذربيجانيين مسلحين . »(٧٠) كما شاهد أرشى روزفلت ، ضابط المخابرات الأمريكى الذى وصل إلى إيران فى قمة الأزمة ، جنودا من الروس ومعدات روسية على الطرق بين طهران وتبريز .(٧١)

والسؤال الأكثر إثارة للاهتمام هو ما السبب فى أن السوفيت سمحوا لأفراد من السلك الدبلوماسى والعسكرى الأمريكى بجمع معلومات مباشرة تتعلق بالتحركات الروسية . وكان « روسو » يتوقع أن يقطع السوفيت وسائل الاتصال مع تبريز لمنعه من إرسال تقارير حول تحركاتهم ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك قط . وبدلاً من محاولة إخفاء تحركاتهم ، مهما كانت البيانات العلنية التى قد تكون قد صدرت منهم ، وأياً كان ما قد يكتبه المؤرخون الأمريكيون فيما بعد ، فقد أراد السوفيت بوضوح أن يلاحظ المسئولون الأمريكيون والبريطانيون والإيرانيون تحرك القوات والمعدات السوفيتية إلى إيران . فالتخويف لا ينجح إلا إذا كان التهديد المرئى ، أو على الأقل الملحوظ ، بادياً للعيان .

وكان هذا التهديد هو الذى ردت عليه الولايات المتحدة . وبناء على توجيه أتشيسون خطَّ « الجير هيس » على عجل مسودة بيان ليوقع عليها بيرنز ، وينقل البيان إلى موسكو القلق الأمريكى ولكنه يترك للكرملين « مخرجا مشرفاً » من المسألة التى كانت تتحول إلى أزمة كبرى . وأرسلت الخارجية الأمريكية بعد ظهر نفس اليوم برقية ثانية إلى كينان لكى يسلمها إلى قوميسير الشعب للشئون الخارجية .(٧٢)

« تتشرف حكومة الولايات المتحدة بإبلاغ حكومة الاتحاد السوفيتى بأنها تتلقى تقارير مفادها أن هناك تحركات ضخمة لقوات مقاتلة سوفيتية ومواد حربية سوفيتية من ناحية الحدود السوفيتية صوب تبريز ومن تبريز للخارج فى اتجاه طهران ومهاباد ونقاط متعددة فى شمال غربى إيران » .

« وترغب حكومة الولايات المتحدة فى أن تعلم ما إذا كانت الحكومة السوفيتية ، بدلا من سحب القوات السوفيتية من إيران ، وفقا لما دعت إليه بإلحاح مذكرة السفارة فى ٦ مارس ، تجلب قوات إضافية إلى إيران . وفى حالة ما إذا كانت تجرى زيادة عدد القوات السوفيتية فى إيران ، فإن هذه الحكومة سترحب بتلقى معلومات فى الحال تتعلق بأغراض تلك الزيادة . »(٧٣)

وفى موسكو ، حذّر كينان قائلا بأنه ليس هناك هجوم وشيك . وستالين لم يُعِدّ الشعب الروسى لأى مشروع من هذا النوع . وقال كينان فى تقريره إن التحركات السوفيتية جزء من خطة منسقة

تستهدف إحراز النجاح عن طريق « قوة التخويف وحدها » . ورأى كينان أن السوفيت سيبقون على « هذه الناحية من الخط حرفياً » لتفادى « قطيعة دبلوماسية كاملة مع البريطانيين » ، الذين اعتبرهم القائم بالأعمال الأمريكى والسوفيت الحصن الرئيسى ضد التوسع الروسى تجاه البحر المتوسط والخليج العربى . وبينما اعترف كينان بأن حرب الأعصاب الجارية محفوفة بالخطر إلا أنه عمد إلى تذكير بيرنز بأن الكرملين « لا يتعثر ويتخبط عرضاً فى مواقف لم يتدبر سلفاً ملابساتها ومضاعفاتها . »(٧٤)

وفى « برقيته الطويلة » الشهيرة فى ٢٢ فبراير ، وجه كينان نصيحته بشأن الطريق الذى تسير فيه الولايات المتحدة :

« السلطة السوفيتية ، على خلاف ألمانيا الهتلرية ، لا تنزع إلى التخطيط ولا إلى المغامرة . وهى لا تعمل وفقا لخطط ثابتة . ولا تقدم على مخاطرات غير ضرورية . ولا تتقبل منطق العقل ، وشديدة الحساسية لمنطق القوة . ولهذا السبب فإنها تستطيع أن تنسحب بسهولة ـ وهى تفعل ذلك عادة ـ عندما تواجه مقاومة قوية عند أى نقطة . وهكذا ، فإذا كانت لدى الخصم قوة كافية وأوضح استعداده لاستخدامها ، فإنه نادرا ما يضطر لأن يفعل ذلك . وإذا عولجت المواقف بطريقة صحيحة فإنه لن تكون هناك حاجة إلى صدامات حاسمة للحفاظ على السمعة . »(٧٥)

وحدث ما تنبأ به كينان ، ففى ٢٤ مارس أمر ستالين ، الذى قوبل برد فعل حازم من جانب الإيرانيين والأمريكيين والبريطانيين ، القوات السوفيتية بالانسحاب من إيران .(٧٦) وبحلول نهاية شهر مايو ، عبرت القوات الروسية الحدود مرة أخرى وتُرك نظام الحكم الأذربيجانى بلا سند .

ومع ذلك ، استمرت الأزمة مع محاولات الحكومة الإيرانية المترددة لإعادة فرض سيطرتها على الولايات الشمالية . ولم يوجد من يستطيع أن يكون على يقين من الكيفية التى كان سيرد بها ستالين وهو يشهد الانهيار التدريجى والشائن ، وفى النهاية الدموى ، لنظام حكم تبريز مع اقتراب الجيش الإيرانى . ورغم الانتصار الدبلوماسى الواضح فى إيران ، فإن تقرير مكتب مخابرات البحرية فى سبتمبر عام ١٩٤٦ توصل إلى نتيجة متشائمة :

« الاستغلال السياسى الروسى لأذربيجان الإيرانية ، والتوغل السرى الواسع النطاق فى بقية إيران ، والموقف الغامض لرئيس الوزراء عوام ، والوضع السياسى ـ الاقتصادى الهلامى تماما ، وتفسخ كل جوانب الحياة القومية الإيرانية ، كل ذلك ينبىء بحتمية السيادة الروسية فى نهاية المطاف على كل البلاد . »(٧٧)

كان للأزمة الإيرانية فى عام ١٩٤٦ تأثير له دلالته على العلاقات الأمريكية ـ السوفيتية ، وكذلك على السياسة الأمريكية فى الشرق الأدنى . وانتهج ترومان بعد مارس ١٩٤٦ ، أسلوباً أكثر نزوعاً إلى المواجهة إزاء السوفيت ، وأصبحت الحرب الباردة واقعاً مشئوماً كان على العالم أن يتعايش معه على مدى الخمسة والأربعين عاما التالية . وقرر ترومان أن الوقت قد حان لوقف ممارسة لعبة « الحل الوسط » ، ولكنه لم يستند فى قراره إلى أى تقييم للأهمية الاستراتيجية للخليج العربى أو بتروله ، فقد أصبح الرئيس المحبط يشعر ، ببساطة ، « بالملل من تدليل السوفيت . »(٧٨) ولم

يكن نهج ترومان المتصلب الجديد قابلا للتطبيق فى الشرق الأوسط فحسب ، وإنما فى بؤر أخرى للنزاع فى أوروبا وآسيا أيضا .(٧٩)

ومع ذلك فإن الأزمة كانت سبباً فى حمل الأمريكيين على إعادة التفكير فى سياستهم . فقد أظهرت تحركات ستالين فى إيران وعلى الحدود التركية أن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأدنى بالنسبة للولايات المتحدة لم تنته بنهاية الحرب ضد المحور ، كما تصور المخططون فى زمن الحرب . وفى مارس عام ١٩٤٦ ، وجد الأمريكيون أنفسهم يوحدون جهودهم فى فريق واحد ، فى إيران ، مع البريطانيين الذين يلعبون « اللعبة الكبرى » ، ويتصدون لتحرك القوات الروسية صوب الجنوب .

ولم يُترجم اعتراف الولايات المتحدة بعد الحرب بالأهمية الاستراتيجية للشرق الأدنى إلى ثورة عاجلة فى السياسة الأمريكية فى الخليج . ومع أن إيران هى التى كانت بؤرة أزمة مارس ١٩٤٦ ، فإن الدبلوماسيين والاستراتيجيين الأمريكيين كانوا أكثر قلقاً بكثير على تركيا . وفى نهاية العام ، ألغت الولايات المتحدة خطة انسحابها العسكرى من المياه الأوروبية وأصبحت قوة بحرية فى شرقى البحر المتوسط ، وأسست ما سيصبح بعد ذلك الأسطول السادس . وبات الأتراك هم الذين يتلقون أكبر قدر من المعونة العسكرية الأمريكية فى الشرق الأدنى . غير أنه لم يحدث حشد بحرى مشابه فى المحيط الهندى أو الخليج العربى ، وتلقت إيران مساعدة عسكرية واقتصادية أقل بكثير من جارتها الغربية .

وأصبح التركيز على تركيا من جانب صناع السياسة الأمريكيين واضحا فى وقت مبكر خلال المواجهة مع السوفيت فى مارس ١٩٤٦ . ففى السادس من ذلك الشهر ، وفى وسط الأزمة الإيرانية ، طلب وزير الخارجية بيرنز من هيئة رئاسة الأركان المشتركة « تقييماً من وجهة النظر العسكرية » لمطالب السوفيت من تركيا ، « واضعة فى الاعتبار التأثير المحتمل لأى تهديد غير ملائم للمصالح الأمنية لرابطة دول الكومنولث البريطانية فى تلك المنطقة على المصالح الأمنية للولايات المتحدة . »(٨٠) وجاء فى رد هيئة رئاسة الأركان المشتركة أن السوفيت يسعون للسيطرة على الشرق الأوسط والبحر المتوسط كوسيلة للدفاع عن مناطقهم الجنوبية الغنية بالموارد ، ولضمان السيطرة على مناطق إضافية ، ولتقويض مكانة بريطانيا والولايات المتحدة فى « العالم الإسلامى » . وأوضح الرد أن تنازل تركيا عن كارس وأرداهاند فى شرقى الأناضول للسيطرة السوفيتية سيضعف تركيا ويقيم رأس جسر لمزيد من التحركات تجاه تركيا والعراق ، أو تجاه الخليج العربى . وفيما يتعلق بالمضايق التركية ، أشار رد هيئة رئاسة الأركان المشتركة إلى أن : « المطالبة بقواعد إضافية داخل الدردنيل أو على مقربة منها لا يمكن أن تستند إلى موقف دفاعى صرف حيث إن السوفيت يمتلكون الآن القدرة العسكرية على إغلاق المضايق متى شاءوا وسيحتفظون بهذه القدرة دون شك » . وأثار مصير بريطانيا فى الشرق الأوسط بوجه خاص قلق هيئة رئاسة الأركان المشتركة . وقالت الهيئة فى ردها « إن هزيمة أو تفكك الإمبراطورية البريطانية سيزيل من أوراسيا الحصن الأخير للمقاومة والذى يقع بين الولايات المتحدة والتوسع

السوفيتى » . كذلك فإن نجاح السوفيت ضد تركيا سيهدم أيضاً فاعلية منظمة الأمم المتحدة . وأوصت هيئة رئاسة الأركان المشتركة بأن ترفض الولايات المتحدة الإذعان لأي من المطالب السوفيتية .(٨١)

ولسوء الحظ ، فإن الآفاق العسكرية للولايات المتحدة فى حالة نشوب حرب مع الاتحاد السوفيتى كانت مقبضة . واستخلص تقدير للموقف بتاريخ ١٣ مارس حول « القوات البرية والبحرية والجوية المتاحة فى حالة الطوارىء » نتيجة متشائمة مؤداها أنه حتى إذا أوقفت إدارة ترومان تسريح الجنود فى أول أبريل ، وألغت أو أرجأت « عملية مفترق الطرق » - وهى التجربة الذرية المقرر إجراؤها فى المحيط الهادى ، والتى تتطلب إشراك قطع من البحرية والسلاح الجوى - فإن ما يمكن عمله للدفاع عن الشرق الأوسط ضئيل .(٨٢) وفى أبريل ١٩٤٦ كانت الخطوط العامة لدراسة حول مسار حرب سوفيتية - أمريكية « غير محتملة » شديدة الكآبة ، بوجه خاص . واستنتجت هيئة رئاسة الأركان المشتركة أن للاتحاد السوفيتى « القدرة على اجتياح إيران والعراق وربما منطقة قناة السويس وتركيا الأوروبية ، والقيام باعتداءات كبرى فى تركيا الآسيوية . »(٨٣) ولم يكن مدعاة للدهشة أن شعر قادة الجيوش الأمريكية ، الذين تتشكل منهم رئاسة الأركان المشتركة ، بقلق من النقص فى الاستعداد العسكرى الأمريكى فى حالة ما إذا أدت الأزمة المتفاقمة فى الشرق الأدنى إلى إشعال حرب .(٨٤)

ولم تطلب وزارة الخارجية الأمريكية من هيئة رئاسة الأركان المشتركة إلا فى شهر سبتمبر تحليلا « للمصالح الاستراتيجية الأمريكية فى إيران » مماثلاً للتحليل الذى طلبه بيرنز بشأن تركيا فى شهر مارس الذى سبقه .(٨٥) وركز التقرير المبدئى ، الذى أعدته لجنة المسح الاستراتيجى المشتركة ، على البترول . وكان تقدير اللجنة أن الولايات المتحدة تستطيع الدخول فى حرب ضد السوفيت لمدة سنتين بدون نفط الشرق الأوسط ، ولكن العجز يمكن أن يؤدى بعد انتهاء هذه المدة إلى إعاقة العمليات . وجاء فى التقرير أنه « إذا حُرمت الولايات المتحدة وحلفاؤها ، خلال حرب كبرى ، من موارد النفط فى منطقة إيران - الشرقين الأدنى والأوسط ، فإنه من المستبعد كثيراً أن تتمكن المصادر الأخرى من تغطية المتطلبات العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة وأيضا حلفائها المحتملين » . وتوصلت لجنة المسح الاستراتيجى إلى أن السوفيت أيضا يحتاجون إلى نفط الشرق الأوسط . وأوضح تقريرها « أنه فى حالة اندلاع حرب كبرى ، سيطلب الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر بترولاً من منطقة إيران - الشرقين الأدنى والأوسط لتلبية احتياجاته العسكرية والاقتصادية » . وقال التقرير إن استراتيجية أمريكية صحيحة هى تلك التى تعمل على « (أ) حجب الموارد البترولية فى منطقة إيران والشرقين الأدنى والأوسط عن الاتحاد السوفيتى لأطول فترة ممكنة ، و (ب) الفوز مرة أخرى ، فى آخر الأمر ، باستخدام الولايات المتحدة لهذه الموارد لنفسها ولحلفائها » . وأوصت لجنة المسح الاستراتيجى المشتركة بأن تقدم هيئة رئاسة الأركان المشتركة إلى لجنة التنسيق بين وزارات الخارجية والحرب والبحرية مذكرة مرفقة تنص على أن إيران « ذات أهمية استراتيجية حيوية للولايات المتحدة » ، وأوصت بأن تقوم الولايات المتحدة بتزويد الإيرانيين بمساعدة عسكرية « لأغراض غير عدوانية » وتقديم المشورة لهم كعربون على حسن النية والمساندة .(٨٦)

وبناء على توجيه أميرال الأسطول وليام أ . ليهى ، قام قادة الأركان المشتركة بتخفيف لهجة مشروع المذكرة . ووصف رد هيئة رئاسة الأركان المشتركة فى ١١ أكتوبر ، على لجنة التنسيق بين وزارات الخارجية والحرب والبحرية ، إيران بأنها « منطقة ذات أهمية استراتيجية كبرى » ، وبأنها « مهمد صدمات » دفاعى يتيح فرص تعطيل أى زحف سوفيتى نحو الخليج العربى ، كما أنها « من المناطق القليلة المناسبة لعملية هجوم مضاد » . وأكدت رئاسة الأركان المشتركة الحاجة إلى دعم إيران إذا كانت للولايات المتحدة أن تحافظ على سمعتها فى الشرق الأوسط وفى جميع أنحاء العالم . ويمكن تزويد الإيرانيين ـ وفقاً لرأى رئاسة الأركان ـ بمعدات عسكرية دفاعية لتثبيت دعائم السلطة المركزية الإيرانية ومنع التحركات السوفيتية فى المنطقة . ومع ذلك فإن مذكرة ١١ أكتوبر كانت متحفظة فى دعوتها لتقديم المساعدة ، واختتمت بالتذكير بأن « الملابسات العسكرية فى الموقف الدولى الراهن فيما يتعلق بإيران ترتبط بالملابسات العسكرية للموقف الحالى فى تركيا ارتباطا وثيقاً ، وهذا الموقف الأخير هو ما طرحت رئاسة الأركان المشتركة آرائها بشأنه لوزيرى الحرب والبحرية فى ٢٤ [كذا] أغسطس ١٩٤٦ . »(٨٧)

وفى منتصف أكتوبر ، أصدرت وزارة الخارجية وثيقة بشأن مواقف سياسية معدّلة حول إيران وتركيا .(٨٨) فمع استمرار الأزمة فى إيران وما بدا من ضعف التأييد البريطانى لوحدة أراضى إيران ، أكمل مكتب شئون الشرق الأدنى وإفريقيا مذكرة ، كان قد شرع فى إعدادها ، حول « تنفيذ سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران . »(٨٩) وسارت هذه الوثيقة السياسية فى اتجاه مماثل لتوصيات هيئة رئاسة الأركان المشتركة فيما يختص بتقديم معدات عسكرية دفاعية للإيرانيين ، ولكنها تجاوزت هذه التوصيات إلى حد ما . وبعد ثلاثة أيام ، كان مشروع المذكرة حول تركيا جاهزا .(٩٠) وكان هذا المشروع مثله مثل التقرير الخاص بإيران ، « يستند فى جانب منه إلى مذكرة هيئة رئاسة الأركان المشتركة » . وإذ أقر مكتب شئون الشرق الأدنى وإفريقيا بأن « حرب الأعصاب القاسية » التى يشنها السوفيت أجبرت تركيا على الاحتفاظ بقوات عسكرية كبيرة فى الميدان وفرضت « عملية استنزاف خطيرة لقوة البلاد الاقتصادية » ، فقد اقترح المكتب مساندة دبلوماسية ومعنوية واقتصادية وعسكرية للأتراك . ومع هذا ، فإن المذكرة اقترحت ضرورة أن يكون مصدر الدعم العسكرى لتركيا هو البريطانيين « لأن العالم بوجه عام أصبح معتادا على أن تركيا تتلقى الأسلحة من بريطانيا » . واقترح مكتب شئون الشرق الأدنى وإفريقيا ، فى حالة ثبوت عجز بريطانيا عن تقديم هذه المساعدة ، إرسال معونة عسكرية أمريكية من خلال قنوات بريطانية .

وفى إيران وتركيا ، كما فى غيرهما من دول المنطقة ، كانت الولايات المتحدة تحل محل بريطانيا العظمى تدريجياً بوصفها القوة الخارجية المتفوقة فى الساحة الدبلوماسية . واستمرت النخبة السياسية الإيرانية ، كما كانت طوال ما يقرب من قرن ، تعتبر الولايات المتحدة عنصراً مركزياً فى أى مسعى للمحافظة على وحدة أراضى إيران . وكتب ستيفن ل . ماكفرلاند يقول إن الإيرانيين « حاولوا ، من خلال استراتيجيتهم التى استمرت قرنا من الزمان والمسماة باستراتيجية الـ « موفازنه » (الموازنة) ، اجتذاب الولايات المتحدة لكى تعمل كعازل ولمعادلة التهديد الأنجلو ـ سوفيتى . »(٩١)

وفى ربيع عام ١٩٤٦ ، أبدت الولايات المتحدة استعدادها للقيام بدور « العازل » فى إيران . ووافق الأمريكيون على تقديم دعم سياسى واقتصادى ضخم لبريطانيا العظمى وتركيا وإيران والمملكة العربية السعودية ، ودول أخرى فى الشرق الأدنى . وتولت الولايات المتحدة الزعامة الدبلوماسية وواجهت السوفيت بجسارة فى الأمم المتحدة وفى إيران وتركيا . وتم الحفاظ على الوعود التى قدمها الرئيس روزفلت للإيرانيين فى مؤتمر طهران عام ١٩٤٣ رغم أن الأمريكيين وجدوا أنفسهم متورطين بعمق فى شئون الخليج بدرجة أكبر بكثير مما كانوا يتوقعونها .

ولكن ، على الرغم من المصلحة الاقتصادية المتنامية للولايات المتحدة فى المنطقة وقيادتها الدبلوماسية المكتشفة حديثاً لشئون الخليج العربى ، فإنها رفضت بثبات المساهمة فى الدفاع عن الشرق الأوسط فى وقت كانت فيه قواتها المسلحة قد ضعفت بسبب التزاماتها فى أوروبا وآسيا . واستمر الأمريكيون ينتظرون من البريطانيين أن يتحملوا المسئولية العسكرية الكاملة تقريباً فى الدفاع عن المنطقة .

الفصل الثالث

بترول الشرق الأوسط ومصير أوروبا

١٩٤٧ ـ ١٩٥٠

كشفت الحرب العالمية الثانية وأزمة إيران فى بداية عام ١٩٤٦ عن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط فى نظر صناع السياسة الأمريكيين . ورغم توقعات مخططى زمن الحرب ، فقد ظل الخليج الموقع المحورى الذى وصفه ماهان قبل نصف قرن بأنه منطقة يسد فيها البريطانيون الطريق أمام التوسع الروسى فى اتجاه الجنوب طوال القرن التاسع عشر .

وفى البداية ، ألقت هذه الاعتبارات الاستراتيجية الأساسية بظلالها لتخفى وراءها القلق الأمريكى بشأن بترول الخليج العربى . وكان صناع السياسة فى واشنطن على علم بالأهمية المتزايدة للنفط فى الشرق الأوسط ، ولكن البترول كان مجرد عنصر واحد من عناصر المعادلة الاستراتيجية الإقليمية وليس أكثرها أهمية على الإطلاق .(١)

وبدأ الأمريكيون ، تدريجيا وعلى مضض ، يأخذون على عاتقهم المسئولية التى كان البريطانيون يتحملونها ، وهى مسئولية أمن الشرق الأوسط . وكانت المصالح الاستراتيجية لبريطانيا العظمى فى المنطقة ، والمصادمات مع الروس ، تسبق زمنياً نمو صناعة النفط فى الخليج العربى . وبالنسبة لبريطانيا العظمى والولايات المتحدة على السواء ، كان الشرق الأوسط موقعا استراتيجيا فى منتصف الطريق بين الشرق والغرب . وكانت تتخلل المنطقة شرايين الحياة الإمبراطورية لبريطانيا العظمى ، وأكثرها أهمية قناة السويس فى مصر . وكانت القناة (ومازالت) ممرا مائيا دوليا مهما بشكل حيوى . وفى خطط الطوارىء البريطانية والأمريكية على السواء التى وضعت فى عامى ١٩٤٦ و ١٩٤٧ لحرب عالمية ثالثة ، كانت القواعد الجوية فى مصر مخصصة لأدوار حاسمة فى الحملة الجوية الاستراتيجية ضد الاتحاد السوفيتى .

وتشكل الموارد البترولية للشرق الأوسط ، إلى حد كبير ، جزءا من الحياة العصرية بحيث يصعب على الأمريكيين فى التسعينات أن ينظروا إلى الأهمية الاستراتيجية للخليج العربى فى إطار غير إطار النفط . ومع ذلك فإن التركيز على المصالح البترولية وحدها لا يكفى لتفسير الاتجاهات

التى اتخذتها السياسة الأمريكية فى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة .[٢] وعلى سبيل المثال ، فإن مذكرة مكتب شؤون الشرق الأدنى وإفريقيا فى أكتوبر ١٩٤٦ حول سياسة الولايات المتحدة تجاه إيران لم تشر مرة واحدة على الإطلاق إلى النفط .[٣] ومن بين دول الصف الشمالى الثلاث - اليونان وتركيا وإيران - فإن الأخيرة وحدها هى التى كانت تملك بالفعل بترولاً ، ومع ذلك فقد تلقت أقل دعم دبلوماسى واقتصادى وعسكرى أمريكى بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٣ . وكان المسلك السوفيتى فى إيران فى أوائل عام ١٩٤٦ - وليس القلق على نفط الخليج العربى - هو الذى دفع الرئيس ترومان إلى انتهاج خط متشدد ضد ستالين فى الشرق الأدنى . ورغم الخطورة المفترضة للنفط ، فإن خبراء الاستراتيجية الأمريكيين قاوموا باستمرار محاولات الالتزام بتعهدات عسكرية كبرى للدفاع عن الخليج العربى الذى ظل فى الدرجة الثالثة من الأهمية بعد أوروبا وآسيا .[٤]

وأصبح الشرق الأدنى ميدان قتال فى الحرب الباردة ، وفى البداية وفى الأساس كان ذلك بهدف احتواء السوفيت . فقد كان على الولايات المتحدة وحلفائها وقف التوسع الشيوعى بالوسائل الملائمة ، سواء كانت الوسائل الدبلوماسية أو السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية . وعندما وصل التوسع إلى الشرق الأوسط ، ردت الولايات المتحدة على الفور .

على أن الثروات البترولية للخليج العربى أصبحت فى أواخر الأربعينات من القرن العشرين عنصراً مهما بشكل متزايد فى الحسابات الاستراتيجية للولايات المتحدة . وأدت الاتجاهات التى تنبأ بها تقرير وزارة الخارجية الأمريكية فى ربيع عام ١٩٤٤ حول السياسة البترولية الخارجية بشأن الوضع البترولى العالمى إلى تغيير بؤرة اهتمام الدبلوماسية الأمريكية فى الخليج العربى . فقد رأت الولايات المتحدة أن حصتها من الإنتاج النفطى العالمى تهبط من سبعين إلى إحدى وخمسين فى المائة ، بينما ترتفع حصة دول الخليج العربى من سبعة إلى ست عشرة فى المائة .[٥] وتوصل تقييم مكتب المخابرات البحرية فى عام ١٩٤٩ إلى أن « مركز النشاط الإنتاجى العالمى من النفط ينتقل ببطء ولكن بثبات من نصف الكرة الغربى إلى الشرق الأوسط . »[٦] وثبت عجز الولايات المتحدة ، التى ظلت لوقت طويل أكبر مصدّر للنفط فى العالم ، عن الاحتفاظ بمركزها هذا فى عالم ما بعد الحرب ، وهو تطور حدث بسرعة أكبر بكثير مما كان صناع السياسة الأمريكيون يتوقعون . ففى عام ١٩٤٦ بلغ إجمالى الصادرات البترولية الأمريكية ١١٩٦٨٧٠٠٠ برميل ، أى أكثر من ضعف الواردات التى بلغت ٥١٦١٠٠٠٠ برميل ، أما فى عام ١٩٥٠ فإن الواردات بلغت ضعف الصادرات تقريبا .[٧]

ولم يصبح القلق بشأن احتياطيات النفط الأمريكية المتناقصة حاداً إلا بحلول عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ .[٨] ولم تكن المشكلة هى مدى توافر الإمدادات المحلية ، وإنما عجز الولايات المتحدة عن استئناف الدور الذى كانت تلعبه قبل عام ١٩٣٩ باعتبارها المصدّر الرئيسى للنفط إلى العالم . وفى لقاء على الغداء جرى فى يوم ٢ مايو عام ١٩٤٧ ، ناقش وزير البحرية جيمس فوريستال مع السناتور أوين بروستر هذه الهموم .

« قلت أنا - فوريستال - إن نفط الشرق الأوسط سيصبح ضروريا لهذه البلاد ليس فقط فى زمن الحرب بل فى زمن السلم أيضا ، لأننا إذا كنا بصدد المساهمة التى يبدو أن علينا أن نقدمها لبقية العالم فى السلع المصنّعة ، فإننا سنحتاج فى الأغلب لإمدادات متزايدة بدرجة هائلة من الوقود .

وقال بروستر إن أوروبا قد تتحول خلال السنوات العشر القادمة من اقتصاد الفحم إلى اقتصاد النفط ، ولذلك فإن من يجلس فوق مفتاح صنبور نفط الشرق الأوسط ، بصرف النظر عمن يكون ، فإنه يمكن أن يتحكم فى مصير أوروبا . وأعرب عن شكوك قوية فى قدرة القوات الأمريكية على منع روسيا من دخول شبه الجزيرة العربية إذا قررت (روسيا) التحرك إلى هناك . »(٩)

وكان فوريستال قلقاً بشأن أمن بترول الخليج العربى لوقت طويل .(١٠) فقد كان أحد صناع السياسة الأمريكية الكثيرين الذين اقتنعوا بأن مصلحة الولايات المتحدة على المدى الطويل تكمن فى استخراج احتياطيات هائلة من الشرق الأوسط إلى أقصى حد ممكن فى محاولة للمحافظة على احتياطيات البترول الأمريكية للمستقبل . ولم تؤد التحركات السوفيتية فى إيران ، وكذلك اعتقاد فوريستال بأن الدعم الأمريكى للصهيونية يمكن أن يهدد مركز أمريكا فى العالم العربى ، إلا إلى زيادة مخاوفه .

وأثناء أزمة إيران ، بدأ القسم السياسى للشئون السياسية - العسكرية بوزارة البحرية دراسة الوضع البترولى العالمى وقدم لفوريستال تقريراً فى أكتوبر . وأوضح التقرير أن نفط الخليج العربى كان مهما بصورة حاسمة أثناء الحرب العالمية الثانية ، وأنه « كان مصدر إمدادات كل من الجيش الثامن والتاسع والعاشر والرابع عشر من جيوش بريطانيا ، وكذلك أساطيل البحر المتوسط والمحيط الهندى ، وأيضا الهند ، وإفريقيا والشرق الأوسط ، والقيادة الأمريكية للخليج العربى ، والسلاح الجوى التاسع للولايات المتحدة ، والقيادة الشرقية لقاذفات القنابل ، وقيادة النقل الجوى للصين والهند وبورما ، والنمور الطائرة ، والقوة الجوية العشرون ، وقيادة الخدمة الإفريقية الشرق أوسطية » . ورغم أن التقرير بدد الكثير من المخاوف بشأن عجز بترولى محلى وشيك ، إلا أنه ركز على الاحتياج الطويل المدى لاحتياطيات آمنة ، وعلى الأهمية المتصاعدة لإمدادات الشرق الأوسط . وأكد التقرير مرة أخرى التوصيات السابقة التى دعت الولايات المتحدة إلى استخراج نفط الشرق الأوسط للمحافظة على الاحتياطيات الأمريكية .(١١)

ولكن حدث فى أواخر عام ١٩٤٧ أن ظهر عجز محلى بينما كانت الولايات المتحدة تواصل تصدير البترول . وفى ١٧ يناير عام ١٩٤٨ ، أعلن الرئيس ترومان عن إجراءات حكومية واسعة تضع قواعد صارمة تستهدف ترشيد استخدام الوقود وسط شتاء يواجه نقصاً فى الطاقة . وشملت الإجراءات عدم السماح لمبانى المكاتب الفيدرالية والأحياء السكنية بأن تتجاوز التدفئة فيها ٦٨ درجة فهرنهيتية أثناء ساعات العمل و ٦٠ درجة فهرنهيتية فى غير ذلك من الأوقات . وتم حظر تركيب معدات جديدة تستهلك منتجات بترولية بدون موافقة مكتب المناجم . وتقرر فصل الكهرباء فى المبانى الحكومية لتوفير الطاقة مع تخفيض الإضاءة والاستخدامات الأخرى للكهرباء ، كما تقرر عدم قيادة السيارات الحكومية لأكثر من أربعين ميلا فى الساعة باستثناء حالات الطوارىء ،

والحظر الشامل لاستخدام الوقود من الدرجة الممتازة بالنسبة لجميع السيارات ، مالم يكن التصميم الفنى للسيارة يحتم ذلك .(١٢)

وتحرك ترومان تجاوباً مع إحساس قومى متزايد بأن الولايات المتحدة فى غمرة أزمة طاقة . وكان وزير الداخلية الأمريكى جوليوس كروج قد حذر قبل أربعة أيام من أن البلاد تواجه موقفاً بتروليا حرجاً فى ٢٤ ولاية من الولايات الثمانية والأربعين ، وخاصة فى الشمال الشرقى . وكان وضع مقننات تموينية أحد الحلول المطروحة ، ذلك أن احتياطيات النفط الأمريكى كانت فى سبيلها للنفاد خلال عشر سنوات . وأوصى كروج بدعم حكومى لبرامج استخراج النفط من الصخور الطفلية وإيجاد إمدادات بديلة للطاقة . وأوضح كروج فى اجتماع لمجلس الوزراء فى ١٦ يناير أن مستوى الطلب المحلى على النفط فى الولايات المتحدة زاد بعد الحرب بنسبة خمسين فى المائة على مستواه قبل الحرب . فبينما كانت الولايات المتحدة تستورد ٤٥٠ ألف برميل نفط يوميا لتغطية الطلب ، فإن الصادرات ، ومعظمها لأوروبا ، كانت بالفعل قد ارتفعت بنسبة مائة فى المائة تقريبا عن مستويات ما قبل الحرب حيث ما يقرب من ٤٥٠ ألف برميل كان يتم تصديره يوميا .

وركّز فوريستال ، الذى تولى منصب وزير الدفاع عندئذ ، على النتائج والمضاعفات الاستراتيجية للضائقة البترولية المحلية . ولاحظ « أن مشروع مارشال لإنعاش أوروبا لم يكن لينجح بدون الوصول إلى نفط الشرق الأوسط ، وما كان فى استطاعتنا أن نقاتل فى حرب بدون الوصول إلى هذا النفط واستخدامه ، وحتى فى زمن السلم ، سيكون اقتصادنا عاجزاً عن الحفاظ على سرعته الحالية بدون هذا النفط . »(١٣) وفى ١٩ يناير ، وجه فوريستال تحذيره إلى الكونجرس قائلا إن العجز البترولى يهدد الأمن القومى الأمريكى . وقال إن الولايات المتحدة ستجد نفسها تعانى من عجز قدره مليونا برميل نفط يومياً إذا نشبت حرب عالمية ثالثة . وأعرب فوريستال علناً ، أيضا ، عن قلقه إزاء قرار الإدارة الأمريكية بتأييد تقسيم فلسطين ، وهو أمر لا يهدد - فى رأيه - فحسب الإمدادات البترولية لأمريكا ، وخاصة تلك التى تعتمد عليها العسكرية الأمريكية على نحو متزايد ، بل يهدد أيضا النفط اللازم لتطبيق البرنامج المقرر للإنعاش الأوروبى وفقاً لمشروع مارشال . وكان فوريستال يأمل فى أن تساعد زيادة الإنتاج الأمريكى ، وخاصة من الحقول المكتشفة حديثاً فى آلاسكا ، على تخفيف حدة الموقف ، ولكنه كان يتوقع أن تضطر الولايات المتحدة ذاتها إلى الاعتماد أكثر فأكثر على إمدادات النفط من الخليج العربى . وقال إن الرئيس ترومان « سينهج نهجاً طيباً فى تناول الموضوع » إذا قام بتشكيل لجنة خاصة لوضع برنامج قومى للطاقة .(١٤)

كان الرعب البترولى فى عام ١٩٤٨ نتيجة لاختلال قصير المدى فى التوازن بين الإنتاج والطلب أكثر من كونه نذيراً بعجز بترولى خطير . فقد انتعش اقتصاد الولايات المتحدة واسترد عافيته بعد الحرب ، وبدأ يتوسع بمعدل أسرع من تحرك شركات البترول العالمية لزيادة إنتاجها والانتقال به من زمن الحرب للتكيف مع حقائق الإنتاج والتوزيع فى زمن السلم .

وأسفرت محاولة إدارة ترومان للمحافظة على المستويات العالية والمتصاعدة باستمرار للصادرات النفطية عن تفاقم الموقف . ورغم القصور البترولى المتزايد فى الولايات المتحدة خلال

عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، فقد واصلت الإدارة الأمريكية السماح بتصدير النفط حتى للاتحاد السوفيتى . واستمر الحال على هذا النحو حتى فبراير ١٩٤٨ عندما استجابت وزارة التجارة الأمريكية لنداءات الكونجرس الداعية إلى وقف الصادرات البترولية ، وقد حدث ذلك بعد أن عارضت إدارة ترومان فى البداية اتخاذ هذا الموقف . وكان الموقف قد أصبح دقيقاً ، ودقيقاً للغاية حتى أن البحرية الأمريكية اضطرت لإعادة مليون برميل من النفط لكى توجه للاستعمال المحلى .(١٥)

وزاد العجز البترولى من اهتمام العسكريين الأمريكيين بالشرق الأوسط . وفى الخريف ، أبلغ فوريستال وزير الدفاع الكونجرس بأن المضى قدماً فى تنمية حقول النفط السعودية ، وبناء خط أنابيب يصل بين تلك الحقول وشرقى البحر المتوسط ، مسألة « جوهرية » . وقال :

« اتخذت الموقف على أساس أنه نظراً للنضوب السريع فى احتياطيات البترول الأمريكية ، وصعود مساوٍ له فى السرعة لمنحنى الاستهلاك فإن علينا تنمية موارد خارج بلادنا . إن أكبر حقل فى العالم للنفط القابع فى باطن الأرض يوجد فى الشرق الأوسط ... ولا ينبغى لنا أن نشحن برميلاً واحداً من النفط من الولايات المتحدة إلى الخارج ، إلى أوروبا . ففى الفترة من ١٩٣٩ حتى ١٩٤٦ ارتفعت احتياطيات النفط العالمية بنسبة ستين فى المائة تقريبا ، بينما لم ترفع الاكتشافات الأمريكية احتياطياتنا سوى بنسبة ست فى المائة تقريبا . »(١٦)

ولكن مع بداية عام ١٩٤٩ تبخر العجز البترولى . وفى يناير أنهى ترومان الإجراءات الفيدرالية التى استهدفت المحافظة على الطاقة . وحتى فوريستال ، بدأ يتحدث بنبرة أقل تشاؤماً ، وهو يقول « لقد استطعنا عن طريق تطبيق الترشيد الصارم فى الولايات المتحدة أن نخوض حربا لفترة طويلة من الوقت دون أن يتهيأ لنا الوصول إلى الشرق الأوسط . »(١٧) وبدأ بعض أعضاء الكونجرس الأمريكى يسألون عما إذا كان هناك عجز قد حدث بالفعل فى أى وقت من الأوقات ، ووجهوا اللوم إلى شركات البترول وألقوا عليها مسئولية مشكلات العام السابق . وفى يونيو قرر المسئولون فى جهاز تنظيم الإنتاج بولاية تكساس الحد من الإنتاج خوفاً من إغراق السوق إلى حد التخمة .

ومع ذلك كله ، فإن الرعب البترولى الذى حدث فى عام ١٩٤٨ دعم الارتباط بين احتياجات أمريكا من الطاقة والأمن القومى والشرق الأوسط .(١٨) ذلك أنه بحلول عام ١٩٤٨ ، كان نفط الخليج العربى قد أصبح سلعة استراتيجية وليس مجرد سلعة تجارية بالنسبة للولايات المتحدة . واعتمدت عملية إعادة بناء أوروبا الغربية التى مزقتها الحرب ، والضرورة الحتمية الأساسية لاحتواء التوسع السوفيتى على التدفق المستمر والمتزايد للنفط من الخليج العربى .

واستنتج تقرير سرى لمكتب المخابرات البحرية ما يلى :

« إذا أخذنا بعين الاعتبار ندرة المناطق التى تحتوى على النفط والمعدلات غير الكافية للإنتاج فى حقول الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية ، وبالنظر إلى التزامات الولايات المتحدة فى ظل مشروع الإنعاش الأوروبى ، فإنه لأمر جوهرى أن يزيد إنتاج الشرق الأوسط - إذا سمحت الظروف - مردوده من أجل الحيلولة دون حدوث استنفاد خطير للاحتياطيات الاستراتيجية للولايات المتحدة . »(١٩)

وبينما صناع السياسة فى واشنطن يناقشون السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، اتجهت البحرية الأمريكية ، التى تم تحويل مخزونها من « النفط الأسود » إلى الاستخدام المدنى ، للبحث عن موارد جديدة للإمدادات . وعلى ذلك فإن الحاجة الملحة لوقود من أجل الأسطول ، وليست المصالح الاستراتيجية على المدى الطويل ، هى التى حملت السفن التابعة للبحرية الأمريكية على الذهاب لأول مرة إلى الخليج العربى فى عصر ما بعد الحرب . وتسبب العجز المحلى ، والأسعار الأدنى ، والقرب المكانى من الناحية الجغرافية من مناطق العمليات البحرية فى جعل البحرية تتطلع أكثر فأكثر إلى الخليج من أجل وقود يجرى إنتاجه فى معامل تكرير أقامها أو تولى توسيعها البريطانيون والأمريكيون أثناء الحرب العالمية الثانية . وفى منتصف عام ١٩٤٧ ، بدأت البحرية الأمريكية تشترى كميات ضخمة من الوقود فيما وراء البحار من معامل للتكرير كانت قد شيدت خلال الحرب العالمية الثانية لإنتاج وقود يصلح لتموين القطع الحربية للأسطول . وأبرمت البحرية عقداً مع شركة « كالتكس » فى الخليج العربى لشراء حوالى مائة مليون برميل من النفط المكرر على مدى خمس سنوات وبأسعار أقل من الأسعار المحلية .(٢٠)

ومع نهاية الأربعينات ، كانت الآلة العسكرية الأمريكية قد أصبحت تعتمد بشدة على إمدادات الشرق الأوسط فى وقت لم تكن الولايات المتحدة تستورد فيه سوى كميات محدودة من نفط الخليج العربى . ففى الفترة من عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٥٠ ، كانت نسبة تتراوح بين ٣٠ و ٤٢ فى المائة من المنتجات البترولية التى نقلتها البحرية الأمريكية واردة من الخليج العربى .(٢١) واعتمدت السفن الحربية الأمريكية فى البحر المتوسط وغرب المحيط الهادى بشدة على وقود الخليج العربى . وعلاوة على ذلك ، فإن بعض المنتجات المهمة الحساسة جاء معظمها من الخليج .(٢٢) وتم تموين المجهود الحربى الأمريكى ، خلال الحرب الكورية ، بدرجة هائلة عن طريق معامل تكرير الخليج العربى .(٢٣)

ونقلت البحرية الأمريكية ، فى كل شهر ، ما بين ١,٥ مليون برميل وخمسة ملايين برميل من الوقود من الخليج العربى إلى البحر المتوسط أو المحيط الهادى بواسطة ناقلاتها الخاصة وناقلات مؤجرة . ونشأت نتيجة تحرك عدد يصل إلى ٢٤ سفينة فى مياه الخليج العربى ، ضرورة إقامة مرافق ومنشآت تتابع وتراقب هذا الجهد السَوْقى الواسع النطاق .(٢٤) وأدى أيضا احتمال أن تضطر الولايات المتحدة إلى الدفاع عن المنطقة فى زمن الحرب إلى حمل البحرية على إجراء عمليات مسح واسعة النطاق لما أصبح بالنسبة لها منطقة عمليات جديدة .

وكان الأميرال ريتشارد ل . كونوللى ، القائد العام لشمال شرقى الأطلسى والبحر المتوسط ، ومقره لندن ، يشرف على كل القوات البحرية الأمريكية فى المياه الأوروبية والمحيط الهندى بما فى ذلك قوات الخليج العربى .(٢٥) ورأى كونوللى أنه من المحتم أن تعمل البحرية الأمريكية على طمأنة العالم القديم على أن الولايات المتحدة لن ترتد إلى سياستها السابقة « سياسة العزلة ، كما فعلنا عقب الحرب العالمية الأولى ، ولكنها ستواصل الاحتفاظ بتأثيرها الفعال ، وهو تأثير نستطيع أن ندعمه بالقوة ، إذا لزم الأمر - باستعراض القوة أو وجود القوة - فى تلك المنطقة ، وبالتالى نشد أزرهم هناك فى مقاومتهم لانتشار الشيوعية . »(٢٦)

وبتشكيل « قوة العمل الخاصة ١٢٦ » فى ٢٠ يناير عام ١٩٤٨ ، تمكن كونوللى من إضفاء الطابع الرسمى على الهيكل القيادى للبحرية فى الخليج وتحسينه . وكانت « قوة العمل الخاصة » تتكون فقط من ناقلات فى الخليج لتنقل النفط ، تحت قيادة ضابط أقدم قائم بالعمل من على ظهر سفينة . وكتب كونوللى يقول « إن تشكيل هذه القيادة الجديدة يعبر عن اهتمام البحرية المتزايد بهذه المنطقة كما تشهد على ذلك أعداد الناقلات الإضافية التى تعمل من منطقة البحرين - رأس تنورة ، والزيارات المقررة مواعيدها لواحدة أو أكثر من حاملات الطائرات التابعة لقوات العمل الخاصة فى وقت لاحق من هذا العام . »(٢٧)

واستمر كونوللى خلال عامى ١٩٤٨ و ١٩٤٩ فى إعادة تنظيم القوة البحرية . وفى ٢٦ يونيو ١٩٤٩ ، سلم قيادة العمليات للقوات البحرية الأمريكية فى الخليج لقائد القوة التى تغير اسمها إلى « قوات الخليج العربى . »(٢٨) وفى ١٦ أغسطس عام ١٩٤٩ ، أعيد تسميتها مرة أخرى بـ « قوة الشرق الأوسط . »(٢٩)

وجاهد كونوللى لكى يضع القوة الصغيرة على أساس راسخ بقدر الإمكان . وكان ثمة إحساس متزايد فى كل من لندن وواشنطن بأن دور البحرية الأمريكية فى منطقة الخليج العربى يجب أن يكون « عملية مماثلة لتلك التى تقوم بها الآن فى البحر المتوسط . »(٣٠) وفى مؤتمر عقد فى واشنطن فى يونيو ١٩٤٨ ، أوصى كونوللى بتعيين ضابط بحرى برتبة كبيرة وبمرابطة سفينة قيادة بشكل دائم فى منطقة الخليج / المحيط الهندى .(٣١)

غير ان إدارة ترومان وهيئة رئاسة الأركان المشتركة على السواء لم تكونا على استعداد فى أواخر الأربعينات لحمل الولايات المتحدة على الالتزام بالدفاع عن الخليج العربى . وكان نشر « قوة الشرق الأوسط » التابعة للبحرية يرمز لاهتمام الولايات المتحدة المتزايد بالمنطقة ، ولكنه لم يكن يعنى فتح الطريق أمام وصول قوة مشابهة للأسطول السادس المنتشر فى البحر المتوسط . ورغم النمو المتواضع « لقوة الشرق الأوسط » فى الحجم والأهمية ، ورغم نشر بارجة أميرال فى الخليج ، فقد مضت ثلاث سنوات قبل أن يتولى ضابط برتبة العميد البحرى القيادة هناك . وظل ضباط البحرية الأمريكية فى مواقع القيادة أقل بكثير فى الرتبة من الضباط البريطانيين الذين يقودون القوات البريطانية فى المنطقة ويحملون رتبة لواء بحرى . ومع هذا ، فإن « قوة الشرق الأوسط » ، تحت توجيهات كونوللى ، ثبتت أقدامها على قاعدة راسخة ، ومنذ ذلك الوقت والولايات المتحدة تحافظ على وجود بحرى دائم لها فى الخليج العربى .

وعلى الفور ، واجهت سفن البحرية الأمريكية العاملة في حوض المحيط الهندى حقائق خطوط الإمدادات ونقل الجنود وايوائهم التى تشكل جزءاً لا يتجزأ من العمليات فى منطقة لا توجد فيها سوى موانىء جيدة قليلة ، ومطارات أقل ، وتقع بالنسبة للولايات المتحدة عند منتصف المسافة فى الرحلة حول العالم . وكان مد مرافق الدعم والإسناد والإمدادات البحرية إلى المنطقة مسألة مركزية بالنسبة للإشراف على الجهد الأمريكى فى منطقة الخليج العربى والمحيط الهندى ، ولممارسة هذا الجهد بطريقة ميسرة . وفى صيف عام ١٩٤٧ وضعت البحرية خطة لناقلاتها

« لتسهيل الاتصالات بين السفن و « مفتش المهمات البحرية » فى البحرين ، وللتعجيل بشحن هذه الناقلات .(٣٢) وعند حلول منتصف عام ١٩٤٨ ، كانت البحرية قد أقامت محطات فى أسمرة بأثيوبيا والظهران بالسعودية ، واستأجرت مرافق لتخزين الوقود فى مصوع بأثيوبيا وفى عدن وفى ترينكومالى بسيلان .(٣٣) وكانت هذه الخطوات الأولى لتحسين الاتصالات ومرافق التعبئة العسكرية من تموين وإيواء وتنقلات وإمدادات ، هى بداية نشاط استمر ٤٥ عاما لتوسيع البنية الأساسية الأمريكية للدعم والإسناد فى المنطقة .

وجعل الإقرار بأن البحرية الأمريكية ستواصل العمل على مدى المستقبل المنظور فى الخليج العربى ، وكذلك الاقتناع بأن المنطقة يمكن أن تصبح منطقة عمليات فى حالة وقوع مواجهة سوفيتية ـ أمريكية ، مكتب قائد العمليات البحرية يضع فى أكتوبر ١٩٤٧ خطة لرحلة إلى الخليج العربى تتم فى أغسطس ١٩٤٨ . إذ أرادت البحرية اختبار معداتها وأفرادها فى ظروف الخليج القاسية للغاية ، كما أرادت القيام بزيارات للموانىء المناسبة وجمع معلومات وبيانات برية وبحرية وغيرها من المعلومات السرية .(٣٤) ودعت الخطة الأولية إلى أن تقوم بهذه الرحلة قوة من عشر سفن ، تشمل حاملة طائرات ، للقيام بأبحاث ورسومات مائية وعمليات تصوير وغيرها من عمليات الاستطلاع للمنطقة الممتدة من قناة السويس حتى الخليج العربى .(٣٥)

ورغم أن الالتزامات فى أماكن أخرى اضطرت البحرية إلى تعديل خططها الموضوعة لعام ١٩٤٨ ، فإن حاملة طائرات تنقل قوة عمل خاصة ووحدات بحرية أخرى زارت الخليج العربى بالفعل خلال نفس العام . وأوضحت عمليات الاستطلاع الواسعة وعمليات المسح العلمية التى نجمت عن هذه الزيارة أن الظروف البيئية فى الخليج تطرح مشكلات كبيرة ، وإن كان يمكن التغلب عليها . فنظراً « للحرارة التى لا تحتمل » ، فإن الأفضل هو أداء العمل فى ساعة مبكرة من النهار ، ولا تتم فى فترة بعد الظهر إلا أعمال المراقبة والحراسة الضرورية . وكتب أحد الضباط ليقول إن الحرارة كانت شديدة إلى حد أنه لم يصدق أن أفراد طاقم سفينته « يستطيعون التفكير على نحو سليم . »(٣٦) وكتب ضابط آخر يقول :

« اتضح أن كل أماكن النوم والطعام المخصصة لأفراد طاقم البحارة يتعذر استخدامها فى ظل درجة حرارة تصل إلى ١١٥ درجة فهرنهايت ورطوبة عالية . وكان الضباط وأفراد الطاقم ينامون على سطح السفينة فوق أسرّة خفيفة متنقلة أو فوق أرضية السطح . وتم نقل مستشفى السفينة أيضا إلى ظهر السفينة . وكان أفراد الطاقم يتناولون طعامهم فوق الذيل المروحى للسفينة حيث وضعت موائد قاعة الطعام المشتركة ، وكانت صفوف الطعام تمر من خلال مطبخ السفينة . ويأكل الضباط وقادة ضباط الصف فى موائدهم المشتركة ، ولكن الوجبات كانت قصيرة فى مدتها ، وكانت غرفة طعام الضباط وكذلك الموائد المشتركة لقادة ضباط الصف ، مهجورة طوال الوقت باستثناء خمس عشرة دقيقة يستغرقها تناول الوجبات . وكان الزى المستخدم على السفينة هو البنطلونات القصيرة (الشورتات) والملابس الداخلية ، إلا فى حالة الطوابير الرسمية .. وكانت درجة حرارة مياه الاستحمام عالية جدا بحيث يصعب استعمالها إلا لفترات قصيرة جدا . وكانت التغيرات المقترحة تقوم على أساس التعديلات التى تم إدخالها فى سفينة صاحب الجلالة المسماة « وايلد جوز » ، وفى سفينة صاحب الجلالة المسماة « رين » ، والسفينتان تابعتان للأسطول البريطانى فى الخليج . وهاتان السفينتان كانتا مريحتين بدرجة معقولة . »(٣٧)

وعلى الشاطىء ، كانت الأحوال أفضل إلى حد ما . فالأسطول يعمل من البحرين ، القاعدة البريطانية الرئيسية فى الخليج العربى ، والبحارة الأمريكيون يمارسون لعبة الكرة اللينة مع موظفى شركة البترول ، ويترددون على مراكز الترفيه والتسلية البريطانية المخصصة للضباط والجنود فى جفير خارج المنامة . بل إن البحرية الملكية البريطانية تقاسمت مع الضباط والجنود الأمريكيين ماالديها من زجاجات البيرة رغم الإمدادات المحدودة منها . ولكن قادة القطع البحرية الأمريكية ذكروا فى تقاريرهم أن البحارة الأمريكيين لم يكونوا متحمسين إزاء « النوعية الرديئة » لزجاجتى « البيرة الاسكتلندية » المسموح بهما لكل رجل ، وأوصوا بأن « تشحن ناقلات البحرية المتجهة إلى الخليج العربى مؤونة من البيرة الأمريكية لاستخدامها فى حفلات الترفيه . »(٣٨) وكان من الأسباب الأخرى للشكوى عدم انتظام الخدمة البريدية ، الأمر الذى أدى لانخفاض الروح المعنوية .

ووجد الأمريكيون أن عرب الخليج مضيافون ومتأثرون بعروض قوة بحرية الولايات المتحدة . وعندما زارت حاملة الطائرات « فالى فورج » رأس تنورة فى ربيع عام ١٩٤٨ ، أدى سوء الأحوال الجوية لسوء الحظ إلى إلغاء معظم العمليات الجوية المقررة ، بما فى ذلك التحليق المنخفض القياسى لطائرات الحاملة فى تشكيل يرسم كلمة « سعود » بالإنجليزية . ومع ذلك ، فقد أثرت جولة « فالى فورج » واستعراض جوى محدود ، وعرض لفيلم « السيدة المقاتلة » بدرجة هائلة على ولى عهد المملكة العربية السعودية ، الأمير سعود ، وبطانته .(٣٩)

وبالمثل لقيت زيارة سفينة معمل إصلاح الطائرات المائية « رندوفا » للبحرين استقبالا طيباً . واستقل حوالى ٢٠ من أفراد الأسرة المالكة البحرينية السفينة « راندوفا » لمشاهدة استعراض يشتمل على عدة عمليات لإطلاق الطائرات من فوق سطح السفينة ، وفيلم سينمائى من إعداد الأسطول حول عمليات حاملات الطائرات . ولكن شيئاً من التكنولوجيا الأقل تطورا بكثير هو الذى جذب أكبر قدر من اهتمام البحرينيين : « ظهر أن شرب مياه مثلجة من مبردات المياه العديدة فى السفينة يحقق أقصى درجات الاستمتاع لدى البطانة الملكية سواء من الشبان أو الشيوخ » . وامتد مناخ الود والوئام إلى الشاطىء عندما أقام الشيخ مأدبة عشاء ضخمة للأمريكيين امتلأت بكميات مغالى فيها من الأطعمة (بما فيها أحسن أنواع البرتقال) التى قدمت بطريقة عربية فاخرة .

وفى ٢١ ابريل عام ١٩٥١ ، عندما أعفي نائب الأميرال هارى د . فيلت الكابتن إرنست م . ايلار من منصبه كقائد ، كانت « قوة الشرق الأوسط » قد أصبحت رمزاً للاهتمام العسكرى والدبلوماسى الأمريكيين بالمنطقة . كانت هناك بارجة أميرال ومدمرتان وطائرة قيادة ترابط فى البحرين أو الظهران ، كما كانت هناك ناقلات ، ومن وقت لآخر سفن قتال وإسناد ومسح إضافية تعبر الممرات الملاحية الاستراتيجية للخليج والمحيط الهندى ، « تقدم أهم المعلومات السرية المطلوبة بإلحاح ، وتداوم الاتصال بكل القوى العسكرية والدبلوماسية الحليفة الموجودة بالمنطقة ، وتقوم بزيارات غير رسمية ورسمية للشخصيات الكبيرة المدنية والعسكرية فى كل البلدان ، وتطبق برنامجا نشيطاً للاتصالات الشخصية المباشرة . »(٤٠)

ولم تتوافر « لقوة الشرق الأوسط » التابعة للبحرية الأمريكية القدرة على الردع التى توافرت للأسطول السادس فى البحر المتوسط ، ولم يكن هذا هو الهدف منها . ففى حالة نشوب حرب عالمية ثالثة كان بوسع « قوة الشرق الأوسط » أن تفعل ما هو أكثر قليلا من إجلاء المدنيين الأمريكيين .

ومع ذلك ، فإن القوة البحرية الأمريكية الصغيرة فى البحرين كانت تمثل وجودا عسكرياً دائماً فى الخليج العربى . وفى كل عام ، كانت السفن الحربية التابعة « لقوة الشرق الأوسط » تراقب حركة المزيد والمزيد من الناقلات التى كانت تنطلق من الخليج . وكان العديد من تلك الناقلات يحمل إلى أوروبا وآسيا بترولاً مكرراً إلى العسكريين الأمريكيين الذين اعتمدوا ، مع حلول عام ١٩٥٠ ، على الخليج بالنسبة لكميات تصل إلى نصف ما يحتاجونه من وقود . وحملت ناقلات أخرى النفط الخام إلى الولايات المتحدة ، التى بدأت فى كل عام تستورد كميات أكثر فأكثر من النفط من الخليج . غير أن معظم الناقلات كانت تتجه إلى أوروبا حيث ساعد نفط الخليج العربى على تحقيق انتعاش اقتصادى هائل .

ودفعت الحرب الباردة والاحتياجات الاقتصادية للولايات المتحدة والغرب البحرية الأمريكية للتوجه إلى الخليج العربى . ولم يستطع أحد التكهن بكم من الزمن سوف يستمر هذا الوجود ، وكيف سيتغير الدور العسكرى الأمريكى فى المنطقة مع مرور الوقت ؟ بيد أن الكابتن ايرنست م . إيلار ، قائد « قوة الشرق الأوسط » ، كتب فى أوائل عام ١٩٥١ إلى الأميرال فوريست ب . شيرمان قائد العمليات البحرية يقول : « هناك أمم عظيمة تنبض بالحياة وتتحفز وأحداث كبرى تتشكل فى هذا الجزء من العالم . آمل أن تستوعب الولايات المتحدة ما يجرى وأن تكون أهلا لهذه الفرصة . »(٤١)

وبحلول عام ١٩٥٠ انتهت مرحلة التكوين فى علاقة أمريكا بالخليج . فقد وضعت الخطوط العامة الرئيسية لسياسة ستقود الولايات المتحدة إلى المزيد من التورط فى الخليج العربى . ودعت السياسة الأمريكية إلى التوسع السريع فى إنتاج النفط فى الخليج . وعلى المدى القصير ، فإن هذا النفط كان سيغذى الانتعاش الاقتصادى فى أوروبا الغربية ، وبالتالى سيلعب دوره فى احتواء التهديد السياسى الناشىء عن الشيوعية التى يرعاها السوفيت . وفى الأجل المتوسط والطويل ، فإن نفط الخليج العربى كان سيزود الولايات المتحدة بمصدر بديل للإمدادات ، وهو مصدر يتيح للأمريكيين أن يدخروا احتياطياتهم البترولية المحلية للمستقبل . وفى الدول المنتجة للنفط ، فإن الازدهار الاقتصادى كان سيصاحبه تطور سياسى على أسس ديمقراطية ليبرالية تقليدية . وعلى سبيل المثال ، فقد تكلم الدبلوماسيون أثناء المحادثات الأنجلو ـ أمريكية التى عقدت فى لندن فى سبتمبر عام ١٩٥٠ عن الحاجة إلى تشجيع قيام حكومات « تقدمية » فى الشرق الأدنى .(٤٢) ونتيجة لذلك فإن الخليج سيصبح أكثر استقراراً وأكثر مناصرة للغرب . وبينما كان من المتوقع أن تتولى بريطانيا العظمى الدفاع العسكرى عن المنطقة بمساندة القدرة النووية الأمريكية المتصاعدة ، كان على الولايات المتحدة أن تتولى القيادة السياسية والاقتصادية فى شئون الخليج .

وكان أبرز الجوانب الجديرة بالانتباه فى السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ، كما صيغت

فى الأربعينات ، هو أنه كانت للولايات المتحدة سياسة متماسكة على الأقل . أما فى الأحقاب التالية ، فإن العديد من الأمريكيين أعربوا عن شكوكهم حول ما إذا كانت حكومتهم تعرف أو لا تعرف ما تفعله فى الشرق الأوسط . وفى الحقيقة ، فإن الولايات المتحدة سعت وراء أهدافها بإخلاص واضح . فقد *خطط* صناع السياسة الأمريكيون لزيادة اعتماد العالم على بترول الشرق الأوسط ، *وتوقعوا* اضطرارهم لتحمل مسئولية سياسية واقتصادية عن أمن الخليج . *واختارت* الولايات المتحدة أن تصبح الحارس السياسى لإمدادات النفط التى سيتدفق الجانب الأكبر منها إلى أوروبا وليس إلى الولايات المتحدة . وكانت فكرة « الاستقلال فى الطاقة » ، وهى شعار سياسى جذاب فى الولايات المتحدة منذ الحظر البترولى العربى فى عام ١٩٧٣ ، هى بالدقة ما سعى صناع السياسة فى الأربعينيات إلى تحاشيه . فقد كان معنى « الاستقلال فى الطاقة » ، بالنسبة لهم ، الاستنفاد السريع لاحتياطيات البترول الأمريكية . وكانت رؤيتهم الطويلة الأجل للأمن فى مجال الطاقة هى التى دعتهم للمطالبة بالاعتماد *المتزايد* على بترول الخليج العربى ، أو « التبعية » المتزايدة ، إذا كان هناك من يفضل استخدام هذه الكلمة .

وباستعادة وقائع الماضى والتأمل فيها ، يمكن القول بأن السياسة الأمريكية فى الخليج العربى - كما وضعت فى الأربعينيات - كانت ناجحة بشكل ملحوظ . فقد حققت الولايات المتحدة أكثر أهدافها أهمية : فانتعشت اقتصادات أوروبا الغربية واستعادت حيويتها بعد خراب الحرب العالمية الثانية ، بالاعتماد على نفط الخليج ؛ وتم احتواء الشيوعية السوفيتية ؛ وزاد الأمريكيون من اعتمادهم على نفط الشرق الأوسط .

ولسوء الطالع ، فإن هذه السياسة لم تتكهن بالتطورات التى يحملها المستقبل ، ولم يكن فى استطاعتها أن تفعل ذلك . فقد برهنت بريطانيا العظمى فى نهاية المطاف على عجزها عن مواصلة التزامها العسكرى بالدفاع عن منطقة تسيطر عليها الولايات المتحدة بصورة متزايدة ، وعدم استعدادها لذلك . كذلك فإن عائدات النفط والتنمية الاقتصادية لم تحقق الاستقرار فى المنطقة ، وإنما التحديث السريع وعدم الاستقرار . ووجدت الولايات المتحدة نفسها تعول أكثر فأكثر على بترول من منطقة تستوطن فيها عوامل التفجر ، كما وجدت نفسها مرغمة على تحمل عبء عسكرى يتسع نطاقه أكثر فأكثر دائماً وأبداً . وبهذا المعنى ، وضعت الولايات المتحدة أقدامها منذ وقت مبكر يرجع إلى عام ١٩٥٠ على الطريق إلى عاصفة الصحراء ، وأصبحت على موعد على نهر الفرات . وكان عليها أن تلتزم بهذا الموعد .

الفصل الرابع

وهم الدفاع الإقليمى

١٩٥٠ - ١٩٦٧

فى منتصف عام ١٩٥٠ ، أصبح أمن الشرق الأوسط مشكلة محيرة بالنسبة للولايات المتحدة . فقد كان الدفاع عن المنطقة عنصرا أساسياً مهما من نظام شامل للأمن الغربى ، وإن لم يكن حيوياً حتى ذلك التاريخ . واعترف صناع السياسة الأمريكيون بالقيمة الجغرافية الاستراتيجية للشرق الأوسط وبالأهمية الجغرافية الاقتصادية لبترول الخليج العربى ، وأقروا بأن الولايات المتحدة كان ينبغى لها أن تتولى القيادة الدبلوماسية فى الشرق الأوسط لحماية المصالح الغربية . غير أن الأمريكيين ظلوا يتطلعون إلى بريطانيا العظمى للقيام بمهمة الدفاع الفعلى عن المنطقة ، والدليل على ذلك أن إدارة ترومان واصلت تخفيض حجم مؤسسة عسكرية ملتزمة بالكامل بالدفاع عن أوروبا وآسيا ، بل أكثر من ملتزمة بالفعل بكل ما فى الكلمة من معنى . وتضاءلت حتى فاعلية الرادع النووى . فقد أنهى تفجير الاتحاد السوفيتى لسلاح ذرى فى عام ١٩٤٩ الاحتكار الذرى الأمريكى الذى دام لأمد قصير ، وقلل من احتمال أن يخاطر ترومان بحرب نووية لوقف هجوم روسى يقتصر على الشرق الأوسط . ثم ازدادت حدة القلق فى واشنطن ولندن وأنقرة وطهران بسبب اندلاع الحرب فى كوريا خشية احتمال وقوع زحف سوفيتى صوب الجنوب على تركيا أو إيران ، بيد أن الالتزام بعيد المدى لقوات الولايات المتحدة بالدفاع عن شبه الجزيرة الكورية أدى ، فى الوقت نفسه ، إلى استبعاد الدعم العسكرى الأمريكى للبريطانيين .

وما إن أصبحت حقيقة التهديد السوفيتى للمصالح الغربية فى الشرق الأوسط بادية للعيان فى أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينات حتى طلب البريطانيون ، الذين كانت تقع على عاتقهم المسئولية الأولى فى الدفاع عن المنطقة ، المساعدة فى شكل ترتيب دفاعى متعدد الجنسيات . ذلك أن إقامة هيكل أمنى إقليمى فعال وهو ما سيصبح معروفاً فى عام ١٩٥٢ باسم « منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ، سيضفى المشروعية على الوجود المستمر للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ، وخاصة فى مصر ، ومن شأنه أن يكفل لبريطانيا العظمى ، التى أصابها الوهن ، مجموعة من الحلفاء يقفون إلى جانبها ، ولو أن نوعية هؤلاء الحلفاء غير مؤكدة ، ومن شأنه أن

يفضى إلى تشكيل بنية قيادة إقليمية تشترك فيها القوات الأمريكية - فيما كان يأمل البريطانيون - فى حالة قيام الاتحاد السوفيتى بشن هجوم جنوبى القوقاز .

ولقيت المحاولة البريطانية لتنظيم قيادة شرق أوسطية نجاحاً ضئيلاً . فالشرق الأوسط ليس أوروبا الغربية . ومن ثم ، لم يكن هناك أى قلق حقيقى إزاء تهديد من جانب موسكو إلا فى داخل تركيا وإيران ، وهما دولتان تجمعهما مع الاتحاد السوفيتى حدود مشتركة . وبينما عملت معظم دول حلف الأطلسى الأصلية سوياً ، قبل سنوات قليلة فقط ، كحلفاء أثناء الحرب مع ألمانيا ، فإن العديد من دول الشرق الأوسط كانت خاضعة حتى عهد قريب للحكم الاستعمارى البريطانى . وبالنسبة لبلد كمصر ، كانت بريطانيا تشكل تهديداً أكثر ترجيحا من تهديد الاتحاد السوفيتى ، وأى مشروع يدعو لمرابطة قوات أوروبية فى الشرق الأوسط لم تكن له جاذبية كبيرة . وكما شرح الرئيس المصرى جمال عبد الناصر لوزير الخارجية الأمريكى جون فوستر دالاس فى عام ١٩٥٢ قائلا : « كيف أتوجه إلى شعبى وأبلغه بأننى اتغاضى عن قاتل يحمل مسدساً على مسافة ستين ميلاً منى فى قناة السويس لأننى أشعر بالقلق من شخص ما يحمل سكيناً على مسافة خمسة آلاف ميل بعيداً عنى ؟ »(١) وبالقدر الذى رغبت فيه الدول العربية فى المنطقة فى أن تتجمع سوياً ، فإن هذه الدول كانت تأمل فى إقامة إطار قومى عربى ، وليس فى إقامة علاقة أمنية تسيطر عليها بريطانيا العظمى .

وفى البداية كانت الولايات المتحدة ، التى حرصت خلال الحرب على أن تنأى بنفسها عن تراث حلفائها فى الحكم الإمبريالى فى الشرق الأوسط ، أقل حماساً بشأن الجهود البريطانية لإقامة بنية دفاعية إقليمية . ومع انتهاء الحرب ، كان صناع السياسة الأمريكيون بوجه عام أكثر تمهلاً من نظرائهم البريطانيين فى تبين وإدراك التهديد السوفيتى فى الشرق الأوسط . وكان الأمريكيون معنيين بدرجة أكبر بإنهاء الحكم الاستعمارى البريطانى والفرنسى . وعلاوة على ذلك ، فإن الولايات المتحدة ، التى لم تكن راغبة فى الانضمام إلى بنية دفاعية أوروبية حتى أواخر عام ١٩٤٩ ، ظلت أقل حماساً للمخاطرة بالتورط فى الشرق الأوسط ، باعتباره منطقة غير مستقرة .

وخلال الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة ، كان الأمريكيون ، مثلهم مثل العرب ، مهتمين بحقائق القومية العربية بدرجة أكبر من اهتمامهم بأى تهديد سوفيتى محتمل للشرق الأوسط . ذلك أن ضغوط الحرب كانت قد أدت إلى نمو أسرع وتدعيم أكبر لقوى القومية ومناهضة الاستعمار ، وهى القوى التى كانت تنشط بالفعل فى العالم الإسلامى . وكافحت دول الشرق الأوسط لتأكيد ذاتها الوطنية ، وبصورة جماعية فى أغلب الأحيان ، كعرب ، لحماية ثقافتها الإسلامية ، ومن أجل البقاء فى محيط تشهد كل الدلائل على خطورته وعلى أنه يتغير بسرعة .

ودخلت الولايات المتحدة عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية بدون أفكار أو نظريات « إمبريالية » بالية إلى الشرق الأوسط . وعلى خلاف البريطانيين والفرنسيين والروس ، فإنه لم يكن للأمريكيين تاريخ فى التوسع الإقليمى فى المنطقة . وكان المضمون المعادى للاستعمار للسياسة الأمريكية أثناء الحرب يروق للعرب . وكانت الولايات المتحدة قد ساندت حكومتى بيروت

ودمشق العربيتين خلال أزمة المشرق عام ١٩٤٥ عندما حاول الفرنسيون إعادة فرض السيطرة الاستعمارية فى لبنان وسوريا .(٢) ونتيجة لذلك فإن العرب ، مثلهم مثل الإيرانيين والأتراك الذين استفادوا من تأييد أمريكى مشابه فى عام ١٩٤٦ ، اعتبروا فى البداية أن الولايات المتحدة بمثابة قوة مقابلة لموازنة تلك القوى المصممة على تثبيت أو إعادة تثبيت النفوذ الاستعمارى والسيطرة الاستعمارية .

ومع ذلك فإنه مع اتساع نطاق الدور الذى تلعبه الولايات المتحدة فى المنطقة ، كان من المحتم أن تؤدى محاولات تنفيذ أهداف السياسة الأمريكية إلى منازعات مع الحكومات العربية من وقت لآخر . وفى الشرق الأوسط ، لم تستطع الولايات المتحدة أن تفلت دائما من العار الذى جاء ملازماً لقيادتها الدولية الجديدة .(٣)

وكان فى مقدمة المشكلات الملحة التى واجهت الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط ، المشكلة التى أسماها دين اتشيسون « معضلة فلسطين » .(٤) وكانت المناقشة حول فلسطين مشحونة بالإثارة إلى أقصى حد . ففى الشرق الأوسط ، طلب اليهود المشبعون بالتطلعات الصهيونية وبتصميم مابعد المحرقة النازية وطناً آمناً . وهناك وجدوا أنفسهم وجهاً لوجهه أمام بريطانيا العظمى - التى كانت لا تزال تتولى إدارة فلسطين - والقوميين العرب الذين عارضوا بعنف هذه التسوية . وفى الولايات المتحدة تغلبت الاعتبارات السياسية فى المناقشة بصورة متكررة على الاهتمامات البراجماتية للسياسة الخارجية الأمريكية .

وكان المدى الذى لعبت فيه الاعتبارات السياسية المحلية دورا فى تشكيل السياسة الأمريكية تجاه فلسطين وسيظل يستوجب المناقشة . ذلك أن دوافع الرئيس ترومان قد تكون بحق نابعة من « اقتناع عميق » ، فيما يرى اتشيسون ، أو من « الحقيقة المشئومة والمؤسفة وهى أن السياسة الخارجية لهذه البلاد تتحدد بواسطة المساهمات التى قد تقدمها كتلة معينة من جماعات المصالح الخاصة لصندوق أموال الحزب » ، كما افترض الوزير فوريستال .(٥) والمؤكد بشكل قاطع أن الزعماء السياسيين الأمريكيين سيطروا على المناقشة وفرضوا سلطانهم على البيروقراطية السياسية - العسكرية . وكتب دين اتشيسون فيما بعد ، « كان من الواضح أن الرئيس نفسه هو الذى يدير السياسة الأمريكية بشأن فلسطين . »(٦)

وأعرب العسكريون عن هواجسهم إزاء التأثير المحتمل للقضية الفلسطينية على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فى أوائل عام ١٩٤٦ .(٧) وأبدى قادة أركان حرب الجيوش الأمريكية المشتركة قلقهم من أن سياسة موالية للصهيونية قد تجبر حتماً مؤسسة عسكرية مرهقة بالفعل ، نتيجة نشر قواتها فى بقاع بعيدة ، على إرسال قوات إلى فلسطين ، وقلقهم من احتمال أن تؤدى هذه السياسة إلى دفع العرب إلى المعسكر السوفيتى وتعقيد السياسة الأمريكية فى الشرق الأدنى وتهديد المركز الاستراتيجى للغرب فى المنطقة ، والأهم من ذلك حمل العرب على منع الولايات المتحدة من الوصول إلى نفط الشرق الأوسط .(٨)

وكانت تلك النقطة الأخيرة حاسمة . إذ أدرك أصحاب القرار السياسى الأمريكى الصلة بين فلسطين والخليج العربى . فقد كان اندلاع أزمة عربية - يهودية فى المشرق ينطوى على خطر تقويض مركز الغرب فى الخليج . ومع اشتداد الأزمة ، ازدادت أيضا مخاوف رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية . وفى أكتوبر ١٩٤٧ توصل تقرير إلى مايلى :

« ترى رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية أن تنفيذ قرار بتقسيم فلسطين - إذا أيدت الولايات المتحدة هذا القرار - يمكن أن يضر بالمصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة فى الشرقين الأدنى والأوسط ، ويحد من نفوذ الولايات المتحدة فى المنطقة بحيث لا يبقى منه إلا ما يتم الاحتفاظ به بالقوة . وعلاوة على ذلك ، فإن ثمة خطرا داهما من احتمال أن يؤدى مثل هذا القرار إلى اضطرابات خطيرة فى جميع أنحاء منطقة الشرقين الأدنى والأوسط بحيث تتضاءل بجانبها أى اضطرابات فلسطينية محلية يسفر عنها القرار . ونتيجة لذلك فإن الاتحاد السوفيتى قد يحل محل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى فى النفوذ والقوة فى أنحاء المنطقة .(٩)

وفى الوقت الذى بحث فيه قادة الأركان المشتركة مشكلات إجلاء الأمريكيين من المنطقة ، أكدوا من جديد فى يونيو عام ١٩٤٦ التوصية بأن تمتنع الولايات المتحدة عن اتخاذ أى قرار قد يؤدى إلى إرسال قوات أمريكية إلى فلسطين أو قد « يدفع شعوب الشرق الأوسط بعيداً عن الولايات المتحدة ، مادام للولايات المتحدة مصالح أمنية حيوية فى الشرقين الأدنى والأوسط » .

بل إن القادة العسكريين الأمريكيين استبد بهم الذعر بدرجة أكبر عندما بدا من المحتمل أن تفضى المناقشات الدبلوماسية فى الأمم المتحدة إلى مشروع بفرض وصاية أمريكية - سوفيتية على فلسطين واحتلالها . وإلى جانب احتمال تدخل عسكرى أمريكى فى منطقة يمزقها العنف والإرهاب ، ظهرت إمكانية تورط دبلوماسي سوفيتى فى الشرق الأوسط .(١٠) وفى أوائل فبراير عام ١٩٤٨ قال قائد العمليات البحرية الأميرال لويس دينفيلد إن مثل هذه النتيجة ستؤدى إلى كل أنواع المشاكل ، وإلى « التدهور » المستمر فى المركز الأمريكى فى العالم العربى .(١١) ورغم ذلك ، فإن رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية قامت - تنفيذاً لدواعى الواجب - بإعداد خطط طوارىء تقترح تخصيص قوات كبيرة لفلسطين (١٠٠ ألف جندى) وكذلك خطة لتأمين السيطرة على القدس .(١٢)

وقد أدى الانتصار المذهل - إن لم يكن المثير للصدمة - لقوات الدفاع الإسرائيلية التى تأسست حديثا ، على العرب فى حرب ١٩٤٨ ، إلى تغيير جذرى فى سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط . وقامت المؤسسة العسكرية الأمريكية بتغيير مفاجىء وكامل بشكل مثير إلى حد ما فى موقفها . وكفّت رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية ، التى لم تعد فى حاجة لأن تشغل نفسها باحتمال إرسال قوات أمريكية إلى فلسطين ، عن إصدار التقارير التى تحذر من مساندة أمريكية لدولة يهودية ، وبدأت تدرس « المصلحة الاستراتيجية للولايات المتحدة فى إسرائيل » .

« يبدو الآن أن السياسة الحالية لرئاسة الأركان المشتركة بشأن هذه المسألة قد داهمتها الأحداث وتجاوزتها . فقد تغير ميزان القوى فى الشرقين الأدنى والأوسط بصورة جذرية . وكانت هناك مؤشرات عديدة تدل فى الوقت الذى شهد نشوء دولة إسرائيل على أن عمرها قصير للغاية فى مواجهة

معارضة الجامعة العربية . ومع ذلك ، فإن الأرجح أن تصبح إسرائيل ، والتى اعترفت بها الآن الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، عضوا فى الأمم المتحدة فى القريب العاجل ، كما أن إسرائيل أثبتت بقوة السلاح حقها فى أن تُعتبر القوة العسكرية التالية لتركيا فى الشرقين الأدنى والأوسط . »(١٣)

وفى بداية عام ١٩٤٩ ، كانت تقديرات العسكريين الأمريكيين مفرطة فى التفاؤل بنفس القدر الذى كانت تقديراتهم السابقة تعبر به عن الذعر . وبدأت تقارير قيادة أركان الأسلحة المشتركة تطرى مزايا وجود قاعدة ذات موقع استراتيجى فى فلسطين . وتوصل تقرير بتاريخ مايو ١٩٤٩ إلى أن السياسة الأمريكية يجب أن تسعى إلى ضمان التوجه الغربى لإسرائيل ، وأن تسعى إلى تسوية الخلافات بين إسرائيل وجيرانها العرب ، وأن تعمل على إدخال إسرائيل فى أى حلف دفاعى إقليمى .(١٤)

وفى سبتمبر وأكتوبر عام ١٩٤٩ ، وضع مجلس الأمن القومى الأمريكى الصيغة الرسمية لتقييمات أكثر واقعية واتزانا أرست الخطوط العامة الأساسية للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط للأحقاب الأربع التالية . وتوصل مجلس الأمن القومى (التقرير ٢/٤٧) إلى أن « شرقى البحر المتوسط والشرق الأدنى » يتصفان بأهمية حاسمة بالنسبة للأمن الأمريكى . وكان على الولايات المتحدة أن تمارس قيادة « غير متحيزة » ولكنها « بناءة » لتنمية الروابط الموالية للغرب ومنع التوغل السوفيتى فى المنطقة ، ولضمان ألا تؤدى المنازعات الداخلية فى المنطقة إلى منع دول الشرق الأوسط من التحرك « بشكل منسق لمقاومة العدوان السوفيتى » . وفيما يختص بالمشكلة الفلسطينية ، ذكر مجلس الأمن القومى أن إسرائيل وجيرانها العرب يجب أن يتوصلوا إلى اتفاق بأنفسهم ، وأنه من المستبعد أن يرحب العرب بإسرائيل فى أى بنية دفاعية شرق أوسطية .(١٥)

ولما كان مجلس الأمن القومى أبعد ما يكون عن الرغبة فى بناء الآلة العسكرية الإسرائيلية ، فقد حاول أن يراقب عن كثب تدفق الأسلحة إلى الشرق الأدنى ، وخاصة إلى الإسرائيليين وجيرانهم العرب . وحصل تقرير مجلس الأمن القومى ٣/٦٥ فى ١٩ مايو عام ١٩٥٠ (بعنوان « سياسة الولايات المتحدة تجاه شحنات الأسلحة إلى الشرق الأدنى ») على تأييد بريطانى وفرنسى سريع . وفى ٢٥ مايو أذاعت واشنطن ولندن وباريس نص الإعلان الثلاثى بشأن عمليات نقل الأسلحة .(١٦) وكان مضمون الإعلان بسيطاً :

« هذه السياسة من شأنها تصدير الأسلحة إلى الشرق الأدنى على أساس أن تقتصر على أغراض الأمن الداخلى ، والدفاع عن النفس ، والدفاع عن المنطقة بوجه عام . ويجب أن تستمر شحنات المعدات الخفيفة كمؤشر على اهتمامنا بالمنطقة . »(١٧)

وكان هناك ما يبرر المخاوف الأمريكية من تأثير إقامة دولة يهودية فى فلسطين على المصالح الغربية ، ومن احتمال حدوث سباق تسلح إقليمى . وصب العرب ، الذين شعروا بألم حاد من هزيمتهم على أيدى الإسرائيليين ، جام غضبهم وإحباطهم على الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة . ومع ذلك فإن صناع القرار السياسى الأمريكى تمكنوا (ومازالوا يتمكنون) من التلاعب بمصالح

« القوميات المتنافسة » فى الشرق الأوسط بنجاح واضح رغم أسوأ المخاوف لدى الكثيرين فى البيروقراطية السياسية ـ العسكرية فى الأربعينات . وكانت حقائق القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية تكفل أن تظل الولايات المتحدة قوة معترفا بها ومحترمة ـ إن لم تكن محبوبة ـ فى أنحاء الشرق الأوسط . ومع ذلك فإن هذه الحقائق ذاتها كانت تنطوى على خطر . فالولايات المتحدة كقوة عالمية وكمتعهد تقديم الثقافة المادية على نطاق واسع ، هددت الدول الإسلامية التقليدية التى كانت تخطو سريعا نحو التحديث . وقد وضع التأييد الأمريكى لإسرائيل الولايات المتحدة فى صدام مباشر مع أحلام القوميين العرب .

ونتيجة لذلك ، فإن هذه الحقائق المزدوجة أعطت ـ وما زالت تعطى ـ العلاقة العربية الأمريكية فى فترة ما بعد الحرب طابعاً شيزوفرينياً (طابع الانفصام) . وبوجه عام فقد دفعت المصالح المتطابقة إلى جانب التوترات الكامنة ، الدول العربية إلى الترحيب بوجود أمريكى محدود للغاية فى المنطقة . وفى أوقات الأزمات ، كانت الدولة التى تتعرض للتهديد يمكن أن تنحي جانباً بسهولة همومها العروبية وتقبل ، بل قد تطلب ، وجوداً أمريكياً موسعاً . أما إذا كانت الأزمة المذكورة تشمل إسرائيل ، فإن رد الفعل العربى كان يمكنه أن يتخذ بسهولة شديدة وجهة مضادة ويسعى إلى طرد الوجود العسكرى والدبلوماسى بل وحتى التجارى الأمريكى .

وهكذا فإن تركة الاستعمار البريطانى ، والمشكلة العربية ـ الإسرائيلية ، والفوضى السياسية الواضحة فى العالم العربى فى الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٥٠ أقنعت صناع القرار السياسى الأمريكي بالامتناع عن مساندة الجهود البريطانية لإقامة « قيادة الشرق الأوسط . »[١٨] وحتى وقت متأخر هو مؤتمر القاهرة فى مارس ١٩٥٠ ، طرح الممثلون الأمريكيون وجهة نظرهم بأن « تشجيع أى حلف دفاعى إقليمى فى الشرق الأدنى لن يكون خطوة عملية أو مرغوباً فيها من وجهة نظر الولايات المتحدة . »[١٩]

وفى أواخر عام ١٩٥٠ ، والموقف فى الشرق الأوسط يصبح أكثر نزوعاً إلى عدم الاستقرار بصورة متزايدة ، بدأ التفكير الأمريكى بشأن « قيادة الشرق الأوسط » ، التى اقترحتها بريطانيا ، يتغير . وبعضوية الولايات المتحدة فى حلف الأطلسى ، خرجت الولايات المتحدة على العرف التاريخى الذى كانت تتمسك به ، وهو تجنب الأحلاف « المربكة » فى زمن السلم . فالحرب التى بدأت فى كوريا فى يونيو ١٩٥٠ ، وما أعقبها من تدخل شيوعى صينى ، جعلا شبح هجوم سوفيتى محتمل ضد الشرق الأوسط يزداد اقترابا . وبدا أن أسوأ مراحل الأزمة حول فلسطين قد مضت . وأشار جورج ماكجى ، مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وإفريقيا ومن الأنصار البارزين « لقيادة الشرق الأوسط » و« منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ، إلى أن « المملكة المتحدة التى تتحمل المسئولية الأولى فى الدفاع عن المنطقة ، تفتقر إلى القوة البشرية والموارد للدفاع بنجاح عن المنطقة وليست لديها خطط للدفاع عن آبار النفط فى المملكة العربية السعودية والقاعدة الجوية فى الظهران » . واقترح ماكجى :

« (لأغراض سياسية وعسكرية على السواء) ، فإن إقامة بنية بريطانية ـ أمريكية للقيادة المشتركة فى الشرق الأوسط تحفز على تعاون أساسى بين دول المنطقة ، وهو تعاون غير ممكن الحدوث الآن من خلال المنظمات والتجمعات المحلية مثل الجامعة العربية . وهذه البنية لن تغير الوضع القائم حيث تضطلع المملكة المتحدة والكومنولث بالمسئولية الأولى فى الدفاع عن المنطقة . »(٢٠)

وفى صيف عام ١٩٥١ ، وقف العسكريون الأمريكيون إلى جانب وزارة الخارجية الأمريكية وساندوا إقامة « قيادة الشرق الأوسط » ، رغم أنهم كانوا لا يزالون غير راغبين فى إرسال قوات إلى المنطقة .(٢١) وتوصل الممثلون السياسيون والعسكريون الأمريكيون والبريطانيون ، بسرعة ، لاتفاقات أولية مرضية تتصل بطبيعة بنية قيادة إقليمية ترأسها بريطانيا العظمى .

ولسوء الحظ فإن صناع السياسة الأمريكيين لم يفهموا تماما أن سياستهم الجديدة سلاح ذو حدين . ذلك أن محاولات إقامة هيكل أمنى ذى توجه غربى بقيادة بريطانيا ـ التى تحظى بأكبر قدر من الكراهية لدى العرب والإيرانيين والقوميين الإسرائيليين ـ إنما تزيد من حدة التوترات ، وتلهب المشاعر المعادية للغرب ، وبدلاً من تقوية المركز البريطانى فى الشرق الأوسط فإنها تعجل بانحدار بريطانيا العظمى .

وأخذت بريطانيا ، باعتبارها الدولة « المسئولة » عن الشرق الأوسط ، المبادرة الدبلوماسية فى المنطقة ، ووجدت بلدانا شرق أوسطية قليلة راغبة فى الانحياز إلى الغرب . وكانت تركيا تمثل حالة خاصة ، إذ باعتبارها الدولة الشرق أوسطية الوحيدة التى تتمتع بقدرة عسكرية كبيرة وفعالة ، فقد كان من المستحيل الاستغناء عنها فى أى منظمة دفاعية إقليمية فعالة . ولسوء الطالع ، فإن الأتراك أحجموا عن الانضمام إلى إطار أمنى شرق أوسطى إلى أن يتم قبولهم فى المجموعة الدفاعية الأوروبية ـ حلف شمال الأطلسى .(٢٢) وواجه البريطانيون تحديات قومية قوية فى إيران ، بسبب المنازعات على النفط ، وفى مصر ، بسبب الخلاف حول وضع قناة السويس . وأدى صعود القومية العربية والإيرانية ، والميراث الذى كان لا يزال حيا فى الأذهان للحكم الاستعمارى ، والموقف العدائى ، إلى حد ما ، الذى اتخذه الدبلوماسيون البريطانيون ، إلى إعاقة الجهود للتوصل إلى تسويات مع طهران والقاهرة .

وبالنسبة لبريطانيا العظمى ، كانت مصر هى المفتاح الاستراتيجى للشرق الأوسط ، كما كانت معقلا للقوة الإمبراطورية ، ومجمعاً للمنشآت العسكرية فى عالم ما بعد الحرب يمكن أن يصلح كقاعدة للتحشيد الحربى للمملكة المتحدة والكومنولث والقوات الأمريكية ولحملة قصف استراتيجية بالقنابل للاتحاد السوفيتى . غير أن المفاوضات البريطانية ـ المصرية انتهت إلى حالة من الفوضى وإلى عمل عسكرى صريح فى أوائل عام ١٩٥٢ بدلاً من أن تؤدى إلى اتفاق حول قناة السويس وحقوق الاحتفاظ بقواعد عسكرية ، حيث إن هذا الاتفاق هو المقدمة الضرورية لأى تحالف إقليمى . ولم يقض اندلاع العنف على الآمال المعلقة على التوصل إلى اتفاق فحسب بل أدى بالفعل إلى تفجير المشاعر القومية التى أسقطت الحكومة المصرية الموالية للغرب نسبياً حتى ذلك الوقت ، كما أدى فى النهاية إلى الإطاحة بالملك فاروق على أيدى ضباط الجيش ، ومنهم جمال عبد الناصر ، فى

يوليو عام ١٩٥٢ .(٢٣) وكان مصير الجهود التالية لإثارة اهتمام الحكومة المصرية الجديدة « بمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » هو الفشل .

وواجه البريطانيون والأمريكيون تحديات فى طهران أيضا ، ذلك أن الشعور القومى والمناوىء للاستعمار لم يقتصر على العرب وحدهم . وعبرت القومية الإيرانية عن نفسها فى أشكال متنوعة ، منها ما يخدم المصالح الغربية فى الخليج العربى فى بعض الأحيان ومنها ما هو ضار بهذه المصالح فى أحيان أخرى .

وحملت الأزمة الإيرانية فى مارس عام ١٩٤٦ الولايات المتحدة على تأييد إيران ضد روسيا ، عدوها الإمبريالى التقليدى فى الشمال . وقد أرغم هذا الموقف المضطرب والمعقد الولايات المتحدة على إعادة تقييم مصالحها والتزاماتها فى البحر المتوسط والشرق الأوسط ، وأدى إلى تحول فى السياسة الأمريكية تجاه المنطقة . ففى الخليج العربى ، قدمت الولايات المتحدة مساندتها الدبلوماسية المخلصة لمبدأ وحدة الأراضى الإيرانية . وأصبحت إيران تتلقى مساعدة اقتصادية وعسكرية متزايدة رغم أنها كانت لا تزال مساعدة هزيلة .

وبعد خمس سنوات ، دفعت أزمة إيرانية أخرى الولايات المتحدة إلى إعادة تقييم سياساتها فى الشرق الأوسط مرة أخرى . ففى الثامن من مارس عام ١٩٥١ ، قدمت اللجنة الخاصة المعنية بالنفط فى « المجلس » الإيرانى (البرلمان) مشروع قرار يقترح تأميم صناعة النفط ـ وأساساً شركة النفط الأنجلو ـ إيرانية المملوكة بالكامل للبريطانيين . وفى يوم ١٥ مارس صوَّت « المجلس » بالإجماع بالموافقة على توصية اللجنة . وحذا مجلس الشيوخ الإيرانى حذو « المجلس » بعد خمسة أيام .

وأثار تأميم شركة النفط الأنجلو ـ إيرانية أزمة دامت عامين ونصف العام وحملت الولايات المتحدة ، فى نهاية المطاف ، إلى التخلى بشكل واضح ، عن السياسات التى انتهجتها فى البداية إدارة ترومان تجاه إيران . فقد أمر الرئيس دوايت ايزنهاور فى صيف عام ١٩٥٣ بتدخل أمريكى مباشر فى الشئون الإيرانية الداخلية ، وقرر مساندة الشاه فى جهوده لإقامة دولة حديثة مستقرة داخليا وقادرة على ردع هجوم برى سوفيتى صوب الخليج العربى . وساعدت هذه التحركات الأمريكية فى إيران فى بداية الخمسينات على تحديد طبيعة التحديات التى واجهت الأمريكيين فى الخليج العربى وفى أنحاء الشرق الأوسط فى أواخر السبعينات والثمانينات والتسعينات .

وأدت عوامل متعددة إلى أزمة التأميم فى إيران فى الفترة من ١٩٥١ حتى ١٩٥٣ . ففى أنحاء ما سيطلق عليه فيما بعد « العالم الثالث » ، أدى نمو الحركات القومية والمناهضة للاستعمار إلى إعادة تقييم الترتيبات الاقتصادية القائمة . واعتبر غالبية الإيرانيين أن الاتفاقيات المعقودة منذ وقت طويل مع شركة النفط الأنجلو – إيرانية هى رموز للسيطرة السياسية والاقتصادية للإمبراطورية البريطانية . ففى المراحل الأولى للمفاوضات التى بدأت فى عام ١٩٤٨ ، لم يكن البريطانيون – لأسباب مفهومة – راغبين فى إضعاف سيطرتهم على امتيازات بهذه الأهمية الاستراتيجية ، ولكن

بعد تسوية حقوق النفط الأمريكية فى ديسمبر ١٩٥٠ مع السعوديين والتى وافقت « أرامكو » بموجبها على تقاسم صافى عائد التشغيل مناصفة (بأثر رجعى ابتداء من أول يناير ١٩٥٠) ، فإنه كان من الضرورى أن يتراجع الأمل فى موافقة الإيرانيين المتغطرسين على ما هو أقل من ذلك . ولكن عناد شركة النفط الأنجلو - إيرانية أدى إلى تصعيد التشدد الإيرانى وتوليد دعم شعبى للتأميم .(٢٤)

ولم تقف الولايات المتحدة « عموماً » إلى جانب التأميم ، رغم أنها اعترفت بحق الدول ذات السيادة فى التأميم بشرط تقديم « تعويض عادل » . « ومع ذلك فإن هذه السياسة لم يتم الإعلان عنها فى الخارج نظراً لأنها قد تشجع الدول الأجنبية على التأميم » . وبالإضافة إلى ذلك ، فإنه فيما يختص بإيران ، فإن وزارة الخارجية الأمريكية لم تعارض تأميم شركة النفط الأنجلو - إيرانية ، لأنها لوفعلت ذلك « لتسببت فى تقويض وضع الولايات المتحدة والغرب سياسياً فى إيران ، وقد يسفر ذلك عن فقدان إيران وسقوطها فى أيدى السوفيت . »(٢٥)

وكان القلق الأمريكى إزاء هذا الموقف حقيقيا وصريحاً ، لأن إيران لم تعد ، من الناحية الاستراتيجية ، بلداً يمكن التضحية به . وأشارت مذكرة لرئاسة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى فى عام ١٩٥١ إلى أنه « من وجهة النظر العسكرية البحتة للولايات المتحدة ، فإن توجه إيران نحو الولايات المتحدة فى زمن السلم والمحافظة على مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط يتفوقان الآن ، من حيث الأهمية ، على الرغبة فى دعم المصالح البترولية البريطانية فى إيران . وستضطر رئاسة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى لإعادة النظر على الفور فى استراتيجيتها الكونية فى حالة انتهاك الاتحاد السوفيتى لمبدأ ترومان فيما يختص بإيران بكل الإجراءات ماعدا الحرب . »(٢٦)

ورغم أنه لم يرد ذكر إيران بالاسم فى البيان السياسى للرئيس ترومان عام ١٩٤٧ (مما جعل الإيرانيين يصفون الجهد الأمريكى بأنه أشبه بمحاولة إقامة سد فوق ثلثى مجرى النهر) ، فإن صناع السياسة الأمريكيين اعتبروا *بالفعل* أن مبدأ ترومان يسرى على إيران .(٢٧) وأسرّ الدبلوماسيون الأمريكيون للإيرانيين بأن بلادهم تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة بنفس الأهمية الاستراتيجية التى تتمتع بها اليونان وتركيا . وقد كتب جون جيرنيجان القائم بأعمال رئاسة إدارة الشئون اليونانية والتركية والإيرانية ، إلى جورج آلان ، السفير فى إيران ، فى التاسع من ديسمبر عام ١٩٤٧ يقول :

« أظن أننا نستطيع القول بأننا فى مكتب شئون الشرق الأدنى وإفريقيا بوزارة الخارجية ، على الأقل ، ننظر إلى إيران على أنها مساوية تماماً لليونان وتركيا فيما يتعلق بأهميتها بالنسبة للولايات المتحدة . وهذا ، فى اعتقادى ، هو نفس موقف وزارات القوات المسلحة ، وتشاطرنا قيادتنا العليا فى الوزارة الرأى . ولا أعرف كيف يفكر الجيش والأسطول بصدد الأهمية الاستراتيجية النسبية للخليج العربى والمضايق التركية ، ولكن رأيى الخاص يتجه إلى الموافقة على أن حقول النفط على نفس الدرجة من الأهمية على الأقل التى تتمتع بها المضايق . والسؤال المهم هو : ما الذى نستطيع أن نفعله بهذا الشأن ، وما هى أفضل الوسائل التى تستخدم فى محاولة حماية إيران ؟ ... إننى لست مقتنعاً على

الإطلاق بأن أفضل طريقة لحماية سلامة إيران هى الزج بها بصورة مطلقة ونهائية فى المعسكر الغربى المعادى للاتحاد السوفيتى . وإذا استطعت أن أفطن إلى وسيلة لتقديم مساعدة حقيقية لإيران دون إجبارها تلقائيا على اتخاذ موقف العداء الصريح للاتحاد السوفيتى ، فإننى سأستعين بهذه الوسيلة فى الحال . »(٢٨)

وفى برقية بتاريخ يوليو ١٩٤٧ ، كان وزير الخارجية الأمريكى جورج مارشال قد عرض تفسيراً بسيطا لما اعتبره الإيرانيون سياسة أمريكية تفتقر إلى التوازن فى الشرق الأدنى ، وهو أن المعونة الأمريكية الضخمة لليونان وتركيا هدفها أن تحل محل المعونة التى كانت تقدمها بريطانيا فى السابق والمحافظة على « الأمر الواقع » ، بينما تقديم صفقة معونة عسكرية واقتصادية ضخمة لإيران التى لا تواجه تهديداً مباشراً مماثلاً ، يمكن أن « يجعل العلاقات الإيرانية – السوفيتية أسوأ مما هى عليه ، وقد يؤدى إلى خلق ذات الموقف الذى نسعى إلى تجنبه ولن يكون فى صالح إيران أو الولايات المتحدة أو الأمن الدولى بوجه عام . »(٢٩)

ورغم المخاوف الإيرانية ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة بالفعل أن أمن إيران قضية حيوية . وفى تقرير مبدئى أعده مجلس الأمن القومى الأمريكى فى منتصف مارس عام ١٩٥١ ، جرى التأكيد مرة أخرى على النقاط التى وردت فى تقييمات سابقة : أن إيران موقع استراتيجى رئيسى وحاجز واقٍ لمناطق إنتاج البترول فى الشرق الأوسط . وجاء فى التقرير أن « موارد النفط الإيرانية ذات أهمية عظمى لاقتصادات المملكة المتحدة ودول غرب أوروبا » . وأوضح التقرير أن « فقدان هذه الموارد سيؤثر بصورة معاكسة على اقتصادات هذه الدول فى زمن السلم » . وأشار التقرير ، علاوة على ذلك ، إلى أنه إذا « سقطت » إيران ، فإن البلدان المجاورة ، باستثناء تركيا ، يحتمل أن تستسلم أيضا للضغط السوفيتى . وتوصل مشروع التقرير إلى النتيجة التالية : « إنه لهذه الأسباب ، فإن على الولايات المتحدة أن تواصل سياستها الرئيسية القائمة على اتخاذ كل الخطوات العملية الملائمة لضمان عدم سقوط إيران فريسة للسيطرة الشيوعية » ، ولتقوية الحكومة الإيرانية ، وأن تبحث فى حالة وقوع تخريب شيوعى داخلى ، خيارات من نوع « القيام بعمل سياسى مترابط ومشترك من جانب الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . »(٣٠)

والأمر الذى ينطوى على دلالة خاصة ، أن الصيغة النهائية للتقرير ، التى أقرها الرئيس ترومان ، وضعت الحكومة الإيرانية على قدم المساواة مع شخص الشاه . وأثنى تقرير مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٢/١٠٧ فى يونيو عام ١٩٥١ على الشاه بوصفه « المصدر الحالى الوحيد لاستمرارية القيادة ... » ، وأشار إلى الحاجة « لتدعيم قيادة الشاه ، وتدعيم الحكومة المركزية من خلاله . »(٣١)

ورغم لغة تقرير مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٢/١٠٧ ، فلم يكن كل صناع السياسة الأمريكيين يعتبرون الشاه زعيماً قوياً ، كذلك لم يكونوا جميعا يعتبرون أن آفاق إقامة إيران مستقرة هى آفاق طيبة . والقلة من الأمريكيين هى التى اعتبرت إيران كيانا قومياً وحكومياً يمكن مقارنته بتركيا واليونان .(٣٢) وفى أحسن الأحوال كانت إيران تُعتبر بلدا فى مرحلة انتقال من الملكية

المطلقة إلى شكل من أشكال الحكومة الدستورية . وفى غضون ذلك فإنها لم تكن تمتلك ، لسوء الحظ جانبية الدولة الديمقراطية ، أو تمتلك الصفات أو الخصائص المميزة التى تساعد على استعادة الاستقرار والقوة التى ترتبط فى أغلب الأحيان بالدول المحكومة بأنظمة استبدادية . إذ كان « المجلس » الإيرانى يُعتبر معقلاً لطبقة ملاّك الأراضى ، وليس صوتا للشعب ، كما كان الجيش يعتبر فاسداً ومجرداً من الكفاءة ، وعاجزا عن إقرار أمن داخلى حقيقى أو حتى إبطاء هجوم سوفيتى . وفى يناير عام ١٩٥١ ، قدم الأميرال روبرت كارنيى ، قائد شمال شرقى الأطلسى والبحر المتوسط ، تقييما كئيباً « للقدرات الفارسية » . كتب كارنيى :

« يمكن العثور على مفتاح النيات والقدرات الفارسية فى شخصية الفرس ، ذلك أنه لا يوجد شىء فى تحليل الشخصية الفارسية يتيح أى مبرر للركون إلى النيات الفارسية أو الوثوق بالقدرة الفارسية على مقاومة عدوان روسى مسلح واسع النطاق » .(٣٣)

واعتبر لوى هندرسون ، السفير الأمريكى فى طهران خلال الفترة الحرجة من عام ١٩٥٣ ، أن الشاه « متردد وضعيف رغم أنه حسن النية » ، وأنه رجل « لايثق فى نفوذه الشخصى . »(٣٤) ولم يكن شاه الخمسينات هو نفس الشاهنشاه المألوف لدى الأمريكيين فى الستينات والسبعينات .

ولم تكن كل التقارير الواردة من إيران والخليج العربى سلبية . فقد قدم الكابتن إرنست إيلار قائد قوة الشرق الأوسط فى عام ١٩٥٠ صورة متفائلة نوعا ما للموقف فى إيران ، ونصح القيادة العليا للأسطول برفض آراء هؤلاء الذين حذروا من أن الإيرانيين لانفع فيهم وعاجزون عن تحسين أوضاعهم . وأوصى إيلار بأن تزود الولايات المتحدة إيران بالمعونة والقروض على نفس مستوى تركيا .(٣٥)

وجاءت توصيات إيلار متطابقة مع توصيات الشاه ، الذى أرجع الموقف السياسى الداخلى غير المستقر فى إيران ، جزئياً ، إلى غياب المعونة الأمريكية .(٣٦) واعتقد الشاه أن السبيل الوحيد لمنح إيران « شيئا يعتمد عليه ويمكن الركون إليه » هو تقديم حزمة معونة لها تماثل تلك التى تقدم إلى اليونان وتركيا .(٣٧)

« إن الدعم الأمريكى لليونان وتركيا سوف يمتد ليشمل حتى الاشتباكات المسلحة إذا أصبحت أى من الدولتين ضحية لعدوان سوفيتى سافر . والإيرانيون ليسوا على يقين فيما يتعلق بإيران ، ويشعرون بأن الخطر الأكبر الذى يواجههم يكمن فى هذا اللايقين . فإذا أدركت الحكومة السوفيتية بصورة قاطعة أن هجوماً على إيران سيعنى اشتباكات مسلحة مع الولايات المتحدة ، فإن الإيرانيين يحسون بأن الاتحاد السوفيتى لن يشن هجوما فى هذا الحالة . ومع ذلك ، فإنهم يخشون من السماح باستمرار تسرب أى ظل من الشك إلى الكرملين بشأن هذه المسألة ، وعندئذ قد تصبح إيران ضحية للعدوان . »(٣٨)

وشعر الشاه والعديد من الإيرانيين أيضا بأن المساعدة العسكرية الأمريكية يجب أن تقدم إليهم مجانا ، وليس جزءاً من اتفاقية قرض ، ويجب أن تكون على مستوى أكبر بكثير مما تعتبره الولايات المتحدة ضروريا .(٣٩) وفسر الشاه والإيرانيون الموالون للغرب نشاط « إدارة التعاون

الاقتصادى » ، الامتداد لمبدأ ترومان ، واتفاقيات المعونة الاقتصادية والعسكرية الضخمة مع اليونان وتركيا ، وليس مع إيران ، كتعبير عن عدم استعداد الولايات المتحدة لإلزام نفسها بالدفاع عن إيران .

وفى الحقيقة فإن العسكريين الأمريكيين كانوا يتمنعون عن إلزام أنفسهم بالدفاع عن إيران أو أى دولة أخرى فى الشرق الأوسط . وتناولت دراسات رئاسة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى التى أجريت فى أوائل عام ١٩٥٠ ـ كما فعلت فى الفترة من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٩ ـ عرض الخطوط العامة للأهمية الاستراتيجية للشرق الأدنى بطريقة روتينية ، بيد أنها رفضت بحكم العادة الدعوات لالتزام أمريكى رسمى بالدفاع عن المنطقة . واستخلص تقرير فى أكتوبر عام ١٩٥٠ للجنة المسح الاستراتيجى المشتركة أن :

« إن فقدان أوروبا سيمثل أخطر ضربة للدول الغربية . وفقدان الشرق الأوسط فى المراحل المبكرة لحرب كونية لن يكون فى حد ذاته ضربة قاضية ، رغم أن العودة للاستيلاء على الشرق الأوسط ستكون أمراً جوهريا من أجل إحراز النصر . والدفاع الاستراتيجى الذى يجرى التفكير فيه ملياً بالنسبة للشرقين الأقصى والأوسط يوضح أن هاتين المنطقتين تعتبران الآن ، لأغراض تخطيطية ، فى مستوى أدنى من أوروبا الغربية . »(٤٠)

فالخليج العربى ، من الناحية الجغرافية ، منطقة نائية . والتقديرات المتعلقة بالموارد اللازمة لإقامة دفاع فعال تجاوزت بكثير قدرة العسكرية الأمريكية ، التى كانت ملتزمة تماما بالفعل بمناطق أخرى فى أوروبا والمحيط الهادى ، منها ـ وحتى منتصف ١٩٥٣ ـ الحرب فى شبه الجزيرة الكورية والتى كانت قد وصلت إلى طريق مسدود . وأيدت رئاسة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى إقامة المنظمة التى كثر الحديث عنها ، وهى المنظمة متعددة الجنسيات للدفاع عن الشرق الأوسط ، ولكنها رفضت وضع قوات أمريكية تحت تصرفها ، وأوصت « بوجوب قبول البريطانيين لالتزام الدفاع عن الشرق الأوسط كمسئولية بريطانية ، وبوجوب أن ينشئوا وينظموا قوات من أجل دفاع فعال ، ويقدموا هذه القوات كلما دعت الضرورة لذلك . »(٤١)

ولكن مع تدهور الوضع الداخلى فى إيران بسرعة فى عام ١٩٥٢ ، تبنى مجلس الأمن القومى الأمريكى سياسة أقوى . وتوصلت وثيقة المجلس رقم ١/١٣٦ فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢ إلى ما يلى :

« إن الاتجاهات الحالية فى إيران معارضة للإبقاء على سيطرة نظام حكم غير شيوعى لفترة زمنية طويلة . وملاّك الأراضى والمسيطرون على السلطة تقليديا وساسة الجبهة الوطنية الذين يتولون السلطة الآن ، بانتزاعهم المبادرة السياسية من الشاه ، قاموا مؤقتاً على الأقل بتصفية كل بديل لحكمهم باستثناء حزب توده الشيوعى . ومع ذلك فإن قدرة الجبهة الوطنية على الاحتفاظ بالسيطرة على الموقف إلى ما لانهاية غير مؤكدة . وقد أدت حالة الغليان السياسى التى حملت القوميين إلى السلطة إلى تأجج الرغبة الشعبية فى تحقيق التحسن الموعود فى الأحوال الاقتصادية والاجتماعية ، وزيادة التململ الاجتماعى . وفى نفس الوقت ، فإن فشل القوميين فى إعادة تشغيل صناعة النفط جعل الاحتياطيات المالية للحكومة توشك على النفاد ، وأدى إلى عجز فى التمويل لسد النفقات الجارية ، وسيقود على الأرجح إلى تدهور مطرد فى الاقتصاد بصورة عامة .

والمقدّر الآن أن القوى الشيوعية قد لا تفوز بالسيطرة على الحكومة الإيرانية خلال عام ١٩٥٣ . ومع ذلك ، فإن الموقف فى إيران يحتوى على عناصر كثيرة جداً تفضى إلى عدم الاستقرار ... فمن الواضح أن المملكة المتحدة لم تعد تمتلك القدرة على أن تقوم بمفردها بضمان الاستقرار فى المنطقة . وإذا استمرت الاتجاهات الحالية بلا عائق ، فإن العالم الحر يمكن أن يفقد إيران من الناحية الفعلية قبل أن يتحقق عملياً استيلاء الشيوعيين على الحكومة الإيرانية . والفشل فى وقف الاتجاهات الحالية فى إيران ينطوى على مخاطرة جدية بالأمن القومى للولايات المتحدة . »(٤٢)

ومن أجل « تعويق » تلك « الاتجاهات » فى إيران ، اقترح مجلس الأمن القومى الأمريكى أن تواصل الولايات المتحدة تقديم المساعدة الاقتصادية والعسكرية الجارية وتوسيعها ، وأن تستعد لعرض معونة تقنية للإيرانيين عندما يقررون استئناف إنتاج النفط ، وتساعدهم فى تسويق نفطهم ، وأن تخطط من أجل ضم إيران إلى أى حلف دفاعى إقليمى ، ثم إن على الولايات المتحدة

فى حالة وقوع محاولة للاستيلاء على السلطة أو استيلاء فعلى على السلطة من قبل الشيوعيين فى ولاية أو أكثر من ولايات إيران أو فى طهران ، أن تساند حكومة إيرانية غير شيوعية ، بما فى ذلك المشاركة فى الدعم العسكرى لمثل هذه الحكومة إذا كان ذلك ضرورياً ومفيداً . والاستعدادت لمواجهة احتمال من هذا النوع يجب أن تشمل :

(أ) خططا لإجراءات عسكرية واقتصادية ودبلوماسية وسيكولوجية محددة يمكن اتخاذها لدعم حكومة إيرانية غير شيوعية أو لمنع وقوع إيران كلها أو جزء منها أو المناطق المجاورة لها تحت السيطرة الشيوعية .

ووضع قرار مجلس الأمن القومى الأمريكى العسكريين الأمريكيين فى موقف صعب . فخلال خريف عام ١٩٥٢ ، ومع استمرار المناقشة حول وثيقة المجلس رقم ١٣٦ ، أبدى قادة رئاسة الأركان المشتركة قلقاً متزايداً إزاء الموقف في إيران ، ولكنهم أكدوا المصاعب الكامنة فى أى عمل عسكرى فى المنطقة وعلى أن الشرق الأوسط ليس فى الدرجة الأولى من سلم الأولويات فى خطط الحرب الأمريكية . وكانت النقطة الأخيرة تشكل جانبا هاما فى الموضوع ، نظراً لأن قادة الأركان كان يقلقهم أن أى تحرك أمريكى مكشوف فى إيران يمكن أنه يستثير تدخلاً سوفيتياً وفقاً لبنود المعاهدة السوفيتية مع إيران عام ١٩٢١ .(٤٣)

وفى نهاية الأمر ، أيدت رئاسة الأركان المشتركة مشروعاً وضعه مجلس الأمن القومى الأمريكى ، يتصور تدخلا عسكريا أمريكياً محتملا إذا تحولت إيران إلى الشيوعية نتيجة لغزو خارجى أو تخريب داخلى .(٤٤) وفى تلك الاثناء ، دعت رئاسة الأركان المشتركة القوات المسلحة والقيادة الجوية الاستراتيجية والقائد العام للقوات البحرية وشرقى الأطلسى والبحر المتوسط لوضع خطط للقيام باستعراضات جوية ، ونقل وحدات من القوة الجوية إلى جنوبى تركيا وقوات برية إلى البصرة بالعراق ، مع التأكيد على أنه لم يتم اتخاذ أى قرار بعد لنشر قوات .(٤٥)

وبينما كان العسكريون الأمريكيون يتناقشون حول إمكانيات التدخل ، بدأت إدارة ترومان جهداً دبلوماسياً نهائيا لحل الأزمة . وكتب بول نيتز ، مدير هيئة التخطيط السياسى بوزارة الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت :

« نتيجة لذلك ، بدا فى نهاية عام ١٩٥٢ أن حلاً يلوح فى الأفق أخيراً . وفى بداية يناير عام ١٩٥٣ ، أعطى محمد مصدق رئيس الوزراء الإيرانى موافقته النهائية وظننا أنه تمت تسوية كل شىء . ومع ذلك فقد حدث بعد بضعة أيام أن غير مصدق رأيه ، ربما بدافع اعتقاد خاطىء هو أنه يستطيع إبرام اتفاق أفضل مع إدارة ايزنهاور التى توشك أن تتولى مقاليد الأمور فى واشنطن . »(٤٦)

وبدا أن المفاوضات تقترب من تسوية فى يناير ١٩٥٣ ، ولكن مصدق كان يغير مطالبه باستمرار ويعيد تفسيرها عندما يطرح أمامه مشروع اتفاق رسمى .(٤٧) وفى أوائل فبراير ، أوصت الحكومة البريطانية المحبطة بقطع المحادثات وترك مصدق لكى يتخذ الخطوة التالية .(٤٨) كذلك أصبح وزير الخارجية الأمريكى الجديد ، جون فوستر دالاس أكثر تشاؤماً بشأن فرص الحل النهائى .(٤٩)

وفجأة ، قام رئيس الوزراء الإيرانى نفسه بتغيير خط سيره ، وتنحية المفاوضات جانبا ، وشرع فى شن حملة صاخبة ضد الشاه والأسرة الملكية ومؤسسة النظام الملكى .(٥٠) وفى أواخر فبراير ، بعث الدبلوماسيون الأمريكيون فى طهران بتقارير مفادها أن الشاه يوشك أن يتنازل عن العرش . ولم يقتنع الشاه بالبقاء فى طهران إلا نتيجة مناشدات من البريطانيين والأمريكيين وأعضاء الأركان العامة الإيرانية وأعداء مصدق فى « المجلس » ، والأكثر أهمية المظاهرات الشعبية التى قامت تأييداً للملكية (والتى أثار حماسها دهشة المراقبين الإيرانيين والأمريكيين على السواء) .(٥١)

وجاء قرار مصدق بالشروع فى حملة معادية للشاه فى لحظة دقيقة حيث كان صناع السياسة الأمريكيون يتصارعون مع الخيارات السياسية القليلة الباقية . وإذا كان مصدق قد ظن أن إيران تستطيع التوصل مع إدارة ايزنهاور إلى اتفاق أفضل ، وأن ضغطاً متزايداً على الشاه سيحمل الأمريكيين على دفع البريطانيين إلى تقديم المزيد من التنازلات ، فقد وقع فى خطأ .(٥٢) ذلك أن الهجمات على الملكية والتهديدات ببيع النفط إلى الكتلة الشيوعية أدت إلى نتيجة عكسية ، فقد أقنعت إدارة ايزنهاور أن قيادة مصدق تشكل خطرا على الولايات المتحدة والغرب . ومع ذلك فقد تهكم مصدق نفسه ساخراً من السفير هندرسون قائلا « إن إيران تفضل أن تتحول إلى الشيوعية على أن تكون سبباً فى تعكير صفو العلاقات بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . »(٥٣)

وفسر صناع السياسة فى واشنطن فشل مصدق فى أواخر فبراير فى إرغام الشاه على التخلى عن العرش باعتباره علامة على ضعف سلطة رئيس الوزراء . وقد فوجىء الأمريكيون بنزول الإيرانيين إلى الشوارع بأعداد ضخمة لتأييد الشاه .(٥٤) وتوصل تقرير لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية بتاريخ أول مارس إلى النتيجة التالية : « إن مؤسسة التاج ربما تتمتع بتأييد شعبى أكثر مما كان متوقعا » ، الأمر الذى يتيح للعاهل فرصة للتحرك ، رغم أن « تاريخه السابق لا ينبىء بأنه سيتحرك . »(٥٥)

وفى اجتماع لمجلس الأمن القومى الأمريكى عقد يوم ٤ مارس عام ١٩٥٣ ، استنتج جون فوستر دالاس أن الشاه فَقَد فرصته فى الواقع ، وأن الملكية ستظل هدفا للهجوم . وأعرب دالاس أيضا عن قلقه بشأن مستقبل مصدق ، ذلك أن قوته السياسية كانت تذوى بشكل واضح ، كما أن الإذاعات

السوفيتية الموجهة لإيران أصبحت معادية للشاه ومعادية لمصدق على نحو يثير الانزعاج . وطبقاً للمحضر الرسمى لوقائع الاجتماع :

« توصل مستر دالاس إلى أن النتائج المحتملة لأحداث الأيام القليلة الماضية هى قيام ديكتاتورية فى إيران تحت قيادة مصدق . ومادام هذا الأخير على قيد الحياة ، فإن الخطر محدود ، أما إذا اغتيل أو اختفى من السلطة بطريقة أخرى ، فإنه سينشأ فراغ سياسى فى إيران ، وعندئذ قد يستولى الشيوعيون على السلطة بسهولة » .

وعندما وجه وزير الخزانة جورج همفرى سؤاله إلى دالاس حول ما إذا كان قد توصل إلى « أننا سنفقد ذلك البلد » ، رد وزير الخارجية « بالإيجاب » . وأقحم الرئيس ايزنهاور ملاحظة فى سياق الجديث وهى أن الخيار العسكرى ، أى نقل قوات أمريكية إلى إيران ، سيؤدى على الأرجح إلى تدخل سوفيتى وفقاً لبنود معاهدة عام ١٩٢١ .(٥٦) ومع تدهور الموقف فى إيران بشكل صارخ ، ما هى الخيارات الباقية ؟

كانت إمكانية القيام « بعمل سياسى » فى إيران قد طرحت داخل إدارة ترومان فى وقت مبكر يرجع إلى مارس ١٩٥١ . وأقرت وثيقة مجلس الأمن القومى رقم ١٠٧ كأحد الخيارات « القيام بعمل سياسى مترابط ومشترك بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة . »(٥٧) وناقش س . م . « مونتى » وودهاوس ، ضابط المخابرات البريطانى خطة الانقلاب مع ممثلى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ووزارة الخارجية فى واشنطن فى شهرى أكتوبر ونوفمبر عام ١٩٥٢ ، وفى وقت كان مجلس الأمن القومى يضع فيه الوثيقة ١٣٦ ، وهى الوثيقة التى لم يرفع بالكامل الحظر على سريتها بعد والتى حلت محل وثيقة المجلس رقم ١٠٧/٢ .(٥٨) وتجاوبت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية مع اقتراح وودهاوس ، بينما كان رد فعل وزارة الخارجية إزاءه فاترا . ولكن حدث فى اجتماع تالٍ عقد فى ديسمبر ، فى واشنطن أيضا ، أن ممثلى إدارة ترومان رفضوا مع ذلك أن يستبعدوا فكرة الانقلاب ، رغم أنهم اعتزموا الانتظار لكى يروا كيف سيرد مصدق على اقتراح التسوية الذى أعده المفاوضون بشق الأنفس .(٥٩) وهكذا جاء رفض مصدق للمشروع الأمريكى للتسوية وهجماته المتصاعدة على الملكية فى لحظة دقيقة ، وهى اللحظة التى كانت إدارة ايزنهاور تدرس فيها بإمعان خياراتها فى إيران فى أواخر شتاء وبداية ربيع عام ١٩٥٣ .(٦٠)

وأثناء ربيع وصيف عام ١٩٥٣ تضاءلت شعبية مصدق بعد أن أصبح فشل سياساته يتضح أكثر فأكثر. فقد أسفر سوء الإدارة فى عهده عن دفع إيران إلى الخراب الاقتصادى والدمار السياسى . وكتب السفير هندرسون فى مارس ١٩٥٣ تقييمه للموقف على النحو التالى :

« إن سيرته العملية (مصدق) ترتكز على أنشطة وشعارات سلبية . وكرئيس للوزراء ، فإنه لم يستطع إنجاز أى شىء ذى طابع بَنّاء . وعندما يصيبه الإحباط ، يبحث عن خصم ما جديد يوجه إليه اللوم ويحطمه . وقد طرد البريطانيين ، وقام بتجريد « المجلس » من قوته وبتصفية مجلس الشيوخ ، وأقصى جميع الساسة المعروفين من الحياة العامة ، وعزل كل المسئولين المدنيين والعسكريين البارزين ، وأبعد شخصيات متعددة من الأسرة الملكية إلى المنفى ، الخ . والآن يلقى بمسئولية فشله على عاتق البلاط ، ويتخذ إجراءات ضد الشاه . وقد يلوم فى وقت لاحق ماتبقى من « المجلس » ويقدم

على خطوات للتخلص منه . (حل مصدق « المجلس » فى ١٥ أغسطس ١٩٥٣) . وإذا لم يكن فَنّ الدجاج(*) (الانقلاب) من النوع المرغوب فيه ليس آتياً عن قريب ، فإنه قد يعامل الأمريكيين نفس معاملة البريطانيين . »(٦١)

وفى بداية مارس ، كانت إمكانيات الانقلاب موضع دراسة متأنية فى واشنطن ولندن وطهران . وفى السادس من مارس كتب السفير هندرسون من إيران يقول : « من الصعب علينا أن نصدق أن الشاه حقيقة ستتوافر لديه الشجاعة أو التصميم للاشتراك فى حركة تؤدى إلى إسقاط حكومة مصدق سواء بالقوة أو بطريقة سلمية . ومما لاشك فيه أنه سيصاب بالذعر من فكرة انقلاب عسكرى يتم باسمه ، وإذا اتيحت له الفرصة فإنه قد يحاول إعاقة تنفيذه .(٦٢) ومع ذلك فقد استمر التخطيط والإعداد للانقلاب . وفى الوقت الذى استبعدت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا إحداث تغير ما فى الموقف فى إيران ، فإنهما كانتا ملتزمتين بعمل سياسى .(٦٣)

وربما جاءت أكثر اللحظات إثارة فى شهر مايو عندما وجه مصدق شخصياً الحديث حول قضية إيران إلى الرئيس ايزنهاور . وبدلا من أن تؤدى رسالة رئيس الوزراء الإيرانى إلى تحريك مسألة زيادة المعونة الأمريكية أو كسر الجمود فى مفاوضات النفط ، فإنها لم تلق سوى الرفض بجفاء وزادت من عزلة إيران الدبلوماسية ، وأسهمت فى « تكذيب « الأسطورة » التى جرى نسج خيوطها بحرص بشأن التأييد الأمريكى لمصدق . »(٦٤) فقد اتخذت الولايات المتحدة ، حليف إيران لوقت طويل ، جانب بريطانيا العظمى .

وكانت مبررات ايزنهاور بسيطة . ففى صيف عام ١٩٥٣ ، كان يخشى انهياراً داخلياً فى إيران . وأسرّ أيك (ايزنهاور) إلى تشرشل بأنه يعتبر إيران « منطقة كوارث محتملة للعالم الغربى . »(٦٥) ولم تكن الإدارة الأمريكية تعتبر مصدق شيوعيا ، بل لم تكن تعتبره متعاطفا مع الشيوعية ، وإنما كانت تنظر إليه على أنه زعيم وإدارى عار من الكفاءة أسفرت سياساته عن تقويض استقرار إيران إلى حد أنه لم يبقَ فى نهاية المطاف فى البلاد سوى حزب توده باعتباره القوة الوحيدة المنظمة . وبطبيعة الحال ، فإن الولايات المتحدة - بدلا من أن تساند مصدق - كانت تنتهج بنشاط سياسة تستهدف زعزعة حكومته .(٦٦) غير أن مصدق نفسه لعب بحماقة بورقة التهديد الشيوعى ، محذراً هندرسون بأن من الأفضل للولايات المتحدة أن تتفهم أنه « يجب اتخاذ إجراءات جذرية حتى لا تسقط إيران فى إيدى الشيوعيين . »(٦٧)

وكانت هناك عوامل عدة دفعت إدارة ايزنهاور فى الحقيقة ، إلى تبنى « إجراءات جذرية » وسياسة نحو إيران تفادت إدارة ترومان الأخذ بها ، وإن كانت لم ترفضها قط . وقام ايزنهاور وكبار مستشاريه بتطعيم السياسة الأمريكية بآراء أكثر تشدداً فيما يتعلق بالحرب الباردة . وقد أتاحت النهاية الوشيكة للحرب الكورية ، ووفاة ستالين ، وما يبدو من تضاؤل اهتمام الاتحاد السوفيتى بانتهاج سياسة التوسع صوب الجنوب ، للولايات المتحدة حرية أكبر للتحرك فى المنطقة .(٦٨) كذلك فإن الاحتياج إلى اختيارات سياسية متشددة تتعلق بإيران أصبح أيضا أكثر إلحاحاً . وعندما تولت الإدارة الجديدة مسئولياتها ، تدهور الوضع الداخلى فى إيران بسرعة حيث

(*) كلمة شفرية استخدمها السفير ومعناها الانقلاب . (المترجم)

أخذ مصدق يطبق إجراءات ديكتاتورية ، وبدأ يحاول مغازلة السوفيت ، كما أنه رفض الاقتراح الدبلوماسى الذى أعدته إدارة ترومان أو شعر بأنه عاجز سياسياً عن قبوله . وفى ربيع وصيف عام ١٩٥٣ بدا أن الوقت قد نضج لمحاولة « إنقاذ » إيران .

بيد أنه على الرغم من أن قرار التحرك فى إيران قد اتخذ بواسطة ايزنهاور ، إلا أن إدارة ترومان هى التى صاغت المقدمات السياسية القائمة على تحليل دقيق والتى تصرف على أساسها . وفى ربيع عام ١٩٥١ كان مجلس الأمن القومى الأمريكى قد حدد الشاه باعتباره محطّ المساندة الأمريكية ومحور الأمل فى إيران مستقرة . واستبعد مجلس الأمن القومى فى الوثيقتين ١٠٧/٢ و ١٣٦/١ « فقدان » إيران ، وأقر تفويضاً بالقيام بعمليات عسكرية أو سياسية إذا أخفقت الجهود الدبلوماسية . وبحلول ربيع عام ١٩٥٣ ، فشلت كل هذه الجهود واستمر تدهور الموقف فى إيران .

وكانت أمام ايزنهاور خيارات قليلة وهو ينفذ سياسة إدارة ترومان فى إيران . وبدا أن حلاً دبلوماسياً مستحيل مادام مصدق إما غير راغب فى التوصل إلى أى اتفاق يُعتبر معقولاً من وجهة نظر الأمريكيين أو البريطانيين ، أو غير قادر على ذلك . وبسبب وجود المعاهدة السوفيتية - الإيرانية لعام ١٩٢١ ، فإن تدخلا عسكريا أمريكيا كان ينطوى على مخاطرة بإشعال حرب عالمية . وخشيت الإدارة من أن يؤدى استمرار الجمود إلى تهيئة الظروف للتدهور إلى الدرجة التى تفقد فيها الحكومة فى طهران السيطرة على زمام الموقف ، سواء نتيجة انقلاب داخلى أو نتيجة انهيار السلطة المركزية . وهذا هو نفس ما كانت تخشاه إدارة ترومان السابقة . ومن ناحية أخرى ، فإن القوى الطاردة بعيداً عن المركز يمكن أن تؤدى إلى تمزيق إيران وربما إشعال حرب أهلية . وعندئذ سيتلقى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى طلبات للمساعدة . وستضطر الولايات المتحدة فى تلك الحالة إلى أن تقف مكتوفة الأيدى وهى تشاهد الاتحاد السوفيتى يتحرك إلى داخل إيران ، أو تتدخل هى نفسها وتخاطر بإشعال حرب عالمية ثالثة .(٦٩) وبالنسبة للإدارة الأمريكية ، ظهر أن الانقلاب هو الطريق الذى تسير فيه حيث إنه ينطوى على الحد الأدنى من المخاطرة .(٧٠)

وكان هناك عامل آخر من العوامل المركزية وراء قرار إدارة ايزنهاور بممارسة عمل سياسى فى إيران ، وهو اقتناعها بأن مصدق كان يخسر التأييد داخل إيران ، وأن الشاه لو كان أكثر قوة لربما استطاع بالفعل خلع مصدق من السلطة فى نهاية الشتاء . وافترض مخططو الانقلاب الأنجلو - أمريكى ، بحق ، أن الشاه لا يزال يتمتع بقدر معقول من التأييد فى إيران ، غير أنه سيرفض التصرف إلا إذا أمسكت الولايات المتحدة بيده لكى يتعلق بها .(٧١) وكما كتب كيرميت روزفلت فيما بعد : « لو أن تحليلنا للموقف كان خاطئا لسقطنا ممددين على الأرض منبطحين على .. على وجوهنا . »(٧٢)

وتدين عملية « أجاكس » - الاسم الكودى للانقلاب - بنجاحها ، إلى حد كبير ، لحجم ما تبقى من شعبية الشاه ، وانعدام شعبية مصدق فى المقابل .(٧٣) وفى مساء يوم ١٥ أغسطس ، تم إجهاض المرحلة الأولى للانقلاب المخطط عندما ألقى أنصار مصدق القبض على قائد الحرس الامبراطورى بعد أن قام بتسليم الفرمان الذى أصدره الشاه بإبعاد رئيس الوزراء عن السلطة .(٧٤)

وفى تلك الأثناء كان الشاه قد هرب من البلاد (وفقاً للخطة الموضوعة) ، واتجه إلى العراق ثم إلى روما ، وهو مكان أبعد ، إلى حد ما ، عن طهران مما كان مخططاً له فى الأصل . وبدا الموقف فى العاصمة الإيرانية كئيبا بدرجة ما . وفى السابع عشر من أغسطس ، نزل أنصار مصدق إلى الشوارع في استعراضات حماسية مناوئة للملكية ، ومنهم غوغاء من اتباع حزب توده ظاهريا وقيل إنهم من مأجورى وكالة المخابرات المركزية الأمريكية .(٧٥) غير أن مصدق تردد خوفا من الإفراط فى الاعتماد على أنصاره الأكثر حماسة : حزب توده . واستغلت القوات الموالية للشاه الوقت لكى تعيد تنظيم صفوفها ، ونشرت نسخاً من الفرمان الملكى بإقالة مصدق وتعيين الجنرال زاهيدى كرئيس للوزراء . وفى صباح يوم ١٩ أغسطس ، نزل المتظاهرون الموالون للشاه إلى الشوارع وتغلبوا على الغوغاء من أنصار مصدق وحزب توده على السواء .(٧٦) وكتب وود هاوس يقول : « فى الحقيقة ، وربما لأول مرة ، فإن أسلوب الشيوعيين فى التظاهر التلقائى قد استخدم بنجاح ضدهم وانقلب عليهم . »(٧٧) والنتيجة التى توصل إليها تقييم بريطانى عقب الانقلاب هى :

« الاعتقاد السائد هو أن نجاح الانقلاب يرجع إلى أنه تم التخطيط له بصورة جيدة ، وأنه تمت المحافظة على سرية الخطة ، وجرى اعتماد كمية كبيرة من الأموال لتنفيذها ..

وكان الشعور العام فى طهران بين الشخصيات ذات النفوذ هو الابتهاج لأن الولايات المتحدة كان ينبغى أن تهب لإنقاذ البلاد فى الوقت الذى كان فيه الدكتور مصدق يوشك على تسليمها إلى حزب توده . وكان هناك اتفاق عام على أنه لولا المساعدة والتوجيه الأمريكيين ، ولولا المساهمة المالية للولايات المتحدة وتشجيعها للشاه لكى يقاوم المزيد من الإذلال ، لما كانت قد نجحت خطة الإطاحة بحكومة مصدق . ولسوء الحظ فإنه بدا أن تلك الشخصيات ذات النفوذ كانت تعتبر المساندة الأمريكية شيئاً إلزامياً ومستمراً سوف يجعلهم دائماً يحتمون وراءه ويواصلون ، كما كان الحال فى الماضى ، مسلكهم السابق دون توجيه أى عناية حقيقية للاحتياجات الأساسية للبلاد . »(٧٨)

كان الانقلاب الإيرانى حدثاً فاصلا فى الشئون الإيرانية ـ الأمريكية . وتسبب التورط الأمريكى فى إثارة غضب عميق لدى هؤلاء الذين عارضوا الشاه فى عام ١٩٥٣ وسيعارضونه طوال الأحقاب التالية .(٧٩)

ومع ذلك فإن جيمس بيل أحد الخبراء فى الشئون الإيرانية يكتب قائلا :

« إن التدخل الأمريكى فى ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ لم يقرر مسار الأحداث الثورية فى ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ . ورغم أن صورة أمريكا قد تلطخت بشدة بسبب تحركاتها ضد مصدق ، إلا أنه كانت لدى الولايات المتحدة فرص عديدة لإعادة التفكير ومراجعة سياستها تجاه إيران الخاضعة للشاه خلال ربع القرن الذى سبق الثورة . »(٨٠)

ويكتب هوما كاتوزيان ، مؤلف أحدث كتاب عن تاريخ حياة مصدق ، ليقول « إن متاعب إيران فيما بعد ترجع بدرجة كبيرة إلى الديكتاتورية (الحكم الاستبدادى فيما بعد) ، والفساد ، والقيادة السياسية الضعيفة أكثر مما ترجع إلى التدخلات الشريرة فى شئونها الداخلية بواسطة الدول الأجنبية . »(٨١) حقاً ، لقد كان أمام الشاه خمسة وعشرون عاما وكانت أمامه فرص وفيرة لكى يبرهن على أنه حاكم مقتدر .

ولكن أكثر الجوانب أهمية فى « عملية أجاكس » هو أنها كانت الإشارة لانتهاج الولايات المتحدة لسياسة جديدة تجاه إيران والخليج العربى ، وهى سياسة لم تشتمل فقط على « عمل سياسى » لإنقاذ الشاه ، وإنما اشتملت أيضا على اتخاذ قرار بتقديم دعم سياسى واقتصادى وعسكرى أكبر . وكتب وزير الخارجية جون فوستر دالاس يقول :

« إننا نعتقد أن باستطاعتنا ، إذا تم انتهاز الفرصة الحالية ، الإفادة من الوضع المواتى القائم فى إيران وإحراز تقدم كبير نحو تحقيق تعاون أوثق بين إيران وجيرانها فى عالم حر ، وتغييرها بحيث تتحول من نقطة ضعف إلى رصيد إيجابى فى منطقة الشرق الأوسط .(٨٣)

وأنقذ قرار استخدام العمل السياسى فى إيران أيضا العسكريين الأمريكيين من الاضطرار إلى مواجهة مصاعب العمليات فى منطقة الخليج العربى . ولم تلعب القوات العسكرية للولايات المتحدة دوراً فى الانقلاب ، واللافت للنظر أن ذلك سرى على « قوة الشرق الأوسط » التابعة لبحرية الولايات المتحدة فى منطقة الخليج ، وهى ملاحظة جديرة بالاهتمام . بل إن الولايات المتحدة لم تعزز « قوة الشرق الأوسط » فى الشهور السابقة على عملية « أجاكس » . واتخذت مشاركة القائد العام للقوات البحرية وشرقى الأطلسى والبحر المتوسط شكل إعداد خطط الطوارىء فى حالة ما إذا فشل الانقلاب وأصبح التدخل ضروريا ، لمساندة الشاه ، أو فى حالة تحرك سوفيتى إلى داخل إيران .

ومع ذلك ، فإنه ما إن بدأت عجلة أحداث منتصف أغسطس تدور فى طهران حتى طلبت إدارة ايزنهاور من العسكريين بحث القيام بدور أكبر فى المنطقة . وفى التاسع عشر من أغسطس ، ومع بداية المرحلة الثانية من الانقلاب ، أصدر مجلس الأمن القومى الأمريكى توجيها إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية لدراسة الردود العسكرية الممكنة ـ والتى تتجاوز فى مداها الردود التى حددتها هيئة الأركان فى الوثيقة ١٧١٤/٥٠ ـ لمساندة الشاه فى حالة فشل الانقلاب أو فى حالة وقوع انقلاب مضاد . ومنذ الشهور الأخيرة لإدارة ترومان ، كان مجلس الأمن القومى ، على خلاف هيئة رئاسة الأركان المشتركة ، مستعداً لمواجهة مخاطرة تدخل سوفيتى فى إيران . والآن ، مع انتهاء الحرب الكورية ، ومع وجود قيادة جديدة فى هيئة الأركان المشتركة ، كان العسكريون أكثر استعدادا لدراسة مثل هذه الخطط للطوارىء .(٨٤)

ومع نهاية العام ، وضعت هيئة رئاسة الأركان المشتركة خطة لعملية تشترك فيها عدة أسلحة ، وتقوم على الاستعانة ، فى غضون عدة أشهر ، بقوات منتشرة فى جميع أنحاء العالم لحشد قوة عسكرية أمريكية ضخمة فى الخليج العربى .(٨٥) ولحسن الحظ فإن نجاح الانقلاب جعل التدخل غير ضرورى .

وطبعت إدارة ايزنهاور ـ كما أظهرت فى إيران ـ الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط بطابع أكثر نشاطا ، وجاءت بتصور مختلف إلى حد ما عن تصور بريطانيا المقترح لمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط . واعترف وزير الخارجية جون فوستر دالاس بأن العديد « من دول الجامعة

العربية مستغرقة بشدة فى مشاحناتها مع إسرائيل أو بريطانيا العظمى أو فرنسا إلى حد أنها لا تبالى إلا قليلا بتهديد الشيوعية السوفيتية » . ولكن دالاس ، الذى كان قد عاد لتوه من جولة فى المنطقة ، قال إنه قد وجد « قلقا أكثر فى الدول التى يقع الاتحاد السوفيتى على مقربة منها . وبوجه عام ، فإن الدول الواقعة فى شمال المنطقة تبدى إحساساً بالخطر . »(٨٦) ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ركزت السياسة الأمريكية على هذه الدول : تركيا وإيران والعراق وباكستان ، فى محاولة لتعزيز الاتجاه إلى إقامة ترتيبات أمنية شرق أوسطية تعتمد على تلك الدول .(٨٧)

وفى البداية لم تكن سياسات إدارة ايزنهاور فى الشرق الأوسط تعكس كثيراً تحولاً رئيسياً فى الاتجاه بقدر ما كانت تعبر عن قيادة أكثر ديناميكية للولايات المتحدة فى المنطقة وفى داخل إطار العلاقة الأنجلو - أمريكية .(٨٨) وقبل عام ١٩٥٣ بوقت طويل ، ركزت الولايات المتحدة على « طوق خارجى » للدفاع عن الشرق الأوسط - على سبيل المثال تركيا وإيران فى عان ١٩٤٦ - ولكنها نزلت عند رغبة بريطانيا لأن الأمريكيين كانوا غير مستعدين لتقديم القوات الضرورية للدفاع عن مثل هذا الخط .(٨٩) على أن التركيز البريطانى المفرط على مصر أو تسلط مصر على تفكير بريطانيا ، الأمر الذى اعتبره الأمريكيون تطبيقاً لمفهوم « الطوق الداخلى » ، أصبح قضية عقيمة بحلول عام ١٩٥٣ . فقد رفضت حكومة عربية ذات توجه قومى قوى للغاية فى القاهرة أن تصبح طرفا فى أى اتفاقية تخدم تحديداً المصالح الغربية ، وعلاوة على ذلك فإن الاتفاقية تضم دولاً غير عربية مثل بريطانيا والولايات المتحدة وإيران وتركيا . وفى مصر وفى إيران على السواء ، لم تحقق السياسات البريطانية إلا القليل ما عدا ما يتعلق بالنفخ فى لهيب النيران القومية .(٩٠) وهكذا ، ففى أواخر عام ١٩٥٣ لم يكن أمام إدارة ايزنهاور سوى اختيارات محدودة منها القيام بدور أكثر فاعلية فى الشرق الأوسط .(٩١) ومع استقرار الشاه ظاهريا فوق عرشه ، وتحرر العسكريين الأمريكيين من محنة الحرب فى كوريا ، انتهجت الولايات المتحدة سياسة تطبيق مفهوم « الطوق الخارجى » للدفاع عن الشرق الأوسط .(٩٢)

وسرعان ما أتت سياسة الولايات المتحدة الأكثر عدوانية فى الشرق الأوسط ثمارها . ففى ٢٤ فبراير عام ١٩٥٤ ، وقّعت تركيا والعراق اتفاقية أمن ثنائية ، هى حلف بغداد . وانضم إلى الحلف كل من بريطانيا العظمى فى ابريل ١٩٥٤ ، وباكستان فى سبتمبر ١٩٥٥ ، وإيران فى أكتوبر ١٩٥٥ . ولم توقع الولايات المتحدة التى شاركت فى لجان الحلف المتعددة ، الاتفاقية قط ، ولكنها لعبت دوراً حاسماً بتقديم المساعدة العسكرية اللازمة .

ومن الناحية التاريخية ، فقد اعتبر حلف بغداد نسخة رخيصة من حلف الأطلسى ، وهو القوة السياسية والعسكرية التى لم يبلغها قط تحالف الشرق الأوسط . وظل حلف بغداد تجمعاً فضفاضاً من دول يفتقد الكثير منها الاستقرار الداخلى ، وتنظر إلى الحلف ، أساساً ، كوسيلة للحصول على الأسلحة الغربية التى كانت تعد ضرورية لضمان الأمن الداخلى ولتعزيز مراكزها داخل الشرق الأوسط . ويرى بعض منتقدى السياسة الأمريكية أنه فى مقابل تحسين هامشى فى قدرة تلك الدول على الدفاع عن المنطقة ، فإن الولايات المتحدة - بهذه السياسة - جعلت الخلافات الداخلية فى الشرق الأوسط تتفاقم ، كما جعلت الضغط السياسى المحلى يزداد ضد الحكومات الموقعة على الانضمام

إلى الحلف من جانب الجماعات القومية والمناهضة للغرب ، إلى جانب أن سياسة الولايات المتحدة أدت إلى تسهيل وتسريع التغلغل السوفيتى فى الشرق الأوسط . وعلى سبيل المثال ، فإن الانقلاب الذى قاده القوميون فى يوليو عام ١٩٥٨ فى العراق - الدولة العربية الوحيدة العضو فى الحلف - أخرج بغداد من الحلف وفتح الطريق إلى قلب الشرق الأوسط أمام السوفيت .

ولكن الولايات المتحدة اعتبرت أن حدوث غزو سوفيتى مباشر هو احتمال غير وارد ، ولم تتوقع قط أن حلف بغداد سيحقق تحسناً جوهريا فى الدفاع الإقليمى ، والأكثر يقيناً أنها لم تتوقع أن يصبح الحلف صيغة شرق أوسطية لحلف الأطلسى . وانتهى بيان سياسى لمجلس الأمن القومى إلى النتيجة التالية :

« فى الشرق الأدنى لا ينبع الخطر الحالى على أمن العالم الحر بدرجة كبيرة من التهديد بهجوم عسكرى سوفيتى مباشر بقدر ما ينبع من استمرار الاتجاهات الراهنة غير المواتية . وما لم يتم تحريك هذه الاتجاهات فى مسار معاكس ، فإن الغرب يمكن أن يفقد الشرق الأدنى فى غضون السنوات القليلة القادمة . »(٩٣)

وتعلق صناع السياسة الأمريكيون بأمل عكس مسار هذه الاتجاهات عن طريق رفع معنويات دول الشرق الأوسط ، وعن طريق تقوية المشاعر الموالية للغرب أينما وجدت . ولاحظت ورقة طرحتها مجموعة عمل من وزارتى الخارجية والدفاع فى ابريل ١٩٥٢ :

« أن الولايات المتحدة تؤيد إقامة « منظمة قيادة الشرق الأوسط » اعتقاداً منها بأن مثل هذه المنظمة قد تسهم مساهمة مبكرة فى تعميم الاستقرار السياسى لمنطقة الشرق الأوسط التى تتصف بأهمية حيوية ، وقد تزيد من قدرة المنطقة فى المدى الطويل على مقاومة العدوان السوفيتى . »(٩٤)

واعترف بول نيتز بصراحة تامة بأن « منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ستكون « فى مراحلها الأولى مجرد منظمة على الورق . »(٩٥) وأشار « تقدير للمخابرات القومية » فى ٢٢ يونيو ١٩٥٤ إلى أن « الآثار المباشرة لتجمع دفاعى إقليمى فضفاض يقوم على أساس الاتفاقية التركية – الباكستانية وتدعمه برامج المعونة العسكرية الأمريكية ، ستكون فى المقام الأول آثاراً سياسية وسيكولوجية وليست عسكرية . »(٩٦) وعلق شاه إيران ذات مرة قائلا : « إن حلف السنتو – المركزى – لم يكن قط شيئاً جدياً فى حقيقة الأمر ، كما تعلمون . »(٩٧)

وربما كان أقصى ما يمكن التسليم به بشأن تأثير حلف بغداد هو أنه حلقة اتصال غير مباشرة ، من خلال مشاركة تركيا ، لحلف الأطلسى فى الدفاع عن الشرق الأوسط .(٩٨) وفى الحقيقة فإن الدبلوماسيين الأمريكيين فى أوروبا الغربية بذلوا جهدا واعيا للتقليل من أهمية هذه الصلة .(٩٩) أما بالنسبة للمخططين السوفيت ، فإن حقيقة أن حرباً شرق أوسطية يمكن أن تقود إلى صدام عسكرى مع ثلاث دول أعضاء فى حلف الأطلسى – بريطانيا والولايات المتحدة وتركيا – جعلت التخطيط معقداً بكل تأكيد .

ونظراً لأن السياسة الأمريكية استهدفت فى المحل الأول الحصول على مكاسب سياسية وليست عسكرية من « منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ، ونظراً لأن الولايات المتحدة أصيبت باليأس

فى سعيها لإغراء الدول العربية بالانضمام إلى تجمع دفاعى موال للغرب ، فإن حلف بغداد استطاع أن يبقى بعد الانقلاب العراقى فى عام ١٩٥٨ . وهذا الحلف ، الذى أطلق عليه اسم جديد هو « منظمة المعاهدة المركزية » (السنتو) فى الخامس من مارس عام ١٩٥٩ ، وكان يشمل وقتذاك الدول الإسلامية – ولكن غير العربية – تركيا وإيران وباكستان ، استطاع أن يبقى عشرين سنة أخرى بفضل عضوية بريطانيا والمساعدة الأمريكية السياسية والاقتصادية والعسكرية .

ومع أن التوقعات الأمريكية بالنسبة لحلف « السنتو » فى المجال العسكرى ، كانت متواضعة ، فإن التحالف بقى كما كان ، إطاراً عملت الولايات المتحدة فى داخله على تحسين القدرات الدفاعية لدول الصف الشمالى . واستهدفت برامج المعونة المنسقة ، كتلك التى قدمت إلى اليونان وتركيا فى ظل مبدأ ترومان ، تدعيم الأمن الداخلى والإقليمى والخارجى لتركيا وإيران وباكستان .

ولم يكن حلف بغداد – السنتو بديلاً عن دور سياسي وعسكرى أمريكى نشيط فى الدفاع عن الشرق الأوسط . وبينما حقق الحلف تحسناً هامشيا فى آفاق الدفاع الإقليمى ، فإنه كما اتهمه النقاد زاد من حدة التوترات داخل المنطقة . وعلى سبيل المثال ، فإن الرئيس المصرى عبد الناصر اعتبر الحلف مجرد الخطوة الأولى فى مخطط غربى لعزل بلاده ، وندد بالاتفاقية ـ الحلف ـ باعتبارها « شكلاً جديداً للإمبريالية ... يهدف إلى وضع الشعب العربى كله فى السجن » ، على حد ما ذكره جورج آلان مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وإفريقيا .(١٠٠)

ووصلت حملات عبد الناصر على حلف بغداد إلى مستوى عال من التصعيد فى عام ١٩٥٦ مع وصول الأزمة حول قناة السويس إلى ذروتها . وتحول عبد الناصر ، نصير العروبة اليائس من الحصول على مساعدة اقتصادية وعسكرية مرفوضة من الغرب ، إلى الكتلة الشيوعية طلباً للمساندة ، وأصبح معادياً للغرب بصورة متزايدة فى خطبه الطنانة . وفى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ ، أعلن تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، باعتبارها « صرحا للإذلال . »(١٠١) ولم تحرز المفاوضات لحل النزاع تقدماً يذكر .(١٠٢)

وكسر الإسرائيليون حالة الجمود الدبلوماسى التى أعقبت تعثر المفاوضات ، وذلك فى يوم ٢٩ أكتوبر عندما هاجموا المصريين فى سيناء واتجهوا غرباً نحو القناة . أما البريطانيون والفرنسيون ، الذين كانوا هم أنفسهم يخططون ويعدون العدة للتدخل منذ شهر أغسطس ، والذين كانوا قد اتفقوا فيما قبل على التعاون مع الإسرائيليين ، فقد وجهوا على الفور إنذارا بوقف إطلاق النار يدعو لانسحاب إسرائيلى ومصرى على السواء ولاحتلال أنجلو – فرنسى مؤقت لمدن بورسعيد والاسماعيلية والسويس . وفى ٣٠ أكتوبر ، عقب الرفض المصرى المتوقع والمرغوب فيه للإنذار بدأت فرنسا وبريطانيا العظمى عملياتهما العسكرية ضد مصر بقصف المنشآت الحربية والاستيلاء على حوالى أربعين فى المائة من منطقة قناة السويس .

وتجاوب صناع السياسة الأمريكيون ، الذين كانوا يتابعون الموقف عن كثب ، بسرعة إزاء العدوان الأنجلو – فرنسى . وكان رؤساء الأركان المشتركة قد أعلنوا فى شهر أغسطس أن الولايات المتحدة ينبغى أن تؤيد بريطانيا العظمى وفرنسا سياسياً وتعبويا إذا هاجمتا مصر .(١٠٣)

وذهب الأميرال آرثر رادفورد رئيس هيئة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى إلى أن هذا السبيل سيمنع اتساع نطاق الحرب ، وهو احتمال كان يخشاه لأنه قد يؤدى إلى انفجار كبير فى الخليج العربى ، وهو منطقة حساسة لمساندة العمليات العسكرية للولايات المتحدة فى الشرق الأقصى .(١٠٤) ولكن فى الوقت الذى أعرب فيه كل من الرئيس ايزنهاور ووزير الخارجية دالاس عن تفهمهما للمأزق الذى وجد الزعماء البريطانيون والفرنسيون أنفسهم فيه ، فإنهما لم يبديا ميلاً للانحياز ضد مصر لحسم الصراع . وبينما كان ايزنهاور ودالاس يتلهفان على التقليل من نفوذ عبد الناصر فى العالم العربى ، فإنهما اعتقدا أن النزاع على قناة السويس ليس هو القضية التى تدور حولها المجابهة مع الرئيس المصرى .(١٠٥) وطبقت الإدارة الأمريكية موقفها المتوازن غير المتحيز بجدية إلى حد أنها كانت قد بدأت فى يونيو عملية أسمتها « الجَلْد بالسياط » ، ومؤداها أن ترابط سفن فى شرقى البحر المتوسط محملة بالأسلحة التى يمكن تسليمها إلى ضحية العدوان سواء كانت إسرائيل أو دولة عربية مجاورة .(١٠٦) ولم يكن مما يثير الدهشة أنه عندما بدأت الحرب ، فرضت الولايات المتحدة ، من خلال الأمم المتحدة ، وقفاً لإطلاق النار وانسحابا كاملاً من الأراضى المصرية .

كان قرار إدارة ايزنهاور بعدم تأييد الغزو الأنجلو ـ فرنسى ـ الإسرائيلى هو الضربة القاضية لعملية كانت تعتبر حتى فى ذلك الوقت كارثة كاملة . وكما كتب السير ديفيد لى قائد السلاح الجوى البريطانى المتقاعد فى كتابه عن تاريخ « السلاح الجوى الملكى فى البحر المتوسط » فى فترة مابعد الحرب قائلا : « إنه من المستحيل الرجوع إلى الوراء وتقييم التدخل الأنجلو ـ فرنسى فى مصر دون التوصل إلى استنتاج أنه كان فشلاً ذريعا . »(١٠٧) وبقى عبد الناصر فى مكانه ، وظلت القناة ـ التى لم يتم تأمينها من الخطر بأى حال ـ مغلقة لشهور بعد الحرب وفى أيدٍ مصرية . وانهارت مكانة بريطانيا فى كل أنحاء الشرق الأوسط . وكتب ديفيد بن جوريون رئيس الوزراء الإسرائيلى فى يومياته : « شارك ستون ألف جندى بريطانى وثلاثون ألف جندى فرنسى فى الحملة الأنجلو ـ فرنسية ، كما شاركت ١٢٠٠ طائرة نفاثة وثلثا البحرية البريطانية العاملة . ولو كانوا فقط قد عينوا قائداً من عندنا على هذه القوات لكان قد أمكن تحطيم عبد الناصر فى يومين . »(١٠٨) وحتى الوزير الأمريكى دالاس ، الذى كان يتعافى من جراحة للسرطان بمستشفى والتر ريد ، ابلغ ايزنهاور بما يلى :

« مادام البريطانيون قد ذهبوا إلى هناك ، فإنهم ما كان ينبغى أن يتوقفوا قبل الإطاحة بعبد الناصر . أما وقد حدث ما حدث ، فإنهم الآن يواجهون موقفين كلاهما مر . فقد وقعت على كاهلهم كل ذنوب الإقدام على الخطوة التى أقدموا عليها ، وفى نفس الوقت فإنهم لم يحققوا غرضهم الرئيسى . »(١٠٩)

وأثار الهجوم الأنجلو ـ فرنسى ـ الاسرائيلى (كما كان صناع السياسة الأمريكيون يتوقعون ويخشون) ردود فعل عنيفة فى أرجاء العالم العربى . ونظراً لأن الولايات المتحدة ساندت دعوات الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار والانسحاب ، ورفضت تأييد « استخدام القوة كوسيلة حكيمة وملائمة لتسوية المنازعات الدولية » فقد تحاشت بدرجة كبيرة الغضبة العربية .(١١٠)

ومع ذلك فإن رد الفعل المضاد لبريطانيا فى الشرق الأوسط كشف عن عمق المشاعر العربية ، واستعداد العرب لاستخدام النفط كسلاح ضد الغرب ، كما أظهر الانعكاسات الممكنة للأحداث التى وقعت فى أماكن أخرى فى الشرق الأوسط على الخليج . فقد قام السعوديون بتعبئة قواتهم المسلحة ، وشرعوا فى تدريب متطوعين ، وقطعوا العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا ، ومنعوا تزويد السفن البريطانية والفرنسية بالوقود فى الموانىء السعودية ، وحظروا تصدير شحنات النفط إلى كلتا الدولتين . واندلعت الاضطرابات والمظاهرات فى الكويت والبحرين اللتين كانتا لا تزالان محميتين بريطانيتين . وعلى مدى تسعة أيام ، قام البحرينيون بأعمال شغب فى المنامة والمحرق ، حيث هاجموا الرعايا البريطانيين وكذلك بضعة أمريكيين تعساء الحظ ودمروا ممتلكاتهم . وتحول توقف العمال عن العمل فى شركة البترول البحرينية بسرعة إلى إضراب عام . ومع تدهور الموقف ، نقلت بريطانيا قوات بطريق الجو إلى البحرين .(١١١) وبينما كانت المظاهرات فى الكويت أقل عنفاً إلى حد ما ، فإن انعكاسات مسألة السويس ظلت باقية لفترة أطول . وقام العرب بتخريب حقول ومرافق النفط التى يملكها البريطانيون ويتولون إدارتها ، وفرضوا مقاطعة الشركات البريطانية لمدة استمرت لشهرين .(١١٢)

وأدت مسألة السويس إلى أزمات أعمق فى الشرق الأوسط . فقد زاد فشل الهجوم الأنجلو ـ فرنسى من شرعية وبأس القوى الناصرية المعادية للغرب ، كما أدى إلى إقامة الجمهورية العربية المتحدة ، التى تضم مصر وسوريا ، برئاسة عبد الناصر فى ٢١ فبراير عام ١٩٥٨ . أما تلك الدول العربية التى استمرت تقاوم دعوة ناصر للقومية العربية ـ وخاصة العراق والمملكة العربية السعودية والأردن ولبنان ـ فقد وجدت نفسها على الفور تحت تهديد قوى داخلية وخارجية .

وكان الموقف فى العراق أكثر حرجاً . فقد لحقت بالعراق خسائر اقتصادية كبيرة نتيجة لأزمة السويس .(١١٣) ذلك أن سوريا كانت قد أغلقت خط أنابيب النفط الذى يمر عبر أراضيها من العراق إلى البحر المتوسط ومنه إلى الغرب . وبإغلاق قناة السويس أيضا انخفضت عائدات النفط العراقية ، ووجد فيصل ملك العراق ، وهو زعيم موال للغرب ، نفسه معزولا وضعيفاً . ولقيت محاولات فيصل لإقامة تجمع مضاد من الدول العربية نجاحا محدودا تمثل فى إقامة اتحاد فيدرالى عربى عراقى ـ أردنى فى ١٤ فبراير عام ١٩٥٨ لم يكتب له البقاء طويلا .(١١٤)

وكشفت مسألة السويس عن المأزق الاستراتيجى الأمريكى فى الشرق الأوسط . ذلك أن التأييد لبريطانيا كان سيلهب المشاعر المناهضة للغرب ، بينما التأييد للحركات القومية كان سيقوض مركز بريطانيا ، وهى الدولة المسئولة عن الدفاع عن المنطقة . وكان البديل الواضح هو أن تلعب الولايات المتحدة ذاتها دوراً أكبر فى الشرق الأوسط ، وليس مجرد دور سياسى وإنما دور عسكرى أيضاً . وفى ضوء هذا الفهم وجد ايزنهاور نفسه ، بعد أزمة السويس وبعد أن استشعر حقيقة الوضع المتدهور فى المنطقة ، بإزاء مواقف محتملة يبدو فيها أن التدخل السياسى أو العسكرى الأمريكى هو أفضل الوسائل لحماية المصالح الغربية . وبدأت الولايات المتحدة أيضا إعادة تقييم للسياسة الأمريكية مرة أخرى ، الأمر الذى أسفر عن تطوير مبدئى لقدرة القوات العسكرية على القيام بعمليات واسعة النطاق فى الشرق الأوسط .

والمؤشر الأول لهذا الاتجاه الجديد فى السياسة الأمريكية ، كما تم إقراره فى النهاية فى ٥ مارس عام ١٩٥٧ فى صورة قرار مشترك لمجلسى النواب والشيوخ ، كان « مبدأ ايزنهاور » الذى يكفل زيادة المساعدة الاقتصادية والعسكرية :

« علاوة على ذلك ، فإن الولايات المتحدة تعتبر المحافظة على استقلال ووحدة أراضى دول الشرق الأوسط أمراً حيوياً لمصالحها القومية وللسلام العالمى . ومن أجل هذا الهدف ، فإذا حدد الرئيس أن ثمة ضرورة تستدعى ذلك ، فإن الولايات المتحدة مستعدة لاستخدام القوات المسلحة لمساعدة أى دولة أو مجموعة من الدول تطلب المعاونة ضد عدوان مسلح من أى دولة خاضعة لسيطرة الشيوعية الدولية : شريطة أن يكون نشر هذه القوات متوافقاً مع التزامات المعاهدات التى تكون الولايات المتحدة طرفا فيها ومع دستور الولايات المتحدة . »(١١٥)

وبدأت الولايات المتحدة أيضا فى إعادة تقييم خططها العسكرية للمنطقة . وقد استهدفت الخطة رقم ١ ـ ٥٧ للدفاع المشترك عن الشرق الأوسط فى مايو ١٩٥٧ مواجهة احتمال تحرك سوفيتى فى المنطقة بدون توسيع الهيكل القائم للقوة الأمريكية . وبذلك فإن « دفاعا استراتيجياً » أمريكياً عن الشرق الأوسط سيحمى « الجناح الأيمن لحلف الأطلسى ، ومواقع القواعد الجوية ، والمضايق التركية ، وشرقى البحر المتوسط ، ومنطقة القاهرة ـ السويس ـ عدن ، والخليج العربى ، والمنطقة الغنية بالنفط الملاصقة له . » وتبعا لمسار الأحداث فى الأماكن الأخرى ، فإن قوات برية وجوية وبحرية كبيرة ستتحرك إلى منطقة الخليج ـ المحيط الهندى حيث توضع تحت إمرة « القائد العام للشرق الأوسط » الذى تعينه هيئة رئاسة الأركان المشتركة الأمريكية .(١١٦)

وأثناء أزمة السويس ، وضعت هيئة رئاسة الأركان المشتركة خطط طوارىء لإرسال قوات برية من ألمانيا بسرعة إلى الخليج العربى فى حالة التصعيد .(١١٧) وعقب الأزمة بدأ الجيش تشكيل قوة احتياط فى الولايات المتحدة قادرة على الانتشار فيما وراء البحار ، وقام فى عام ١٩٥٨ بتشكيل فيلق الجيش الاستراتيجى للولايات المتحدة ، وهو عبارة عن مقر قيادة للتحكم فى كل أرصدة القوة ، ومنها الفرقة ٨٢ المحمولة جواً والتى لم تكلف من قبل بأية مهام فى ظل الخطط القائمة بمسرح عمليات محدد فى وقت الحرب .

ولم تكن هذه الاستعدادات قد اكتملت تماما ، عندما لاحظت الولايات المتحدة بقلق متزايد ، فى ربيع وصيف عام ١٩٥٨ ، المعونة التي تقدمها الجمهورية العربية المتحدة للثوار فى العراق ولبنان والأردن . وبدا الموقف أكثر تهديداً فى لبنان ، حيث انفجرت حرب أهلية فعلية فى شهر مايو ، وأعد العسكريون الأمريكيون بهمة خطط طوارىء لتدخل محتمل .

ولكن أزمة الشرق الأوسط المرتقبة نشأت فى بغداد ، وليس فى بيروت . ففى الرابع عشر من يوليو دبر ضباط الجيش العراقى انقلابا ناجحاً . وتم ذبح الملك فيصل الموالى للغرب وكذلك القيادة السياسية العليا لركيزة المنظمة الدفاعية الإقليمية للشرق الأوسط ـ حلف بغداد ـ بوحشية .

وقد فاجأ الانقلاب إدارة ايزنهاور والعديد من جيران العراق . واستحسن السعوديون والإيرانيون والأتراك ، القيام بتدخل لإسقاط نظام الحكم الجديد . ولكن الولايات المتحدة استبعدت

فى نهاية الأمر مثل هذه الخطوة مع ورود تقارير من بغداد توضح أن مقاومة الملكيين ضئيلة أو معدومة ، وأن الجماهير المعبأة بالمشاعر المعادية للملكية وللغرب والموالية للعروبة قد احتضنت الثورة . كذلك فإن العراقيين حافظوا بذكاء على استمرار تدفق النفط إلى الغرب ، ولم يعمدوا فى الحال إلى تأميم الشركات الأجنبية . وعلاوة على ذلك فإنه لم تكن للولايات المتحدة مصلحة كبيرة فى المخاطرة بحرب أوسع فى الشرق الأوسط ، مع الجمهورية العربية المتحدة ، وعلى الصعيد العالمى ، مع الاتحاد السوفيتى .(١١٨)

ورغم ذلك ، فقد أخذت إدارة ايزنهاور تبحث وسيلة التعبير بقوة عن التصميم الأمريكى الضرورى لإحباط المزيد من التحركات ضد أنظمة حكم أخرى موالية للغرب . وعندما طلب الرئيس اللبنانى كميل شمعون ، بعد ساعات فقط من الانقلاب العراقى ، دعماً عسكرياً أمريكياً - فرنسياً - بريطانياً ، قرر الرئيس ايزنهاور إرسال قوات إلى لبنان . وفى الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ١٥ يوليو - بتوقيت بيروت - وصلت كتيبة من فريق الإنزال تابعة لمشاة البحرية الأمريكية إلى الشاطىء جنوبى العاصمة اللبنانية . وفى السادس عشر من يوليو ، طلب العاهل الأردنى الملك حسين مساعدة بريطانيا العظمى . وفى صباح اليوم التالى بدأ جنود المظلات البريطانيون عملية إنزال فى عمان فى الوقت الذى كانت تقوم فيه طائرات من إحدى حاملات الطائرات التابعة للأسطول السادس بعمليات تحليق استعراضية فوق الضفة الغربية لنهر الأردن .(١١٩) وبقيت القوات الأنجلو - أمريكية فى لبنان والأردن حتى أواخر أكتوبر عام ١٩٥٨ .

ورغم أن الاهتمام تركز على لبنان وشرقى البحر المتوسط ، إلا أن أزمة صيف عام ١٩٥٨ كانت إقليمية فى مداها وعالمية فى طابعها . فقد وضعت الولايات المتحدة قواتها العسكرية فى مراكز القيادة بالمحيط الأطلسى والمحيط الهادى وأوروبا على أعلى درجات الاستعداد والتأهب . وأمر الأميرال أرليه بيرك قائد العمليات البحرية بعد ظهر يوم ١٤ يوليو بأن تظل إحدى مدمرات « قوة الشرق الأوسط » على مقربة من الظهران بالمملكة العربية السعودية . وفى يوم ١٥ يوليو ، تحركت بارجة الأميرال التابعة « لقوة الشرق الأوسط » ، واسمها « خليج جرينتش » فى شمال الخليج العربى إلى مسافة أقرب للكويت . وفى يوم ١٧ يوليو ، أمر قائد « قوة الشرق الأوسط » ، بموافقة قائد العمليات البحرية ، المدمرة « هولدر » فى مضيق تيران عند مدخل خليج العقبة بين مصر والمملكة العربية السعودية ، بأن تتحرك بحيث تكون مرئية من الشاطىء ، على أمل أن تساعد هذه الخطوة على المحافظة على استقرار الموقف . وفى نفس اليوم ، وجّه الأميرال بيرك أوامره إلى قائد أسطول المحيط الهادى بشحن وتسيير كتيبة بحرية من أوكيناوا إلى الخليج العربى . وفى ٢١ يوليو عزز البريطانيون حاميتهم فى البحرين ، التى كانت أيضا القاعدة الرئيسية لقوة الشرق الأوسط التابعة للبحرية الأمريكية ، بألف جندى إضافى .(١٢٠)

ولم يدرك العديد من الأمريكيين فى ذلك الوقت الحكمة من وراء التدخل فى الحرب الأهلية اللبنانية ، كما أن قرار ايزنهاور بإرسال مشاة البحرية إلى هناك لا يزال موضع جدل تاريخى منذ

ذلك الوقت . فقد كانت العملية من نوع عروض الأوبرا الهزلية المضحكة ، حيث كان مشاة البحرية المسلحون يتدافعون عبر شاطىء يزدحم بأناس يستمتعون بحمامات الشمس ويلاحقهم الباعة الجائلون للآيس كريم والمشروبات الغازية . ومما لا شك فيه أن الإدارة بالغت فى تضخيم طبيعة ومدى التهديد الشيوعى فى أنحاء الشرق الأوسط . ويرجع الفضل فى التسوية النهائية فى لبنان بين الفصائل المختلفة ، إلى رباطة جأش هذه الفصائل وإلى الدبلوماسية الأمريكية الفعالة بقدر ما يرجع إلى استعراض العضلات العسكرية للولايات المتحدة .

ومع ذلك فإن تقييماً للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فى صيف عام ١٩٥٨ كان يجب أن يقر بأن إدارة ايزنهاور استندت في قراراتها ليس فقط إلى تصميم على إعادة حكومة تحافظ على النظام إلى لبنان ، وإنما استندت أيضا - وهذا هو الأهم - إلى الافتراض بأن عدم تلبية الولايات المتحدة لدعوة شمعون للمساعدة كان سيجلب عواقب وخيمة على العلاقات الأمريكية بتلك الدول التى كانت لا تزال صديقة للولايات المتحدة . وقد انتظر الملك حسين عاهل الأردن إلى أن وصلت القوات الأمريكية إلى شاطىء لبنان قبل أن يطلب المساعدة من بريطانيا العظمى لحماية عرشه . كذلك فإن الولايات المتحدة لم تكن أكثر غلواً فى التشدد من حلفائها الإقليميين الأكثر أهمية . فقد ساند الأتراك والإيرانيون والسعوديون جميعاً التحركات الأمريكية ، كما أيدوا أيضا التدخل فى العراق .

وبصرف النظر عن الكيفية التى يختار بها المرء تقييم النتائج ، التى يجب الاعتراف بأنها تستحق المناقشة ، فيما يتعلق بعملية لبنان ، إلا أن الدروس التى يمكن استخلاصها من الأزمة أكثر وضوحاً بكثير . الدرس الأول ، أن انقلاب ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ كان مفاجأة وصدمة للعسكريين الأمريكيين والسلك الدبلوماسى الأمريكى وجماعة المخابرات الأمريكية ، رغم وفرة التقارير عن المشكلات الداخلية فى العراق . فجأة تحول بلد كان محور الآمال الأنجلو - أمريكية فى الدفاع الإقليمى ليصبح معاديا للغرب فى توجهاته وسياساته ، الأمر الذى يدفع رئيساً أمريكيا إلى استخدام القوة لحماية المصالح الأمريكية ولإظهار الحزم . وبعد مرور واحد وعشرين عاماً على ذلك ، سيأخذ سقوط شاه إيران ، الذى يرتكز عليه حلف السنتو خليفة حلف بغداد ، الولايات المتحدة على غرة على نحو مشابه ، ويؤدى فى النهاية إلى التزام القوات المسلحة الأمريكية بالعمل فى قلب نزاع يدور بين أطراف إقليمية . والدرس الثانى ، أن استخدام مشاة البحرية فى لبنان كان علامة على التخلى عن سياسة أمريكية سابقة ظلت حتى ١٤ يوليو ١٩٥٨ تعارض إرسال قوات عسكرية إلى الشرق الأوسط . وإلى جانب ذلك فإن الإنزال فى لبنان ، وإقامة « القيادة الجوية الاستراتيجية » ، والجهد الذى قام به مخططو هيئة رئاسة الأركان المشتركة لوضع خطة طوارىء للدفاع عن الشرق الأوسط ، كل ذلك يكشف عن اندفاع إدارة ايزنهاور نحو دور عسكرى أمريكى يتصف بصبغة رسمية أكبر فى الشرق الأوسط . وخلال أزمة لبنان ، كانت الولايات المتحدة - وليست بريطانيا العظمى - هى التى اضطلعت بالدور القيادى على الصعيد السياسى والعسكرى على السواء . والدرس الثالث ، أن تجربة لبنان أبرزت مدى فاعلية قطع البحرية فى الشرق الأوسط ، ليس فقط

كأداة لإدارة الأزمات ، بل أيضا كقوة ملائمة تماما لتلبية احتياجات الطوارىء في المنطقة . وأثناء العملية ، أعاق عدم توافر مرافق هبوط حديثة الجهود لاستخدام طائرات مقاتلة تعمل من قواعد برية كما أعاق في الوقت نفسه نقل القوات بطريق الجو إلى المنطقة ، وأظهرت العملية القيمة الكبرى لحاملات الطائرات ومشاة البحرية الذين يتخذون من السفن قواعد لهم .

وبالنسبة للولايات المتحدة ، ظل الموقف في الشرق الأوسط هادئاً نسبياً لفترة تمتد إلى حقبة تقريبا بعد عام ١٩٥٨ . فلم تواجه إدارة ايزنهاور ولا إدارة كنيدى أزمات تحثهما على استخدام قوات عسكرية أمريكية في المنطقة ، رغم أن الإدارتين على السواء عززتا القدرات العسكرية التقليدية للولايات المتحدة .

ومع ذلك فإن القلاقل الإقليمية ، والنزعة المعادية للغرب وللولايات المتحدة ، وكذلك الناصرية ، والنفوذ الشيوعى المتعاظم ، ظلت كلها تهدد المصالح الأمريكية . واستمر أنصار عبد الناصر بعزم وعناد في محاولاتهم لزعزعة النظام الملكى السعودى . وتدخلت القوات المصرية في الحرب الأهلية في اليمن الشمالى في أوائل الستينات . وردت الولايات المتحدة على ذلك بزيادة المعونة العسكرية للمملكة العربية السعودية ، وشملت هذه المعونة « عملية السطح الخشن » التى جرى خلالها نقل مقاتلات أمريكية إلى الظهران ، والتوسع الشامل في إقامة المرافق العسكرية السعودية وزيادة القوات المسلحة السعودية ، وقد بدأ ذلك في عام ١٩٦٥ .(١٢١) وبفضل هذه الجهود ، حافظت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى على مركزيهما في الشرق الأوسط اللذين كانا على شفا الانهيار في منتصف الخمسينات .

غير أن حالة الأزمة في ١٩٦٧ أفسحت المجال لاضطرابات ومنازعات أهلية . وفي شهرى ابريل ومايو ، تم إرسال سفن « قوة الشرق الأوسط » إلى اليمن للمساعدة على إجلاء المدنيين الأمريكيين . وفي نفس ذلك الوقت ، احتدم التوتر بين إسرائيل والجمهورية العربية المتحدة . وفي ١٦ مايو دعا ناصر إلى انسحاب جزئى لقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة من شبه جزيرة سيناء . ورفض يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة فكرة الانسحاب الجزئى ، ولكنه قبل بطريقة تبعث على الدهشة ، طلب ناصر التالى بالانسحاب الكامل لهذه القوات . وفي ٢٢ مايو ، أعلن عبد الناصر إغلاق مضيق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية ، وهى خطوة اعتبرتها إسرائيل من قبل ذريعة لإشعال الحرب .

ولسوء الطالع ، فإن الولايات المتحدة كانت في عام ١٩٦٧ غارقة لأذنيها ، سياسياً وعسكريا وعاطفياً ، في مستنقع الهند الصينية . إذ كانت إدارة جونسون قد وجهت القدرات العسكرية الأمريكية التقليدية ، التى أدخلت عليها التحسينات ، للحرب في فيتنام . ونظراً لأن إدارة جونسون كانت متورطة بشدة سياسياً وعسكرياً في جنوب شرقى آسيا ، فإنها عجزت عن الاستجابة الفورية والحاسمة للموقف المتدهور بصورة متنامية في الشرق الأوسط . ولم يبدأ جونسون السعى إلى تبنى رؤية متعددة الجوانب لتفادى مواجهة عربية - إسرائيلية أخرى إلا بعد أن أصبحت الأزمة خارج نطاق السيطرة .

ومع ذلك فإنه بسبب توترات سابقة فى اليمن الشمالى واليمن الجنوبى ، كانت القطع الأمريكية التابعة لقوة الشرق الأوسط البحرية للولايات المتحدة الموجودة فى مسرح الأحداث ، تحتشد على مقربة من البحر الأحمر وفى موقع مناسب للتحرك فى حالة نشوب أزمة عربية - إسرائيلية جديدة . وفى الرابع من يونيو انطلقت المدمرة الأمريكية « دايس » بأقصى سرعة لتعزيز القيادة الصغيرة ، ومرت من خلال قناة السويس « فى الوقت المناسب تماما » وقوبلت بصيحات استهجان من جماهير معادية لأمريكا خلال عبورها .(١٢٢) غير أن وجودا بحرياً أمريكياً ضعيفاً لم يكن ليمنع اندلاع الحرب . وفى نفس ذلك اليوم قررت إسرائيل أن توجه ضربتها ، وفى الخامس من يونيو شنت هجوماً على مصر وسوريا فى وقت واحد .(١٢٣)

كان الانتصار الإسرائيلى الخاطف الذى عرف منذ ذلك الوقت باسم « حرب الأيام الستة » هزيمة كاملة لدول المواجهة العربية . فقد اجتاحت القوات الإسرائيلية قطاع غزة وسيناء والضفة الغربية (عقب تدخل الأردن فى الحرب) ومرتفعات الجولان ، ودمرت الجزء الأكبر من القوات الجوية والبرية العربية . ورغم أن الإسرائيليين هم الذين اختاروا البدء بالهجوم ، فإن الولايات المتحدة لم تطالب بانسحاب فورى كما فعلت فى عام ١٩٥٦ ، ولكنها بدلاً من ذلك اتجهت مساعيها إلى إبرام تسوية سلمية عن طريق المفاوضات ، على أساس مبدأ الأرض مقابل السلام . وأصبحت الولايات المتحدة اللاعب الرئيسى فى الصراع الدبلوماسى لإنهاء النزاع العربى - الإسرائيلى .

وعلى خلاف الموقف أثناء أزمة ١٩٥٦ ، فقد وجدت الولايات المتحدة نفسها أيضا مستدرجة على نحو خطر تجاه دوامة الحرب الجديدة فى الشرق الأوسط . فقد دبت الحياة فى الخط الساخن بين واشنطن وموسكو لأول مرة منذ إقامته عقب أزمة الصواريخ الكوبية فى أكتوبر عام ١٩٦٢ . وكانت قوات « قوة الشرق الأوسط » من بين التى أعلنت فى داخلها حالة التأهب فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ . وفى شرقى البحر المتوسط ، هاجمت الطائرات الإسرائيلية سفينة المخابرات « ليبرتى » التابعة للبحرية الأمريكية . وأشعلت روايات مختلقة حول قيام الطائرات الأمريكية بمساندة الإسرائيليين مظاهرات معادية لأمريكا فى أرجاء المنطقة .

ووقعت مظاهرات عنيفة بوجه خاص فى البحرين والظهران ، وانفجرت المشاعر على نحو يهدد الأرواح والممتلكات الأمريكية بل ربما أيضا مركز الولايات المتحدة فى الخليج فى فترة ما بعد الحرب . وكان رد فعل الزعماء العرب تجاه هذه التفجرات المعادية لأمريكا يختلف من مكان إلى مكان . ومن وجهة نظر الأمريكيين ، فإن حاكم البحرين « أظهر قدرة قيادية حقيقية » أثناء الأزمة بسماحه لعدة أيام بمظاهرات موضوعة بحرص تحت السيطرة . واتخذ الشيخ أيضا خطوة لتهدئة حماس الجماهير ، فعرض تنظيم رحلات مجانية إلى منطقة القتال لنقل هؤلاء الذين كانوا مصممين على القتال . وفيما يبدو أن قلة هى التى قبلت العرض . وظهر أن السعوديين غير قادرين على التصدى للمظاهرات أو غير راغبين فى ذلك ، وفى الظهران أسفر « عنف الغوغاء الذين أفلت زمامهم » عن خسائر مادية فى الممتلكات الأمريكية تقدر بعدة مئات الآلاف من الدولارات ، كما جعل من المحتم إجلاء العديد من الرعايا .(١٢٤)

ورغم هذه الفورات المعادية لأمريكا ، فإن صدمة الانتصار الإسرائيلى الساحق أضعفت روح الحماس لدى القوميين العرب ، وأدت إلى استئناف سريع نسبياً لوتيرة الحياة الرتيبة فى الشرق الأوسط . وفى الثانى عشر من يونيو ، عادت « قوة الشرق الأوسط » إلى وضعها الاعتيادى فى العمل . وبحلول نهاية الصيف ، كان الموقف فى حوض المحيط الهندى قد عاد ببطء إلى حالته الطبيعية تقريبا .

ومع ذلك ، فقد أظهرت النتيجة الفورية لحرب ١٩٦٧ بوضوح أن المشاعر المعادية للغرب والمعادية لأمريكا كانت تزداد قوة فى العالم العربى ، وقد استفحلت المشاعر المعادية لأمريكا بسبب تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل .(١٢٥) وذاق الأمريكيون طعم الغضب العربى ، على الصعيدين الشعبى والاقتصادى ، كما ذاقه البريطانيون بعد أزمة السويس فى ١٩٥٦ . فما أن بدأت الحرب حتى فرض العرب حظراً على مبيعات النفط إلى الولايات المتحدة . غير أنه ثبت أن الحظر غير نافذ المفعول . إذ كانت الولايات المتحدة على أية حال تستورد القليل من البترول من الخليج العربى . وأغرت القفزة فى الأسعار عدة منتجين كبار للنفط ، منهم ليبيا وايران وفنزويلا ، على وضع خطة لزيادة الإنتاج ليحصلوا على مكاسب لم تكن متوقعة . وبسبب الأسعار المنخفضة للنفط التى كانت سارية من قبل ، فإن البلدان التى فرضت الحظر لم يكن تحت يدها سوى احتياطى نقدى محدود . وبعد مضى أسبوعين على بدء الحظر ، أفلس السعوديون . وتحقق لدى العرب بسرعة أن المقاطعة تلحق بهم ضرراً أكبر من الضرر الذى تلحقه بالولايات المتحدة .

غير أن العرب تعلموا أيضاً عدة دروس سوف تتيح لهم أن يستخدموا سلاح البترول بنجاح بعد ست سنوات . ففى عام ١٩٧٣ سيكون لدى العرب الوحدة السياسية والاحتياطى النقدى لكى يصمدوا ويواصلوا حتى النهاية .

ورغم العودة السريعة ظاهرياً إلى المعاملات التجارية كالمعتاد ، فإن الولايات المتحدة واجهت أوقاتا صعبة فى فترة لاحقة . فقد بذلت السياسة الأمريكية ، التى كانت لا تزال مثقلة بأعباء حرب فيتنام جهودها لمنع حرب عربية - إسرائيلية أخرى وللحد من التوغل الدبلوماسى والاقتصادى والعسكرى السوفيتى فى الشرق الأوسط . وفى أوائل السبعينات كابد ثلث بلدان حوض المحيط الهندى أزمات داخلية وخارجية ، وتجلّت هذه الأزمات فى شكل سياسات معادية لأمريكا .

ومع ذلك ، فقد نجحت الولايات المتحدة إلى حد كبير فى اجتياز عاصفة حرب ١٩٦٧ والحقبة المضطربة التى أعقبت أزمة السويس . وأدت هزيمة ناصر إلى وضع نهاية مفاجئة لمعظم المكائد الداخلية ضد نظام الحكم السعودى ، وإلى تراجع الدعم المصرى للثوار فى شمال اليمن . وظلت العلاقات الأمريكية مع تركيا وإيران والمملكة العربية السعودية وإسرائيل سليمة فى جوهرها لم يمسها سوء ، وتحسنت بدرجة كبيرة القوة العسكرية وحالة الاستقرار الداخلى بالنسبة لكافة الدول الأربع . ولسوء الحظ ، فإن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط كانت مقبلة على انهيار ذى أبعاد هائلة .

الفصل الخامس

قصة مبدأين

مبدأ نيكسون ومبدأ كارتر ، ١٩٦٨ ـ ١٩٨٠

بالنسبة لمعظم الأمريكيين ، فإن السياسة الخارجية لإدارة الرئيس ليندون ب . جونسون تقترن بالهزيمة الأمريكية فى جنوب شرقى آسيا . وقد أضعفت الحرب الفيتنامية اقتصاد الولايات المتحدة ، وأحدثت انقساماً فى صفوف الشعب الأمريكى ، ودمرت تقريبا توافق الرأى بشأن السياسة الخارجية فى البلاد فى فترة ما بعد الحرب ، وكبدت الولايات المتحدة خمسين ألفاً من الأمريكيين الذين فقدوا أرواحهم فى تلك الحرب وأعداداً لا تحصى من الفيتناميين .

ولسوء الطالع ، فإن سياسات إدارة جونسون مهدت الأرض لحقبة من الأزمات فى الشرق الأوسط . وأدرك عدد قليل من الأمريكيين فى ذلك الوقت (أو منذ ذلك الوقت) أنه من بين الخسائر التى لا تحصى لتورط الولايات المتحدة فى الحرب الفيتنامية ذلك التحول بعيداً عن بذل جهود أكثر إيجابية لضمان أمن واستقرار الشرق الأوسط . فلو كانت الولايات المتحدة مستغرقة بدرجة أكبر فى شئون المنطقة لربما أمكن تفادى وقوع حرب عام ١٩٦٧ .

تركيز جونسون على الهند الصينية قاده إلى تغيير اتجاه أواخر الخمسينات وأوائل الستينات الذى كان يقوم على تعميق التورط السياسى والعسكرى الأمريكى فى الشرق الأوسط . وكان ايزنهاور يعتبر أمن الخليج العربى أمراً أكثر حيوية بكثير من احتواء انتشار الشيوعية فى جنوب شرقى آسيا . وقد تدخل « ايك » عسكرياً فى الشرق الأوسط ولكنه رفض أن يتبع نهجا مماثلا فى الهند الصينية . وجاء جونسون ليقلب سياسات ايزنهاور رأساً على عقب ويتدخل فى النزاع المتفاقم فى جنوب شرقى آسيا ، وفى محاولة لكسب الحرب أعاد توجيه مصادر القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية الأمريكية وجهة أخرى بعيدة عن الشرق الأوسط .

وفى البداية ، فإن انتصار إسرائيل العسكرى الساحق على دول المواجهة العربية فى حرب الأيام الستة أخفى العديد من الأخطار التى يواجهها الأمريكيون فى الشرق الأوسط . فقد كان للهزيمة العربية تأثير قصير المدى مثبط لعزيمة حملة الإثارة المعادية للغرب . وأتاحت العودة السريعة

للحالة الطبيعية لإدارة جونسون أن تواصل تركيز سياستها الخارجية على الهند الصينية ، بينما تخوض معترك عمل دبلوماسى وقائى فى الشرق الأوسط حفاظا على مصالحها .

ولكن لم يكن قد مضى وقت طويل على الأزمة المباشرة لحرب ١٩٦٧ حتى هزت الشرق الأوسط أحداث مثيرة أرغمت إدارة جونسون على إعادة تقييم سياستها تجاه المنطقة . وفرضت إعادة التقييم ثلاثة عوامل : الانسحاب البريطانى من شرقى السويس والذى تم الإعلان عنه فى يناير ١٩٦٨ وأستُكمل فى عام ١٩٧١ ؛ وظهور الأسطول السوفيتى فى المحيط الهندى فى مارس ١٩٦٨ ؛ والعواقب المادية والسيكولوجية لحرب فيتنام التى تركت أثرها على حكومة الولايات المتحدة والشعب الأمريكى . ومرة أخرى ، واجه أصحاب القرار السياسى الأمريكى السؤال الذى طرح منذ أكثر من عقدين : من الذى يجب أن يكون مسئولا عن الدفاع عن الشرق الأوسط ؟ ومرة أخرى أجاب الأمريكيون : « ليس نحن » . ولكن إذا لم يتول الأمريكيون هذه المهمة ، فمن الذى يتولاها ؟

وسجل تصميم بريطانيا العظمى على التخلى عن موقعها ، المنكمش بالفعل ، شرقى السويس خاتمة « التقهقر الطويل » : أى الانسحاب من المواقع الإمبراطورية الذى بدأ مباشرة تقريباً بعد الحرب العالمية الثانية .(١) وبصرف النظر عن السبب ، فإن الانسحاب البريطانى كشف الغطاء عن التصورات القائمة بشأن الدفاع عن الشرق الأوسط . كانت بريطانيا ، بمساندة الرادع الذرى الأمريكى ، هى القوة الغربية الرئيسية المسئولة عن أمن المنطقة ، كما أن قوتها العسكرية كانت لا تزال المصدر الأساسى للاستقرار فى منطقة الخليج العربى المتفجرة .(٢) وكانت بريطانيا قد تدخلت فى الكويت المستقلة حديثا فى يوليو ١٩٦١ عندما هدد العراق بغزوها (ولم تكن هذه هى المرة الأخيرة) ، وتكفلت القوات والطائرات البريطانية بقمع القوى الراديكالية فى عدن واليمن الشمالى واليمن الجنوبى .(٣) ودفع هذا الاحتمال غير المرغوب فيه لانسحاب بريطانيا المفاجىء من المنطقة عددا من الدول الأصغر حجما فى الخليج العربى إلى أن يعرض تمويل وجود عسكرى بريطانى مستمر ، ولكن بلا جدوى .(٤)

ومما زاد الأمور تعقيداً بالنسبة للولايات المتحدة ، أن الإعلان البريطانى أعقبه مباشرة تقريبا ظهور الأسطول السوفيتى فى المحيط الهندى . وكان وصول السفن الحربية الروسية علامة واضحة على النفوذ المتنامى لموسكو فى منطقة تسودها المشاعر القومية والمعادية للغرب .(٥) وبحلول نهاية العام كانت القطع الحربية السوفيتية قد أمضت فى المحيط الهندى وقتاً أطول من ذلك الذى أمضاه أسطول الولايات المتحدة هناك .(٦)

ومع تدهور مركز الغرب فى الخليج ، ظل اهتمام الرئيس جونسون منصبا على الأحداث فى الهند الصينية ، وخاصة بعد أن بدأ الشيوعيون هجوم رأس السنة القمرية فى ٣١ يناير عام ١٩٦٨ . وبعد شهرين من ذلك التاريخ ، أعلن جونسون أنه لن يعيد ترشيح نفسه للرئاسة الأمريكية . وقد تركز ذلك القدر الضئيل من الاهتمام الذى أولته إدارة جونسون إلى حين تقلد الإدارة الجديدة لمهامها

على النزاع العربى - الإسرائيلى ، وليس على مشكلة : من الذى يحل محل بريطانيا فى الخليج العربى .

وعندما تولى ريتشارد م . نيكسون الرئاسة فى يناير عام ١٩٦٩ ، فإنه لم يرث فقط من سلفه الحرب فى الهند الصينية ، وإنما أيضاً مركزاً أمنياً غربيا يتداعى ببطء نوعا ما فى الشرق الأوسط . وعند وضع خطة المسار السياسى لإدارته ، أدرك نيكسون أن الشعب الأمريكى الذى أحدثت الحرب الفيتنامية انقساما عميقاً فى صفوفه ، لم يعد راغباً فى « تحمل أى أعباء » . فتوافق الرأى السياسى الداخلى اللازم لمساندة دور أمريكى أكبر فى الشرق الأوسط ، أى العودة إلى انتهاج سياسات إدارة ايزنهاور ، لم يعد له وجود . وأوضح نيكسون ، فى حديث للصحفيين فى ٢٥ يوليو ١٩٦٩ ، أثناء توقفه فى جزيرة جوام ، أن على الدول الآسيوية أن تتحمل فى المستقبل مسئولية أكبر عن شئونها الدفاعية .(٧) وسرعان ما استطرد نيكسون عارضا بإسهاب إطار نظريته التى أصبحت تعرف باسم « مبدأ نيكسون » . وذكر فى خطاب حالة الاتحاد الذى ألقاه فى ٢٢ يناير عام ١٩٧٠ ما يلى :

« لا يمكن أن تكون مسألة الدفاع أو التنمية فى الدول الأخرى من الشئون التى تتولاها أمريكا وحدها أو من شئون أمريكا فى المقام الأول .

وعلى الدول فى كل جزء من العالم أن تضطلع بالمسئولية الأولى عن رخائها ، وعلى هذه الدول نفسها أن تحدد شروط هذا الرخاء .

وسنكون من جانبنا أمناء فى الوفاء بالتزاماتنا بمقتضى المعاهدات ، ولكننا سنقلل من دورنا ووجودنا فى شئون الدول الأخرى . »(٨)

كان لمبدأ نيكسون تأثير عميق على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . ومازال فى الإمكان تلمس عواقب هذه السياسة فى التسعينات . ففى مسعى الولايات المتحدة بحثاً عن قوة إقليمية مستعدة لتأمين الاستقرار فى الخليج العربى وقادرة على ذلك ، اتجهت الولايات المتحدة نحو إيران . وتقرر أن يحل الإيرانيون - وليس الأمريكيون - محل البريطانيين فى المنطقة . وكتب هنرى كسينجر ، مستشار نيكسون لشئون الأمن القومى فى ذلك الوقت ، قائلا :

« كان من الضرورات الحتمية لمصالحنا ومصالح العالم الغربى المحافظة على توازن القوى الإقليمى حتى لا يتسنى ابتلاع القوى المعتدلة ، وحتى لا يتسنى سقوط شريان الحياة الاقتصادى بالنسبة لأوروبا واليابان (وبالنسبة لنا كما ثبت فيما بعد) فى أيدٍ معادية . وكان فى مقدورنا أن نلعب نحن دور القوة الموازنة أو أن نجعل فى إمكان قوة إقليمية أن تفعل ذلك . ولم تكن هناك إمكانية لإرسال قوات عسكرية أمريكية إلى المحيط الهندى فى أثناء حرب فيتنام والجراح الناشئة عنها . ولم يكن الكونجرس ليوافق على مثل هذا الالتزام ، ولم يكن الرأى العام مستعداً لمساندته . ولحسن الطالع فإن إيران كانت راغبة فى القيام بهذا الدور . فالفراغ الذى نشأ عن الانسحاب البريطانى والذى يهدد بالتدخل السوفيتى وانبعاث تيار ثورى راديكالى ، سوف تملؤه قوة محلية صديقة لنا . »(٩)

وأدرك أصحاب القرار الأمريكيون أن الاعتماد على إيران ، وهى دولة إسلامية ولكنها غير عربية وفى نزاع متكرر مع جيرانها ، سوف يُعد تهديداً من وجهة نظر عرب الخليج . ومن أجل تحقيق قدر من التوازن داخل المنطقة ، وطمأنة الدول العربية الموالية للغرب فى الخليج على أنه

لن يتم التخلى عنها لصالح هيمنة إيرانية ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة أن المملكة العربية السعودية هى - على الورق على الأقل - قوة إقليمية ثانية على قدم المساواة ، وهى سياسة أمريكية عُرفت باسم « الدعامتان التوءم . »[١٠] غير أنه لم يكن فى استطاعة السعوديين ، وهم أقل من خمسة ملايين نسمة ، القيام بدور يتعدى دور الشريك الأصغر فى النظام الأمنى الذى أخذ يتشكل ويتطور فى المنطقة .

كان الشاه راغباً فى حماس فى ممارسة دوره الجديد كحام للخليج . ذلك أن مبدأ نيكسون لم يكن يعبر - من المنظور الإيرانى - إلا عن إقرار الولايات المتحدة بواقع إقليمى قائم بالفعل . وهكذا فإنه فور إذاعة قرار بريطانيا العظمى بالانسحاب من شرقى السويس ، أعلن الشاه أن إيران هى القوة الجديدة فى المنطقة . واستهدف الشاه ، من خلال تحركات دبلوماسية عاجلة ، أن يضمن أن إيران - وليست الولايات المتحدة - هى التى ستحل محل بريطانيا العظمى فى الخليج .[١١]

ومن أجل تهدئة الحساسيات العربية بدأ الشاه فى أواخر عام ١٩٦٨ - قبل تقلد نيكسون رسمياً لمنصب الرئاسة - حملة دبلوماسية أسفرت عن تسوية عدة قضايا معلقة مع السعوديين ، ومع ذلك لم تسو كل القضايا بأى حال . وخلال زيارة للرياض فى شهر نوفمبر ، أصدر الشاه والملك فيصل بياناً مشتركاً يتحدث عن الصداقة العربية - الإيرانية والتعاون العربى - الإيرانى فى الخليج .[١٢] وفى أواخر ديسمبر عام ١٩٦٧ ، أكد بيان إيرانى - تركى - باكستانى مشترك أن « مسئولية صيانة السلام والاستقرار فى الخليج العربى تقع فقط على عاتق الدول الساحلية . »[١٣]

وعلى ذلك فإن مبدأ نيكسون - على النحو الذى طُبق به فى الخليج العربى - لم يكن غير سياسة إيرانية شجعت عليها بحرارة إدارة كانت غارقة لأذنيها فى مستنقع الحرب الفيتنامية . وجاءت سياسة نيكسون وكيسنجر فى الخليج لتنقض الأسلوب الذى طبقته الولايات المتحدة على مدى ربع قرن فيما يتعلق بأمن الشرق الأوسط ، والقائم على رفض الاحتشاد العسكرى الضخم بالنسبة لأى دولة فى داخل المنطقة - باستثناء تركيا الحليف فى حلف شمال الأطلسى - من زاوية أنه يزعزع الاستقرار ويؤدى إلى نتائج عكسية . وكانت الولايات المتحدة ترفض باستمرار مخططات الشاه لتعزيز الجيش الإيرانى منذ عام ١٩٤٦ . وكان حلف « السنتو » حلفاً سياسياً فى المقام الأول وليس حلفاً عسكرياً .

وأثارت الاتجاهات الجديدة للدبلوماسية الأمريكية فى الخليج الانتقادات . وحذر السناتور إدوارد كنيدى من أن هذه السياسة تشجع على سباق التسلح فى الخليج وتزيد من مخاطر القلاقل الداخلية .[١٤] وأعرب مراقبون آخرون عن القلق الشديد إزاء الوضع الداخلى فى إيران .[١٥] ولم يكن منتقدو إدارة نيكسون هم المصدر الوحيد لكل هذه الانتقادات . فقد حذر مسئول بريطانى وخبير فى شئون الشرق الأوسط ، خلال محادثات أنجلو - أمريكية عقدت فى واشنطن فى أكتوبر عام ١٩٧٤ ، نظراءه الأمريكيين بأن عليهم أن يحترسوا ، فذلك أفضل لأن الشاه « ربما يكون قد غالى فى سعيه لتحقيق مكاسب أكثر مما ينبغى إلى الحد الذى يعرضه للفشل . »[١٦]

وكان المرجح أيضاً أن يؤدى البناء العسكرى فى إيران إلى تفاقم المشكلات مع عرب الخليج رغم جهود الشاه القصوى . وشعر العراق ـ الذى كان يجرى تسليحه بالفعل على أيدى الاتحاد السوفيتي ـ بأنه مُهدد نظراً لأن جارته غير العربية ، التى يزيد عدد سكانها ثلاث مرات على سكانه ، عززت قواتها المسلحة . وتزايدت شحنات الأسلحة السوفيتية للعراق . وفى التاسع من أبريل عام ١٩٧٢ وقع العراق والاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة استهدفت ، فى جانب منها على الأقل ، موازنة تكديس إيران للأسلحة .(١٧)

وتدعم إحصاءات الإنفاق العسكرى والواردات من الأسلحة بين عامى ١٩٦٩ ـ عندما تولت إدارة نيكسون زمام المسئولية ـ و١٩٧٨ ـ آخر سنة كاملة من حكم الشاه ـ وجهة النظر القائلة بأن نمو وتوسع القوة العسكرية الإيرانية دفعا إلى سباق تسلح إقليمى . وزاد الإنفاق الدفاعى الإيرانى بنسبة ٥٨٠ فى المائة ، وزاد الإنفاق الدفاعى العراقى بنسبة ٢٦٠ فى المائة .

الإنفاق الإيرانى والعراقى على التسلح ووارداتهما من الأسلحة ، ١٩٦٩ - ١٩٧٨
(بملايين الدولارات)

	إجمالى الإنفاق الدفاعى		الواردات من الأسلحة	
السنة	إيران	العراق	إيران	العراق
١٩٦٩	١٨٢٨	٨٢٦	٢٢٠	٧٠
١٩٧٠	٢٠٤٥	٨٢٢	١٦٠	٥٠
١٩٧١	٢٥٠٥	٨٥٧	٣٢٠	٤٠
١٩٧٢	٣٠٩٣	٩٧٧	٥٢٥	١٤٠
١٩٧٣	٣٧٢٩	١٣٠٤	٥٢٥	٦٢٥
١٩٧٤	٦٣٠٣	١٦٨٦	١٠٠٠	٦٢٥
١٩٧٥	٨٦٤٦	١٧٣٨	١٢٠٠	٦٧٥
١٩٧٦	٩٥٢١	١٨٣٧	٢١٠٠	١٠٠٠
١٩٧٧	٨٧٤٧	٢٠٠٧	٢٤٠٠	١٥٠٠
١٩٧٨	١٠٠٩٨	٢١٣٦	٢١٠٠	١٥٠٠

المصدر : Anthony Cordesman, *The Gulf and the Search for Strategic Stability*, **p. 160**

وأدى قرار إدارة نيكسون بأن تصنع من إيران قوة إقليمية أيضا إلى تعقيد الجهود أمام إقامة علاقة يمكن بسهولة توظيفها بفاعلية وبلا عوائق وبطريقة مثمرة بين إيران والمملكة العربية السعودية الغنية بالبترول والموالية للغرب . واعتبر السعوديون أن كلا من العراق وإيران يشكل تهديداً محتملاً لهم ، كما أن سباق التسلح المتنامى بين إيران والعراق كان نذيراً بالشر بالنسبة

للسعوديين . وأشار تقرير لوزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٧٣ حول العلاقات الإيرانية - السعودية بعنوان « القرينان المتنافران » ، إلى أن قلق البلدين من الراديكالية العربية ومن الوجود السوفيتي المتزايد فى الشرق الأوسط لم ينعكس فى صورة تعاون فعّال بينهما .(١٨) ومن ثم فإن المشكلات التقليدية ، مثل الخلاف الدينى بين الإيرانيين الشيعة المسيطرين وبين السعوديين السنّة ، والمنازعات الإقليمية حول عدة جزر صغيرة فى الخليج ، والاختلافات فى مستويات التنمية الداخلية .. أحدثت انقساماً بين « دعامتى » الولايات المتحدة « التوءم » .

« يعتبر الإيرانيون ، الذين ينزعون إلى ازدراء العرب على كل حال ، أن طريقة نظام الحكم السعودى فى تناول مشكلاته مفرطة فى تسطيح الأمور إلى حد أنها تقود إلى الخطأ ، كما أنها طريقة مغالية فى توجهها المحافظ . أما السعوديون فإن لديهم شكوكهم الخاصة بشأن استقرار النظام الإيرانى ، الذى يعتبرون أنه يعتمد ، بصورة خطيرة ، على بقاء الشاه . »(١٩)

وتوصل تقرير آخر لوزارة الخارجية الأمريكية إلى أن : « النتيجة التى تمخضت عنها كل هذه التيارات المتعارضة هى أن الأساس الذى يقوم عليه منطق التعاون الإيرانى - السعودى يتعرض للتقويض ، وذلك بفعل عوامل سيكولوجية وقومية ، وعوامل تتعلق بالهيبة أو المكانة المتميزة ، والأغلب أن تظل هذه العوامل باقية لزمن طويل . »(٢٠)

وكان الكثيرون فى الولايات المتحدة يشاركون السعوديين والبريطانيين قلقهم على استقرار نظام حكم الشاه ، وشكوكهم فى إمكانية التعويل عليه كحليف . وأوضح « تقييم لمخابرات الدفاع » أنه نظراً لاعتماد الشاه على الأمريكيين فى الحصول على الدعم العسكرى والاقتصادى ، فلا يوجد أمامه مجال واسع للاختيار ، على المدى القصير على الأقل ، وما عليه إلا أن يقبل « بذلك الجانب من مبدأ نيكسون الذى يتعلق بمسئولية القوى الإقليمية عن توفير الحماية الرئيسية لمناطقهم على أنه يحمل موافقة ضمنية من قبل الولايات المتحدة على توفير الأدوات اللازمة التى تساعد إيران على أداء هذه المهمة . »(٢١)

ولكن الشاه لم يجعل أيا من أهدافه السياسية سراً مكتوماً . فقد استهدف من وراء رفع مستوى قدرته العسكرية قطع الطريق على أى محاولة أمريكية للحلول محل بريطانيا فى الخليج . وفى الحقيقة فإن الشاه عارض مرابطة « قوة الشرق الأوسط » التابعة للأسطول الأمريكى - والتى كانت تعمل من البحرين منذ أواخر الأربعينات - فى الخليج . وفى مؤتمر صحفى عقده الشاه فى ٢٩ يناير عام ١٩٧٢ أجاب ، عندما سئل عن الوجود الأمريكى فى البحرين ، قائلا : « حسنا ، أنتم تعلمون أننا أعلنا منذ وقت طويل أننا لا نود أن نرى قوة أجنبية فى الخليج العربى ، وسواء كانت هذه القوة هى بريطانيا أو الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى أو الصين فإن سياستنا لم تتغير . »(٢٢)

ولم تقتصر طموحات الشاه على الخليج . ففى عام ١٩٧٤ ، وعقب دعوة رئيسة الوزراء الهندية انديرا غاندى لإقامة « منطقة سلام » فى المحيط الهندى ، أعلن الشاه مشروعه المماثل من أجل

المنطقة .(٢٣) وفى أكتوبر ١٩٧٤ ، حذر مسئول بوزارة الخارجية البريطانية الولايات المتحدة من أن « الشاه قد يكون فى المدى الطويل جريئاً أكثر منه داهية ، بل قد لا يكون حليفاً . » فالشاه رجل يعانى - كما استنتج المسئول البريطانى - من « أوهام العظمة . » وأثار « تقييم مخابرات الدفاع » احتمال « أن يقدم الشاه نفسه على الدخول فى مغامرات » بعد اكتمال تنفيذ خطة تنمية وتوسيع قوته العسكرية فى عام ١٩٨٠ .(٢٤) وأشار تقييم لوزارة الخارجية الأمريكية إلى دور الشاه القيادى فى رفع أسعار النفط فى عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ وما أنطوى عليه ذلك من إضرار بالغرب ، وذكر التقييم أنه « حتى الآن فإن طموحاته تقتصر ، رغم تكلّفها للعظمة ، على منطقته ، إلا أن ما يبدو فى الوقت الحالى هو أنه يتصور إعادة توزيع لموارد القوة الاقتصادية والصناعة على مستوى العالم . »(٢٥) وطبقاً لتقارير الصحف فى عام ١٩٧٥ ، فإن تقريرا لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية عن الملامح الشخصية السيكولوجية للشاه وصفه بأنه « مصاب بجنون العظمة وخطر ، ويحتمل أن يسعى وراء أهدافه الخاصة متجاهلاً مصالح الولايات المتحدة . »(٢٦) وكتب السناتور كنيدى ، الذى زار إيران فى عام ١٩٧٥ ، فى وقت لاحق يقول : « كما قيل لى أثناء زيارتى لإيران فى مايو ، فإن قادة تلك الدولة يعتبرونها الآن جزءاً من كل من الخليج وغربى آسيا ، وأن لها مصالح وطموحات أوسع تمتد حتى إلى المحيط الهندى . »(٢٧) وكان القلق يساور البحرية الأمريكية أيضا بسبب نفس هذه الظواهر . وعندما أبدى الشاه فى عام ١٩٧٤ اهتمامه بشراء ثلاث غواصات هجومية تعمل بالطاقة النووية تابعة للبحرية الأمريكية من طراز ستورجون ، عارضت البحرية بنجاح بيع هذه الغواصات .(٢٨) بيد أن الشاه تمكن من شراء أفضل أنواع مقاتلات البحرية ، وهى الطائرة « إف - ١٤ » (توم كات) ، إلى جانب صواريخ جو / جو بعيدة المدى من طراز فونيكس .

ومع أن درجة النمو العسكرى الإيرانى فى منتصف السبعينات كانت لافتة للأنظار ، فإنه لم يكن من الواضح بأى حال أن إيران ، وهى دولة تنتمى إلى العالم الثالث ، تستطيع أن تستوعب عملياً الكميات الهائلة من المعدات الحربية المتدفقة على البلاد . وهذا ما كان يعتقده الشاه ، ومن هنا اعتزم أن يجعل من إيران قوة فى جنوب غربى آسيا أيضا وليس فقط قوة شرق أوسطية . وبذلك يصبح الأسطول الإمبراطورى الإيرانى القوة البحرية المهيمنة سواء فى الخليج العربى أو المحيط الهندى . غير أن تقييماً أجرته وزارة الدفاع الأمريكية وصف هذا المسعى الإيرانى بأنه « مرتجل وسطحى » ، وبأنه محاولة « خارج إطار قدرة القاعدة الصناعية الإيرانية وتسبقها بكثير » . واستنتج تقرير وزارة الدفاع الأمريكية : « أنه بحلول عام ١٩٧٨ فإن الآلة العسكرية لإيران قد تتمخض عملياً عن مجرد « جيش برى للاستعراضات » ، أو جيش ضخم مادياً ولكنه عاجز عن ممارسة عمل عسكرى ممتد . »(٢٩)

ويمكن ملاحظة وجه الاختلاف المثير للاهتمام بين إيران والمملكة العربية السعودية فيما يختص بطبيعة تعزيز البناء العسكرى لدى كل منهما . فكما أوضح أنتونى كوردسمان ، فإن مستويات الإنفاق الدفاعى السعودى تساوى المستويات الإيرانية . ولكن الشاه أنفق أمواله على الدبابات والطائرات والسفن ، وهى معدات يمكنها أن تزيد قوة نيران القوات المسلحة الإيرانية

الإمبراطورية . أما السعوديون ، الذين لا يتجاوز تعدادهم عُشر سكان إيران ، والمعنيون بالاستقرار الداخلي ويتسلط على تفكيرهم همّ هذا الاستقرار ، وهو أمر مفهوم ، فقد أنفقوا أموالهم في إدخال تحسينات على المشروعات الكبرى للبنية الأساسية وعلى التدريب والتحديث ، وأقدموا على خطوات النمو العسكرى ولكن بشكل محسوب وبحرص شديد . وأصبح للدفاع الجوى للمملكة العربية السعودية الأولوية القصوى فى خطوات التعزيز العسكرى . ولقيت جهود تحسين القوة الجوية وشبكة الدفاع الجوى للسعودية - برنامج « هوك للسلام » - نجاحا كبيرا واستمرت فى الثمانينات . وكان التوسع فى البناء العسكرى السعودى يعكس الحكمة والخبرة الطويلة لنظام ملكى استطاع أن يجتاز بسلام الأحقاب المضطربة للستينات والسبعينات والثمانينات . وعلى عكس ذلك ، كانت عملية حشد الأسلحة الإيرانية تحمل سمات برنامج متعجل لم يكن موضع تفكير وتدبر .(٣٠)

ورغم التعزيزات الكبيرة للأمن السعودى ، فإن سياسة إدارة نيكسون فى الخليج بوجه عام أثبتت أنها قصيرة النظر ومُسَبِّبة للكوارث . ولايمكن إنكار أن حرب فيتنام فرضت من القيود السياسية والعسكرية على إدارة نيكسون ما جعل فرص الاختيار محدودة أمامها . بحيث أُرغمت بحكم الضرورة على أن تتبنى سياسات نابعة من طهران وتنسبها إلى نفسها على أنها سياساتها . وفى الخليج العربى ، واجه نيكسون وكيسنجر خياراً وحيداً هو المطروح أمامهما .. أو لا شىء على الإطلاق . ولكن إذا كان تبنى الإدارة الأمريكية لهذه السياسة مفهوماً ، وربما أمراً لا يمكن تفاديه ، فإن هذا لا يعنى أنها خطوة حكيمة . كذلك لم يكن تنفيذها ليتحقق بالضرورة على النحو الذى حدث به .

كان هناك حماس للشاه ، وهو حماس شارك فيه رؤساء أمريكيون آخرون منهم جيمى كارتر ، غير أن الشاه لم يكن يستحقه . فقد ذهب فى طى النسيان ما كان عليه الشاه فى الأربعينات وأوائل الخمسينات : رجل عاجز عن الحسم ، يميل إلى الهروب وقت الأزمة ، ولا يرقى إلى مستوى مناسب من الدهاء السياسى ، وغير قادر أو غير مستعد لتنظيم انقلاب رغم التأييد المحلى الواضح لحماية عرشه . ووجد الأمريكيون فى السبعينات فى شخص الشاه رجل دولة وناصحاً للرؤساء ، وبالنسبة للبعض كان الشاه هو طاغية عرش الطاووس الذى لا يرحم . ولسوء الحظ ، فإنه عندما بدأت أزمة السبعينات تصرف الشاه مثلما فعل فى بداية الخمسينات .. بعزيمة خائرة ولكن ، فى هذه المرة لم يكن هناك انقلاب من تدبير الأمريكيين لينقذه أو ينقذ نظام حكمه .

كان قرار بناء قوة إيران العسكرية علامة أيضا على التخلى عن سياسة أمريكية سابقة تمثلت فى الإعلان الثلاثى الصادر فى شهر مايو عام ١٩٥٠ على سبيل المثال ، الأمر الذى تسبب فى عواقب وخيمة بالنسبة للولايات المتحدة . ولم يعد بوسع وزارتى الخارجية والدفاع فى الولايات المتحدة الاعتراض على إرسال شحنات أسلحة إلى إيران من زاوية أن طلباً ما يتقدم به الشاه للحصول على السلاح - إذا تمت الموافقة عليه - سيؤدى إلى زيادة غير ضرورية فى القدرة الإيرانية ، أو أن هذا الطلب يتجاوز طاقة العسكرية الإيرانية وقدرتها على توظيف الأسلحة المطلوبة بشكل فعال . وبفضل نيكسون وكيسنجر ، فإن ما يريده الشاه .. أصبح يحصل عليه .

ومع ذلك فقد أوضحت تقديرات وزارة الدفاع الأمريكية أنه حتى إذا استكمل الشاه بناء قواته العسكرية فإن هذه القوات ستظل تفتقر إلى القوة الكافية لأن تفعل ما هو أكثر من إبطاء هجوم عسكرى سوفيتى عنيد على إيران . وكما تعلم العراقيون مؤخراً فى الكويت ، فإن دول العالم الثالث ، مهما كانت مسلحة جيداً ، ليست كفؤا لمنازلة دول العالم الأول .

وفى حين أن تنمية القوة العسكرية الإيرانية لم تكن بالحجم الذى يكفى لسد الطريق أمام زحف سوفيتى صوب الجنوب - ولم يكن بمقدوره الوصول إلى هذا المستوى - فإن نمو القوة العسكرية للشاه كانت أكثر من كافية لموازنة التهديد الإقليمى الرئيسى الوحيد ، الذى تمثل فى العراق . ومن الواضح أنه إذا كان الجيش الإيرانى الذى مزقته الثورة قد استطاع إيقاف العراقيين فى عام ١٩٨٠ ، فإن الآلة العسكرية للشاه كان فى إمكانها بالتأكيد - لو بقى النظام الملكى - أن تمتلك القدرة على الزحف إلى بغداد . وهذا الاختلال فى التوازن الإقليمى خلق عدم الاستقرار ولم يخلق الاستقرار . وهذا المناخ من عدم الاستقرار جعل سباق التسلح فى الخليج العربى ، وفى المحل الأول حشد الأسلحة فى العراق ، مسألة محتومة . وبهذا المعنى فإن « عملية عاصفة الصحراء » كانت إلى حد كبير ، جهداً أمريكياً لتدمير ترسانة عسكرية عراقية كانت سياسات الولايات المتحدة ذاتها قد ساعدت على إقامتها فى السبعينات . ولم يسفر تطبيق مبدأ نيكسون فى الخليج العربى عن تحقيق نتائج أفضل من تلك التى حققها النتاج الأصلى لهذا المبدأ فى الهند الصينية ، وهو الفتنمة .

وبينما كان نيكسون وكيسنجر يشاركان الشاه رغبته فى تجنب إحلال قوة عسكرية أمريكية محل القوة العسكرية لبريطانيا العظمى فى الخليج ، فإن الإدارة الأمريكية لم تكن تعتزم - رغم الحرب فى فيتنام - تخفيض الوجود الأمريكى المحدود بالفعل فى المنطقة . وفى الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٧ اتسع نطاق الدور الأمريكى فى واقع الأمر . وكان ميل إدارة نيكسون إلى تحاشى استخدام قوات برية أو إرسال مثل هذه القوات ، علاوة على الافتقار إلى مرافق لدعم هذه القوات فى حوض المحيط الهندى من العوامل التى تدخلت فى تشكيل هذا التوسع وأدت إلى اعتماد متزايد على القوات البحرية .(٣١)

وعقب إعلان بريطانيا العظمى الانسحاب من شرقى السويس ، كان على أصحاب القرار السياسى الأمريكى أن يقرروا ما إذا كانت « قوة الشرق الأوسط » التابعة للبحرية الأمريكية ستبقى فى الخليج العربى ، وإذا كان هذا ما سيحدث ، فأين ينبغى لها أن ترابط وأين تستطيع أن تفعل ذلك . وكانت إدارة جونسون قد بدأت - ولكنها لم تستكمل - دراسة حول هذه المسألة مع الوكالات الحكومية المختصة . ولم يؤد التغيير فى الإدارات الأمريكية إلى التعجيل بهذه العملية . كما لم تفعل ذلك عوامل من شأنها تعقيد الأمور فى السياسات المحلية والدولية على السواء . ثم إن وجوداً أمريكياً مستمراً فى الخليج يمكن أن يتضمن بداهة ، فى ضوء الانسحاب البريطانى المفترض ، دورا قيادياً متزايداً ، وهو موضوع غير جذاب بالنسبة للعديد من الأمريكيين الذين أصبحت الالتزامات الخارجية فى نظرهم محرمة . وأدت سياسة الشاه النشيطة إلى المزيد من تعقيد الأمور . فقد جاء الإيرانيون إلى واشنطن حاملين دعاواهم القديمة بأن البحرين ، التى كانت توشك أن تصبح

مستقلة ، هى جزء من إيران ، بينما كان هناك تفهم واضح فى العاصمة الأمريكية بأن « أى تثبيت للنفوذ فى المنطقة على أيدى الأمريكيين أو غيرهم غير مرغوب فيه وغير مقبول » من جانب الشاه .(٣٢) وهكذا بدا أن الاعتماد المتزايد على إيران باعتبارها الشرطى الإقليمى لأمريكا يستبعد وجوداً أمريكياً مستمراً فى الخليج العربى ، وبالتأكيد ذلك الوجود الذى يتخذ من البحرين قاعدة له .

ولكن الأسطول الأمريكى لم تكن لديه الرغبة فى سحب « قوة الشرق الأوسط » من الخليج ، أو من قاعدته فى البحرين . وفى الحقيقة أن الأسطول كان يأمل فى توسيع قدراته فى المحيط الهندى . وعلى الصعيد الرسمى ، امتنع الأسطول عن الدخول فى مفاوضات رسمية مع البريطانيين أو البحرينيين ، رغم أن ضباط « قوة الشرق الأوسط » فى البحرين شرعوا فى الدخول فى « مناقشات غير رسمية مع البريطانيين » . ووجه قائد عمليات الأسطول حديثه إلى قواته قائلا فى عبارات قاطعة : « ومع ذلك فمازال التحذير موجه إليكم بأن تتجنبوا أى عمل أو التزام قد يحمل البريطانيين على الاعتقاد بأننا نعتزم النهوض بالتزاماتهم فى المنطقة . »(٣٣) وفى أوائل عام ١٩٦٩ ، فاز الأسطول بتأييد هيئة الأركان المشتركة بشأن الإبقاء على « قوة الشرق الأوسط » فى البحرين .(٣٤)

ومع ذلك فإن إدارة نيكسون ، التى كانت تركز انتباهها على الهند الصينية ، أخذت تفكر بجدية فى هذه المسألة ولكن ببطء . وأوصى مجلس الأمن القومى الأمريكى فى الخامس من يونيو عام ١٩٧٠ بأن تظل « قوة الشرق الأوسط بحجمها الحالى تقريباً (أربع سفن) فى الميناء الذى ترابط فيه بالبحرين . »(٣٥) ولم تصدر الموافقة الرئاسية النهائية إلا فى ديسمبر عام ١٩٧٠ ، أى بعد عامين من إعلان بريطانيا انسحابها المقترح من الخليج .(٣٦)

وفى عشية عيد الميلاد عام ١٩٧٠ ، تلقى قائد « قوة الشرق الأوسط » فى آخر الأمر الإذن بأن يبحث رسمياً مع رجال البحرية الملكية ، والمندوب السامى السياسى البريطانى ، ومع البحرينيين أنفسهم مسألة استمرار الوجود الأمريكى فى البحرين . ودعت خطة سبق إعدادها بواسطة قيادة « قوة الشرق الأوسط » إلى استيلاء الولايات المتحدة على عشرة أفدنة - حوالى عشرة فى المائة من مساحة القاعدة البريطانية القائمة فى جفير - بما فى ذلك هوائى استقبال وأولوية استخدام المرسى رقم واحد على الحاجز المائى لميناء سلمان ، وهو مرفق بحرى صغير مخصص للعمل ولزوارق الاستجمام ، وحقوق لهبوط الطائرات مع حظيرة طائرات ملائمة ومساحة للمكاتب الإدارية فى مطار المحرَّق ، وكذلك مبنى للإرسال اللاسلكى وهوائى إرسال .(٣٧) ووضعت قيادة « قوة الشرق الأوسط » أيضا خططاً لاحتمالات متعددة للطوارىء بغرض الانسحاب فى حالة فشل المفاوضات مع البحرينيين . وعندما جاء الوقت الذى علم فيه الأمريكيون (١٩ أغسطس ١٩٧١) أن البريطانيين يتوقعون استكمال انسحابهم فى ديسمبر ١٩٧١ ، كانت المفاوضات جارية بالفعل . وفى ٢٣ ديسمبر ١٩٧١ ، أى بعد أسبوع من حصول البحرين على استقلالها واضطلاعها بالمسئولية الكاملة عن حكومتها وشئونها الدولية ، وقعت اتفاقية مع الولايات المتحدة لتأجير القاعدة . واحتفظت الدولتان بالحق فى إنهاء الاتفاقية بعد عام من تقديم إشعار رسمى بالرغبة فى الإنهاء .

وقوبلت الاتفاقية بمعارضة فى الولايات المتحدة وفى العالم العربى . وفى ٢٩ يونيو ١٩٧٢ وافق مجلس الشيوخ الأمريكى على الاتفاقية ، ولكن بعد مناقشات حامية ومفعمة بالحيوية حصل الشيوخ أثناءها على ضمانات من الإدارة الأمريكية بأن تأجير القاعدة لا يتضمن التزاماً سياسياً أو عسكرياً بأمن البحرين .(٣٨) واعتبر القوميون العرب فى أنحاء الشرق الأوسط اتفاقية القاعدة فى البحرين مع الولايات المتحدة شكلاً جديداً للاستعمار الغربى . ولكن البحرينيين الذين كانوا يشعرون بقلق من المخططات الإيرانية فى الأرخبيل لم يتشبثوا باتفاقيتهم فحسب ، بل ألمحوا أيضا إلى أنه « لن يكون هناك اعتراض على زيادة الوجود الأمريكى بشرط أن يتم ذلك بهدوء ، وفى توقيت يتفق مع الواقعية السياسية ، وبطريقة لا تضطر حكومة البحرين إلى أن تختار بين الولايات المتحدة والعالم العربى . »(٣٩)

وواجه الأسطول الأمريكى صراعاً سياسياً محلياً أكثر صعوبة بكثير ولفترة أطول حول تطوير القاعدة الأمريكية فى دييجو جارسيا . وقد بدأ اهتمام البحرية الأمريكية بأن يكون لها مجمع منشآت فى المحيط الهندى فى أواخر الخمسينات خلال عهد إدارة ايزنهاور عندما توصلت دراسة تخطيطية طويلة المدى ، أجريت تحت إشراف الأميرال ارليه بيرك قائد العمليات البحرية ، إلى أن الجزيرة المرجانية الصغيرة يمكن أن تصلح كقاعدة . وفى عام ١٩٥٩ ، اقترحت البحرية سراً أن يقتطع البريطانيون دييجو جارسيا من سيشل ويجعلوا من الجزيرة كيانا سياسياً منفصلاً .(٤٠) وعادت فكرة القاعدة فى المحيط الهندى إلى الظهور فى أوائل الستينات بتأييد قوى من بول نيتز ، مساعد وزير الدفاع لشئون الأمن الدولى فى ذلك الوقت . وكما اقترحت البحرية قبل ذلك بسنوات ، فقد قام البريطانيون فى نوفمبر ١٩٦٥ باقتطاع وفصل جزر « شيجوس » ، بما فى ذلك جزيرة دييجو جارسيا المرجانية ، عن سيشل ، وأنشأوا « إقليم المحيط الهندى البريطانى » . وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٦ وقعت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة اتفاقية إجرائية تخول للجيش الأمريكى حق إقامة مرفق اتصالات فى دييجو جارسيا . وفى ظل بول نيتز الذى كان وزيراً للبحرية (١٩٦٧) قبل أن يشغل منصب مساعد وزير الدفاع (١٩٦٨) ، تسارعت خطى هذه العملية . ففى يونيو ١٩٦٨ ، وافق الكونجرس على اعتماد الأموال اللازمة لإقامة قاعدة متواضعة . ومنذ ذلك الحين ، استمر نمو القاعدة ، وحد من سرعة هذا النمو الحاجة إلى مناقشات سياسية متواصلة حول طبيعة الدور الأمريكى فى الخليج العربى ، ولكن تسارع هذا النمو مع ازدياد الوجود السوفيتى فى المنطقة .

وكان إنشاء وتطوير قاعدة فى دييجو جارسيا ـ ولايزال ـ مسألة مركزية بالنسبة لدور مستمر للولايات المتحدة فى المحيط الهندى . وبالنظر إلى المصاعب الدولية والمحلية التاريخية الملازمة للجهود الأمريكية لإقامة قاعدة فى إحدى الدول الساحلية ، فإن تنمية الجزيرة المرجانية غير المأهولة بالسكان من الناحية الفعلية ، كان بديلا مقبولاً من الناحية السياسية ومغرياً . وبينما تقع دييجو جارسيا على مسافة طويلة من كل مكان (أو كما قال البعض ، فهى تقع على مسافة طويلة من لا مكان) ، فإنها توجد فى مكان متوسط لدعم العمليات فى كل أنحاء حوض المحيط الهندى ، وقد اثبتت قيمتها أثناء أزمات إقليمية متعددة ، وخلال التدخل الأمريكى فى المراحل المتأخرة من

حرب الناقلات الإيرانية - العراقية فى ١٩٨٧ - ١٩٨٨ ، وفى عمليتى « درع الصحراء » و« عاصفة الصحراء » . والمرجح أن تلعب القاعدة دوراً أكبر فى المستقبل ، وخاصة عندما تفقد الولايات المتحدة حقوقها فى قواعد الفلبين .

ورغم إقامة منشآت قاعدة دييجو جارسيا ، فإن مركز الولايات المتحدة فى حوض المحيط الهندى ظل ضعيفاً فى بداية ومنتصف السبعينات . فقد وصل السوفيت بينما كان البريطانيون ، الذين اعتمد الأمريكيون عليهم لأكثر من ثلاثين عاماً ، يحزمون أمتعتهم للعودة إلى بلادهم .(٤١) واعترف تقييم أجرته البحرية الأمريكية للموقف بأن الانسحاب البريطانى

« نتج عنه فقدان ذخيرة ضخمة من المعرفة التاريخية ، والخبرة السياسية والقدرة التحليلية للأحداث فى الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية ، وكل ذلك كان فى متناول القيادة البريطانية لقوات الشرق الأوسط . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن انسحاب سفن البحرية الملكية والسلاح الجوى الملكى البريطانيين أدى إلى زوال المصادر الوحيدة المتاحة للاستطلاع البحرى فى الخليج العربى وخليج عمان . وقبل هذا الانسحاب كانت مصادر ومحللو المملكة المتحدة قد أسهموا بنسبة حوالى ثمانين فى المائة من المخابرات السياسية حول منطقة الخليج العربى المتاحة لقيادة قوات الشرق الأوسط . »(٤٢)

وأثارت عملية جمع المعلومات للمخابرات الحربية حول النشاط السوفيتى فى المنطقة مشكلات للولايات المتحدة . ذلك أن المهام المخابراتية التى تواجه السفن الأربع التابعة « لقوة الشرق الأوسط » الأمريكية كانت مخيفة . وعلى سبيل المثال ، ففى أواخر عام ١٩٧١ رصدت قطع « قوة الشرق الأوسط » عمليات الرسو السوفيتية عند سوقطرة ورأس جاردوفى وجزيرة كوتيفى فى سيشل وسبيكرز بانك فى شيجوس ، وعمارة الأسطول السوفيتى فى المحيط الهندى الذى شمل طرادين ومدمرتين وقطعة إبرار بحرى وكاسحة ألغام وسبع غواصات وتسع سفن إسناد ، وسفينة جمع معلومات مخابراتية ، وأربع سفن فضاء وأبحاث .(٤٣)

ودفع الانسحاب البريطانى الأمريكيين والفرنسيين الذين يعملون من جيبوتى وريونيون إلى التعاون معا بدرجة أوثق . وبحلول عام ١٩٧٢ ، كان الفرنسيون والأمريكيون يتبادلون المعلومات بطريقة غير رسمية . وفى ١٥ فبراير ١٩٧٣ ، توصل البلدان إلى اتفاقية رسمية وأقاما شبكة اتصالات متطورة واتصالاً مباشرا بين قائد قوة الشرق الأوسط (الأمريكية) والقائد الفرنسى للمحيط الهندى الذى يعمل من ريونيون .(٤٤)

وساعد التعاون الفرنسى - الأمريكى على تمكين قوة الشرق الأوسط التابعة للبحرية الأمريكية من الاستمرار فى الجهود لجمع المعلومات السرية بطريقة فعالة أثناء السنوات الحرجة فى منتصف السبعينات . وتسببت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، التى وضعت الدولتان العظميان خلالها بعض قواتهما فى حالة تأهب ، فى تمديد ونشر القدرات الأمريكية إلى المدى الأقصى . كذلك فعلت المناورة البحرية الكونية « أوكيان » للاتحاد السوفيتى فى أبريل ١٩٧٥ واشتركت فيها ٢٣ سفينة حربية من أنواع متعددة فى المحيط الهندى . وفى نفس ذلك الوقت تقريباً ، بدأت الطائرات السوفيتية بعيدة المدى ، التى تقلع من قواعد فى المحيط الهندى ، رحلاتها الاستطلاعية الخاصة بها . وكان هذا

النشاط السوفيتي يرمز إلى وجود متنام وقدرة متزايدة في منطقة متفجرة تتميز بأهمية حاسمة بالنسبة للولايات المتحدة والغرب .(٤٥)

تفجر الوضع في الشرق الأوسط وإمكانية أن تتغير فيه المواقف بسرعة فجائية أصبح واضحا في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ . فقد بدأت الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة ـ حرب يوم الغفران ـ عندما هاجمت سوريا ومصر المواقع الإسرائيلية في الجولان وسيناء . ومرة أخرى أخذت الأحداث الولايات المتحدة على غرة ، ووجد الأمريكيون أنفسهم محاصرين بأزمتين إحداهما إقليمية والأخرى عالمية .

وفي البداية توقعت واشنطن انتصاراً إسرائيلياً سريعاً ، وانتهجت أسلوب العمل وراء الكواليس والابتعاد عن المواقف العلنية التي تلفت الأنظار على أمل أن تتفادى الغضب العربي وتحافظ على موقف يؤهلها للقيام بدور « الوسيط الأمين » بعد الحرب . ولكن التقارير الواردة من جبهتي الجولان وسيناء يوم ٩ أكتوبر أظهرت أن الإسرائيليين يواجهون المتاعب . وتكاثرت الشائعات التي تقول إن الإسرائيليين يتأهبون لاستخدام ترسانتهم الذرية التي ذاع سرّها . وردت الولايات المتحدة بعملية إعادة إمداد وتجهيز ضخمة لإسرائيل بالأسلحة ، الأمر الذي أتاح لإسرائيل ، بالاشتراك مع القدرة القتالية لقوات الدفاع الإسرائيلية ، أن تستعيد زمام المبادرة . وجاء رد الفعل السوفيتي في صورة البدء في إقامة جسر جوي لإعادة إمداد سوريا بالأسلحة ، كما وضع الاتحاد السوفيتي عدة فرق محمولة جوا في حالة تأهب . ورد العرب ، بقيادة المملكة العربية السعودية ، بفرض حظر فعال على مبيعات وشحنات النفط للولايات المتحدة .

وأسفرت الجهود الدبلوماسية النشيطة لوزير الخارجية الأمريكي هنري كيسنجر عن صدور قرار للأمم المتحدة في ٢٢ أكتوبر يدعو إلى وقف إطلاق النار في مواقع القتال ، وهو القرار الذي قبلته كل الأطراف ظاهريا في نفس اليوم . ولكن المحاولات الإسرائيلية المستمرة لتدمير الجيش المصري الثالث المعزول في سيناء ، هددت اتفاقية وقف إطلاق النار . وفي يوم ٢٤ أكتوبر ، بلغ قلق الإدارة الأمريكية إزاء التحركات العسكرية السوفيتية حداً جعل الرئيس نيكسون يضع القوات العسكرية الأمريكية في ساعة مبكرة من صباح ٢٥ أكتوبر في درجة أعلى من التأهب . ولحسن الحظ فإن الموقف لم يتدهور أكثر من ذلك ، وصمد وقف إطلاق النار . وبعد مفاوضات شاقة انتهى الأمر بالفصل بين القوات على كل الجبهات .

وأرغمت حرب أكتوبر الولايات المتحدة على مجابهة واقع جديد في الشرق الأوسط . ففي أعقاب الحل الناجح للأزمة الأردنية في عام ١٩٧٠ ، كانت الولايات المتحدة قد زادت من معونتها العسكرية والاقتصادية لإسرائيل . واعتقد نيكسون وكيسنجر أن دولة يهودية آمنة ، متحررة من شبح هجوم عربي ، ستصبح قوة استقرار في المنطقة . وعندئذ ستغدو الإدارة الأمريكية مطلقة اليدين وقادرة على التركيز على ما يعتبره نيكسون وكيسنجر المشكلات العاجلة للسياسة الخارجية التي تتصف ، بحق ، بالأهمية ، وهي الصراع الدائر في الهند الصينية ، والوفاق السوفيتي ـ الأمريكي ، والعلاقات الأمريكية مع الصين الشيوعية .(٤٦) غير أن الاعتماد على التفوق

العسكرى الإسرائيلى لم يحقق سلاما ولا استقراراً . ثم إن تحسن القدرة القتالية للقوات المصرية والسورية كان له شأن كبير فى محو ذكرى الهزيمة العربية فى عام ١٩٦٧ ، وإعادة اعتزاز العرب بكبريائهم وقوميتهم . وبرهن العرب أيضا على استعدادهم لاستخدام النفط كسلاح سياسى فعال ، وأحدثوا صدمة لاقتصادات الغرب التى تعتمد على هذا النفط بفرض حظر استمر حتى ربيع عام ١٩٧٤ . ولم يكتف النفوذ السوفيتى فى المنطقة ، الذى ظل يتوسع منذ منتصف الخمسينات ، بتحدى المصالح الأمريكية ، بل هدد أيضا بتحويل أزمة إقليمية إلى مواجهة بين الدولتين العظميين رغم الوفاق .

كذلك فإن حرب ١٩٧٣ ونتائجها عرضت للخطر عمليات القطع العسكرية الأمريكية الوحيدة الموزعة فعلياً فى المنطقة : « قوة الشرق الأوسط » التابعة للبحرية الأمريكية .(٤٧) وأعاقت نتائج الحرب أكثر فأكثر طرق وصول الولايات المتحدة - التى كانت محدودة بالفعل - إلى موانىء الخليج العربى والمحيط الهندى ، فى خضم أزمة كانت الولايات المتحدة تحتاج خلالها إلى زيادة وجودها البحرى فى المنطقة . وفى ٢٠ أكتوبر ، أعلن البحرينيون إنهاء الاتفاقية المبرمة مع الولايات المتحدة بشأن تأجير القاعدة .

وبدأ الجدل السياسى مرة أخرى حول استمرار الوجود البحرى الأمريكى فى الخليج . وقام الأسطول بدراسة إمكانية أن ترابط « قوة الشرق الأوسط » فى دييجو جارسيا أو فى ميناء إيرانى داخل ، أو ربما خارج ، الخليج . ولكن قادة « قوة الشرق الأوسط » فى البحرين شعروا بأنهم قد لا يذهبون إلى أى مكان آخر ، ذلك أنهم لاحظوا « انعدام وجود أى ضغط مباشر » من جانب البحرينيين من أجل الانسحاب .(٤٨) ونصح الأميرال روبرت هانكس قائد « قوة الشرق الأوسط » واشنطن قائلا : إنه يبدو أن القرار البحرينى يمكن الرجوع عنه .(٤٩)

وفى الحقيقة فإن البحرينيين وضعوا جانباً ، بالفعل ، طلبهم بالانسحاب الفورى . فالأمريكيون قد يكونون فعلاً حلفاء إسرائيل البغيضة ، غير أن الشاه قابع على الضفة الأخرى للخليج العربى الضيق . وفى يوليو ١٩٧٥ ، وافقت الولايات المتحدة على تعديل بعض مواد اتفاقية عام ١٩٧١ ، وفى ١٢ أغسطس ١٩٧٥ مدّ البحرينيون أجل الاتفاقية المؤقتة إلى ٣٠ يونيو ١٩٧٧ .(٥٠) وانتهت المفاوضات المتصلة إلى تبادل المذكرات مرة أخرى (٢٨ يونيو ١٩٧٧) ، والتى وافق الطرفان بموجبها على الالتزام بالبنود المعدّلة لاتفاقية ١٩٧١ . وطبقاً لاتفاق ١٩٧٧ ، لم تعد الولايات المتحدة تحتفظ بحق وضع « قوة الشرق الأوسط » فى البحرين ، رغم أنه يمكن إلحاق الأفراد المدنيين والعسكريين الأمريكيين بوحدة إسناد إدارية فى المنامة - البحرين - لدعم السفن الأمريكية فى الخليج .(٥١) وعلى الصعيد الرسمى لم تعد السفن الحربية التابعة لأسطول الولايات المتحدة تأوى إلى ميناء فى البحرين ، وتم اعتبار معظم أفراد الطواقم فى مهمة مؤقتة . وبعد مرور ثمانية عشر عاما على إبلاغها بأن عليها مغادرة البحرين ، مازالت سفن الأسطول الأمريكى تعمل من هناك .

وبينما احتفظ الأسطول بحق الوصول إلى مرافق القاعدة فى البحرين ، فإنه مع حلول منتصف

عام ١٩٧٤ كان قد تم إغلاق ٢٨ ميناءً فى إحدى عشرة دولة فى وجه السفن الحربية الأمريكية . وكان كل ما تبقى فقط للسفن الأمريكية موانىء المنامة (البحرين) ، وبورت لويس (موريشيوس) ، وكراتشى (باكستان) ، وكولومبو (سرى لانكا) ، واثنين من الموانىء الإيرانية « التى يُعتمد عليها » ، هما بندر عباس وبندر شهبور ، التى ظلت تموّن سفن الأسطول الأمريكى .(٥٢)

وأدى عدم توافر تسهيلات الموانىء إلى إعاقة العمليات البحرية الأمريكية فى حوض المحيط الهندى ، بيد أن الحظر البترولى العربى هدد بتعطيل عمليات البحرية الأمريكية فى المحيط الهندى والبحر المتوسط وغربى المحيط الهادى .(٥٣) ووجدت البحرية نفسها تعتمد على موارد الإمدادات الإيرانية . وأصدر الشاه شخصياً أوامره إلى شركة النفط الوطنية الإيرانية بتحويل الوقود إلى الأسطول الإمبراطورى الإيرانى ، الذى أرسل بدوره الوقود إلى الأسطول الأمريكى . وأتاحت هذه المساعدة من جانب الشاه للبحرية الأمريكية أن تواصل عملياتها فى المحيط الهندى ، وهو تطور اعتبره الكثيرون فى ذلك الوقت - ومازالوا يعتبرونه - مبرراً لقرار إدارة نيكسون بالاعتماد على الشاه .(٥٤)

وأدى رد الفعل العربى إزاء حرب أكتوبر ١٩٧٣ - القرار البحرينى بإجلاء « قوة الشرق الأوسط » ومحاولات الدول الساحلية الأخرى لإغلاق موانئها أمام السفن الأمريكية - إلى مضاعفة وتسريع الجهود الأمريكية لخلق بنية أساسية لقاعدة آمنة لدعم وجود أمريكى ، مهما كان محدوداً ، فى حوض المحيط الهندى . وعلاوة على ذلك ، فعندما أصبح واضحاً تأثير الحظر والأسعار الأعلى للبترول التى وضعتها منظمة الأوبك .. على الاقتصادات الغربية واقتصادات العالم الثالث ، أعادت الولايات المتحدة تقييم استراتيجيتها فى المنطقة غير المستقرة .(٥٥) وبحث أصحاب القرار السياسى الأمريكى عن صيغة خيالية ما تتيح حل النزاع العربى - الإسرائيلى ، وتسمح للولايات المتحدة بتوثيق روابطها مع البلدان العربية « المعتدلة » وبتأمين تدفق النفط إلى الغرب وإلى اليابان ، وتحد من القوة والنفوذ السوفيتيين فى المنطقة .

ومن بين الخيارات العديدة التى عكف الزعماء الأمريكيون على دراستها إقامة علاقة متبادلة بين القوة العسكرية والدبلوماسية . وفى أواخر عام ١٩٧٤ وبداية عام ١٩٧٥ تكهنت الصحافة الغربية والعديد من كبار المسئولين الأمريكيين علناً بشأن عملية عسكرية محتملة تقوم بها الولايات المتحدة - سيناريو « انتزاع النفط » - لتأمين مناطق إنتاج البترول الحساسة فى حالة فرض حظر بترولى . وفى مقابلة مع مجلة « بيزنس ويك » فى يناير ١٩٧٥ ، علق وزير الخارجية كيسنجر على هذا الاحتمال بقوله :

« إنه سبيل خطير للغاية . وكان يجب أن نكون قد تعلّمنا من فيتنام أن الدخول فى حرب أكثر سهولة من الخروج من هذه الحرب . وأنا لا أقول إنه لن ينشأ ظرف لن نستعمل فيه القوة . غير أن استعمال القوة فى حالة نزاع على الأسعار شىء ، واستعمالها فى حالة حدوث اختناق فعلى للعالم الصناعى شىء آخر . »(٥٦)

ورغم بيانات النفى الرسمية ، فقد كان المخططون الأمريكيون يقومون بدراسات مبدئية حول مجموعة متنوعة من الخيارات لمواجهة حظر بترولى عربى موجه ضد الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واليابان . وأخذ خبراء التخطيط فى البحرية يضعون التقديرات للتأثير المحتمل لوجود بحرى أمريكى متزايد فى المحيط الهندى ، ولمحاصرة الموانىء العربية ، ولتحويل مسار أو إغراق ناقلات بترول متجهة إلى دول لا يسرى عليها الحظر ، ولضربات جوية ضد مرافق لا تتصل بصناعة البترول ، ولهجوم برمائى مباشر . ولسوء الطالع ، فإن كل هذه المقترحات لم تكن تبدو ذات طابع عملى أو مؤثر . وعندئذ كتب الأميرال جيمس هولوواى الثالث قائد العمليات البحرية على غلاف رسالة تحتوى على واحدة من تلك الدراسات : « أصبح من الواضح ضآلة ما نستطيع أن نحققه بالفعل فى الشرق الأوسط . »(٥٧)

ومع ذلك ، فإنه على الرغم من الصعوبات العملية أمام وضع قوة عسكرية أمريكية فى الشرق الأوسط ، فقد أضيف عامل جديد إلى المعادلة الاستراتيجية ، عامل لم يستطع العرب تجاهله ، عامل سيصبح فى القريب العاجل عنصرا أساسياً فى التفكير الاستراتيجى الأمريكى . والمعروف أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، كانت الولايات المتحدة تفكر مليّا وترفض بطريقة روتينية فكرة استخدام قوات عسكرية أمريكية للدفاع عن الشرق الأوسط . وكانت إدارة ايزنهاور قد أبدت استعدادا للتدخل فى المنطقة عسكرياً ، وكان من الممكن ـ لو لم تكن هناك حرب فيتنام ـ أن تفضى التطورات العسكرية التى بدأت فى أواخر الخمسينات إلى التزام أمريكى نهائى بالدفاع عن المنطقة . أما الآن ، فى منتصف السبعينات ، فإن الولايات المتحدة بدأت تمعن التفكير مرة أخرى فى استخدام القوة العسكرية ، ليس لحماية المنطقة من الاتحاد السوفيتى ، وإنما لضمان تدفق النفط إلى الغرب .

وأسهم القلق على الاستقرار فى الشرق الأوسط ، والاعتماد المتزايد للغرب على بترول الخليج العربى ، والانسحاب البريطانى من شرقى السويس ، ودخول الأسطول السوفيتى إلى المحيط الهندى ، فى الاعتراف الأمريكى المتزايد بأهمية الخليج ، ليس هذا فحسب بل أيضاً فى التأكيد المستمر على تقوية المركز الأمريكى فى المنطقة . واتجهت حكومتا نيكسون وفورد ، المثقلتان مادياً وسيكولوجيا بحرب فيتنام ، إلى إدخال تحسينات هامشية فى البنية الأساسية ، ونظراً للاضطراب فى المنطقة فقد أمرتا بأن تقوم حاملة طائرات بزيارات للمحيط الهندى من حين إلى آخر . ولم يتم تعزيز القوات البحرية الأمريكية فى الخليج العربى ذاته .

ووقع على عاتق إدارة الرئيس جيمى كارتر عبء مواجهة ديناميات المعضلة الاستراتيجية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط بطريقة واقعية . وكان كارتر هو أول رئيس منتخب منذ ترومان يتولى الحكم دون أن يضطر لمواجهة أزمة فى الهند الصينية . وقد جاء حاكم ولاية جورجيا السابق إلى واشنطن مصمماً على أن يشغل موضوع الخطر الشيوعى الكونى الجزء الأقل من اهتمامه ، وأن تشغل المشكلات الإقليمية التى تواجه الولايات المتحدة الجزء الأكبر من اهتمامه . ومع أن كارتر كان « يسبق الأحداث » برفضه لخوف الأمريكيين « المغالى فيه » من السوفيت ، فإن قلقه بشأن المركز الأمريكى المتدهور فى الشرق الأوسط كان له ما يبرره تماما .

وتحركت إدارة كارتر بسرعة لدعم المركز الأمريكى فى المنطقة . وفى منتصف عام ١٩٧٧ ، أوضحت « مذكرة مراجعة رئاسية » رقم ١٠ أن « الخليج العربى باعتباره منطقة حيوية ومعرضة للهجوم ينبغى أن يستحق عناية أكبر من الناحية العسكرية . »(٥٨) ودعا « التوجيه الرئاسى رقم ١٨ » ، الذى وقعه كارتر فى ٢٤ أغسطس ١٩٧٧ ، إلى تشكيل ما أصبح يعرف فيما بعد بـ « قوة الانتشار السريع » ، وهى « قوة انتشار تتكون من فرق خفيفة قادرة على التحرك الاستراتيجى لمواجهة حالات الطوارىء على صعيد المعمورة ، وخاصة فى منطقة الخليج العربى وكوريا . »(٥٩) وأكد هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى ، فى خطاب ألقاه فى ديسمبر ١٩٧٧ ، أهمية القوات البحرية والقوات الجوية التكتيكية وسهولة الحركة الاستراتيجية المتطورة ، وهى كلها مقومات ثمينة ستمنح الولايات المتحدة القدرة على أن « ترد بفاعلية وفورا على أى حادث عسكرى غير متوقع سواء كان صغيرا نسبيا أم كبيرا . »(٦٠) وهذه السياسات التى أخذت بها إدارة كارتر قادت مباشرة إلى تأسيس « قوة الانتشار السريع » .

ولفكرة إيجاد قوة قادرة على الانتشار بسرعة جذور عميقة فى التفكير العسكرى الأمريكى . وكان الجيش قد أسس « فيلق الجيش الاستراتيجى » فى عام ١٩٥٨ . وكان من شأن الوحدات المختارة « لفيلق الجيش الاستراتيجى » - مركز قيادة الفيلق الثامن عشر المحمول جواً والفرقة ٨٢ المحمولة جوا - أن تشكل فى نهاية المطاف الجزء المركزى من قوة الانتشار السريع والقيادة المركزية . وقد تم نشر هذه الوحدات فى المملكة العربية السعودية أثناء عمليتى « درع الصحراء » و« عاصفة الصحراء » . وفى ظل قيادة الأميرال بيرك ، كان الأسطول قد بدأ أيضا فى أواخر الخمسينات التفكير فى توسيع وجوده فى المحيط الهندى عند دييجو جارسيا . وبالمثل ، شرعت هيئة الأركان الأمريكية المشتركة فى البحث عن هيكل للقيادة يشرف على العمليات التى كانت تقع خارج نطاق القيادات الموحدة القائمة للأسلحة المتعددة والمركزة جغرافيا ، وهى : « القيادة الأوروبية » و « قيادة المحيط الهادى » . وكان « القائد العام للقوات البحرية فى شرقى الأطلسى والبحر المتوسط » ، الذى اختير بصفة مؤقتة لمنصب « القائد العام للقيادة المحددة ، الشرق الأوسط » ، قد قاد عملية « الهراوة الزرقاء » (التدخل فى لبنان عام ١٩٥٨) . ومرة أخرى ، خلال أزمة الكونغو فى يوليو ١٩٦٠ ، دفع احتمال تدخل أمريكى فى الأزمة القوات المسلحة إلى مناقشة حول من الذى يجب أن يخطط لمثل هذه الاحتمال .(٦١)

وفى العام التالى ، وصلت إدارة كنيدى إلى واشنطن حاملة عددا لا يحصى من التصورات الجديدة المتعلقة بالدفاع ، منها نظرية الرد المرن . ومن أجل قيادة عمليات طوارىء محتملة فى مناطق مثل الشرق الأوسط ، أمرت الإدارة الأمريكية فى أول يناير ١٩٦٢ قادة هيئة الأركان المشتركة بتأسيس « قيادة الضربة » على أن يكون مقر قيادتها فى قاعدة « ماكديل » الجوية فى تامبا بولاية فلوريدا ، وهى القيادة التى عملت « قوة الشرق الأوسط » فيما بعد تحت إمرتها فى أوقات الأزمة . وتحسنت أيضا قدرات العمليات الخاصة ، وبدأ التوسع فى معدات القوة الجوية الاستراتيجية والنقل البحرى .

والمؤسف أن التورط الأمريكى فى فيتنام أدى إلى تأخير العديد من هذه التطورات .(٦٢) وعندما أمرت إدارة نيكسون ، فى ديسمبر ١٩٧١ ، رؤساء الأركان المشتركة بتأسيس « قيادة الضربة » (وكان وقع هذا الاسم فى آذان الأمريكيين عدوانياً جداً ويعبر عن ولع شديد بالتدخل) ، فإن مسئوليات « قيادة الاستعداد » ، التى تشكلت حديثاً ، لم تشتمل على الشرق الأوسط . وأعيدت مسئولية التخطيط لعمليات الطوارىء إلى « فيلق الجيش الاستراتيجى ـ أوروبا » وقائد القطاع البحرى فيه ، وهو « القائد العام للقوات البحرية الأمريكية ـ أوروبا » . وانتهت المناقشة حول هيكل القيادة ، مؤقتا على الأقل ، فى عام ١٩٨٣ فقط بتأسيس القيادة المركزية فى قاعدة ماكديل الجوية .

وعندما طلبت إدارة كارتر مراجعة استراتيجية أخرى ، وأمرت بوضوح تام رؤساء الأركان المشتركة بأن يتوصلوا إلى أن الولايات المتحدة ينبغى لها أن تقبل ، أخيراً جدا ، مسئولية الدفاع عن المنطقة ، فإنها (هذه الإدارة) كانت تستعيد الاتجاهات السياسية التى نُحيت جانباً فى الستينات وأوائل السبعينات . وتجاوباً مع التوجيه الرئاسى رقم ١٨ ، أشرفت هيئة الأركان المشتركة على مراجعة منهجية ـ أى بطيئة ـ للاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط . وفى ٧ سبتمبر ١٩٧٨ وافقت هيئة الأركان المشتركة للجيوش الأمريكية على « مراجعة لاستراتيجية الولايات المتحدة المتصلة بالشرق الأوسط والخليج العربى » ، ورفعتها فى نفس ذلك اليوم إلى وزير الدفاع براون . وقد ركزت هذه الوثيقة الانتباه على ثلاث مصالح أمريكية رئيسية فى المنطقة :

١ ـ ضمان حق الوصول بصفة مستمرة إلى موارد البترول .
٢ ـ منع دولة معادية أو مجموعة مؤتلفة من دول معادية من فرض الهيمنة .
٣ ـ ضمان بقاء إسرائيل كدولة مستقلة تربطها علاقات مستقرة بالدول العربية المجاورة .

وأوصى رؤساء الأركان المشتركة بالتوسع فى تسهيلات القواعد فى دييجو جارسيا ، وعُمان ، والمملكة العربية السعودية ، وجيبوتى ، ووضعوا خطط زيادة القوة البحرية لكى تشمل رفع معدلات انتشار « مجموعة حاملة طائرات » من شهر إلى ثلاثة شهور سنويا ، لكى تصبح من ثلاثة إلى أربعة شهور سنوياً . وعندما كانت « مجموعة حاملة الطائرات » غائبة عن الساحة فى وقت سابق ، أوصى قادة هيئة الأركان المشتركة بأن تقوم سفينة هجوم برمائية من نوع (إل اتش ايه أو إل بى اتش) مزودة بطائرات هاريارز « ايه فى ـ ٨ ايه » وقوة عمل جوية ـ برية ـ بحرية منقولة بحراً بدوريات فى المحيط الهندى .

« هذه القوات ستكون قادرة على حماية مصالح الولايات المتحدة وحلفائها فى المواقف الطارئة المفاجئة عن طريق القيام بمجموعة متنوعة من المهام (ليس بالضرورة فى وقت واحد) على مستويات متعددة من الكثافة . وهذه المهام ستشمل : سلسلة من العمليات الجوية التقليدية ، وعمليات برمائية ، وحماية خطوط الإمدادات والتموين ، ومساندة نيران مدفعية الأسطول ، وحماية وإجلاء رعايا الولايات المتحدة ورعايا دولة ثالثة يتم تحديدها من مناطق الأزمات / الحروب ، ومراقبة العمليات والأنشطة البحرية للسوفيت وغيرهم ، والقيام بعمليات ومناورات مع القوات الحليفة ، وترتيب زيارات للموانىء . »(٦٣)

ونظراً للضغط على الموارد الأمريكية ، وخاصة القطع البحرية التابعة للأسطولين السابع والسادس ، ولأن أمن المنطقة حيوى ليس فقط للولايات المتحدة ، بل أيضا لحلفائها ، فقد أوصى التقرير بتشجيع البريطانيين والهولنديين والألمان والاستراليين على زيادة انتشارهم البحرى ليصل إلى المحيط الهندى . وأشار التقرير إلى أن الفرنسيين كانوا قد نشروا بالفعل قوة كبيرة فى المنطقة . وطرح أيضا تقرير « مراجعة استراتيجية الولايات المتحدة المتصلة بالشرق الأوسط والخليج العربى » إمكانية إقامة أسطول يحمل رقماً فى المحيط الهندى : الأسطول الخامس . ولكن أسلحة الجيش ، وحتى سلاح البحرية ، ظلت غير متحمسة بشأن الخطة . ذلك أن المحيط الهندى ، بالنسبة لسلاح البحرية ، كان موقعاً « مروعاً » بمناخه القاسى وموانئه القليلة التى يتمتع فيها البحارة ومشاة البحرية بإجازة على الشاطىء .

وسرعان ما تجاوزت الأحداث هذا التقرير الاستراتيجي لهيئة الأركان المشتركة . وهذه الأحداث هى اندلاع الثورة الإيرانية وانهيار النظام الأمنى الأمريكى القائم فى الخليج . وبالنسبة للأمريكيين فإن عام ١٩٧٩ كان عام أزمة . ففى يناير من ذلك العام تنازل الشاه عن العرش . وبسرعة أثبتت حكومة الوسط التى حلت محل النظام الملكى عجزها ، وسيطر الملالى المتشددون بصورة متزايدة على السياسات الإيرانية . وفى نوفمبر ، استولى الإيرانيون على السفارة الأمريكية فى طهران ، وبدأت أزمة الرهائن المطولة . ثم بدأ الاتحاد السوفيتى فى شهر ديسمبر يحرك قواته إلى كابول فى أفغانستان . وفسر البعض هذه الخطوة من جانب موسكو على أنها مساعدة لدولة اشتراكية تتعرض للتهديد ، وذلك تطبيقاً لمبدأ بريجنيف . واعتبر آخرون الغزو بمثابة خطوة أولى فى خطة رئيسية شيوعية للزحف نحو المياه الدافئة للمحيط الهندى والاستيلاء على بترول الخليج العربى . وبصرف النظر عن دوافع القرار الذى اتخذته القيادة السوفيتية ، الذى صدر فيما يبدو أثناء حالة غيبوبة فى الكرملين بعد جلسة أدارت الخمر فيها الرؤوس ،(٦٤) فإن الاتحاد السوفيتى لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية استخدم القوة وراء حدوده أو حدود دول أوروبا الشرقية التى « حررها » الجيش الأحمر فى عام ١٩٤٥ .

وبالنسبة للولايات المتحدة ، فإن سقوط الشاه فى أوائل عام ١٩٧٩ كان كارثة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . وليس من المستغرب أنه بعد سقوط الشاه ، كثرت التحليلات التى كانت تنطلق من مقولة « ألم أقل لكم ؟ » . وهكذا فإن البروفيسور جيمس بيل ، الذى كان قد اعتنق لوقت طويل رأياً متشائماً فيما يختص باحتمالات بقاء الشاه فى الحكم ، أشار فى تأريخ للعلاقات الإيرانية ـ الأمريكية ، إلى ورقة سلمها لوزارة الخارجية الأمريكية فى أوائل ١٩٧٨ ، رسم فيها صورة « قاتمة » نوعا ما ولكنها تشتمل على تقييم واقعى للأحوال فى طهران .(٦٥)

وحاول هنرى كيسنجر ، فى مذكراته ، أن يدحض الهجمات بأثر رجعى على سياسة إدارة نيكسون . وأكد كيسنجر ثبات واستمرارية السياسة الأمريكية تجاه إيران ، ونوه بتعاون الشاه الذى اتضح فى أحوال كثيرة مع الولايات المتحدة وعلاقة الصداقة التى ربطته بها ، وأبرز مظاهر هذا التعاون بيعه البترول للأمريكيين أثناء الحظر البترولى العربى فى ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ .(٦٦) ورفض

كيسنجر فكرة أن مبيعات الأسلحة الأمريكية الضخمة فرضت على إيران مأزق الاختيار بين المدافع والزبد . وكتب يقول : « كذلك لا يمكن القول بأن مشتريات الشاه من الأسلحة أفضت إلى تحويل الموارد بعيدا عن التنمية الاقتصادية ، وهو النقد التقليدى الذى يوجه عادة لمبيعات الأسلحة إلى البلدان النامية ، فقد فعل الشاه الاثنين معاً .(٦٧) ومن وجهة نظر كيسنجر ، فإن الشاه سقط ليس لأن إصلاحاته كانت تسير ببطء شديد ، ولكن لأنها كانت تسير بمعدل أسرع مما ينبغى . فقد كان الشاه ضحية أزمة تحديث .

ولكن حملة الشاه من أجل التحديث بمساندة أمريكا - النمو العسكرى السريع ، ومحاولة جر إيران بنفس السرعة إلى القرن العشرين - زادت من حدة التوترات الداخلية وعجلت بسقوطه ، وربما كانت الدافع وراء هذا السقوط . وفى مقال كتبه تيودور موران قبل وقت قصير من قيام الثورة ، أوضح قائلا إنه « فى السنوات الأولى من سيطرة الإحساس بالرخاء وتحسن الأحوال عقب ارتفاع أسعار النفط بمقدار أربعة أضعاف فى ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ، شعر المخططون الإيرانيون بأنهم يملكون الموارد المالية اللازمة لكل جوانب التنمية . وقد ثبت أنهم كانوا على خطأ . »(٦٨) فقد استهدف الإبقاء على أسعار الطعام تحت السيطرة أن تكون الإمدادات التموينية للمراكز الحضرية رخيصة ، غير أن هذه السيطرة لم يكن لها امتداد فى الريف مما أدى إلى هبوط فى الانتاج الزراعى وإلى فاتورة بمليارات الدولارات هى قيمة الأغذية المستوردة . وبلغ مجموع إنفاق الشاه على الدفاع ما يعادل ثلث ميزانيته . ورغم ثروة البلاد النفطية ، فإن الحكومة الإيرانية واجهت بالفعل عجزاً مالياً فى عام ١٩٧٦ .(٦٩) والأمر الذى يصعب تصديقه هو أن طهران ، عاصمة إيران الغنية بالنفط ، كان يُفرض فيها الإظلام فى عام ١٩٧٧ لمدة ست ساعات بسبب نقص الوقود وضعف طاقة التوليد الكهربائى .

وبالإضافة إلى ذلك ، فإن رغبة الشاه السافرة فى مساندة السياسة الأمريكية أدت إلى تصعيد مشاعر الكراهية ضد الأجانب ، وحقق الوجود الأمريكى المتزايد دوما فى إيران نفس النتيجة . وقد كسب آية الله روح الله خومينى الشهرة على النطاق القومى لأول مرة باعتباره صاحب الصوت الأعلى فى انتقاد قبول الشاه لاتفاقية « الوضع القانونى للقوات » عام ١٩٦٤ التى كانت تعفى الأفراد العسكريين الأمريكيين فى إيران ، عملياً ، من الخضوع للقوانين الإيرانية . وندد خومينى بالاتفاقية التى « تحط من قدر الشعب الإيرانى وتجعله فى مستوى أدنى من كلب أمريكى » ، وقد صدر قرار بنفيه بعد ذلك بوقت قصير .(٧٠) وبينما كان مبدأ نيكسون يدعو إلى دخول أمريكى محدود إلى الخليج ووجود أمريكى مُصَغَّر هناك ، إلا أن المساعدة الضخمة التى كانت مطلوبة للإشراف على برامج المعونة العسكرية والاقتصادية فرضت نقيض ذلك تماما . وتوقع تقدير للموقف أعدته وزارة الدفاع الأمريكية فى منتصف السبعينات ، أن حوالى ١٥٠ ألف أمريكى سيكونون فى الشرق الأوسط بحلول عام ١٩٨٠ .(٧١) وعندما زار الرئيس كارتر إيران فى ديسمبر عام ١٩٧٧ ، كان هناك بالفعل ٣٠ ألف أمريكى فى البلاد ، وهو عدد يماثل العدد الذى كان هناك فى أوج الوجود الأمريكى أثناء الحرب العالمية الثانية .(٧٢)

وفى منتصف السبعينات ، بلغت عملية التحديث فى إيران مرحلة الأزمة . وتفاقمت الأزمة

بسبب التضخم ، والتنمية الداخلية السريعة واتساع حجم الجيش الإيرانى ، بما يتجاوز احتياجات الأمن الواقعية (ويتجاوز أيضا قدرة الجيش على الاستيعاب والاستفادة) . ومع تسارع عملية التحديث وتصاعد الضغوط الداخلية ، كان الشاه نفسه مستغرقاً أكثر فأكثر فى الإشراف على تعزيز القوة العسكرية وتوجيه السياسة الخارجية الإيرانية .(٧٣)

ولم يكن الشاه ألعوبة أمريكية ، وهو يتحمل المسئولية الأولى عن مصيره .(٧٤) وإذا كانت الحكومة الإيرانية قد فقدت القدرة على الاستجابة لاحتياجات شعبها ، فإن تلك الحكومة هى من صنع الشاه ، وهو الذى صاغها وشكلها لضمان سلامته الشخصية عن طريق منع نمو أى مركز منافس لقوة سياسية . وإذا كان الجيش الإيرانى قد فقد الرغبة فى إنقاذ مليكه أو استبداله بشخص آخر أو أصبح عاجزا عن تحقيق ذلك ، فإن السبب كان يرجع إلى أن الشاه وضع كل الضمانات لكى يكون العسكريون منقسمين ويقودهم رجال من المستبعد أن يسعوا للاستيلاء على السلطة فى انقلاب عسكرى . ووضع النظام كل السلطة فى أيدى رجل كان فى عامى ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ يحتضر من إصابته بالسرطان ويخضع للعلاج بالمواد الكيميائية .(٧٥) وفى نهاية المطاف ، هرب الشاه من البلاد فى غمار الأزمة كما فعل فى مرات كثيرة من قبل . وكتب جيمس بيل : « لقد أدرك الشاه فى النهاية أفضل مما أدرك النقاد الغربيون الناقمون ، وأفضل مما أدرك جنرالاته العسكريون المتشددون أن مثل هذه الانتفاضة الوطنية لا يمكن إخمادها بالقوة إلى ما لا نهاية . »(٧٦) وحتى كيسنجر اعترف فى وقت لاحق قائلا :

« عاقل هو الحاكم الذى يفهم أن التنمية الاقتصادية ، بصرف النظر عن أنها تؤدى إلى تقوية مركزه ، تحمل معها حتمية إقامة مؤسسات سياسية جديدة لكى تتواءم مع الأوضاع التى تزداد تعقيداً فى مجتمعه . ولا يمكن أن يقال إن الشاه أو أصدقاءه على السواء امتلكوا هذه الحكمة ، ولكن الجدير بالملاحظة أن أعداءه لم يمتلكوها هم أيضا . »(٧٧)

وبعد سقوط الشاه تحركت إدارة كارتر بسرعة لتدعيم المركز الأمريكى فى المنطقة . ففى المملكة العربية السعودية ، تم خلال شهرى يناير ومارس ١٩٧٩ ، نشر طائرات من طراز « إف - ١٥ » غير مسلحة تابعة للسلاح الجوى الأمريكى وطائرات نظام الإنذار المبكر والرقابة المحمول جواً (أواكس) ، وذلك فى استعراض للقوة بأسلوب كارتر .(٧٨) وأبحرت حاملة الطائرات ميدواى إلى المحيط الهندى من غربى المحيط الهادى ، وهى معززة بمجموعة حاملة طائرات . وعقب احتجاز الرهائن فى طهران فى شهر نوفمبر ، غادرت حاملة الطائرات كيتى هوك « سى فى بى جى » خليج سوبيك فى الفلبين متجهة إلى بحر العرب .(٧٩)

ونظراً لأن الغزو السوفيتى لأفغانستان جاء فى أعقاب الثورة فى إيران مباشرة ، فقد أثار رد فعل حادا من جانب الغرب . وفرضت إدارة كارتر حظراً على شحنات الحبوب إلى الاتحاد السوفيتى وسحبت الفريق الرياضى الأمريكى من دورة الألعاب الأوليمبية التى كانت توشك أن تبدأ مسابقاتها فى موسكو . وقرر كارتر أن القيام بعمل قوى يمثل ضرورة لردع أى تحركات سوفيتية

أخرى ناحية الجنوب . وفى خطابه عن « حالة الاتحاد » فى ٢٣ يناير ١٩٨٠ ، أعلن الرئيس ما أصبح معروفاً بـ « مبدأ كارتر » .

« فلنجعل موقفنا واضحاً بصورة مطلقة : أى محاولة تقوم بها أى قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج العربى ستُعد اعتداءً على المصالح الحيوية للولايات المتحدة الأمريكية ، وسيتم الرد على هذا الاعتداء بكل الوسائل الضرورية ، بما فيها القوة العسكرية . »(٨٠)

ومن أجل إكساب السياسة الجديدة مزيدا من الصلابة ، واصلت الإدارة الأمريكية نشر قوات عسكرية فى المنطقة . وهكذا تم نشر طائرات (أواكس) التابعة للسلاح الجوى الأمريكى فى مصر ، وحلقت قاذفات قنابل من طراز « بى ـ ٥٢ » قادمة من جزيرة جوام فوق بحر العرب فى استعراض للقوة الجوية الأمريكية . ولكن البحرية الأمريكية تحملت العبء الأكبر . فعندما ألقى كارتر خطابه فى منتصف يناير ، كان للبحرية ٢٥ سفينة ، منها ثلاث حاملات طائرات ، فى المحيط الهندى ، وهى قوة أشد بأساً من تلك التى نشرتها إدارة ريجان أثناء حرب الناقلات مع إيران فى ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ .(٨١)

وفى خطاب ألقاه وزير الدفاع هارولد براون فى ٦ مارس ١٩٨٠ ، أوجز الجوانب العسكرية المتضمنة فى مبدأ كارتر . وعدّد براون المصالح الأمريكية فى المنطقة : « ضمان حق الوصول إلى إمدادات كافية من النفط ، ومقاومة التوسع السوفيتى ، وتشجيع الاستقرار فى المنطقة ، ودفع عملية السلام فى الشرق الأوسط ، مع ضمان ـ وفى الحقيقة من أجل المساعدة على ضمان ـ الأمن المستمر لدولة إسرائيل فى الوقت نفسه . » وفيما يختص بالنفط ، أكد وزير الدفاع أهمية صون النفط كعنصر من عناصر الأمن القومى ، ولكنه ركّز أيضا على أنه

« لا يمكن تصور وجود مجموعة مترابطة من الإجراءات ـ صون النفط أو تخزينه أو إيجاد موارد بديلة للطاقة ـ يمكن أن تقصى كلياً مشكلة الأمن القريبة الأجل والتى نشأت عن التهديدات الموجهة إلى الخليج وإلى نفطه . والحقيقة الموجعة هى أن الولايات المتحدة ـ أو شركاءنا فى العالم الصناعى أو الدول الأقل تطوراً ـ لن تستطيع أن تفعل شيئاً فى الحقبة القادمة ، أو ربما حتى فى الحقبة التى تليها ، يمكنه أن ينقذنا من الضرر الجسيم فى حالة قطع معظم إمدادات الخليج العربى من النفط لفترة طويلة . »

وأعلن براون أنه بناء على ما سبق ، فإن الولايات المتحدة تشكل « قوات الانتشار السريع » وتزيد من قدرتها على خلق قوة عسكرية فى المنطقة .(٨٢)

ولسوء حظ الولايات المتحدة وإدارة كارتر ، فقد ثبت أن عام ١٩٨٠ لا يقل صعوبة عن عام ١٩٧٩ . فقد انتهت المحاولة التى جرت فى شهر أبريل لإنقاذ الرهائن بكارثة فى « الصحراء (١) » ، وهو موقع اللقاء فوق الهضبة الإيرانية . وتسبب الفشل الذريع فى عملية إنقاذ الرهائن فى إضعاف آخر لمصداقية الإدارة الأمريكية ، وبدا أن هذا الفشل يقدم صورة مجسمة للعجز العسكرى الأمريكى فى المنطقة .

الزيادات فى قوة البحرية الأمريكية فى المحيط الهندى ، ١٩٧٦ - ١٩٨٨

السنة	أيام سفن السطح	أيام حاملات الطائرات	النسبة المئوية لحاملات الطائرات الموزعة	المتوسط السنوى لعدد حاملات الطائرات
١٩٧٦	١٢٧٩	١٩	٣	٠,١
١٩٧٧	١٤٣٩	١٠٠	٧	٠,٣
١٩٧٨	١٢٠٧	٣٥	٣	٠,١
١٩٧٩	٢٦١٢	١٥٣	٩	٠,٤
١٩٨٠	٦٩٩٣	٨٣٦	٥١	٢,٣
١٩٨١	٥٦٥١	٦٤٦	٣٩	١,٧
١٩٨٢	٥٣٦١	٤٤٣	٢٧	١,٢
١٩٨٣	٤٧٠٤	٤٠٦	٢٤	١
١٩٨٤	٥٣٣٥	٤١٠	٢٨	١,١
١٩٨٥	٥١٣٦	٤٧٥	٣٦	١,٣
١٩٨٦	٣٥٨٠	١٨٥	١٣	٠,٥
١٩٨٧	٦٧٦٠	٤١٢	٣٠	١,١
١٩٨٨	٧٩٩١	٤١٢	٣٠	١,١

المصدر : Adam Siegel, Karen Domabyl, and Barbara Lindberg, *Deployment of U.S. Navy Aircraft Carriers and Other Surface Ships*, 1976-1988, pp. 13, 15, 21, 26-27.

إن تاريخ محاولة إنقاذ الرهائن متخم بأمثلة على الحماقة الأمريكية ، والافتقار إلى التصميم ، وعدم توافر المعلومات الضرورية . فبعد أسبوع من الاستيلاء على السفارة الأمريكية فى طهران فى ٤ نوفمبر ١٩٧٩ بواسطة « طلاب » إيرانيين ، عكف العسكريون الأمريكيون على وضع مجموعة متنوعة من الخطط لاستخدام القوة سواء بغرض تحرير الرهائن ، أو القيام برد انتقامى فى حالة شروع الإيرانيين فى إعدام الأسرى أو إيذائهم . وأظهرت جهود التخطيط القيود المادية والسياسية التى تواجه الولايات المتحدة فى المنطقة . ذلك أنه باستثناء عُمان ، لم تكن هناك دولة واحدة من دول الخليج مستعدة للسماح للطائرات الأمريكية بالعمل من أراضيها لمساندة أى محاولة ضد إيران . كما أن مصاعب تحريك قوات كبيرة إلى المنطقة كانت مثبطة للهمة . ومع ذلك ، ففى بداية عام ١٩٨٠ ، كانت هناك فى المحيط الهندى قوة مشكلة لمهام محددة تضم ثلاث حاملات تابعة للبحرية الأمريكية ، وفيلق صغير من مشاة البحرية قادر على التحرك البرمائى ومعدّ للاستخدام فى حالة الطوارىء - وذلك لدعم « قوة الشرق الأوسط » .

ورفضت إدارة كارتر عدة خيارات لتوجيه ضربة انتقامية تنطوى على مخاطرة أقل وقابلية أكبر للتنفيذ من الوجهة العسكرية ، مثل خطة للاستيلاء على جزيرة خرج ، وهى محطة أخيرة مهمة لخطوط أنابيب النفط تقع فى شمال الخليج العربى . وبدلاً من ذلك ، أصدر كارتر فى ١١ أبريل

١٩٨٠ أمراً تنفيذيا لأحد الخيارات الموضوعة لإنقاذ الرهائن الذى كان يحمل حتى ذلك الوقت اسما سرياً هو « وعاء الأرز » .

وفى ٢٤ أبريل ، بدأت هذه العملية التى أُطلق عليها الاسم الكودى « مخلب النسر » .(٨٣) ولسوء الحظ ، فإن القائد فى الموقع أجهض المهمة عندما تعرضت ثلاث من طائرات الهيليكوبتر « آر آتش ـ ٥٣ » الثمانى التابعة للبحرية الأمريكية لأعطال ميكانيكية .(٨٤) وبدت مهمة الإنقاذ الفاشلة فى ذلك الوقت تأكيدا لعجز الولايات المتحدة فى الخليج .

ومع استمرار أزمة الرهائن ، واجهت إدارة كارتر ، التى كانت تتعرض بالفعل لضغوط شديدة ، تحدياً رئيسيا آخر . ففى سبتمبر ، تحولت العلاقات المتدهورة بين إيران والعراق إلى حرب سافرة . وتوقع معظم المحللين الغربيين ، والعراقيين أنفسهم بلا شك ، نصراً عراقياً سريعاً من خلال أسلوب الحرب الخاطفة المباغتة الذى استخدم فى الحرب العالمية الثانية ، وبدا أن النجاحات العراقية الأولى تعزز هذا الرأى .(٨٥) ولكن التقدم تعثر بعد الأسابيع القليلة الأولى واستمرت الحرب لثمانى سنوات .

وطرحت الحرب الإيرانية ـ العراقية على الولايات المتحدة معضلة جديدة . ذلك أن مبدأ كارتر كان قد عالج مسألة التهديدات الخارجية للخليج ، أى « من خارج المنطقة » ، والمقصود بها التهديدات السوفيتية . ولكن ماذا عن تهديد « داخلى » ؟ وكان وزير الدفاع براون قد ردد فى خطابه فى مارس ١٩٧٩ الاستنتاجات التى توصلت إليها « مراجعة استراتيجية الولايات المتحدة المتصلة بالشرق الأوسط والخليج العربى » التى وضعتها هيئة الأركان المشتركة ، واعتبر أن « حق الوصول إلى إمدادات بترولية كافية » هو الهدف الأمريكى الأول فى المنطقة . فهل ترد الولايات المتحدة بالقوة العسكرية إذا جاء التهديد لإمدادات البترول للغرب من دولة شرق أوسطية ؟

ومع التطور التدريجى لسياسة إدارة كارتر ، فقد ثبت أن الإجابة بالإيجاب . فقد كان رد الفعل الفورى للرئيس تجاه الحرب الإيرانية ـ العراقية هو مواصلة الاحتشاد العسكرى الذى كان قد بدأ فى أوائل عام ١٩٧٩ . ودخلت سفينتان حربيتان أمريكيتان أخريان الخليج العربى ، وبذلك أصبح لدى « قوة الشرق الأوسط » سبع سفن .(٨٦) وعادت طائرات « أواكس » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى والطائرات المخصصة لتزويدها بالوقود أثناء التحليق إلى المملكة العربية السعودية . وظلت مجموعتا حاملة طائرات فى شمال بحر العرب أو على مقربة منه ، وبذلك أصبح عدد قطع البحرية الأمريكية فى المنطقة أكثر من ثلاثين سفينة . واكتشف كارتر أيضا أن القيادة الأمريكية القوية تجتذب التأييد . وعلى النمط الذى سيقتفى أثره طوال الحقبة ، وأثناء حرب الخليج فى ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ أيضا ، أرسلت دول أوروبا الغربية سفنها الحربية إلى الخليج لمساندة الولايات المتحدة . وبحلول شهر أكتوبر كانت هناك حوالى ستين سفينة حربية أمريكية وفرنسية وبريطانية وأسترالية فى المحيط الهندى أو الخليج تراقب عن كثب الطرفين المتحاربين ، وكذلك قرابة ثلاثين سفينة حربية سوفيتية فى المنطقة .(٨٧)

واستهدف هذا الاستعراض الغربى للقوة خلق انطباع قوى ليس فقط لدى السوفيت وإنما لدى دول الخليج أيضا . وأشار كارتر فى حديثه إلى الصحفيين فى البيت الأبيض فى ٢٤ سبتمبر إلى أن فقدان النفط الإيرانى والعراقى لن يكون له تأثير كبير على الإمدادات النفطية على مستوى العالم ، ولكنه أكد :

« إن توقفا كاملا لصادرات النفط من الدول الأخرى التى تشحن بترولها عبر منطقة الخليج العربى سوف يخلق ، بطبيعة الحال ، تهديداً خطيرا للإمدادات البترولية العالمية ، وبالتالى تهديدا لسلامة اقتصاد كل الدول . ولذلك ، فإنه من الأهمية بمكان أن أضيف مساندتى القوية شخصياً ومساندة بلادى للبيان الذى أصدرته دول المجموعة الأوروبية التسع بالأمس . إن حرية الملاحة فى الخليج العربى لها أهمية قصوى بالنسبة للمجتمع الدولى كله . ومن المحتم ألا يحدث انتهاك لحرية مرور السفن الذاهبة إلى منطقة الخليج العربى والآتية منها . »(٨٨)

وبعد ثلاثة أسابيع أكد وزير الخارجية الأمريكى ادموند ماسكى مرة أخرى موقف الرئيس ، فقال : « لقد التزمنا بأن نفعل ما هو ضرورى لحماية الملاحة البحرية الحرة فى مضيق هرمز من أى تدخل . »(٨٩)

وفى أواخر عام ١٩٨٠ ، كانت إدارة كارتر قد أحدثت تحولاً جذرياً فى السياسة الأمريكية فى الخليج العربى . وعكف كارتر ومستشاره لشئون الأمن القومى ، زبجنيو بريجنسكى ، على دراسة المشكلة المحيرة المتعلقة بالدفاع عن الشرق الأوسط ، وتوصلا إلى نتيجة مفادها أنه مع خروج البريطانيين من المنطقة والإطاحة بالشاه ، فإن الولايات المتحدة لا يسعها تجنب الاضطلاع بالمسئولية الأولى فى الدفاع عن الشرق الأوسط . وكان الخيار الآخر الوحيد هو الانسحاب ، الأمر الذى لم يكن وارداً سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية .

ولم يكن الوضوح الفكرى لدى كارتر بشأن هذه المسألة نتاج خيارات محدودة فقط . فمنذ البداية ركزت إدارته على المشكلات الإقليمية مثل مشكلات الشرق الأوسط ، وهى مشكلات طال أمد تجاهلها . وقد حقق هذا التركيز ثماره فى شكل اتفاقية كامب ديفيد التى جلبت السلام لمصر وإسرائيل وجعلت من أكبر الدول العربية تعدادا بالسكان فى الشرق الأوسط حليفا لأمريكا . ومع أن كارتر لم يحرز نجاحا مماثلاً فى الخليج ، فإن فشله يرجع إلى خطايا أسلافه أكثر مما يرجع إلى قصور فى سياساته .

وبحلول ١٩٨٠ كانت الولايات المتحدة قد اتخذت مسارا جديداً فى الشرق الأوسط ، وهو مسار لا ينقض مبدأ نيكسون فقط بل يقلب رأساً على عقب أيضا أفكارا وتصورات كانت تستبعد لوقت طويل التزاماً عسكريا أمريكيا مباشرا فى الشرق الأوسط . ونتيجة لمبدأ كارتر و« تعهد » وزير الخارجية ماسكى بأن يبقى مضيق هرمز مفتوحاً ونمو « قوة الانتشار السريع » ، فقد اتسعت المسئوليات والخيارات السياسية الأمريكية . ذلك أن الولايات المتحدة لم تلزم نفسها فقط بعمل عسكرى ضد أى تحرك سوفيتى فى المنطقة ، بل طرحت إمكانية أن ترد بالقوة على تهديد لإمدادات النفط إلى الغرب ينبع من داخل الشرق الأوسط .

ولم يتم التعبير عن هذه الاعتبارات فى واشنطن بنفس الصوت العالى والواضح الذى كان يُستخدم فى التعبير عن القلق من التهديد السوفيتى . فبينما كان يمكن توقع أن يلقى تطوير القدرة على إبراز القوة الأمريكية فى الشرق الأوسط لوقف هجوم روسى تأييد الدول العربية المعتدلة ، إلا أن تطوير القدرة على تحريك قوة عسكرية للولايات المتحدة إلى المنطقة لاستخدامها ضد الدول المنتجة للنفط ذاتها .. كان من الصعب أن يؤدى إلى تسهيل الجهود الأمريكية لإقامة دعامة لدور متصاعد ووجود متزايد فى المنطقة . وكما لاحظ وزير الدفاع الأمريكى السابق هارولد براون فى دراسة كتبها بعد وقت قصير من تركه لمنصبه : « إن المواقف المتباعدة - والمتصلة ببعضها فى نفس الوقت - لدول الخليج العربى تجاه مسألة الدفاع عنها ضد القوات السوفيتية ومسألة خضوعها لإكراه القوات الغربية ، يجعل من الإعلان الصريح عن مضمون السياسة المتعلقة بالدفاع ضد التهديدات المحلية عملاً غير حكيم . »(٩٠)

كانت الفترة من ١٩٦٨ حتى ١٩٨٠ ، فى حقيقة الأمر ، قصة مبدأين . والعديد من المشكلات التى واجهتها الولايات المتحدة (وسوف تواجهها فى الخليج العربى خلال التسعينات) موروثة من مبدأ نيكسون ، بينما كانت الوسائل التى واجهت بها الولايات المتحدة بنجاح تلك المشكلات تتصل إلى حد كبير بميراث مبدأ كارتر .

الفصل السادس

ليس أثناء ولاية هذا الرئيس

إدارة ريجان والخليج

١٩٨١ ـ ١٩٨٧

رغم أن إدارة كارتر حولت سياسة الولايات المتحدة فى الخليج العربى إلى وجهة جديدة مثيرة ، وشرعت فى تحريك التطورات السياسية والعسكرية اللازمة لدعم هذه السياسة ، إلا أن مناخ الأزمة المتواصل فى الخليج لم يحقق سوى نتيجة مؤكدة هى هزيمة الرئيس فى الانتخابات عام ١٩٨٠ .

ولعب ارتفاع أسعار بترول الخليج العربى دوره فى خنق الاقتصاد بحيث لاح أنه يمر بحالة من الكساد الدائم . وأفضى تعرض الأمريكيين لصدمات ، من قبيل سقوط الشاه وأزمة الرهائن والغزو السوفيتى لأفغانستان ، إلى تفاقم حالة « الضيق » التى اعترف حتى كارتر بأنها استحوذت على الشعب الأمريكى . وفجأة ، وبصورة غير متوقعة ، أصبح أمن الخليج العربى ـ وهو منطقة حيوية بالفعل للولايات المتحدة من النواحى التجارية والاستراتيجية والجغرافية ـ الاقتصادية ـ ذا أهمية سياسية حاسمة للرؤساء الأمريكيين لكى يحتفظوا بتأييد الناخب الأمريكى لبقائهم فى البيت الأبيض .

ولم يغب هذا الدرس عن خليفة كارتر : رونالد ريجان . وقد حمل ريجان معه إحساساً متجدداً بالتفاؤل إلى مقعد الرئاسة الأمريكية فى يناير ١٩٨١ . ووعد بإنهاء الشعور « بالضيق » لدى الشعب الأمريكى ، ودفع عجلة النشاط الاقتصادى ، وإعادة بناء القوة العسكرية ، وإعطاء وجهة جديدة للسياسة الكونية الأمريكية ، وعكس اتجاه ما كان الكثيرون يتصورون أنه فترة انحدار للولايات المتحدة .(١) ووصل ريجان إلى واشنطن أيضا فى يناير ١٩٨١ مصمما على عدم السماح لأحداث الخليج بأن تقوض أركان إدارته على النحو الذى حدث مع إدارة كارتر .

وسوف يظل المؤرخون والمحللون السياسيون يتناقشون طويلا حول المدى الذى وصل إليه ريجان فى إعادة توجيه الأمة ، أو ـ ببساطة ـ فى التعبير عن المزاج الأمريكى السائد واستثمار

هذا المزاج لمصلحته . ولكن فيما يختص بسياسة الولايات المتحدة فى منطقة الخليج العربى - المحيط الهندى ، فقد ورث ريجان سياسات دبلوماسية وعسكرية محددة ومعلنة بوضوح من الإدارة السابقة ، هى مبدأ كارتر وقوة الانتشار السريع .

وأقامت إدارة ريجان عملها على أساس تبنى هذه السياسات الموروثة ، وفى النهاية تولت تنفيذها . وأدى التطور المستمر فى قوة الانتشار السريع إلى تأسيس قيادة موحدة جديدة فى عام ١٩٨٣ ، هى القيادة المركزية للولايات المتحدة . وقرر الرئيس رونالد ريجان فى عام ١٩٨٧ أن يتصرف علي أساس تعهد وزير الخارجية ماسكى فى عام ١٩٨٠ بالقيام بما هو ضرورى للمحافظة على مرور آمن لناقلات البترول فى الخليج العربى يجعلها سالمة من « التدخل » .

وفى البداية ، حاول المتحدثون باسم إدارة ريجان بوجه عام أن ينأوا بأنفسهم بعيداً عن أى شيء يحمل بصمة « كارتر » .(٢) ولم تتحرك الإدارة الأمريكية الجديدة إلا بخطى تدريجية لكى تتبنى بعض سياسات سلفها . ودعا وزير الدفاع كاسبر واينبرجر فى ٢٨ يناير عام ١٩٨١ ، فى شهادة أمام لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس الشيوخ ، إلى أسطول « قادر على المحافظة على التزام فى المحيطات الثلاثة » ، مما يعنى بطريق غير مباشر احتشاداً مستمراً للقوات البحرية فى المحيط الهندى .(٣) وأكد أول تقدير توجيهى أعدته الإدارة لمتطلبات الدفاع فى المستقبل ، الحاجة إلى « ضمان التدفق المستمر للبترول » من الخليج العربى ، كما ركز على أهمية « بذل جهود أكبر فى الأجل القريب لرفع مستوى قدراتنا فى إرسال قوات فى هذه المنطقة واستخدامها . »(٤) وأجاب وزير الخارجية ألكسندر هيج على سؤال حول مبدأ كارتر فى مقابلة أجرتها معه مجلة « تايم » ، قائلا :

« تعتمد المجتمعات الصناعية الغربية إلى حد كبير على الموارد النفطية لمنطقة الشرق الأوسط . وعلى ذلك فإن تعرض حق الوصول إلى ذلك النفط للخطر سيشكل تهديداً خطيراً للمصلحة القومية الحيوية . وينبغى التعامل مع هذا التهديد ، وهذا التعامل لا يستبعد استخدام القوة . »(٥)

وتحدث فرانك كارلوتشى نائب وزير الدفاع الأمريكى يوم ٩ مارس أثناء شهادة أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ عن القلق الأمريكى على أمن منطقة الخليج ، وعرض النقاط الرئيسية لعدة حلول منها زيادة الوجود البحرى الأمريكى فى المحيط الهندى بإضافة مجموعة حاملة طائرات أو مجموعتين وقوة عمل بحرية - جوية - برية متحركة ، والتطوير المستمر لقوة عمل مشتركة للانتشار السريع ، وبذل جهود دبلوماسية للحصول على المزيد من حقوق استخدام موانيء وقواعد جوية محلية ، وتوسيع منشأت ومرافق دييجو جارسيا ، وتخزين معدات ومئونة .(٦)

وكان امتناع الإدارة الجديدة عن التبنى الصريح للسياسات القائمة يرجع إلى عوامل فلسفية وسياسية على السواء . ورغم أن ريجان كان قد هاجم رئاسة كارتر خلال الحملة الانتخابية ، إلا أنه أدرك جيدا أنه ورث عن سلفه كمية كبيرة من الأفكار والنظريات السياسية .(٧)

ومن البداية ، تعرض مبدأ كارتر وقوة الانتشار السريع لهجوم من كلا الحزبين . وتساءل السناتور إدوارد كنيدى ، الذى كان يعارض منذ وقت طويل الدور الأمريكى فى المنطقة ، عن الحكمة وراء التزام كارتر بالدفاع عن الخليج . وأعرب آخرون عن شكوكهم إزاء مضمون هذه

السياسة . ووصف البعض مبدأ كارتر بأنه خدعة . وتوسع المحللون فى اتهاماتهم ، فقالوا إن فكرة قوة الانتشار السريع اعتمدت بصورة مفرطة على قدرات لا وجود لها فى مجال النقل الجوى والنقل البحرى ، مما يعنى أن قوة الانتشار السريع ليست سريعة وليست قادرة على الانتشار وليست قوة .

وأكثر الانتقادات الجوهرية فى هذا الشأن هى تلك التى تركزت على مشكلات الإمداد والتموين والنقل التى كانت ستواجه أى جهد أمريكى لوضع قوة عسكرية فى المنطقة . وقد تسببت جوانب القصور فى مجال الإمدادات والتموين والنقل فى إقناع أحد المحللين العسكريين ، وهو جيفرى ريكورد ، بأن « قوة الانتشار السريع » كانت بمثابة « دعوة مستديمة إلى كارثة عسكرية » ، حيث « إن قوة الانتشار السريع كما تتصورها وزارة الدفاع حاليا هى اداة تعانى من خلل قاتل يجعلها لا تصلح للقيام بتدخل عسكرى أمريكى فعال فى الخليج العربى . »(٨)

وهاجم جوشوا ابشتين - فى دراسة متوازنة وقوية الحجة لمفهوم قوة الانتشار السريع - ما اعتبره التصورات الأساسية لاستراتيجية كارتر : أن تكون قوة الانتشار السريع بمثابة إشارة تحذير يساندها تهديد بتصعيد أمريكى أفقى ورأسى .(٩) وقال ابشتين إن الردع الناجح يجب أن يرتكز على قوة تسليح تقليدى قادرة على وقف التحرك السوفيتى إلى داخل إيران . وعمد ابشتين - على خلاف معظم منتقدى فكرة قوة الانتشار السريع الآخرين - إلى اقامة الدليل على أنه نظراً لأن السوفيت يواجهون أيضا مصاعب هائلة فى خطوط النقل والامداد والتموين فى الشرق الأوسط ، فإن الولايات المتحدة تستطيع ، فى الحقيقة ، تشكيل قوة صغيرة قابلة للانتشار وقادرة على عمل فعال فى ساحة الخليج العربى .(١٠)

كانت معظم الانتقادات التى وجهت إلى مبدأ كارتر وقوة الانتشار السريع جديرة بالنظر . ولم يكن هناك وجود للقوة العسكرية اللازمة لمساندة السياسات المقررة فى بداية الثمانينات . وكانت هناك مشكلات نظرية تتعلق بفكرة الردع النووى أو حتى الردع التقليدى . هل يخاطر الأمريكيون حقا بحرب مع الاتحاد السوفيتى ، سواء نووية أو تقليدية ، لإنقاذ إيران الثورية ؟ وكان واقع خطوط النقل والإمدادات والتموين ، التى تشكل جزءا من العمليات فى مكان يقع على منتصف المسافة حول العالم ، قاسياً .

ورغم ذلك ، فكما أشار بريجنسكى فى مذكراته عن الفترة التى عمل فيها مستشارا لكارتر لشئون الأمن القومى ، فإن البيانات الرسمية مثل مبدأ كارتر كان يجب أن تصدر مقدماً قبل تطوير القدرات كما جرت العادة فى الأنظمة الديمقراطية . ذلك أنه عن طريق هذه الوسيلة فقط تستطيع الادارة أن تجمع التأييد الشعبى والسياسى الكافى للبرامج طويلة المدى التى يتطلبها فى نهاية المطاف تنفيذ السياسة . ولم يكن العسكريون الأمريكيون أفضل حالاً من حيث الاستعداد للدفاع عن اليونان وتركيا عندما أعلن ترومان مبدأه فى سنة ١٩٤٧ ، أو من حيث الاستعداد للدفاع عن أوروبا الغربية عندما تم التوقيع على معاهدة حلف شمال الأطلسى فى عام ١٩٤٩ .

ولم تكن الفكرة التى تكمن وراء قوة الانتشار السريع ثمرة تسرع بلا تفكير ونتاج عملية تلفيق جرت على عجل بواسطة العلاقات العامة فى إدارة كارتر . فقد نشأ مفهوم قوة الانتشار السريع

وتطور من خلال عملية تفكير استراتيجي طويل حول الشرق الأوسط ، وحول طبيعة العسكرية الأمريكية التي لها جذور عميقة في الولايات المتحدة . وعلق وزير الدفاع براون في مطلع عام ١٩٨٠ قائلا : « إن الولايات المتحدة كانت تعكف منذ وقت طويل على دراسة مسألة الانتشار السريع ووضع قوة عسكرية في المنطقة . وإذا ساورتكم الشكوك في ذلك ، اسألوا مشاة البحرية الذين احتفلوا منذ خمس سنوات بعيدهم المئوي الثاني . »(١١)

كان مبدأ كارتر وقوة الانتشار السريع ، أفكارا في مرحلة البلورة . وفي عام ١٩٨٠ ، رفض وزير الدفاع براون ، بوجه خاص ، فكرة أن قوة الانتشار السريع لا يقصد بها أكثر من مجرد « إشارة تحذير » ، وذلك في نفس الوقت الذي اعترف فيه بضعف القوات المتاحة . وكان الهدف من خطة الحكومة لتحسين القدرات في مجال النقل الجوي والبحري للأسلحة التقليدية هو تطوير قوة الانتشار السريع ، مع مرور الوقت ، لتصبح قوة ردع تقليدية حقيقية .(١٢)

كذلك لم يكن العسكريون الأمريكيون غافلين عن المشكلات المتعلقة بخطوط الامداد والنقل والتموين والمتصلة بوضع قوة عسكرية في المحيط الهندي . وتوصلت دراسة أجرتها هيئة الأركان المشتركة في عام ١٩٧٩ حول القدرة على التحرك الاستراتيجي في الخليج العربي إلى أنه حتى « أكثر البدائل النافعة » المتاحة في الوقت الحالي لمساندة القوات المنتشرة في الخليج العربي « غير كافية . »(١٣) وعملت إدارة كارتر ، والكونجرس ، ووزارة الدفاع ، وأفرع القوات المسلحة بجهد متقن وعناية لرفع مستوى مصادر القوة الضرورية لنشر ودعم قوة كبيرة في الخليج العربي .

وأيضا لم يكن العسكريون راضين عن هيكل القيادة العسكرية التي تتولى منطقة الشرق الأوسط . وعندما اقترح جيفري ريكورد في عام ١٩٨١ ضرورة أن تشكل الولايات المتحدة قيادة موحدة لمنطقة الخليج العربي ، كانت وزارة الدفاع تبحث بالفعل نفس الاقتراح بالضبط .(١٤) واعترفت مذكرة للأسطول في عام ١٩٨١ بأن « الترتيبات الحالية بشأن قيادة قوة العمل المشتركة للانتشار السريع معوقة . » تم الفصل بين التخطيط وبين الرقابة والمسئوليات في زمن السلم . ومن بين الخيارات التي لاتعد ولاتحصى ، التي كانت موضع دراسة ، تأسيس قيادة موحدة .(١٥) وفي الحقيقة فإن تأسيس القيادة المركزية للولايات المتحدة في آخر الأمر في الأول من يناير عام ١٩٨٣ كان ـ نقلا عن أول قائد لها الجنرال روبرت كينجستون ـ « نتاج عملية تطورية تبحث عن أفضل الأساليب للتكامل بين مصالح أمتنا العسكرية والأمنية والمصالح العسكرية والأمنية لدول المنطقة ولحلفائنا . »(١٦)

ومن مقر قيادته بقاعدة « ماكديل » الجوية في تامبا ، أشرف كينجستون على مرحلة تكوين القيادة الموحدة الجديدة ، وهي الأولى من نوعها خلال ٢١ سنة .(١٧) وكانت أوامر التحرك الصادرة من القيادة المركزية تتوافق مع الأهداف السياسية التي أعلن عنها في استعراض الموقف في الشرق الأوسط الصادر عن هيئة الأركان المشتركة في ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ : ضمان حق وصول الغرب إلى النفط ، والحفاظ على الاستقرار الاقليمي ، وردع العدوان السوفيتي ، ووقف انتشار النفوذ السوفيتي والعمل على عكس اتجاهه . والتهديدات التي جرى تحديدها هي القلاقل المحلية والمنازعات بين

الأطراف الإقليمية والعدوان السوفيتي السافر . ولضمان تحقيق هذه الأهداف تولى كينجستون، على الورق ، قيادة قوات ضخمة من الفروع المتعددة للجيش ، رغم أنه فى حالة نشوب حرب أوسع مع الاتحاد السوفيتي ، لن تكون كل هذه القوات متوافرة وجاهزة لنشرها في جنوب غربي آسيا . وقامت القيادة المركزية أيضا بإدارة وتنسيق برامج المساعدة الأمنية في الدول التسع عشرة الواقعة في منطقة مسئولية القيادة .

وبينما كان تشكيل القيادة المركزية يمثل خطوة إلى الأمام فى تطور سياسة دفاعية متماسكة للشرق الأوسط ، فإن وجود القيادة الجديدة لم يحقق بالقطع حلاً فورياً لتلك المشكلات التى أعاقت الجهود الأمريكية لوضع قوة عسكرية فى المنطقة منذ عام ١٩٧٩ . وأوضح كينجستون فى محاضرة ألقاها بمعهد القوات المسلحة الموحدة الملكية فى بريطانيا العظمى مايلى :

« قد لا يكون مما يتفق مع الحكمة أن أخطركم بأن جميع المشكلات التى تواجهنا فى قيادتى ، وعمرها الآن سنة واحدة ، قد تم حلها . تأملوا للحظة ، بالمقارنة بقيادتى أوروبا والمحيط الهادى ، بعض التحديات التى تواجه القيادة المركزية الأمريكية . هناك قوات أمريكية ضخمة فى مواقعها على ساحتى العمليات فى أوروبا والمحيط الهادى . بينما منطقة القيادة المركزية لايكاد يوجد بها أحد . وهناك أنظمة اتصالات للقيادة والسيطرة فى كل من ساحتى أوروبا والمحيط الهادى . وفى القيادة المركزية لا يوجد شىء من هذا . وهناك بنية أساسية واسعة للامداد والنقل والتموين فى مواقعها فى أوروبا والمحيط الهادى ، ولكن فى القيادة المركزية لا وجود لشىء من هذا القبيل . وهناك اتفاقيات شاملة للدعم من جانب الدول المضيفة بين الولايات المتحدة ودول أوروبا والمحيط الهادى . وفى منطقة القيادة المركزية لاتوجد مثل هذه الاتفاقيات . ويربطنا تحالف طويل المدى بأوروبا الغربية ودول كثيرة فى المحيط الهادى . وليس لدينا هذه التحالفات مع دول فى منطقة القيادة المركزية . وباختصار ، فإذا كان علينا أن نرسل قوة مقاتلة إلى منطقة القيادة المركزية ، فإننا سنبدأ تقريبا من الصفر سواء فيما يتعلق بالطاقة القتالية أو بنية المساندة فى المنطقة . »(١٨)

ورغم ذلك ، فإن القيادة المركزية أقامت الدليل على الالتزام الأمريكى بتوفير القيادة الدبلوماسية ، ليس هذا فحسب بل أيضا القيادة العسكرية والوجود العسكرى فى الشرق الأوسط . ووجهت الدعوة إلى دول أخرى - إقليمية ومن خارج المنطقة على السواء - لها مصالح اقتصادية أو أمنية فى المنطقة للتعاون . بيد أن الاعتماد على بريطانيا والحلف المركزى (السنتو) والدعامتين التوءم كان قد تراجع فى نهاية الأمر بعد أن أدركت الولايات المتحدة أن عليها أن تضطلع بالمهمة بنفسها .

وبينما إدارة ريجان تقوم بتنقيح وصقل سياستها السياسية - العسكرية تجاه الشرق الأوسط ، كان الموقف فى المنطقة يتدهور باطراد . ففى مصر ، اغتال متعصبون مسلمون الرئيس أنور السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ . وفى المشرق ، استمرت الحرب الأهلية اللبنانية ، وفى يونيو ١٩٨٢ ، قامت إسرائيل بغزو جنوب لبنان . وفى أغسطس ، أرسلت الولايات المتحدة ٨٠٠ من جنود مشاة البحرية (المارينز) إلى بيروت كجزء من قوة متعددة الجنسيات لحفظ السلام . وفى شهر ابريل التالى ، وجه إرهابيون ضربة للسفارة الأمريكية فى بيروت مما أدى إلى مقتل ستة عشر أمريكياً . وفى

قوات القيادة المركزية القومية

الجيش	السلاح الجوى
١ مركز قيادة الفيلق	٧ الأجنحة المقاتلة التكتيكية
١ الفرقة المحمولة جوا	٢ الأجنحة القاذفة الاستراتيجية
١ فرقة الهجوم الجوى المتحركة جوا	**فيلق البحرية**
١ فرقة المشاة الآلية	١ ـ اللواء البرمائى للبحرية
١ فرقة المشاة	
١ اللواء الآلى	
١ لواء الفرسان (قتال جوى)	
البحريــة	**قوات العمليات الخاصة**
	١ مجموعة القوات الخاصة
٣ مجموعات حاملة طائرات	١ آلاى الفرسان
١ عمليات السطح	١ كتيبة طيران العمليات الخاصة
٥ عمارة بحرية للدورية	١ مجموعة عمل الحرب الخاصة التابعة للبحرية
	١ قاعدة العمليات الخاصة التابعة للسلاح الجوى

أكتوبر ، قاد إرهابى شاحنة مفخخة بالمتفجرات وارتطم بثكنات مشاة البحرية فى مطار بيروت الدولى مما أدى إلى مقتل ٢٤١ منهم ، أى أن عدد القتلى من الأمريكيين يفوق عدد هؤلاء الذين قتلوا فى الحرب فى عاصفة الصحراء ! ووعد الرئيس ريجان « بعدم الاذعان لتهديدات الإرهابيين » . ولكن غارة شنتها طائرات البحرية الأمريكية فى ديسمبر أسفرت عن كارثة ، فقد كلفت الولايات المتحدة طائرتين أسقطهما السوريون . وقُتل طيار أمريكى ، وتم أسر طيار آخر ثم أفرج عنه . ومع مجىء شهر مارس ١٩٨٤ ، كان مشاة البحرية قد أتموا انسحابهم . واستمرت الحرب الأهلية فى لبنان . وفى البحر المتوسط اصطدمت قوات البحرية الأمريكية مراراً بقوات معمر القذافى رئيس ليبيا . وفى ١٤ أبريل ١٩٨٦ ، ضربت طائرات البحرية الأمريكية والسلاح الجوى الأمريكى ، أثناء عملية « الدورادو كانيون » (وادى الدورادو الضيق) ، أهدافاً فى كل من طرابلس وبنغازى رداً على حادث التفجير الارهابى لملهىً ديسكو ألمانى غربى يتردد عليه الأمريكيون . وفى الشرق ، واصل السوفيت بعناد مخاولاتهم غير الناجحة لإخضاع أفغانستان . وظهر خطر اتساع نطاق النزاع الذى وصل إلى طريق مسدود وامتداده إلى باكستان المجاورة التى كانت قاعدة للمعونة الغربية لمقاتلى المقاومة الأفغان . وفى الخليج العربى ، استمرت الحرب الايرانية ـ العراقية بلا توقف .(١٩)

ومع استمرار حالة الجمود فى الخليج ، اشتد قلق إدارة ريجان . وفى سبتمبر ١٩٨١ قصف الطيران الايرانى منشأة بترولية كويتية ، الأمر الذى أبرز بوضوح احتمال تصعيد الموقف وألقى الضوء على مشكلة الدفاع الجوى التى تواجه دول الخليج .(٢٠) وقد جاء الهجوم الايرانى فى وقت مناسب ، لأن الإدارة الأمريكية كانت تواجه معارضة قوية فى الكونجرس لإتمام صفقة بيع طائرات « أواكس » للمملكة العربية السعودية ، وهو البرنامج الذى بدأه الرئيس كارتر .

ومن بين الحجج التى استخدمها معارضو الصفقة ما ذكروه عن احتمال أن تنتهى الملكية العربية السعودية إلى ما انتهى إليه العرش البهلوى . ولما كانت إدارة ريجان ترغب فى أن ترسل إشارة واضحة للإعلان عن القلق الأمريكى تجاه مسار الأحداث فى الخليج ، فقد استخدمت المناقشات التى دارت حول « أواكس » لتكون فرصة لطمأنة الكونجرس والأطراف المعنية الأخرى فى الخليج بأن ثورة طهران لن تتكرر فى الرياض . وعلق الرئيس ريجان قائلا فى مؤتمر صحفى : « من المحال .. أن نقف موقف المتفرج ونرى [المملكة العربية السعودية] وقد استولى عليها أى فرد قد يمنع تدفق النفط . »(٢١) وأوضحت المؤتمرات والمقابلات الصحفية التالية التى عقدها وأجراها مسئولون حكوميون التزام إدارة ريجان بأمن المملكة العربية السعودية ، وهو تعهد تجاوز حدود مبدأ كارتر ، وأصبح فى نهاية المطاف معروفاً بأنه النتيجة المنطقية التى استخلصها ريجان من ذلك المبدأ .(٢٢)

ولم يكن الحديث الحازم ليضع نهاية قريبة للحرب فى الخليج . فقد أوضح روبرت بيلليترو مساعد نائب وزير الخارجية الأمريكى لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا فى شهادته أمام الكونجرس فى سبتمبر ١٩٨٣ مايلى :

« كلما طال أمد حرب الاستنزاف الجارية ، تعاظمت مخاطر أن تقدم إيران أو العراق على مغامرة يائسة بنوع من التصعيد العسكرى فى الخليج مما يؤدى إلى توسيع نطاق الحرب . وسوف نعتبر أى تهديد من أى طرف منهما بالتدخل فى حرية الملاحة أو بالتصرف على أى نحو قد يحد من صادرات النفط من الخليج .. مسألة خطيرة بنوع خاص .

وأود أن أوكد ـ كما أوضحنا لكل من إيران والعراق ـ أن التدفق الحر للنفط بلا عوائق من الخليج أمر حيوى للمجتمع الدولى بأسره . إن التزامنا بحرية التجارة والملاحة فى المياه الدولية للخليج التزام ثابت . وحتى إذا لم تستطع إيران والعراق التغلب على المشكلات الأساسية التى تفرق بينهما ليحققا السلام ، فإننا ننتظر منهما احترام هذا المبدأ . »(٢٣)

وفى عام ١٩٨٤ حدث ما كان يخشاه أصحاب القرار السياسى الأمريكيون ، فقد تصاعدت الحرب . ففى محاولة لكسر الجمود ، بدأ العراقيون استخدام الأسلحة الكيميائية ، وشنوا هجمات جوية وصاروخية على المدن الإيرانية (حرب المدن) ، وزادوا من هجماتهم على السفن المتجهة إلى موانىء إيرانية أو التى تنطلق منها (حرب الناقلات) .(٢٤) ورد الإيرانيون بأقصى ما يستطيعون ، فقد أغارت طائراتهم على بغداد ومدن عراقية أخرى . وبينما كانت حرب الناقلات فى البداية عملاً من جانب واحد ، ردت طهران ، فى نهاية الأمر ، بضرب سفن دول الخليج العربية التى كانت تقدم دعماً مالياً للمجهود الحربى لصدام حسين .(٢٥)

وردت الولايات المتحدة فى الحال على امتداد الحرب إلى الخليج ، وساندت فى أول يونيو ١٩٨٤ قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٥٥٢ بإدانة الهجمات الإيرانية على السفن المتجهة إلى الموانىء الكويتية والسعودية المحايدة .(٢٦) وفى نفس ذلك الشهر ، حذر ريتشارد ميرفى ، مساعد وزير الخارجية الأمريكى لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، الكونجرس من أن الحرب التى يتسع نطاقها تهدد إمدادات النفط للغرب وأمن « أصدقاء أمريكا من العرب المعتدلين . »(٢٧) . ودعا ميرفى الولايات المتحدة إلى السعى من أجل تسوية سلمية من خلال الأمم المتحدة ، وتقوية دفاعات دول الخليج ، ودراسة خيار استخدام القوة العسكرية . وأوضح ميرفى ، فى تصريح أدلى به فى شهر يوليو ، أنه فى الوقت الذى لا تسعى فيه الولايات المتحدة إلى أن تصبح متورطة فى الحرب ، إلا أنها غير مستعدة للسماح بتهديد حركة نقل النفط فى الخليج .(٢٨) وعندما بات واضحاً فى وقت متأخر من العام أن العراقيين قد تخلوا عن أى أمل فى إحراز النصر وأصبحوا يتوقون إلى إيجاد حل دبلوماسى للنزاع ، « مالت » الولايات المتحدة إلى جانب بغداد ، واستأنفت العلاقات الدبلوماسية مع العراق . وأعلنت الولايات المتحدة على الملأ أنها ترى من وجهة نظرها أن الحرب مستمرة فى المحل الأول « نتيجة إصرار إيران . »(٢٩)

ولسوء الحظ ، فإن عام ١٩٨٥ لم يشهد سوى تحرك محدود نحو السلام ، رغم أن حرب الناقلات كان قد تباطأ مسارها . وبينما واصل العراقيون هجماتهم على المنشآت النفطية الايرانية ، فإن عدد السفن المتجهة إلى إيران والعائدة منها التى هاجمتها الطائرات العراقية ، انخفض من ٥٣ إلى ٣٣ سفينة . وأبدى الإيرانيون قدرا مماثلاً من ضبط النفس (انخفض عدد السفن التى هاجموها من ١٨ إلى ١٤) ، إلا أنهم حذروا من أن تجدد الهجمات العراقية سيدفعهم إلى شن ضربات انتقامية ضد حركة مرور الناقلات المتجهة إلى موانى الدول العربية فى الخليج .(٣٠)

وأعربت الإدارة الأمريكية عن قلقها المستمر . ففى الحادى عشر من يونيو ١٩٨٥ ، قال الرئيس ريجان فى مقابلة صحفية إن « للولايات المتحدة مصلحة حيوية فى المحافظة على حرية الملاحة فى الخليج والاستقرار فى المنطقة بوجه عام . »(٣١) وفى الأول من أكتوبر علّق وزير الخارجية جورج شولتز فى مدينة نيويورك على فعالية الهجمات العراقية وعلى السياسة الإيرانية التى تقوم على اعتراض السفن فى الخليج وتفتيشها ، بقوله : « إن الولايات المتحدة تتمسك بالتزامها بشأن حق الوصول الدولى إلى الخليج والعبور الحر للسفن المحايدة عبر مضايق هرمز . وسننظر بعين الخطورة إلى أى انتهاك لهذه الحقوق ، ونحن مستعدون للعمل مع مجلس التعاون الخليجى فى مجالات مثل التخطيط المشترك لحالات الطوارىء . »(٣٢)

وقد ثبت أنه بالنسبة للولايات المتحدة فإن عام ١٩٨٦ كان حاسما فى حرب الخليج . ففى هجوم شنته إيران فى فبراير - مارس ، اجتاحت القوات الايرانية شبه جزيرة الفاو ، وبدا أن إيران على عتبة النصر . كان العرب يضعفون : العراق يضعف عسكرياً ، ودول الخليج تضعف اقتصاديا . ذلك أنه نتيجة للتخمة النفطية فى أوائل ومنتصف الثمانينات ، انخفضت عائدات النفط للمملكة العربية السعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة من ١٨٦ مليار دولار فى عام ١٩٨٢ إلى

٥٧,٦ مليار دولار فى عام ١٩٨٥ ، واتجهت هذه العائدات نحو المزيد من الانخفاض .(٣٣) وأدى فقدان الدخل إلى جانب تكلفة الدعم المالى للجهد الحربى العراقى وتأثير الحرب على النشاط التجارى فى الخليج إلى سريان موجة من الصدمات الاقتصادية والسياسية عبر الخليج مما زاد من أخطار تفجر مشكلات وتوترات داخلية .

وحيث إن الإيرانيين يمتلكون الآن زمام السيطرة ويهددون بالزحف على بغداد ، زاد العراقيون من هجماتهم على الناقلات التى تحمل النفط الإيرانى . ورد الإيرانيون ، الذين شعروا فيما يبدو بالتغير فى اتجاه زخم الحرب ، بالمثل كما سبق أن هددوا .(٣٤)

وبالنسبة لإيران كانت حرب الناقلات تطرح أمامها مشكلات خاصة نتيجة عدم التماثل بين وضعها ووضع العراق . ذلك أنه بسبب إغلاق شط العرب ، لم يكن لدى العراقيين سبيل للوصول إلى الخليج العربى ، وبالتالى لم تكن لديهم بالفعل قوات بحرية هناك . ومع ذلك فإن الطيران العراقى كان يستطيع توجيه ضرباته إلى السفن المتجهة إلى الموانىء الإيرانية والعائدة منها فى داخل منطقة حرب معلنة بجوار الساحل الإيرانى . وكان العراقيون يستطيعون تبرير مسلكهم على أساس أنهم يشنون هجمات ضد سفن محاربة أو سفن متجهة إلى موانىء فى حالة حرب . وفى المقابل ، كانت إيران فى وضع جغرافى أفضل بكثير لشن حرب الناقلات ، فهى مواجهة للخليج العربى كله وخليج عمان حتى مشارف مضيق هرمز . ومع أن البحرية الإيرانية لم تكن قد استعادت قوتها بعد اضطرابات الثورة ، إلا أنها ظلت الأقوى فى الخليج . ولسوء حظ إيران أنها رغم المزايا الطبيعية التى تتمتع بها فى البحر .. إلا أنه لم تكن هناك سفن عراقية من أى نوع تتجه إلى الموانىء العراقية أو تبحر عائدة منها فى مياه الخليج بصفة عامة . فقد كان العراق يصدر بتروله عبر خطوط أنابيب تمر من خلال تركيا(٣٥) ، أو عن طريق نقل البترول من سفينة إلى أخرى عبر الكويت والمملكة العربية السعودية .(٣٦) وكانت الواردات للعراق ، بما فيها المهمات الحربية ، تصل فى سفن محايدة ويتم تفريغها فى موانىء محايدة فى الكويت والمملكة العربية السعودية . وكان أمام الإيرانيين عدة خيارات لضرب الدعامات الاقتصادية للمجهود الحربى العراقى ، وكل الخيارات كانت تنطوى على مخاطر هائلة : إما مهاجمة خطوط أنابيب البترول فى تركيا ؛ أو مهاجمة سفن محايدة ، منها سفن غربية ، وخاصة سفنا سوفيتية تحمل مهمات حربية للموانىء الكويتية ؛ أو ضرب العراق بطريق غير مباشر من خلال مهاجمة الناقلات التى تحمل بترولاً من دول الخليج التى تساند صدام حسين .

وأخذ الإيرانيون بالخيار الثالث باعتباره الأقل خطورة وشرعوا فى أواخر عام ١٩٨٦ فى مهاجمة السفن الكويتية والسفن المتجهة للكويت فى الخليج . وبينما تم ضرب ثلاث سفن كويتية فقط أثناء عام ١٩٨٦ ، فقد هوجمت عشر ناقلات متجهة إلى موانىء كويتية أو عائدة منها ، وقفز الرقم بصورة صاروخية إلى أربعين فى عام ١٩٨٧ .(٣٧)

كانت إدارة ريجان تتابع التصعيد المتجدد فى حرب الناقلات وتشعر بانزعاج إزاءه . وفى فبراير ، تحدث وزير الخارجية شولتز عن الحاجة إلى مساعدة دول الخليج على الدفاع عن نفسها ،

وعن أهمية تحسين العلاقات الثنائية مشيرا إلى اتفاقية الوصول التى أبرمتها الولايات المتحدة مع عُمان باعتبارها « عنصرا حيويا فى استراتيجية قيادتنا المركزية . »(٣٨)

ومن سوء الطالع ، أن عام ١٩٨٦ كان عام انقسام وجدل سياسيين حول السياسة تجاه الشرق الأوسط ، ولم يكن عام توافق فى الرأى واتخاذ قرارات . ونظراً لأن الكونجرس كان مهموما فى الأساس بما يتصل بأمن إسرائيل ، فإن موقفه أدى إلى تعقيد جهود الإدارة الأمريكية لتقوية القوات العسكرية للدول العربية . وبعد مناقشات سياسية مريرة ولاذعة فى عام ١٩٨١ أبرمت إدارة ريجان بنجاح صفقة « الأواكس » السعودية ، وسلمت الطائرات فى عام ١٩٨٤ . ولكن الصفقة التالية المتعلقة ببيع أسلحة للدفاع الجوى تعثرت ، وكذلك صفقات متعددة كانت مقررة لدول أخرى ، وخاصة الكويت .(٣٩)

ولم يكن أمام إدارة ريجان إلا أن تلوم نفسها عندما تسربت فى أوائل نوفمبر ١٩٨٦ أنباء شحنات الأسلحة إلى إيران . وحولت المناقشات والتحقيقات التالية ـ حول قضية إيران جيت أو إيران ـ كونترا ـ الانتباه بعيداً عن المشكلة المتفاقمة فى الخليج العربى ، وأدت إلى تقويض سياسة الإدارة الأمريكية المتعلقة بالحرب .

وبصرف النظر عن رأى المرء فى الدقائق القانونية لصفقات إيران ـ كونترا ، ففى إطار السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ، كان « الانفتاح الاستراتيجى » نحو إيران يتناقض مع سياسة الولايات المتحدة القائمة وهى حظر شحنات الأسلحة إلى إيران ، وكان على حد تعبير كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الأمريكى السابق « واحداً من أسخف المقترحات » التى أخذت بها إدارة ريجان .(٤٠) ففى لحظة حاسمة من الحرب العراقية ـ الإيرانية ، وعندما كانت الولايات المتحدة « تميل » علناً إلى جانب العراق خشية انتصار إيرانى ، وتؤكد سراً لعرب الخليج أنهم إذا ساندوا السياسة الأمريكية فإنهم لن يُتركوا عرضة للتهديد ، فى نفس ذلك الوقت كان مجلس الأمن القومى الأمريكى يشحن الأسلحة سراً لإيران ويزود الإيرانيين بمعلومات مخابراتية سرية .(٤١) كيف كان سيأخذ الإيرانيون بجدية التحذيرات العلنية الموجهة من إدارة ريجان ضد توسيع حرب الناقلات فى الوقت الذى كانت تصل فيه إلى طهران طائرات محملة بالصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات حتى فى فترة متأخرة هى أكتوبر ١٩٨٦ بعد أن كان الايرانيون قد بدأوا هجماتهم على السفن الكويتية ؟ وكيف كان عرب الخليج سيفكرون فى إعلانات المساندة الأمريكية ؟

ولم يكن أمراً يبعث على الدهشة أن إدارة ريجان استقبلت العام الجديد وهى تصارع لجعل محور المناقشة هو الموقف المتدهور فى الخليج . وفى ٢٧ يناير ١٩٨٧ ، أبلغ الوزير شولتز الكونجرس بأن الخليج العربى « تتوقف عليه صحة الغرب الاقتصادية » ، وأنه جرى تحذير إيران بهذا المعنى .(٤٢) وفى فبراير ، تحدث الرئيس ريجان عن الالتزام الأمريكى « بالتدفق الحر للنفط عبر مضيق هرمز . »(٤٣) ولكن الإدارة الأمريكية كانت تناقش وراء الكواليس ردها على الطلب الكويتى بالحصول على ما هو أكثر من إعادة تأكيد توجهات السياسة الأمريكية مرة أخرى .

وفى أواخر عام ١٩٨٦ ، فإن تواتر الهجمات على السفن المتجهة إلى الكويت ، والتى كانت

دليلا على المحاولات الإيرانية لإثارة المتاعب فى صفوف الأقلية الشيعية فى الكويت ، ووجود القوات الإيرانية فى شبه جزيرة الفاو ، ومعلومات المخابرات التى كانت تشير إلى تخطيط إيران لغزو محتمل .. كل ذلك لم يزعج الكويتيين فقط وإنما الولايات المتحدة أيضا . وذكر كاسبر واينبرجر أنه « بحلول شهر سبتمبر ١٩٨٦ ، كان قد أصبح واضحاً بصورة متزايدة لمسئولى مخابرات الدفاع الأمريكية أن إيران وقع اختيارها على الكويت دون غيرها لتكون النقطة المحورية للضغط الذى آثرت ممارسته ضد الدول العربية فى الخليج . »(٤٤) وفى العاشر من ديسمبر ١٩٨٦ ، طلب الكويتيون من حرس السواحل الأمريكى تزويدهم بمعلومات بشأن متطلبات التسجيل للسفن التجارية . فمنذ بدء حرب الخليج ، والولايات المتحدة تتولى حراسة السفن التى تحمل العلم الأمريكى فى الخليج ، ومن الواضح أن الكويتيين اعتبروا أن رفع العلم الأمريكى على السفن وسيلة لحماية ناقلاتهم التى تتمتع بأكبر قدر من القيمة لديهم .

وتسبب الطلب الكويتى فى عقد سلسلة من الاجتماعات على مستوى عال فى واشنطن فى وقت كانت إدارة ريجان تواجه فيه موقفاً يتدهور بسرعة فى الخليج . وكانت الادارة الأمريكية على علم بأن الكويتيين اتصلوا أيضا بالسوفيت بشأن وضع أعلامهم على الناقلات الكويتية .(٤٥) وفى فبراير ، كشفت صور الأقمار الصناعية وطائرات الاستطلاع أن الإيرانيين يقومون بتركيب صواريخ « سيلك ورم » الصينية الصنع المضادة للسفن على الناحية المقابلة لمضيق هرمز . وفى ضوء هذا الموقف ، أوصى كل من وزير الدفاع واينبرجر ومستشار الأمن القومى فرانك كارلوتشى برفع العلم الأمريكى على السفن الكويتية . وعارض فى ذلك وزير الخارجية شولتز .(٤٦) وبعد مناقشات مطولة خلال الأسبوع الأول من شهر مارس ، قرر الرئيس ريجان حماية إحدى عشرة ناقلة كويتية برفع العلم الأمريكى عليها . ويتذكر واينبرجر « محامى » القرار وقائع تلك اللحظات ، فيقول :

« كنت أدرك أن خيار رفع العلم الأمريكى سيكون أكثر صعوبة فى التنفيذ من الناحية السياسية ، غير أن التأثير الأساسى هو نفسه ... وبدا لى أن رفع السفن الكويتية للعلم أو عدم رفعها ليس بالأمر المهم . فقد كان الشيء الرئيسى فى اعتقادى بالنسبة لنا هو حماية حق التجارة البريئة التى ليست طرفا فى الحرب والتى تعد أهم أنواع التجارة فى التحرك بحرية فى المياه المفتوحة الدولية - وأن نتجنب باضطلاعنا بالحماية التخلى عن هذه المهمة للسوفيت . »(٤٧)

بعد تقديم عرض موجز ، محظور نشره ، لأعضاء الكونجرس والمسئولين البارزين فى ٢١ أبريل ١٩٨٧ ، أعلن مساعد وزير الخارجية ميرفى أن الولايات المتحدة « تتشاور » مع الكويت بشأن تسجيل سفن كويتية معينة تحت العلم الأمريكى .(٤٨)

وأثبت الهجوم العراقى على الفرقاطة « ستارك » ، فى ١٧ مايو ١٩٨٧ ، للإدارة الأمريكية وللكونجرس وللشعب الأمريكى الأخطار الكامنة فى توسيع دور الولايات المتحدة فى الخليج العربى . فقد تسبب صاروخان من طراز « اجزوسيت » الفرنسى الصنع أطلقا بطريق الخطأ من طائرة « ميراج إف - ١ » عراقية فى إغراق « ستارك » تقريبا ومصرع سبعة وثلاثين أمريكياً .

وهكذا ، واجهت الإدارة الأمريكية وهى تعكف على تنفيذ قرار رفع العلم ، جدلا سياسيا لا يدور فقط حول فكرة الدور الأمريكى الأكبر ، وإنما يدور أيضا حول الحكمة وراء وجود أمريكى مستمر فى الخليج العربى الذى مزقته الحرب .

ورغم الجدل حول « ستارك » فإنه لم يكن أمام الولايات المتحدة سوى مجال محدود للاختيار ، ولذلك كان لابد أن تمضى قدماً فى تنفيذ عرضها الذى تقدمت به للكويت فى ٧ مارس برفع العلم الأمريكى على الناقلات ، وجاء الإعلان الرسمى عن العرض يوم ١٩ مايو . وكانت الولايات المتحدة تعتبر الكويت « أضعف حلقة على الضفة العربية للخليج » . وأعلن ميرفى مساعد وزير الخارجية قائلا :

« تمشياً مع الالتزام الأمريكى المستمر منذ وقت طويل بضمان تدفق النفط عبر الخليج ، ومع الأهمية التى نعلقها على حرية الملاحة فى المياه الدولية ، وكذلك تصميمنا على مساعدة أصدقائنا فى الخليج ، فقد قرر الرئيس أن تقدم الولايات المتحدة مساعدتها لحماية الناقلات الكويتية . »(٤٩)

وعلاوة على ذلك ، أكد ميرفى أن الإدارة الأمريكية لاتعتزم السماح للاتحاد السوفيتى بزيادة دوره فى المنطقة ، وهو تطور تسعى السياسة الأمريكية منذ وقت طويل إلى الحيلولة دون وقوعه . ولم يكن احتمال أن يتولى السوفيت حراسة بترول الغرب يمثل بديلاً جذابا .

وظل التدفق المستمر لنفط الشرق الأوسط هو بؤرة سياسة الإدارة الأمريكية . وأوضح ميرفى أنه فى عام ١٩٨٦ ، كان الخليج هو مصدر تزويد أوروبا الغربية بستة وأربعين فى المائة من بترولها ، وتزويد اليابان بستين فى المائة من بترولها ، وتزويد الولايات المتحدة ذاتها بخمسة عشر فى المائة من بترولها .(٥٠) وفى بيان للبيت الأبيض فى ١٩ مايو ، أكد الرئيس ريجان مرة أخرى نفس النقاط ، وأعاد إلى الأذهان طوابير البنزين وتوزيع الطاقة بالبطاقات ، والاختلالات الاقتصادية فى السبعينات « التى هزت اقتصادنا حتى دعاماته الأساسية . »

« ولكن ذلك لن يتكرر مرة أخرى ، ليس أثناء ولاية هذا الرئيس . إننى مصمم على ألا يقع اقتصادنا الوطنى مرة أخرى أبداً أسيراً ، وعلى ألا نعود إلى أيام طوابير البنزين ، وأزمة الوقود ، والاختلال الاقتصادى ، والامتهان على الساحة الدولية . سجلوا هذه النقطة جيدا : إن استخدام الممرات البحرية للخليج العربى لن يتحدد بقرار من الإيرانيين . ولن يسمح بأن تكون هذه الممرات تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى . وسيبقى الخليج العربى مفتوحاً للملاحة أمام دول العالم . »(٥١)

كان القرار الأمريكى بمرافقة السفن الكويتية لحراستها ، الذى وصفه كاسبر واينبرجر وزير الدفاع ، فى وقت لاحق ، بأنه « عمل عسكرى حقيقى تماما » تم لمواجهة « تهديد عسكرى حقيقى تماماً » ، كان ذلك القرار جزءا من سياسة « ذات مسارين . »(٥٢) . أما المسار الثانى ، فقد كان دبلوماسياً . ففى ٣٠ يونيو ١٩٨٧ ، دعت الولايات المتحدة منظمة الأمم المتحدة للقيام بعمل فورى للضغط على الطرفين المتحاربين للموافقة على وقف لإطلاق النار .(٥٣) وفى ٢٠ يوليو ، أصدر مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة القرار رقم ٥٩٨ الذى يطالب « إيران والعراق بالالتزام بوقف فورى لإطلاق النار ، ووقف كل العمليات العسكرية فى البر والبحر والجو ، وسحب كل القوات إلى الحدود المعترف بها دولياً دون تأخير . »(٥٤)

وكجزء من جهودها العسكرية والدبلوماسية ، اتجهت الولايات المتحدة للحصول على تأييد الأصدقاء والحلفاء . وتجاوبت دول عربية عديدة فى الخليج بروح تعاونية ، وإن كان تجاوبا حذراً ، ولم تفصح عن موقفها علانية لأسباب سياسية واضحة ، ولكنها قدمت مساعدة حاسمة . وتلقت الولايات المتحدة تأييداً علنياً قوياً من حلفائها الأوروبيين فى القمة الاقتصادية الأوروبية التى عقدت فى شهر يونيو ، وفى نهاية الأمر لعبت القوات البحرية الفرنسية والبريطانية والايطالية والبلجيكية والهولندية أدواراً مهمة فى الجهود التى استهدفت الاحتفاظ بالممرات البحرية مفتوحة ، وناقلات البترول تتحرك عبر الخليج .(٥٥)

ومع ذلك ، فإن الولايات المتحدة بقرارها رفع العلم ومرافقة الناقلات لحراستها خاطرت بالمزيد من التصعيد والمزيد من تفاقم التوتر ، ليس فقط مع إيران ، بل أيضا مع الاتحاد السوفيتى . فقد رد السوفيت ، الذين زادوا قوتهم فى المنطقة إلى ١٢ سفينة ، بطريقة قاسية ، حيث هاجموا الوجود الأمريكى فى الخليج بوصفه وجودا « شريرا » و « لا يمكن قبوله من وجهة نظر القانون الدولى الانسانى المعاصر » و « مشحون بعواقب سلبية بعيدة المدى . »(٥٦) وأوضحت الرطانة المتحفظة ، إلى حد ما ، الصادرة عن إيران أن طهران لا ترغب كثيراً فى استفزاز الولايات المتحدة ، رغم أن « على أكبر هاشمى رافسنجانى » رئيس البرلمان الإيرانى فى ذلك الوقت هدد قائلا : « إذا أراقت الولايات المتحدة مجرد نقطة دم واحدة فى الخليج العربى ، فسوف تسيل أنهار من الدم فى جميع أنحاء العالم . »(٥٧)

وكان هؤلاء الذين عارضوا سياسة إدارة ريجان داخل الولايات المتحدة يشعرون بقلق عميق إزاء النتائج المحتملة لقرار رفع العلم . وعلق السناتور إدوارد كنيدى خلال جلسة استماع فى مجلس الشيوخ قائلا : « لا أظن أن الشعب الأمريكى مستعد لأن يرى إدارة ذات أصبع حر طليق يتلهف للضغط على الزناد فى الخليج العربى . »(٥٨) وتوصل تقرير تم إعداده للجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى إلى :

> « أن الولايات المتحدة تخاطر بصورة حقيقية بأن تُستدرج إلى الحرب فى الخليج العربى . ورغم أن الغرض المعلن للأسطول الأمريكى الضخم فى المنطقة محدد بدقة - حراسة السفن التى تحمل العلم الأمريكى عبر الخليج - إلا أن هذه المهمة غامضة على نحو خطير بالنظر إلى الظروف القائمة .
>
> فالولايات المتحدة ، فى نظر الإيرانيين والعرب على السواء ، أُعتبرت منحازة إلى العراق ، ومن المحتمل أن يؤدى الوجود البحرى الأمريكى المتنامى إلى التعرض للمزيد من الهجمات الإيرانية بقسوة متزايدة . وعلاوة على ذلك ، فكلما ازدادت حدة الهجوم العراقى على السفن الإيرانية ، سوف يزداد احتمال حدوث رد انتقامى إيرانى ضد القوات الأمريكية . وهكذا فإن القوات البحرية الأمريكية فى الخليج هى الآن ، فى واقع الأمر ، رهينة لسياسة الحرب العراقية . »(٥٩)

ولاحظ أصحاب هذا التقرير أيضا أن التخمة النفطية العالمية والنسبة المتزايدة لانتاج بترول المنطقة الذى يذهب إلى البحر المتوسط عن طريق خطوط الأنابيب جعلت مهمة مرافقة الناقلات لحراستها غير ضرورية ؛ وأشاروا إلى أنه على الرغم من سياسة الإدارة التى جرى الإعلان عنها مرات كثيرة بشأن التقليل من الدور السوفيتى فى المنطقة ، فإن الولايات المتحدة ، بانحيازها إلى

جانب العراق ، زادت من فرص دفع الإيرانيين إلى علاقة أوثق مع السوفيت . وتناول التقرير احتياج دول الخليج إلى تحسين دفاعاتها الجوية ، وقال إن قرار رفع العلم تم التوصل إليه على عجل ، كما أن البحرية « لم تكن مستعدة على نحو جيد » لتنفيذ دورها الجديد فى الخليج العربى . وانتهى التقرير إلى التوصية بشن حملة دبلوماسية تتركز على الأمم المتحدة .

كذلك لم تكن الإدارة الأمريكية موحدة في موقفها بشأن القرار . وأوضح كاسبر واينبرجر ، الذى اعتبر الطلب الكويتى بمثابة « فرصة » أن وزير الخارجية شولتز « لم يشاركنى حماسى لهذه المهمة . »(٦٠) وأبدى وزير البحرية الأمريكى الجديد ، جيمس ويب ، قلقه بشأن طبيعة هذا الالتزام الذى يشبه تجربة فيتنام وليست له نهاية محددة .(٦١)

وكان لهذه المخاوف ما يبررها تماما ، وكذلك كان الحال بالنسبة لمعظم التحليلات النقدية لتقرير خبراء لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ . فقد كان أمل الإدارة الأمريكية معلقا على أن يردع رد قوى أمريكى المزيد من التصعيد الإيرانى .. ولكنه كان مجرد أمل . فقد كانت حرب الناقلات تهدأ أو تتصاعد وفقاً لقرارات تتخذ فى بغداد ، وليس فى طهران . وكان اعتماد العالم على الإمدادات النفطية التى تمر عبر الخليج يتضاءل .

ومع ذلك ، فإن أى عجز حتى ولو طفيفا فى إمدادات النفط كان يمكن أن يكون له وقع مأساوى . ففى عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ أدت عمليات الانقطاع فى إمدادات النفط العالمى أثناء الحظر البترولى العربى ، والتى لم تتجاوز فى مجموعها خمسة فى المائة ، إلى عواقب اقتصادية ضارة وقاسية .(٦٢) أما احتمال أن يتقارب الاتحاد السوفيتى أكثر من إيران ، فى وقت كانت فيه سفن الشحن السوفيتية تقوم بانتظام بتفريغ حمولاتها من المهمات الحربية فى موانىء الكويت لنقلها إلى العراق ، فقد كان احتمالا مستبعداً . ومن الصعب أن يوصف قرار رفع العلم ، الذى اتخذ خلال فترة امتدت لستة أشهر ، بأنه قرار متسرع . وإذا كانت دول الخليج قد شعرت بأنها غير حصينة فى مجال دفاعها الجوى ، فإن الكونجرس زاد من ذلك الإحساس بعدم الأمان عن طريق الرفض الروتينى لمبيعات الأسلحة للدول العربية ، وهى المبيعات التى اقترحتها الإدارة الأمريكية . ولم « تتجاهل » الولايات المتحدة « بوجه عام » الطريق الدبلوماسى ، بل واصلت دفع الأمم المتحدة إلى اتخاذ موقف أكثر حزماً . وإذا كان التهديد الرئيسى للمصالح الأمريكية فى المنطقة يتمثل - كما افترض التقرير - فى انتصار إيرانى على البر ، فلماذا التقريع لإدارة ريجان لأنها أقدمت على عمل من شأنه أن يجعل تحقيق هذا النصر أقل احتمالاً ؟

وأقرت الإدارة الأمريكية بالمخاطر التى كانت تواجهها فى الخليج . وأكد الأميرال وليام كراو ، رئيس هيئة الأركان المشتركة ، للكونجرس أن القوات المسلحة للولايات المتحدة تستطيع « أداء » المهمة ، رغم أنه اعترف بأنه « ليست هناك ضمانات مطلقة بأن مثل هذه العملية ستتم بلا خسائر بشرية » ، أو بأن إيران لن « تصعِّد الحرب البحرية ، الأمر الذى سيضعنا إزاء خيارات أكثر صعوبة . »(٦٣) وأقرت الإدارة الأمريكية بأنها لا تستطيع « التنبؤ بيقين مطلق » بالكيفية التى سيرد بها الايرانيون .(٦٤) وقال وزير الدفاع واينبرجر :

« ليست هناك وسيلة بلا مخاطر لحماية مصالحنا الحيوية الثابتة فى الخليج العربى الذى أصبح اليوم منطقة تزداد تفجرا على نحو مطرد . إننا نستطيع فقط أن نبذل أقصى جهدنا لتقليل المخاطر والتغلب عليها ، وأن نختط لأنفسنا مساراً ثابتاً يستهدف تحقيق غايتنا الاستراتيجية وهى إنهاء الحرب ، وأن نؤكد من جديد لأصدقائنا - ولخصومنا - تصميمنا ونحن نمضى قدماً . »(٦٥)

وسواء أرسل عرب الخليج نفطهم إلى الغرب عن طريق خطوط الأنابيب أو بشحنه فى الناقلات ، فإن التطورات التى ازدادت خطورة فى المنطقة بعد الفشل الذريع لإيران جيت ، أدت إلى توجيه نداءات تدعو إلى التزام أمريكى أقوى فى الخليج . وإذ اعترف واينبرجر بالصعاب التى تواجه الإدارة الأمريكية ، ظل مع ذلك « مقتنعاً بأن مخاطر المسارات البديلة للعمل أو اللاعمل تنذر بخطورة أكبر . »(٦٦)

الفصل السابع

حرب الناقلات

١٩٨٧ - ١٩٨٨

كان الرئيس ريجان مستعداً للمجازفة بالتصعيد العسكرى مع إيران ، بيد أنه لم يسع وراء حدوث هذا التصعيد . واقتنعت الإدارة الأمريكية بأن مجالات الاختيار محدودة أمامها بالنظر إلى حجم المصالح الغربية المعرضة للخطر والالتزامات الأمريكية القائمة تجاه أمن المنطقة ، وبالتالى لم يكن أمامها سوى أن تلعب دور الحامى أو الحارس لعرب الخليج . كذلك كانت الإدارة الأمريكية مطلعة تماما على تحركات القوى الشعبية المؤثرة فى الشرق الأوسط ، وخاصة الأصولية التى تمثلت فى أبلغ صورها فى صعود الخومينى إلى السلطة السياسية فى إيران . أما عن الآمال والتوقعات الأيديولوجية التى حملها المبشرون والتجار « اليانكى » معهم فى البداية إلى الشرق الأوسط فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وأما عن الدعاوى الديمقراطية الليبرالية لأصحاب القرار السياسى فى حكومتى روزفلت وترومان بأن عوائد النفط ستؤدى إلى تنمية مجتمعات « تقدمية » فى الخليج ، فقد ظهرت سذاجتها على نحو مذهل فى ضوء مسار أحداث الشرق الأوسط فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات . وهذا الاعتراف - الذى قد يكون ظاهرة صحية - بحدود القوة الأمريكية جعل أهداف إدارة ريجان تنحصر فى نطاق أضيق ، وأدى إلى تثبيت فكرة أن العمليات العسكرية فى الخليج تقلل من مخاطر حرب أوسع قد تنطوى على مشكلات سياسية سيحتاج حلها إلى استعداد وتقدير للأمور وقدرات تتجاوز ما لدى الولايات المتحدة .

الهجمات على السفن فى الخليج العربى فى عام ١٩٨٧ (حسب الشهور)

	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
إيران	٦	٣	٤	٤	١٠	٥	٤	٥	١٦	٧	١٠	١٧	٩١
العراق	٦	٨	٥	٧	٥	٢	٣	٤	١٢	١٣	٨	١٥	٨٨

المصدر : Ronald O'Rourke, "The Tanker War," U.S. Naval Institute *Proceedings* 114 (May 1988), P. 32.

وفى أول الأمر ، بدا أن هناك ما يبرر الأمل الذى علقته إدارة ريجان على أن يردع الحديث المتشدد ، علاوة على قدر قليل من استعراض القوة ، المزيد من التصعيد الإيرانى . ولاحظ كل من كاسبر واينبرجر وزير الدفاع والأميرال وليام كراو رئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية ، فى شهادتيهما أمام إحدى لجان الكونجرس ، انخفاضاً فى عدد الهجمات الإيرانية والعراقية على السواء ضد السفن عقب حادثة « ستارك » .(١) وكانت البيانات العلنية الصادرة من طهران تبدو معبرة عن رد حذر على التحركات الامريكية . وقال مايكل أرماكوست وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للشئون السياسية أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ الأمريكى :

« إن إيران لم تهاجم أى قطعة بحرية أمريكية . كما أنها تجنبت باستمرار شن هجمات على سفن تجارية فى الوقت الذى تكون فيه القطع البحرية الأمريكية على مقربة . ولم تبد إيران اهتماماً ، فى تحركاتها الأخيرة ، بالتحرش ، فى البحر ، بالولايات المتحدة . وبطبيعة الحال ، فإن مهاجمة سفينة ترفع العلم الأمريكى كانت ستبدو عملا طائشا من جانبهم . وتلك السفن سيكون لها ربابنة أمريكيون ، أقصد السفن التى ترفع العلم الأمريكى . كما أن هذه السفن لن تحمل سلعاً محظورة من النوع الذى لا يحق للدول المحايدة أن تزود به إحدى الدول المشتركة فى الحرب . ولن تشكل هذه السفن خطراً على إيران ، وسيتم الدفاع عنها إذا هوجمت .»(٢)

وفى حالة فشل هذه الخطة للردع ، فإن العسكريين الأمريكيين ، سواء فى واشنطن أو فى الخليج ، اعتبروا مضيق هرمز البؤرة المرشحة أكثر من غيرها لهجوم إيرانى . وبناء على ذلك ، ركزت القوات البحرية الأمريكية فى الموقع جهودها على الممر الضيق حيث تمخر السفن فى نطاق مدى صواريخ « سيلك ورم » الصينية الصنع المضادة للسفن . كذلك كان من الواضح أن مضيق هرمز هو أنسب مكان لحملة إيرانية لزرع الألغام .(٣)

ولم يعتبر قادة الأركان المشتركة أو البحرية الأمريكية أن الخطر الإيرانى جدى . فقد حدث أثناء جلسات استماع فى الكونجرس أن وجه دان كويل ، عضو مجلس الشيوخ فى ذلك الوقت ، سؤالا حول الخطر الذى تشكله الألغام ، وتساءل قائلا « ألا توجد لدينا كاسحات ألغام تستعد للتوجه إلى هناك » ؟ واعترف أرماكوست وكيل وزارة الخارجية قائلا « لا ، ليس هذا فى خطتنا » . وقلل أرماكوست من خطر وقوع هجوم إيرانى .

« أستطيع إبلاغكم بما أخبرنى به رئيس هيئة الأركان المشتركة (كراو) فى هذا الصدد . لقد قال إن هذا الخطر ضئيل للغاية ، لأننا لا نشعر بأنهم زرعوا ألغاما هناك بعد . أما إذا كانوا قد فعلوا ، فإن علينا بوضوح أن نبحث من جديد كيف سنتصرف لعبور الخليج . »(٤)

وقال أرماكوست أيضا إن صواريخ « سيلك ورم » - وهى إنتاج صينى معدل لصاروخ ستيكس السوفيتى القديم - لاتثير بالنسبة للبحرية الأمريكية سوى مشكلات محدودة . وقال وكيل الوزارة لكى يطمئن كويل : « إننا نستطيع أن نهزم - وسبق أن هزمنا - الصاروخ ستيكس بفضل أنظمة الأسلحة التى توجد على متن السفن » ، رغم « أن حماية قافلة من السفن أكثر صعوبة نوعاً ما . »(٥)

وهذا التغاضى من جانب الولايات المتحدة عن احتمال تحرك عسكرى إيرانى ، والتركيز

الأمريكى فى الوقت نفسه على مضيق هرمز كان أمراً مفهوما . فقد وجهت البحرية الأمريكية كل اهتمامها - تقليدياً - لنقاط الاختناق البحرية ، ومضيق هرمز كان يمثل نقطة عبور مهمة لكل السفن المتجهة إلى الخليج العربى والمغادرة له . ولكن المضيق - رغم كونه شريطاً ضيقاً - كان يتميز أيضاً بأنه عميق وتجتاحه تيارات مائية قوية مما يجعل عملية التلغيم المؤثرة أمرا يصعب تنفيذه .(٦) . كذلك لم تكن صواريخ « سيلك ورم » الإيرانية قرب المضيق معدة للتشغيل ، بينما تلك التى توجد فى مواقع أقرب إلى الشمال ، بجوار الكويت ، جاهزة للتشغيل .

ولسوء حظ الولايات المتحدة فإن الجغرافيا السياسية للحرب جعلت الخليج العربى بأكمله مضيقاً ضيقاً . وكانت إيران قد أعلنت عن منطقة محظورة فى زمن الحرب ، تتعرض فيها كل السفن غير الإيرانية لخطر الهجوم ، وتمتد هذه المنطقة جنوبا وغربا فى الخليج من الساحل الإيرانى والجزر العديدة التابعة لإيران . ونظراً لأن قاع الخليج العربى ليس مقعراً ولكنه يزداد عمقاً ناحية الساحل الإيرانى ، فإن سفن السحب العميقة ، مثل ناقلات البترول الكويتية الكبيرة التى ترفع العلم الأمريكى ، كانت حركتها محصورة عملياً فى شريط ضيق نسبياً من المياه العميقة فى وسط الخليج يحاذى الخط الذى تبدأ عنده منطقة الحظر . وكانت هناك مواقع عديدة يستطيع الإيرانيون أن يزرعوا فيها حقول الألغام ، وهى مواقع كان من المرجح أن تمر منها الناقلات التى ترفع العلم الأمريكى والسفن الأمريكية التى تقوم بحراستها .

كان يجب أن يكون التهديد الإيرانى المحتمل بشن حرب ألغام فى الخليج واضحا أمام القادة العسكريين الأمريكيين . ففى أعقاب مناورة عسكرية للحلف المركزى (السنتو) عام ١٩٧٣ ، قام الجنرال الأمريكى جورج إيد - نائب القائد العام للقوات الأمريكية فى أوروبا وكبير المراقبين الأمريكيين فى المناورة التى كانت تحمل اسم « الحلقة الوسط ٧٣ » - بإبلاغ رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميرال توماس مورر بأن قائد المناورة الإيرانى « أعرب عن بعض القلق فى حديث خاص معى لأن الخليج العربى يمكن أن يكون بسهولة عرضة لحرب ألغام يشنها رجال حرب العصابات . وأشار إلى أن هذا التكتيك « يمكن أن يدمر السفن التجارية وحركة مرور النفط » .(٧) وكان من الواضح أن ضباط بحرية الشاه فكروا كثيرا فى احتمالات حرب ألغام فى الخليج ، وربما تكون خططهم للتلغيم قد ظلت فى ملفات القيادات المختلفة للبحرية الإيرانية .

وفى صيف عام ١٩٨٤ ، راقب الإيرانيون أيضا رد الفعل الغربى لتلغيم طرق الملاحة فى البحر الأحمر .(٨) فقد ارتطمت تسع عشرة سفينة بألغام فى البحر الأحمر فى الفترة بين يوليو وسبتمبر ١٩٨٤ . وأعلنت منظمة « الجهاد الاسلامى » ، وهى جناح شيعى أصولى موال لإيران فى لبنان ، مسئوليتها عن هذه الحوادث ، مع أن هذه الجماعة الإرهابية كانت تفتقر بوضوح إلى إمكانات تلغيم مثل تلك المساحة الشاسعة . ولم يكن المحللون الغربيون على يقين مما إذا كانت إيران أو ليبيا هى التى زرعت الألغام ، إلى أن اكتشف البريطانيون لغماً من صنع السوفيت تم إنتاجه حديثاً ، وأتاح فحص سجلات الملاحة فى قناة السويس العثور على دليل قوى - وإن كان ثانويا - على مسئولية ليبيا .

وكشف رد الفعل الإيرانى المرتبك تجاه الحادث عن انقسام بين زعماء إيران . ففى البداية أثنت طهران على عمليات التلغيم ثم مالبثت أن أدانتها . وأعلن الإيرانيون ، بعد ذلك ، أن الولايات المتحدة هى التى وضعت الألغام فى محاولة منها لتشويه سمعة الجمهورية الاسلامية .

وفى الحقيقة فإن الدروس التى يمكن أن تكون طهران قد استخلصتها من الحادث كانت متناقضة . فرغم أن عملية التلغيم كان لها أثر سيكولوجى أكثر منه حقيقيا ، حيث لم تغرق أى سفينة بالفعل ، إلا أن الألغام خلقت شعوراً بالخطر تسبب فى تخفيض حاد فى حركة الملاحة فى البحر الأحمر وقناة السويس ، مما يعنى توجيه ضربة اقتصادية لمصر . وعلى الرغم من المشاركة الليبية السافرة فى هذا العمل ، فإن الولايات المتحدة وحلفاءها لم يقدموا على أى خطوة انتقامية .

ولكن الغرب رد فى الحال على تهديد الملاحة الدولية . وتعاونت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا وهولندا بصورة وثيقة مع مصر والمملكة العربية السعودية فى بذل جهد دؤوب ومتقن لتطهير الألغام كما اتضح بعد ذلك . ونجح هذا الجهد تماما . وأصبح موقف إدارة ريجان أكثر تشدداً تجاه ليبيا بعد حادث زرع الألغام ، الأمر الذى أدى فى النهاية إلى الضربات الجوية الأمريكية لليبيا فى أبريل ١٩٨٦ .

وكما فعلوا فى عام ١٩٨٤ ، فإن الزعماء الإيرانيين ربما يكونون قد أعادوا النظر فى صيف عام ١٩٨٧ فى مزايا وسلبيات حملة التلغيم فى المياه الدولية . ففى البداية كان موقف طهران يتسم بالحذر ، ثم أصبح أكثر جسارة وميلاً إلى المجابهة فى أواخر يوليو . وفى الرابع والعشرين من ذلك الشهر ارتطمت ناقلة البترول « بريدجتون » التى تحمل العلم الأمريكى - وكانت أول سفينة كويتية ترافقها البحرية الأمريكية لحراستها عبر الخليج العربى - بلغم إيرانى أثناء العبور . وفى ٣١ يوليو ، قام الحجاج الشيعة أثناء أداء فريضة الحج فى مكة بالمملكة العربية السعودية . بحوادث شغب . ولقى المئات مصرعهم فى عراك صاخب وتلاحم بالأيدى بين قوات الأمن السعودية ، التى سيطر عليها الانفعال ، وحشد ضخم من الحجاج يقودهم المحرضون الإيرانيون . وأوضحت البيانات الرسمية الإيرانية التى صدرت قبل وبعد أعمال الشغب فى مكة أن طهران مازالت تشكل تهديداً لعرب الخليج .(٩) ثم عرض التليفزيون الإيرانى فى شهر أغسطس عملا فنيا بعنوان « مناورات الشهادة » ، وكان عرضاً مسرحياً مثيراً وشاملاً بكل معنى الكلمة تم إخراجه بطريقة درامية (ومسجل بطريقة جيدة) يصور هجمات وهمية تشنها زوارق الدورية الإيرانية ورجال الكوماندوز وموجهة ضد الولايات المتحدة كما هو واضح . وطبقا لما ذكره « روبن رايت » فإن لافتة معلقة على مقر قيادة « الحرس الثورى » فى طهران كانت تحمل عبارة « الخليج الفارسى سيكون مقبرة الولايات المتحدة . »(١٠)

ولما كانت الولايات المتحدة قد فشلت فى ردع التصعيد الإيرانى فى حرب الخليج (مع أن الإيرانيين تحاشوا القيام بهجمات مباشرة على السفن الأمريكية) . فقد قررت إدارة ريجان الإسراع بالاحتشاد العسكرى فى المنطقة . واعترف رئيس هيئة الأركان المشتركة « كراو » قائلا : « كان ينبغى أن نضع هناك بعض القدرات العسكرية التى يمكن استخدامها بعد أن كنا نأمل فى تجنب

ذلك . »[١١] وتدفقت بسرعة على الخليج طائرات هيليكوبتر وسفن كاسحة للألغام ، وازداد حجم « قوة الشرق الأوسط » ، التى بدأت فى عام ١٩٨٧ بست سفن ، ليصبح قوامها ثلاث عشرة سفينة فى نهاية العام . وبإضافة السفن الحربية التى تشكل مجموعة حاملة الطائرات المرابطة فى خليج عمان ، أصبح قوام القوة الأمريكية يتراوح ما بين ٢٥ و ٣٠ قطعة بحرية ، وهو المستوى الذى كانت ستبقى عليه حتى أواخر عام ١٩٨٨ . واشتملت القوات الأخرى العاملة فى الخليج أو فوق الخليج على قرابة ١٨ زورق دورية تابعاً للبحرية ، وعدة طائرات دورية من طراز أوريون « بى - ٣ » ، وقاعدتين بحريتين متحركتين - زوارق بخارية لقادة الأسطول مجهزة كقواعد أمامية تنطلق منها زوارق الدورية والقوات البحرية والجوية والبرية وطائرات الهيليكوبتر للقيام بعمليات المراقبة - فى شمال الخليج العربى ، وحوالى ثمانى طائرات هيليكوبتر تابعة للفيلق البحرى مع قوة خاصة بحرية - جوية - برية تتكون من ٤٠٠ رجل ، وعدة طائرات هيليكوبتر من طراز سى بات « إم إتش - ٦ » وطراز أهييس تعمل من منصات بحرية ، وطائرة أواكس تابعة للقوة الالكترونية البرية فى السلاح الجوى الأمريكى وناقلات بترول جوية تحلق من المملكة العربية السعودية .[١٢] ومن أجل السيطرة على هذه القوة الضخمة شكلت وزارة الدفاع الأمريكية قيادة جديدة ، هى « القوة الخاصة المشتركة للشرق الأوسط » . وأصبح العميد البحرى دنيس بروكس ، الذى يطفو فى بارجة الأميرال مع ناقلة أفراد الوحدة العسكرية فى خليج عمان ، أول قائد للقوة الخاصة المشتركة للشرق الأوسط . وكان بروكس مسئولا أمام جنرال الفيلق البحرى جورج كريست ، القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية فى « تامبا » بولاية فلوريدا .

واجتهدت إدارة ريجان للفوز بمساندة دولية كبيرة للدور الأمريكى الذى بدأت الولايات المتحدة تلعبه فى الخليج العربى . ومن الناحية العملية فإن كل دول الخليج العربية منحت الولايات المتحدة تسهيلات فى أراضيها أو حقوقاً مؤقتة من نوع ما . وقال وزير الدفاع السابق واينبرجر :

« كانت الكويت هى المصدر الأساسى للوقود المتعاقد عليه لكل طائرات وسفن البحرية التابعة لنا فى المنطقة أثناء عمليات الحراسة الفعلية . وتحملت حكومة الكويت أيضا جزءا من تكلفة وقود سفننا وطائراتنا التى اشتركت فى حراسة ناقلات البترول الكويتية التى ترفع العلم الأمريكى . »[١٣]

وفى نهاية عام ١٩٨٧ ، كانت نصف السفن « المتحالفة » العاملة فى المنطقة أوروبية . واشتملت القوات البحرية الغربية فى الخليج ، أو التى كانت فى طريقها إلى الخليج ، على مجموعة سفن الدورية « أرميلا » العشر التابعة للمملكه المتحدة ، وسفينتين هولنديتين ، وسفينتين بلجيكيتين ، وسبع سفن إيطالية ، وثلاث عشرة سفينة فرنسية (بينها حاملة طائرات) .[١٤] ومع قيام الأمريكيين بحشد المزيد والمزيد من القوات البحرية فى الخليج والمحيط الهندى ، أرسل الألمان الغربيون ثلاث سفن حربية إلى البحر المتوسط . ووافق اليابانيون على تمويل عملية تركيب تجهيزات ملاحية متطورة فى الخليج ، وهذه المعدات كانت ضرورية لأعمال المسح الدقيقة للأعماق ولاصطياد الألغام . وتوصلت ندوة عقدها مركز الدراسات التحليلية البحرية فى فبراير ١٩٨٨ حول حرب الخليج إلى أن القدرة على تعبئة هذه المساندة الدولية سوف تجبر الإيرانيين على الاعتراف بعزلتهم ، ويمكن أن تصبح عنصراً حاسماً فى إرغامهم على إنهاء الحرب .[١٥]

وبتزايد القوة العسكرية الأمريكية فى المنطقة فى أوائل عام ١٩٨٨ ، تبنت الولايات المتحدة نظرة أقل سلبية تجاه العمليات فى الخليج العربى . وكانت واشنطن تريد أن تردع الإيرانيين عن القيام بالمزيد من عمليات التلغيم ، وأن تبرهن للمجتمع الدولى على أن إيران هى المسئولة عن تهديد الملاحة فى الخليج رغم نفيها المتكرر لذلك ، ومن هنا اعتزمت الولايات المتحدة القيام بعملية للإمساك بالإيرانيين وهم متلبسون بزرع الألغام . واستطاعت القوات الأمريكية فى الخليج ، بالاستعانة بمصادر معلومات مخابراتية متنوعة ، أن ترصد وتراقب سفينة زرع ألغام إيرانية وأن تنصب لها كميناً . ففى ليلة ٢١ سبتمبر قامت طائرات الهيليكوبتر التابعة للجيش الأمريكى ، التى أقلعت من فرقاطة البحرية الأمريكية « جاريت » بضبط السفينة البرمائية الإيرانية الصغيرة « إيران آجر » وهى تضع الألغام فى القناة الملاحية وهاجمتها بالصواريخ . وسيطرت القوات البحرية - الجوية - البرية التابعة للأسطول الأمريكى على « إيران آجر » وتم تصوير حمولتها من الألغام ونشر هذه الصور .(١٦)

وعقب حادثة « إيران آجر » ، واصلت الولايات المتحدة الضغط على إيران . ففي الثامن من أكتوبر ، فاجأت طائرات الهيليكوبتر الحربية التى أقلعت من بعض قطع الأسطول ، أربعة زوارق بخارية إيرانية سريعة تقوم بمهمة على مسافة خمسة عشر ميلا جنوب غربى جزيرة فارسى .(١٧) وبعد أن فتح الإيرانيون النار ، شنت طائرات الهيليكوبتر الحربية هجومها وأغرقت أحد الزوارق وألحقت أضراراً جسيمة بزورقين آخرين وأسرتهما .

ورد الإيرانيون فى يومى ١٥ و ١٦ أكتوبر ، فأطلقوا صواريخ « سيلك ورم » المضادة للسفن من منصات إطلاق فى شبه جزيرة الفاو على ناقلات بترول فى محطة الشحن بميناء الأحمدى الكويتى . وسقط صاروخ على الناقلة « سى ايل ستى » التابعة لشركة ناقلات النفط الكويتية التى كانت ترفع العلم الأمريكى . واقترح الأميرال كراو شن هجوم انتقامى على سفينة إيرانية ، ولكن إدارة ريجان رفضت هذه الخطة وأصدرت توجيهاتها إلى قوات البحرية الأمريكية فى الخليج بمهاجمة وتدمير اثنتين من منصات البترول الإيرانية يستخدمان كمراكز أمامية حربية .(١٨)

ومع تسارع معدل العمليات ونمو حجم القوة الأمريكية التى تتشكل من الأفرع المتعددة للقوات المسلحة ، قامت الولايات المتحدة بتطوير الهيكل القيادى التابع لها فى المنطقة والذى كان يتصف بالتثاقل فى حركته . ومنذ سبتمبر عام ١٩٨٧ وُضعت القيادة العامة للقوات الأمريكية فى شمال بحر العرب والخليج العربى تحت إمرة العميد بحرى بروكس الذى يبحر مع مجموعة حاملة الطائرات ، بينما تولى عميد بحرى مساعد ، هو هارولد بيرنسن قيادة قوة الشرق الأوسط فى داخل الخليج العربى . وفى فبراير ، أصبح العميد بحرى « أنتونى أ . ليس » قائداً لقوة العمل المشتركة للشرق الأوسط وأيضا قائدا لقوة الشرق الأوسط ، ونقل مقر قيادته إلى البارجة « كورونادو » فى الخليج .(١٩) ويستعيد « أنتونى ليس » تلك الفترة ، قائلا :

« من أجل تنظيم الموقع ووظائف القيادة والمراقبة ، تقرر تدعيم القيادتين العسكريتين المنفصلتين جغرافياً وتعيين قائد عسكرى واحد يكون مسئولا عن المنطقة ... وكانت وظيفتى هى تخطيط وتنسيق

وتوجيه العمليات المشتركة والموحدة فى الخليج العربى ، وخليج عمان ، وشمال بحر العرب . واشتملت هذه العمليات على حماية السفن التى ترفع العلم الأمريكى وسفن أخرى وفقاً للتوجيهات ، وخلق وجود عسكرى فى المنطقة ، وتنسيق العمليات والتدريب مع القوات المتحالفة والصديقة . وكان المطلوب منا هو إدارة قوة مشتركة إقليمية . »(٢٠)

وتولى العميد البحرى « ليس » قيادة ما كان يُعد فى أوائل ١٩٨٨ عمليات عسكرية مستقرة تم الاعداد لها للتصدى للتهديدات المتعددة التى اشتملت على هجمات جوية وصاروخية ، وهجمات بحرية بالزوارق الصغيرة وبالألغام .

وكان مصدر الخطر الرئيسى فى الجو من ناحية العراقيين . والهجوم غير المقصود على الفرقاطة « ستارك » مثال على طبيعة الخطر الذى كان يواجه القوات الأمريكية فى الخليج من هذا المصدر . وأحدثت الأهمية المستمرة لهذه المشكلة أصداء فى داخل الولايات المتحدة فى ١٢ فبراير ، عندما هاجمت طائرة عراقية بطريق الخطأ المدمرة « تشاندلر » ، دون أن تلحق بها أية إصابة لحسن الحظ . وخلال حرب الخليج ، عملت الولايات المتحدة مع العراقيين على تحسين الإجراءات المتعلقة بـ « منع التضارب » لجعل شن مثل هذه الهجمات بعيد الاحتمال رغم أنه لم يتم القضاء على الخطر نهائيا . ومع ذلك ، فإنه بالرغم من أن قاذفات القنابل المقاتلة العراقية كانت تشكل تهديدا حقيقياً وخطيراً للسفن الأمريكية والبحارة الأمريكيين ، فانه نظراً لأن هذه الهجمات كانت عرضية وليست مدبرة ، فإنها لم تكن تمثل تحدياً ، فى مجال العمليات العسكرية ، للتنفيذ الناجح لمهمة البحرية الأمريكية فى الخليج العربى .

أما الإيرانيون ، فإنهم كانوا يشكلون أكبر تهديد للعمليات الأمريكية فى الخليج . وشملت أسلحة الترسانة الحربية لإيران الطائرات ، وصواريخ « سيلك ورم » ، والـ « بوجهامر » وغيرها من الزوارق الهجومية السريعة الصغيرة التى يقودها رجال الباسداران (الحرس الثورى) ، وبقايا البحرية الإيرانية الامبراطورية للشاه . وأخفقت تماما محاولات الإيرانيين المحدودة لاستخدام الطائرات ضد القوات الأمريكية . كذلك لم يكن الايرانيون قادرين على القيام بأى هجمات ناجحة بالزوارق الصغيرة أو بأى هجمات بحرية ضد سفن الأسطول الأمريكى . وعقب الضربة الأمريكية الانتقامية فى ١٩ أكتوبر ١٩٨٧ ضد محطة « الراشادات » البترولية ردا على الهجوم بصواريخ « سيلك ورم » على السفينة « سى آيل ستى » ، ارتأى الإيرانيون التوقف عن استخدام الصواريخ المضادة للسفن ضد السفن الأمريكية أو السفن التى تحرسها سفن أمريكية . ولم يحقق الايرانيون نجاحا إلا فى مجال حرب الألغام ، وكان نجاحا هامشيا .

وأصبحت مشكلة الألغام ، فى نظر العديد من النقاد والمحللين ، المحور الرئيسى فى أى مناقشة تتعلق بالحملة البحرية الأمريكية فى الخليج العربى ، وظلت كذلك . وقدم المحللون صورة للبحرية الأمريكية باعتبارها من الأفرع العسكرية غير المؤهلة للتعامل مع « خطر بدائى » ناشىء عن أحد أنواع أسلحة « الحرب العالمية الأولى . »(٢٢) وفى الحقيقة فإن حملة التلغيم الإيرانية أخذت الولايات المتحدة على غرة دون أن تكون مستعدة لها ، وقد حدث ذلك بطريقة مؤسفة . ولم تكن « القوات البحرية لمكافحة الألغام » جاهزة لمواجهة هذا التهديد عندما بدأت حراسة السفن فى يوليو

عام ١٩٨٧ . وفى الواقع فإن الولايات المتحدة لم تعتمد حتى وقت متأخر من العام على التأثير الرادع لقواتها التى كانت تتكاثر باستمرار فى الخليج ، بقدر اعتمادها على الأمل فى أن يتحاشى الإيرانيون مواجهة محتملة مع الأمريكيين . ويمكن تصور الصعوبات التى كانت ستلقاها البحرية الأمريكية فى عام ١٩٨٧ فى حماية ناقلات البترول التى تحرسها قطع البحرية من هجمات صواريخ « سيلك ورم » فى مضيق هرمز لو كان الايرانيون قد أعدوا عدتهم لهذه الهجمات وقرروا استخدام الصواريخ المضادة للسفن . والمغزى الحقيقى لضرب السفينة « بريدجتون » بلغم ، والجانب الأكثر إزعاجاً فى هذه الحادثة ، لم يكن العجز الواضح للبحرية الأمريكية عن مقاومة خطر الألغام ، وإنما الفشل الأمريكى البادى للعيان فى ردع إيران بحيث لا تقدم مطلقاً على المهاجمة .(٢٣)

ومع أن حملة الألغام الإيرانية فى الخليج فاجأت الولايات المتحدة بالفعل ، إلا أن حرب الألغام لم تكن خيارا يخلو من المخاطرة بالنسبة لإيران . وقد تحدث الإيرانيون عن « يد الله » ، واعتبر العديد من منتقدى إدارة ريجان أن عمليات التلغيم التى تمارسها طهران هى « وسيلة فعالة لمجابهة البحرية الأمريكية وقطع البحرية التابعة للدول الأخرى ، دون التعرض لمخاطرة كبيرة بالتعرف الفورى على الجهة التى بثت الألغام وتوجيه رد انتقامى ضدها فى الحال . »(٢٤) غير أنه لم يكن هناك على الإطلاق أدنى شك بشأن الجهة التى كانت تزرع الألغام فى الخليج . كذلك لم يكن لدى الإيرانيين أى ضمان بأن ألغامهم سوف تلحق أضراراً أو تدمر السفن الكويتية التى ترفع العلم الأمريكى فقط ، أو السفن الأمريكية وحدها . أما نسف السفن البريطانية أو السوفيتية فإنه لم يكن من شأنه أن يخدم الأهداف الإيرانية للحرب . وقد ثبت فى نهاية المطاف أن حملة حرب الألغام الإيرانية انتهت بالفشل الذريع . وسرعان ما جرى ضبط الإيرانيين فى حالة تلبس عندما رصدت طائرات الهيليكوبتر الحربية الأمريكية السفينة « إيران آجر » وهى تبث الألغام فى الخليج فى سبتمبر عام ١٩٨٧ . وهكذا فإن العملية الانتقامية التى أعقبت ضرب الفرقاطة « صمويل ب . روبرتس » فى ابريل ١٩٨٨ بلغم .. كبدت إيران نصف أسطولها العامل .

ومن النتائج التى ترتبت أيضا على قيام إيران بتلغيم طرق الملاحة ، إرسال أسطول دولى إلى الخليج على وجه السرعة . ففى عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ نشرت أساطيل عدة دول من حلف الأطلسى سفن « القوات البحرية لمكافحة الألغام » وسفناً حربية مرافقة . وهناك تعاونت سفن القوات البحرية الأوروبية لمكافحة الألغام مع كاسحات الألغام الأمريكية فى تطهير الممرات الملاحية . وكانت السفن الأوروبية التابعة للقوات البحرية لمكافحة الألغام أحدث تطوراً وأقدر من كاسحات ألغام البحرية الأمريكية المصنوعة فى الخمسينات والعاملة فى الخليج والمداخل المؤدية إليه . غير أن القدرة التكنولوجية الأمريكية كانت عصرية ، ما لم تكن من أحدث طراز . ولم تكن وظيفة « القوات البحرية لمكافحة الألغام » فى الخليج هى إزالة الألغام بالمعنى التقليدى ، وإنما اصطياد الألغام باستخدام أجهزة يتم التحكم فيها عن بعد لتحديد موقع المخلفات المتناثرة والألغام فى القاع والتعرف عليها وتسجيل النبضات الصادرة عنها . وعندئذ يتم تدمير الألغام بواسطة الغواصين من خبراء « تدمير المهمات الحربية المتفجرة » .

علاوة على ذلك ، فإن مفهوم البحرية الأمريكية عن العمليات فى الخليج العربى وخليج عمان يقوم على التسليم بأن الرد على حملة التلغيم الإيرانية لا يتم ببساطة عن طريق إجراءات تقنية مضادة للتلغيم البحرى . فقد كان اصطياد الألغام ، ولايزال ، عملية بطيئة وخطيرة وباهظة التكاليف . والاجراءات المضادة للتلغيم البحرى وسيلة يتمنى الأسطول ألا يضطر لاستخدامها ، لأن آخر مكان يريد المرء أن يتعامل فيه مع اللغم هو المياه . وعلى ذلك فإن القول بأن أسطول الولايات المتحدة تغاضى عن خطر الألغام هو قول غير صحيح ، حيث إن العمليات الأمريكية فى الخليج استهدفت منع زرع الألغام كما استهدفت منع وسائل « حرب رجال العصابات » الأخرى فى الحرب البحرية .

فقد كانت الفلسفة التى توجه عمليات الأسطول تشتمل على الردع ، والاستخبارات ، والوجود ، والرد الانتقامى ، وأخيراً الإجراءات المضادة للتلغيم . وكانت الولايات المتحدة تأمل فى ردع الهجمات عن طريق تثبيت أركان وجود عسكرى فى الخليج ، وعن طريق توجيه تهديد يكاد يكون صريحا بتوقيع العقاب . فإذا فشل الردع ، فسوف تكشف عمليات الاستخبارات والاستطلاع ، كما هو مأمول ، الاستعدادات الإيرانية لشن هجوم ، وهذا هو ما حدث فى حالة « إيران آجر » . ومن أجل التصدى لمثل هذه المحاولات الايرانية فى أنحاء الخليج ، صنعت قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط وجوداً لها يمتد من الكويت إلى خليج عمان ، ويشتمل هذا الوجود على الاستطلاع الجوى من طائرات سنترى « إى ـ ٣ ايه » (أواكس) التى تحلق من المملكة العربية السعودية وطائرات هوك آى « إى ـ ٢ سى » التى تحلق من مجموعة حاملة الطائرات فى الخليج العربى ، وطائرة الدورية أوريون « بى ـ ٣ سى » . وقامت قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط بتقسيم الخليج نفسه إلى قطاعات متعددة ، وتقوم بأعمال الدورية فى كل قطاع مدمرة أو فرقاطة بصورة معتادة . وفى شمال الخليج العربى ، كان ثمة قاعدتان بحريتان متحركتان ، ترافقهما كاسحات ألغام وفرقاطة ، تستخدمان كجزيرتين طافيتين تنطلق منهما زوارق الدورية من طراز « إم كيه ـ ٣ » وطائرات هيليكوبتر لاصطياد الألغام والقيام بعمليات المراقبة . وقامت الطرادات الحربية فى الخليج بتنسيق حرب الدفاع الجوى لتوفير الأمان من الهجوم الجوى سواء كان عراقياً أو إيرانيا . وتولت فرقاطات إضافية الحراسة الفعلية للناقلات التى رفعت العلم الأمريكى (وتوابعها من وقت لآخر) خلال رحلات « إرنست ويل » ـ الإرادة الجدية ـ المائة وسبع وعشرين رحلة التى تمت بين خليج عُمان والكويت فى الفترة من يوليو ١٩٨٧ حتى ديسمبر ١٩٨٨ .(٢٥)

وأهم ماتميزت به عمليات البحرية الأمريكية خلال عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ هو قدرتها على أن تؤسس لها وجوداً فى أنحاء الخليج ، وليس الممارسة الفعلية لمهام « إرنست ويل » الفردية . ومع نهاية عام ١٩٨٧ ، كانت كل ناقلة تعبر الخليج ، تمر من خلال مناطق تتولى قوات بحرية أمريكية القيام بأعمال الدورية فيها وتأمينها ، وبذلك تكون قد استفادت من حماية البحرية الأمريكية . وكان المرور فى طرق ملاحية غير ملغمة ولا معرضة لمناوشات متكررة أو هجوم من جانب الزوارق الصغيرة أو القطع البحرية الحربية الإيرانية هو الثمرة الرئيسية للعمل الذى نفذته البحرية فى الخليج . وفى أوائل عام ١٩٨٨ ، تضاءل تركيز البحرية على مهمة الحراسة المادية ذاتها التى

أصبحت رمزية أكثر منها واقعية ، بينما زاد التركيز على سلامة الممر المائى الذى تجتازه الناقلات . وكانت علامة هذا التحول فى الجهد البحرى الأمريكى هو الانتقال من أسلوب حراسة سفن متعددة للناقلة خلال رحلات « إرنست ويل » الأولى ، إلى أسلوب حراسة فرقاطة واحدة للناقلة فى مرحلة لاحقة من الحرب .

وقد أثقلت هذه العمليات الواسعة النطاق فى الخليج العربى كاهل البحرية الأمريكية . ورغم أن عدد السفن التى تم نشرها هناك ـ أكثر من ثلاثين ـ لم يكن كبيراً جداً ، فإن المسافة التى كانت تفصل بين منطقة العمليات والولايات المتحدة كانت تمثل عاملا حاسما . وأولت البحرية أهمية كبرى لأغراض وأهداف مستوى نشاط عملياتها وأفرادها ، هذا المستوى الذى يتيح الاحتفاظ بمعدلات عالية لإعادة التطوع عن طريق الحيلولة دون الابقاء على المتطوعين فى الخدمة العسكرية لفترة أطول من اللازم فى البحر . وبالنسبة للبحرية ، فإن القيام بعمليات فى إطار قيود زمن السلم كان يتطلب تخصيص حوالى سبع سفن لكل سفينة يتم نشرها فى داخل الخليج أو على مقربة منه . وهكذا ، فإن الاحتفاظ بحاملة طائرات واحدة فى شمال بحر العرب ، كان يحتجز فعلياً ستا أو سبعا من حاملات الطائرات الخمس عشرة التابعة للبحرية الأمريكية . والطرادات الأربعة فى المنطقة كانت تعنى فعليا احتجاز حوالى ٢٨ من الست والثلاثين سفينة من ذلك الطراز فى البحرية للقيام بالمهمة . ووجود ست فرقاطات حاملة لصواريخ موجهة فى الموقع كان يعنى الاعتماد على ٤٢ من ٥٦ من ذلك الطراز كانت لدى البحرية . وقد ثبت أن القيام بعمليات فى منطقة غير مضيافة (لا توفر الحماية أو المأوى) ، وبدون موانىء صالحة للإجازات ، وتحتاج إلى رحلات طويلة للوصول إليها ، وبدون قواعد أمامية متطورة يشكل عبئاً إداريا ولوجستيا وبشرياً هائلا .

ولم يكن مما يثير الدهشة أن الكثيرين فى البحرية الأمريكية شعروا بالقلق إزاء الفترة الزمنية التى يجب أن يستمر فيها هذا الجهد . ولم تتح العمليات فى الخليج سبيلاً لفرض نهاية للحرب ، فقد كانت ناجحة ولكنها تعتمد على رد الفعل . وبدأ بعض قادة البحرية فى أوائل عام ١٩٨٨ يفكرون ملياً : « كيف السبيل إلى الخروج » ؟ وكانت الاجابة صريحة بقدر ماهى متشائمة . ذلك أن جهود الأمم المتحدة كانت حاسمة بالنسبة لعملية السلام ، غير أنه كان من المستبعد أن تسفر عن تسوية سريعة للنزاع . واستخلصت دراسة قامت بها البحرية أن « حصيلة / تسوية الحرب الإيرانية العراقية هى المفتاح ... ومجرد قياس مساحة الحرب البرية يوضح أن حرب الخليج العربى هى ، فى نهاية المطاف ، استعراض جانبى للحرب التى لها أهمية خاصة لدى بطلى الدراما . »(٢٦)

والأمر الذى أثار الضيق لدى الكثيرين فى البحرية والحكومة والكونجرس فى أوائل عام ١٩٨٨ ، هو انه لم تكن تلوح فى الأفق ـ لسوء الحظ ـ نهاية للحرب الإيرانية ـ العراقية . وأخذ إيقاع حرب الناقلات يبطىء بعد ديسمبر ١٩٨٧ ، رغم أن الهجمات الإيرانية زادت من سبع فى فبراير ١٩٨٨ إلى ١٣ فى مارس . وأوقف العراقيون ، مؤقتا ، ضرباتهم للملاحة عقب هجومهم بطريق الخطأ على « تشاندلر » فى فبراير . ومع أن المجهود الإيرانى تباطأ أيضا ، إلا أن العراق

ظل ، كما كان الحال فى نهاية عام ١٩٨٧ ، مسئولاً عن معظم الهجمات المضادة للملاحة فى الخليج .

ورغم القلق الأمريكى بشأن احتمالات صراع يطول أجله فى الخليج ، فإن الحرب كانت تقترب بالفعل من ذروتها . ففى السابع والعشرين من فبراير ، استؤنفت « حرب المدن » ، وبلغت مستوى جديداً فى التدمير . وفى التاسع والعشرين من فبراير ، ضرب ١٧ صاروخ أرض / أرض عراقى من طراز « سكود - بى » مدينة طهران . وعندما انتهى القصف فى ٢٠ ابريل ، كان أكثر من ١٤٠ صاروخ أرض / أرض قد ضرب العاصمة الإيرانية .(٢٧) وفى مارس ، بدأ العراقيون يستخدمون أسلحة كيماوية مميتة - غاز الخردل وغازات الأعصاب - على طول الجبهة فى كردستان . وفى ١٨ ابريل ، استعاد العراقيون شبه جزيرة الفاو بعد أن استخدموا الغاز مرة أخرى . وفى نفس ذلك اليوم فى الخليج ، خاضت البحرية الأمريكية أكبر عملياتها على سطح البحر منذ الحرب العالمية الثانية .

جاءت العملية الامريكية رداً انتقامياً على ما أصاب الفرقاطة « صمويل ب . روبرتس » التى اصطدمت بلغم فى الخليج فى ١٤ ابريل على مسافة ٥٥ ميلاً شمال شرقى قطر وأشرفت على الغرق .(٢٨) وتسبب اللغم فى إحداث ثقب فى الجانب الأيسر من السفينة أسفل غرفة الآلات طوله ٣٠ قدماً وعرضه ٢٣ ، وتحطيم العارضة الرئيسية الممتدة فى قاع السفينة ، ويكاد يكون قد قسم الفرقاطة إلى قسمين . وهددت الحرائق وفيضان المياه المتدفقة باجتياح الفرقاطة « صمويل ب . روبرتس » ، غير أن الجهود الفعالة التى قام بها الضباط وأفراد الطاقم للسيطرة على الموقف أنقذت السفينة . ولم يسفر الحادث عن مصرع أى أمريكى ، مع أن الانفجار أصاب عشرة بحارة بجروح .

وبرهن الحادث الذى كاد يودى بـ « صمويل ب . روبرتس » على أن إيران قد استأنفت هجماتها ضد الملاحة الدولية ، وربما كانت تستهدف عن عمد القطع الحربية للبحرية الأمريكية . وبعد أيام قلائل اكتشفت الوحدات الأمريكية والحليفة المضادة للألغام وجود ألغام إضافية ، وكلها من صنع إيرانى ، فى مناطق وسط الخليج العربى كانت تمر بها سفن البحرية الأمريكية وتعبرها الناقلات .

الهجمات على السفن فى الخليج العربى حسب الشهور (١٩٨٨)

	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو - اغسطس	المجموع
ايران	٧	٧	١٣	٧	٥	٣	١٠	٥٢
العراق	٨	٥	٦	صفر	٧	١	١١	٣٨

ورداً على ضرب « صمويل ب . روبرتس » بالألغام ، طلبت إدارة ريجان من الجنرال كريست وضع وتنفيذ خطة لضربة انتقامية . وعلى ظهر سفينة القيادة « كورونادو » التى ترسو عند رصيف

ميناء سلمان فى البحرين ، وضع أركان حرب « قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » التابعة للعميد البحرى « ليس » على عجل خيارات هجومية متعددة وأرسلوها إلى أعلى عبر تسلسل مراتب القيادة من « تامبا » إلى واشنطن .

الخيارات التى طُرحت اشتملت على مجموعة متعددة من السيناريوهات الانتقامية الممكنة . وكان أحد هذه الخيارات ، الذى يتمتع بجاذبية لها ما يبررها لدى أفراد قوة العمل المشتركة الذين اقتحموا المياه الخطيرة للخليج ، هو توجيه ضربة مباشرة لمصادر القوة الايرانية القادرة على زرع الألغام ، مثل المستودعات التى كان يتم تخزين الألغام فيها ، والمرافق الأخرى التى يمكن أن يؤدى تدميرها إلى جعل عمليات التلغيم أكثر صعوبة . ولكن مثل هذا الخيار كان يستلزم شن هجمات مباشرة على الأراضى الإيرانية ، وهى خطوة اعتبرتها إدارة ريجان مغالية فى التصعيد .

واقتصر خيار الرد الانتقامى الذى استقر عليه الرأى على عمليات ضد القوات الإيرانية فى البحر بمنطقة الخليج . وكان على سفن وطائرات « قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » أن « تنهى دور » أثنين من منصات فصل الغاز عن النفط ، وأن تضرب سفينة حربية إيرانية واحدة تعويضاً عن الضرر الذى لحق بـ « صُمويل ب . روبرتس » . فإذا لم يتسن رصد ومهاجمة قطعة بحرية حربية إيرانية ، فإنه يمكن ضرب منصة ثالثة من منصات فصل الغاز عن النفط . ورغم العبارات الانشائية التى رددتها إدارة ريجان حول رفضها المطلق القتال فى حرب أخرى بنفس الطريقة التى حاربت بها الولايات المتحدة فى الهند الصينية ، فإن « الرد الذى يتناسب مع حجم الهجوم » فى التعامل ضد الإيرانيين ، كان ، فى الحقيقة ، استعمالاً للقوة العسكرية بطريقة محكومة تميل إلى التصعيد عند مستوى الحد الأدنى على شاكلة فيتنام . ولما كانت الحكومة الأمريكية غير راغبة فى المخاطرة بحرب أوسع نطاقاً مع إيران ، فإنها تجنبت إلى أبعد مدى ممكن ، العمليات التى قد تؤدى إلى المزيد من التصعيد .

وانتقى رجال أركان حرب « القيادة المركزية » و« قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » أهدافهما بعناية . وكانت القوات الإيرانية تدير منصتى فصل الغاز عن النفط فى ساسان وسيرى فى وسط وجنوبى الخليج العربى ، كما كان الحال فى منصة النفط برشادات التى دُمرت رداً على الهجوم الإيرانى بصواريخ « سيلك ورم » على « سى آيل ستى » فى أكتوبر عام ١٩٨٧ . وكانت المنصتان تستخدمان لتنسيق الهجمات على الملاحة ، ومسلحتين بأسلحة أوتوماتيكية من طراز « زد اس يو » عيار ٢٣ ملليمترا ، والحاميتان المرابطتان فيهما مزودتان براجمات قنابل يدوية وأسلحة صغيرة . وكانت « سيرى » منصة نشيطة أيضا لاتزال تنتج حوالى ١٨٠ ألف برميل نفط يوميا . وتركز الاهتمام ، عند انتقاء هدف بحرى ، على واحدة من فرقاطات إيران الأربع الممتازة من صنع بريطانيا من طراز « فوسبر مارك ـ ٥ » وحمولتها ١٣٥٠ طنا ، وتحمل اسم « سابالان » . وكانت تلك الفرقاطة قد اكتسبت شهرة كبيرة فى الخليج خلال عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ . وتحت قيادة «الكابتن بغيض » أصبحت العلامة التجارية للفرقاطة « سابالان » هى إطلاق نيران مركزة على تلك المواضع من الناقلات القريبة من مؤخرها التى تأوى أطقم هذه الناقلات ونفس المواضع فى السفن التجارية الأخرى التى كانت تهاجمها .

واستكمل أركان حرب « ليس » التخطيط النهائى على سطح « كورونادو » ليلة السادس عشر وفى الساعات الأولى من صباح يوم السابع عشر من أبريل ، فى الوقت الذى اندفعت فيه سفن أمريكية من « قوة الشرق الأوسط » ومجموعة حاملة الطائرات من شمال بحر العرب إلى الموقع . ومن أجل توفير الدعم الجوى والغطاء الجوى للعملية ، تحركت حاملة الطائرات « انتربرايز » إلى مسافة ١٢٠ ميلا بحرياً من مضيق هرمز . وفى سبيل تنفيذ الخطة ، التى أطلق عليها الاسم الكودى « فرس النبى المتعبد » ، قامت « قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » بتشكيل ثلاث « مجموعات عمل على السطح » :

مجموعة عمل سطح « برافو » - لتحييد أو تدمير منصة فصل الغاز عن النفط فى ساسان ، وإذا لم تعرض سفن سطح إيرانية نفسها كأهداف ، تضاف منصة راكيش لفصل الغاز عن النفط كهدف للتحييد أو التدمير .

مجموعة عمل سطح « تشارلى » - تحييد أو تدمير منصة « سيرى » لفصل الغاز عن النفط .

مجموعة عمل سطح « دلتا » - إغراق الفرقاطة « سابالان » ، أو أى سفينة حربية أخرى قد تحاول الخروج من ميناء « بندر عباس » .

وكان ينبغى أن يسبق الهجمات على منصات فصل الغاز عن النفط ، توجيه إنذار يمهل الإيرانيين خمس دقائق لاخلاء المنصات . وعقب إسكات كل أنواع المقاومة بواسطة نيران مدفعية البحرية ، يستولى مشاة البحرية على منصة « ساسان » ، وتستولى قوات الوحدة البحرية والجوية والبرية التابعة للأسطول الأمريكى على منصة « سيرى » اللتين يتم تدميرهما عندئذ . وتكون الغطاء الجوى لهذه العمليات من أربع طائرات توم كات « إف - ١٤ ايه » ، وطائرتين انترودار « ايه - ٦ إى » ، وطائرتين براولار « إى ايه - ٦ بى » تحلق فى « الدورية الجوية القتالية قرب السطح » من حاملة الطائرات « انتربرايز » المرابطة فى شمال بحر العرب . وأعدت حاملة الطائرات أيضا مجموعة ضاربة لحرب البحر ، للاحتفاظ بها فى حالة تأهب وجاهزة للاقلاع خلال ١٥ دقيقة أو أقل خلال العملية . كذلك اشتملت الخطة على أن تكون الناقلات الجوية للوقود من طراز « كيه سى - ١٠ » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى التى تقلع من المملكة العربية السعودية .. محلقة فوق منطقة العمليات لتزويد طائرات البحرية بالوقود فى الجو . وتتعاون أيضا طائرات « أواكس » التابعة للسلاح الجوى مع طائرات هوك آى « إى - ٢ سى » المرابطة فوق الحاملة « إنتربرايز » لإرسال صور الرادار للخليج والمجال الجوى الإيرانى بصورة مستمرة .

ترتيب الوحدات المقاتلة : ١٨ أبريل ١٩٨٨

مجموعة برافو	مجموعة تشارلى	مجموعة دلتا
ميريل	وينرايت	جاك وليامز
ليندى ماكورميك	بيجلى	اوبراين
ترنتون	سيمبسون	جوزيف شتراوس

بدأت العملية فى حوالى الساعة السابعة والدقيقة ٥٥ صباحا بالتوقيت المحلى يوم ١٨ أبريل ١٩٨٨ ، عندما أنذرت مجموعة « برافو » ، باللغتين الفارسية والانجليزية ، الموجودين على منصة « ساسان » لفصل الغاز عن النفط باخلاء المنصة . وأوضحت الاتصالات اللاسلكية التى تم اعتراضها والتقاطها أن الإيرانيين أصيبوا بالفزع ، وسألوا قيادتهم على الشاطىء ، وهم فى حالة هياج ، عن التوجيهات ، كما طلبوا من الأمريكيين فسحة أكبر من الوقت . ونزل حوالى ثلاثين إيرانيا بسرعة فى اثنين من زوارق السحب ، غير أن عدداً مماثلاً تقريبا ظل باقياً يتخذ مواقعه على أسلحة المنصة ، مصمماً فيما يبدو على الدفاع عن مراكزه . وفتحت كل من « ميريل » و « ليندى ماكورميك » النار فى الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة ، مستخدمتين مدافع أحسن اختيار مواقعها لإطلاق سلسلة من القذائف لإسكات المدفع الإيرانى متعدد الأغراض من طراز « زد اس يو » عيار ٢٣ ميلليمترا . وعندما اتصل زورق سحب إيرانى يقترب باللاسلكى يطلب الإذن بالعودة لاصطحاب أفراد الطاقم الآخرين ـ « احتشد جمهور كبير من الشهداء الذين تحولوا عن موقفهم عند الطرف الشمالى » لمنصة فصل الغاز عن النفط ـ أوقف الأمريكيون نيرانهم وسمحوا بالشروع فى عملية الإخلاء . وبعد أن أخلى الإيرانيون المنصة ، هبطت من طائرات الهيليكوبتر بسرعة إلى « ساسان » عناصر الانقضاض من قوة العمل البحرية ـ الجوية ـ البرية « ٢ ـ ٨٨ » التابعة لمشاة البحرية ، ومن كتيبة خبراء التخلص من المتفجرات ، وفريق جمع المعلومات السرية . وبعد تأمين المنصة ، وجد الأمريكيون مدافع مضادة للطائرات ، وراجمات قنابل يدوية ، وذخيرة ، وجهاز اتصالات لاسلكية . وغادرت المجموعة الهابطة على المنصة المكان ، ثم دمرت منصة ساسان لفصل الغاز عن النفط بالمتفجرات بطريقة التحكم من بعد .

وبدأت مجموعة «تشارلى » عملياتها الصباحية بعد الموعد المقرر لها إلى حد ما ، فقد تأخرت حتى الساعة الثامنة والدقيقة ١٥ لمنح الايرانيين فسحة زمنية إضافية لإخلاء منصة « سيرى » . وكما حدث فى « ساسان » ، لم يشأ جميع الايرانيين مغادرة المنصة ، وبقى العديد منهم . وعلى ذلك ، فتحت مجموعة « تشارلى » النار فى محاولة للقضاء على المدافعين عن المنصة . وخلال وابل النيران الذى أعقب ذلك ، أوقفت القوات الأمريكية النار بين لحظة وأخرى لكى تتيح للقوات الإيرانية التقاط الأفراد الذين رفضوا ، فى البداية ، مغادرة المنصة . بل حدث أن قامت طائرة هيليكوبتر أمريكية بإسقاط طوف لستة من الإيرانيين لاستخدامه فى انتشال أنفسهم من المياه . وفى النهاية ، احترق المدافعون القلائل الذين بقوا على المنصة بطريقة غير مقصودة عندما أصابت قذيفة بطريق الخطأ صهريج غاز مضغوط على المنصة فتحول إلى شعلة ملتهبة من النيران مما جعل من المستحيل ، ومن غير الضرورى ، أن تهبط فصيلة الوحدة البحرية ـ الجوية ـ البرية على المنصة .

وعلى أثر تدمير منصتى فصل الغاز عن النفط ، واصلت المجموعات الأمريكية الثلاث عملياتها سعياً وراء هدف يستحق الاهتمام . وبعد أن تحققت المجموعة « برافو » من هدف سطحى مجهول الهوية واتضح لها فيما بعد أنه سفينة دورية صغيرة من الإمارات العربية المتحدة ، اتجهت شمالاً لتتخذ لنفسها موقعاً للاشتباك مع منصة راكيش ، نظرا لعدم ظهور سفن إيرانية مقاتلة مستعدة للقيام

بالدور المخصص لها فى الخطة الأمريكية وهو الغرق فى قاع اليم . وقابلت مجموعة « برافو » هدفاً مجهولاً ثانياً ، وكان يُظن لأول وهلة أنه فرقاطة إيرانية . غير أن السفينة اتضح أنها مدمرة سوفيتية من طراز « سوفريمينى » أراد قائدها مجرد التقاط صورة « للتاريخ » .

وخلال ساعات صباح يوم ١٨ ابريل ، وبينما كانت مجموعتا « برافو » و « تشارلى » تهاجمان المنصتين ، أبحرت مجموعة « دلتا » فى اتجاه مضيق هرمز على أمل أن تواجه « سابالان » . غير أن الضربات الأمريكية التى كانت جارية فى ذلك الوقت ، جعلت الفرقاطة الإيرانية تفضل البقاء فى ميناء بندر عباس حيث تلتمس السلامة بين ناقلتى بترول توفران الحماية المناسبة من صواريخ « هاربون » المضادة للسفن سواء أطلقت من البحر أو الجو . وكانت الطائرات الضاربة من مجموعة « الدوريات الجوية القتالية التى تحلق قرب السطح » التى تقلع من حاملة الطائرات « انتربرايز » غير قادرة على أن تحصل على تأكيد واضح بشأن الهدف فيما يتعلق بسابالان ، ولم تستطع الاشتباك مع الفرقاطة دون المخاطرة بإصابة الناقلات المدنية بطريقة غير مقصودة .

بيد أن القطع البحرية الإيرانية لم تبق كلها فى مرافئها فى صبيحة الثامن عشر من أبريل . ففى حوالى الساعة الحادية عشرة ، غامرت الزوارق السريعة الإيرانية بالهجوم على المنشآت البترولية والسفن التجارية فى جنوبى الخليج . وفى الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٦ هاجمت الزوارق السريعة الإيرانية من طراز « بوجهامر » سفينة الإمدادات « ويلى تايد » التى ترفع العلم الأمريكى براجمات القنابل اليدوية . ولم يمض وقت طويل ، حتى كانت زوارق سريعة إيرانية أخرى تطلق النار على السفينة « سكان بيى » التى ترفع علم بنما وتحمل على متنها خمسة عشر أمريكياً على مقربة من حقل بترول مبارك ، وكذلك على الناقلة « يورك مارين » التى ترفع العلم البريطانى . وقامت الفرقاطة الأمريكية « جاك وليامز » التابعة لمجموعة العمل « دلتا » بإصدار التوجيهات لطائرات انترودار « ايه ـ ٦ إى » التابعة « للدورية الجوية المقاتلة التى تحلق قرب السطح » لكى تتخذ أوضاعاً هجومية . وبناء على أوامر العميد البحرى « ليس » اشتبكت طائرتان من طائرات « ايه ـ ٦ إى » مع الإيرانيين ، وألقت قنابل عنقودية من نوع « روك آى » على الزورق السريع « بوجهامر » الذى يسير فى المقدمة . وعلى الفور هرولت الزوارق السريعة الناجية مبتعدة عن المكان لتجنح وترتطم بأرض جزيرة أبو موسى .

وعلى مسافة أبعد ناحية الغرب ، اقتربت السفينة الإيرانية الهجومية السريعة المقاتلة رقم ٢ « جوشان » إلى مسافة ١٣ ميلاً بحرياً من مجموعة « تشارلى » . وكانت « جوشان » مزودة بمدفع عيار ٧٦ ميلليمترا وصاروخ « هاربون » المضاد للسفن الأمريكى الصنع . وتسبب خروج « جوشان » إلى ساحة القتال فى وضع الأمريكيين أمام مشكلة محيرة . ذلك إنه وفقاً لخطة العمليات التى أقرتها إدارة ريجان ، فإن « قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » كان مسموحا لها بضرب قطعة مقاتلة إيرانية واحدة فقط قرب السطح . ولم تكن « جوشان » ، وحمولتها ٢٧٥ طنا ، هى الهدف المختار قرب السطح ، وإغراقها قد يضع خاتمة لمهمة البحرية الأمريكية فى ذلك اليوم بينما تظل « سابالان » الأكبر حجماً ـ ١٣٥٠ طنا ـ حرة ومستمرة فى نشاطها تحت قيادة « الكابتن

بغيض » . وكان اعتراض العميد البحرى « ليس » على الاشتباك مع « جوشان » مفهوماً ، ولكنه يحتاج إلى مناقشة ، نظراً لأن السفينة الهجومية السريعة الإيرانية كانت مزودة بصاروخ « هاربون » جاهز للاطلاق . واستمر اقتراب « جوشان » من مجموعة « تشارلى » متجاهلة أربعة تحذيرات متتابعة بالابتعاد . وبعد عدة دقائق من التوتر ، أعطى العميد البحرى « ليس » لمجموعة « تشارلى » الإذن « باستخدام السلاح » للاشتباك . ووجه قائد « وينرايت » رسالة إلى نظيره فى « جوشان » : « اوقفوا محركاتكم وغادروا السفينة ، إننى بصدد إغراقكم » .

وردت « جوشان » باطلاق صاروخ « هاربون » الوحيد الذى تتسلح به فى اتجاه « وينرايت » . وكانت تلك هى أكثر اللحظات توتراً بالنسبة للعميد البحرى « ليس » طوال فترة خدمته فى الخليج . إنها اللحظة التى انطلق فيها الصاروخ « هاربون » الأمريكى الصنع بسرعة نحو المدمرة الأمريكية . ولحسن الحظ ، أخطأ هاربون الهدف ومرق بجوار الجانب الأيمن لـ « وينرايت » دون أن يحدث أى ضرر ، إما نتيجة لخلل فى طريقة التشغيل ، أو لأن الصاروخ أطلق من مسافة قصيرة للغاية بحيث لم يتوافر الوقت الكافى لعمل آلية تحديد الهدف فى أجهزة الصاروخ . وردت « وينرايت » و « سيمبسون » فى الحال بإطلاق خمسة صواريخ أرض / أرض من طراز « اس إم ـ ١ » على « جوشان » ، وأعقبهما إطلاق صاروخ « هاربون » من « بيجلى » على نفس الهدف . وأصابت صواريخ « اس إم ـ ١ » جميعاً هدفها ، تاركة « جوشان » ، وقد تحولت إلى هيكل محترق يغوص فى المياه ويمر من فوقه صاروخ « هاربون » الذى أطلقته « بيجلى » .

وفى خضم هذا الاشتباك القصير والعنيف فى الوقت نفسه ، أقلعت طائرة إيرانية من طراز فانتوم ٢ (إف ـ ٤) من ميناء بندر عباس واقتربت من مجموعة « تشارلى » . وبينما أخذت الطائرة تقوم بمناورتها لمهاجمة « وينرايت » ، متجاهلة تحذيرات متكررة ، أطلقت المدمرة صاروخين أرض / جو من طراز « اس إم ـ ٢ » فأصابت الفانتوم التى عادت إلى قاعدتها وهى تترنح .

وأوضح خروج « جوشان » إلى ساحة المواجهة أن هناك قرارا إيرانياً بالرد على الضربات الأمريكية فى الخليج . وعند الظهر ، تلقى الأمريكيون معلومات سرية بأن السفن الحربية الإيرانية تستعد للخروج من بندر عباس . وعلى الفور أطلقت « انتربرايز » عناصر مجموعتها الضاربة للحرب فى البحر .

وبينما كان قائد المجموعة الضاربة يقوم بعملياته مع الفرقاطة « جوزيف شتراوس » التابعة لمجموعة العمل « دلتا » ، لاحظ ما أعتقد أنه فرقاطة من نوع « سام » قرب جزيرة « لاراك » ، تتجه صوب الجنوب الغربى بسرعة ٢٥ عقدة . وكانت هذه القطعة ، فى حقيقة الأمر ، هى « ساهاند » السفينة الشقيقة لـ « سابالان » . ففى الساعة الثانية والدقيقة ٥٩ من بعد الظهر ، كانت الفرقاطة قد خرجت من بندر عباس لمواجهة عناصر مجموعة « دلتا » . وسرعان ما حاصرت ثلاث طائرات أمريكية الفرقاطة « ساهاند » ، طائرتان « انترودار » مزودتان بأجهزة استشعار تعمل بالأشعة تحت الحمراء ومثبتة فى المقدمة ، وطائرة ثالثة « تومكات » مرافقة تحمل على متنها شبكة تليفزيونية . وكان الأمريكيون مقتنعين بأن تلك القطعة البحرية هى ، فى الحقيقة ، قطعة حربية

إيرانية ، ولكنهم كانوا يحتاجون - فى ظل قواعد الاشتباك - إلى التثبت بصرياً قبل أن يستطيعوا الهجوم . وبناء على ذلك ، اقتربت إحدى طائرتى « انترودار » من « ساهاند » على ارتفاع منخفض فى محاولة « لتصوير » الهدف . ورد الإيرانيون بنيران المدفعية المضادة للطائرات وبعدة صواريخ من طراز « سام » الباحث عن مصادر الحرارة . وأطلقت « انترودار » دفعات من النيران لتضلل صواريخ « سام » وابتعدت بسرعة لتفادى هذه النيران . وعندئذ شن الأمريكيون هجومهم المضاد ، فأطلقوا صاروخين من طراز « هاربون » وأربعة صواريخ « سكيبر » وعدة قنابل موجهة بأشعة الليزر ، بينما أطلقت « جوزيف شتراوس » ، فى هجوم منسق ، صاروخا آخر من طراز « هاربون » . وبذلك يصبح المجموع : صاروخين « هاربون » ، وثلاثة « سكيبر » ، وواحدا « ووليى » ، وعدة قنابل زنة ألف رطل ، وكلها ضربت « ساهاند » تاركة الفرقاطة حطاما فى المياه وسطحها يحترق باللهب . وشعر طاقم « جوزيف شتراوس » بموجات الصدمة عندما اشتعلت مخازن الذخيرة فى « ساهاند » بالنيران وانفجرت . ومع حلول المساء ، كانت « ساهاند » قد اختفت فى قاع الخليج العربى .

وفى الوقت الذى كانت مجموعة « دلتا » وطائرات المساندة التابعة لها تدمر فيه « ساهاند » ، خاطرت « سابالان » أخيرا بالخروج من بندر عباس . كانت طائرات « انترودار » التابعة « للدورية الجوية المقاتلة التى تحلق قرب السطح » ، التى كانت قد هاجمت مبكرا زوارق « بوجهامر » قرب حقل بترول مبارك ، قد استكملت التزود بالوقود من طائرة « كيه سى - ١٠ » تابعة للسلاح الجوى الأمريكى ، وتلقت الأمر بالتوجه إلى موقع فى جنوب جزيرة « لاراك » لاعتراض هدف . ومرة أخرى ، وفى محاولة للتحقق بصريا من الهدف ، حلقت إحدى طائرات « انترودار » على ارتفاع منخفض فوق الفرقاطة الإيرانية مما أدى إلى تعرضها لنيران المدفعية وثلاثة صواريخ « سام » . واخطأت كلها الهدف . واسقطت طائرة المقدمة « ايه - ٦ إى » قنبلة زنة ٥٠٠ رطل من طراز « إم كيه - ٨٢ » الموجه بأشعة الليزر . وأصابت القنبلة وسط الفرقاطة « سابالان » وانفجرت فى داخلها . وكانت هناك مجموعة ضاربة ثانية للحرب فى البحر فى طريقها إلى الفرقاطة المصابة عندما أوقف وزير الدفاع الأمريكى فرانك كارلوتشى الهجوم . ووقفت القوات الأمريكية على مقربة تشاهد زوارق السحب الايرانية وهى تجر « سابالان » التى غاصت مؤخرتها فى المياه بعد فقدانها للحياة ، وهاهى مقطورة إلى بندر عباس .

كانت عملية « فرس النبى المتعبد » تشكل نجاحا واضحاً للولايات المتحدة . فقد تم إغراق منصتين لفصل الغاز عن النفط ، وفرقاطة ، وسفينة هجومية سريعة ، وعدة زوارق من طراز « بوجهامر » . كما أصيبت « سابالان » بأضرار جسيمة قد يصعب إصلاحها . وكان أداء أنظمة الأسلحة الأمريكية ، والإجراءات المضادة الدفاعية ، وعمليات الاتصالات ، والأفراد جيدا إلى أقصى حد بالنسبة للكافة . واقتصرت الخسائر البشرية الأمريكية على اثنين فقط من ملاحى مشاة البحرية فقدا لأن طائرتهما الهيليكوبتر سى كوبرا « ايه اتش - ١ تى » لم تعد إلى قواعدها من مهمة استطلاعية فى مساء يوم ١٨ أبريل . وأدعى الإيرانيون ، فى وقت لاحق ، أنهم أسقطوا الطائرة

الهيليكوبتر خلال قتال فترة بعد الظهر . غير أن فحص حطام الطائرة الذى عثر عليه فى ١٥ مايو لم يثبت أنها تعرضت لنيران معادية .

وفى أواخر شهر أبريل ، أدرك معظم الزعماء الإيرانيين ، فيما يبدو ، أنه قد حدث تحول واضح ، وربما حاسم فى مسار الحرب . فعلى الشاطىء ، استعاد العراقيون زمام المبادرة فى الحرب البرية ، أما فى الجو ، فقد واصلوا ضرب طهران فى أى وقت يشاءون فيه ذلك . وفى التاسع والعشرين من أبريل ، أعلن وزير الدفاع الأمريكى كارلوتشى توسيع قواعد الاشتباك التى تتحكم فى عمليات القوات الأمريكية فى الخليج .(٢٩) ومن ثم أصبح فى إمكان السفن التابعة للبحرية الأمريكية أن تقدم « المساعدة فى ظروف المحنة» لمن يطلبها من السفن الصديقة والمحايدة التابعة لأطراف غير مشتركة فى القتال خارج مناطق الحرب المحظورة المعترف بها . ووفقا لقواعد الاشتباك أيضا فإن القوات الأمريكية لم تكن لتسمح مستقبلا بهجمات معادية على أى ملاحة تجارية بريئة تعبر المياه الدولية للخليج العربى . ولما كانت معظم الهجمات العراقية قد وقعت داخل منطقة الحرب المعلنة بينما حدثت معظم الهجمات الإيرانية خارج المنطقة ، فإن مغزى السياسة الأمريكية الجديدة لم يغب عن أذهان أعضاء مجلس الدفاع الأعلى فى إيران . ذلك أن زوارق الدورية الإيرانية كانت فى الماضى تهاجم السفن التجارية الأجنبية ، حتى تلك التى كانت قريبة من السفن الحربية للبحرية الأمريكية ، وهى تعرف سلفاً أن الحماية الأمريكية تشمل فقط السفن التى ترفع العلم الأمريكى .

وكان من شأن الموقف الأمريكى المتشدد فى الخليج ، علاوة على ماهو أهم من ذلك وهو التحول فى مسار الحرب البرية مع العراق ، وضع حد للآمال الإيرانية فى النصر فى تلك الحرب الطويلة الباهظة التكاليف . وأصبح الضجر من الحرب واضحاً بصورة متزايدة أمام النظام الحاكم . فقد اندلعت المظاهرات المعادية للحرب فى أصفهان وتبريز . وبينما ظلت الأسلحة والإمدادات الخارجية والبترودولارات العربية تتدفق على العراق ، وجدت إيران نفسها معزولة من الناحية الفعلية سياسيا واقتصاديا وتتجه نحو الافلاس . فقد انهار الاقتصاد تحت ضغوط ثمانى سنوات من الحرب . وارتفعت معدلات البطالة والتضخم .(٣٠) وفشلت محاولات إيران توجيه ضربات إلى العراق من خلال دول الخليج العربية ، وأدت تلك المحاولات إلى جر الأمريكيين الى الحرب وإلى عزلة طهران على الصعيد الدولى .

وفى الوقت الذى واصل فيه العراقيون تقدمهم فى شهرى مايو ويونيو ، أصاب الضعف الإيرانيين . وجرى تداول رسالة انتقادية للحرب ولقيادة خومينى علنا فى طهران . وكتب هذه الرسالة رئيس الوزراء السابق مهدى بازرجان .(٣١) وفى الثانى من يونيو ، أصبح رافسنجانى القائد العام للقوات الإيرانية المسلحة ، وتحدث فى خطاب ألقاه فى الثانى من يوليو عن إمكانية إنهاء الحرب بطريقة « غير عسكرية . »(٣٢) وكان الإيرانيون يتحركون تدريجيا فى اتجاه قبول قرار الأمم المتحدة رقم ٥٩٨ . وفى اليوم التالى ـ الثالث من يوليو ـ أسقطت المدمرة الأمريكية « فينسينز » ، بطريق الخطأ ، طائرة ركاب مدنية إيرانية مما أسفر عن مصرع ٢٩٠ شخصا .(٣٣)

لقد مهدت عوامل متعددة ، تبدو فى الظاهر غير مترابطة ، الطريق لمأساة ٣ يوليو . فقد كانت العمليات التى تقوم بها البحرية فى الخليج العربى الضيق نسبياً تتعرض لهجمات مباغتة وعنيفة ، وخاصة من الجو ، كما أثبتت حادثة « ستارك » . وكان من الواضح أن أفضل وسيلة للحيلولة دون حدوث مثل هذه الضربات هى الإنذار المبكر الطويل المدى المحمول جواً . وكانت قوة من ست طائرات سنترى « إى - ٣ أيه » ، على الأقل ، مع ثلاث محمولة جواً وتحوم فى أى وقت معين ، ضرورية لتوفير تغطية بالأواكس لمنطقة العمليات بكاملها . ولسوء الحظ ، لم يكن لدى الولايات المتحدة سوى أربع طائرات « أواكس » فى المملكة العربية السعودية ، كما أن السلاح الجوى الأمريكى لم يكن متحمساً بشأن استخدام طائرتين إضافيتين من طراز « سنترى » فى الخليج . كذلك لم يكن السعوديون يتوقون لرؤية وجود أمريكى متزايد . وكانت هناك مشكلة أكثر تعقيدا هى أن مدار « أواكس » فى أقصى الطرف الجنوبى - وهو المدار الذى يغطى مضيق هرمز - كان يتطلب التحليق فوق أراضى الإمارات العربية المتحدة .

ومع ذلك ، فقد استطاعت الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية حل المشكلة عن طريق الحصول على إذن من الإمارات العربية المتحدة بالسماح للأواكس السعودية بالتحليق فى المدار الجنوبى . ومن سوء الطالع أن أنباء الترتيب السرى بهذا الشأن تسربت من أعضاء الكونجرس الذين عرض عليهم بايجاز هذا الموضوع ، الأمر الذى دفع الإمارات إلى سحب الإذن بالتحليق ، وترك الولايات المتحدة بدون تغطية « الأواكس » للمضيق .(٣٤)

وكانت طائرات هوك آى « إى - ٢ سى » التى تحلق من مجموعة حاملة الطائرات التابعة للبحرية الأمريكية المرابطة فى بحر العرب ، قادرة أيضا على توفير إنذار مبكر محمول جواً فوق مضيق هرمز . وهذا ما فعلته ، على سبيل المثال ، أثناء عملية « فرس النبى المتعبد » . ولكن قيل إن طائرات « هوك آى » تعانى من شقوق فى أجنحتها بسبب الإفراط فى استخدامها ، والأكثر أهمية من ذلك هو أنها كانت ملزمة بقيود ساعات التحليق فى زمن السلم التى تُسقط احتمال القيام بتغطية دائمة على مدى الأربع والعشرين ساعة يومياً فوق المضيق بالمقارنة بالتغطية شمالاً التى كانت تتكفل بها طائرات « أواكس » المرابطة فى السعودية والتابعة للسلاح الجوى الأمريكى .

وكان هناك خيار ثالث متاح أمام الولايات المتحدة ، هو نشر مدمرات « ايجيس »(*) من طراز تيكونديروجا فى الخليج . وكانت مدمرات « ايجيس » ، أجهزة الرادار المرتبة على مراحل المزودة بها ، هى الأكثر قدرة فى أنظمة الإنذار المبكر المتحركة التى تتخذ مواقعها قرب السطح فى الترسانة الحربية للولايات المتحدة . ورغم أن مدى رادار نظام « ايجيس » أقل من مدى « أواكس » فقد كان يكفى لأداء المهمة فى المنطقة التى تخضع لقيود على العمليات بجنوب الخليج . وإلى جانب ذلك ، فإن المدمرة من طراز تيكونديروجا كانت تتمتع بميزة تتفوق بها على « الأواكس » ، وهى

(*) هذه الكلمة تعنى فى الأساطير الاغريقية : الدرع التى كان يحملها « زيوس » كبير الآلهة ، ثم حملتها من بعده « اتينا » إلهة الحكمة والمهارات والحرب . والكلمة بوجه عام تعنى الحماية والرعاية . (المترجم)

أن نظام « ايجيس » لا يستطيع فقط أن يلتقط ويحدد هوية الهدف ، بل أيضا يستطيع إسقاط طائرة أو صاروخ مهاجم . ولهذه الأسباب ، أمر الأميرال كراو ، رئيس هيئة الأركان المشتركة ، باستخدام مدمرة « ايجيس » - هى فينسينز - فى الخليج العربى .

واختلف بعض قادة البحرية الأمريكية فى واشنطن مع قرار رئيس الأركان . وكانت حجتهم أنه مع أن هذه المدمرات ذات كفاءة متميزة إلى أقصى حد ، إلا أنها غير مصممة للعمل فى بيئة مياه خضراء مغلقة حيث كانت تمضى حركة المرور الجوى وعلى مقربة من السطح فى زمن السلم وسط حرب تحتضر . كما أن المدمرات من طراز تيكونديروجا كانت مجهزة للدفاع عن مجموعات حاملة طائرات تعمل فى بيئة مياه زرقاء فى زمن الحرب على مسافة مائة ميل أو أكثر من ساحل معادٍ .

كذلك ، فإن مدمرات « ايجيس » كانت نموذجا للتكنولوجيا المتطورة ، وهى أهداف عالية القيمة وأكثر تكلفة بكثير من الفرقاطات من أمثال « ستارك » و« صموئيل ب . روبرتس » ، كما أنها لا تُستهلك بسرعة مثلهما . وأدركت البحرية الأمريكية أنه إذا ارتطمت « فينسينز » بلغم أو أنها أصيبت بأضرار أو أغُرقت نتيجة لضربة إيرانية ذات مستوى تكنولوجى متدن ، فإن منتقدى القوات المسلحة فى الكونجرس ووسائل الاعلام سوف يستغلون الحادث لمهاجمة برامج « ايجيس » فى البحرية ، والتى كانت تشتمل على استكمال طراز تيكونديروجا وإنتاج طراز جديد من مدمرات « ايجيس » هى المدمرات طراز « ارليه بيرك » .

وهذا القلق على سلامة السفينة عبر عن نفسه فى شكل ضغوط هائلة تعرض لها قبطان وطاقم « فينسينز » ، وجاءت هذه الضغوط علاوة على الهموم المؤرقة بشأن احتمال الارتطام بلغم أو أن تصبح « ستارك أخرى » . وإلى جانب كل هذا ، فإن طاقم « فينسينز » قد يكون أقل من مستوى الاستعداد الكامل لأداء مهمته . فالتحقيق الرسمى الذى أجرته البحرية الأمريكية حول الحادث كشف عن عدة أخطاء بشرية خطيرة أدت إلى الاهمال ووقوع الحادث . وسمع مؤلف هذا الكتاب خلال زيارته للخليج فى شهرى يونيو ويوليو عام ١٩٨٨ إشارات متكررة إلى « فينسينز » باعتبارها « المدمرة الروبوت » التى يديرها طاقم « مستعد لإطلاق النار فوراً بلا تحذير مسبق . »(٣٥)

وبصرف النظر عن الحالة الحقيقية للتدريب والحالة النفسية لطاقم « فينسينز » ، فإن تحذيرات المخابرات بشأن احتمال وقوع هجمات إيرانية أدت إلى تصعيد مناخ التوتر فى الخليج فى نهاية شهر يونيو وفى الأيام القليلة الأولى من شهر يوليو .(٣٦) وأصبح الموقف فى المضيق وحوله أكثر توتراً . وأثناء إحدى مهام « إرنست ويل » لحراسة الناقلات ، شاهد مؤلف هذا الكتاب بنفسه فرقاطة إيرانية تتحرك فى المضيق ، وكانت تلك هى المرة الأولى التى تغامر فيها بحرية الجمهورية الاسلامية بالخروج من الميناء منذ ١٨ ابريل .

وفى الثانى من يوليو ، حدثت زيادة مفاجئة فى النشاط الإيرانى ، وبدا أن هذه الزيادة توضح أن التحذيرات كان لها ما يبررها . وقامت الزوارق الإيرانية الصغيرة بالتحرش بناقلات محايدة

متعددة ، وطلبت اثنتان من هذه الناقلات المساعدة « عند المحنة » التى أقرتها قواعد الاشتباك الموضوعة حديثاً . وفى ساعة مبكرة من صباح يوم ٣ يوليو ، أطلقت الزوارق الصغيرة الإيرانية النار على طائرة هيليكوبتر « لامبس ـ ٣ » تابعة لـ « فينسينز » بينما كانت تتحرى مدى صحة إشارة حول نشاط عدائى . ورداً على ذلك ، اقتربت المدمرة الأمريكية من الزوارق الصغيرة واشتبكت مع الإيرانيين بعد الحصول على إذن العميد البحرى « ليس » .(٣٧)

وسط هذه العملية ، التقط رادار « فينسينز » إقلاع طائرة مدنية تابعة للخطوط الجوية الإيرانية ، رحلة رقم ٦٥٥ ، فى الساعة السادسة والدقيقة ٤٧ وهى تنطلق من بندر عباس حيث يوجد مطار مدنى ـ عسكرى مشترك . وسجل كومبيوتر « ايجيس » بالمدمرة الصيغة "III IFF" (حدد الهوية ، صديق أم عدو) لصوت عال حاد برقم ٦٧٦٠ ، وهو التعبير الشفرى عن الطائرة من طراز « الأيرباص » . غير أن المشرف على تحديد هوية الأهداف فى « فينسينز » ، قام بفحص جدول الرحلات التجارية المنتظمة ، وبعدها توصل إلى أن الطائرة التى التقطها الرادار ـ والتى كانت متأخرة عن موعدها المقرر بسبع وعشرين دقيقة ـ ليست هى الطائرة « الأيرباص » . وفى الساعة السادسة والدقيقة الخمسين ، ظهرت الطائرة على شاشات « ايجيس » للعرض وهى تحمل صفة « فانتوم ـ ١٤ » . ولم يكمن الخطأ فى نظام « ايجيس » وإنما فى الطاقم الذى كان يتحمل مسئولية التنصت على التحليق الجوى . وهكذا افترض أفراد قلائل فى موقف دقيق يشعرون بقلق من احتمال تعرضهم لهجوم جوى ومستغرقين فى اشتباك مع زوارق صغيرة إيرانية .. أن الطائرة المقتربة معادية وتشكل جزءا من هجوم منسق ، ولم يكن افتراضهم المذكور بلا مسوغ . فقبل كل شىء ، من ذا الذى يرسل طائرة تجارية مباشرة ـ وهو فى كامل قواه العقلية ـ فوق منطقة اشتباكات بحرية ؟ وهكذا ، رغم أن « الأيرباص » كانت بالفعل داخل الممر الجوى التجارى المخصص لها ، وكانت تتجه إلى الصعود وليس إلى الهبوط ـ على عكس التقارير التى ذكرت خلاف ذلك ـ وهى تقترب من « فينسينز » التى كانت هى ذاتها فى وسط الممر ، فقد أصدر طاقم المدمرة الأمريكية حكمه بأن الأيرباص معادية .

وطوال الدقائق العديدة التالية ، وجهت « فينسينز » إنذارات وطلبات متكررة بتحديد الهوية . ولكن الطائرة « الأيرباص » لم ترد قط ، لأسباب غير معروفة وواصلت تقدمها . وحاولت « فينسينز » إسقاط الضوء على الطائرة برادار التحكم فى النيران ، وهو إجراء ربما يكون قد أثار انتباه قائد الطائرة « الأيرباص » . ولكن خطأ إجرائيا (وقع فيه الطاقم) أدى إلى تأخير المحاولة ، ولم يتم « رصد الهدف للتصويب عليه » إلا قبل ثانية واحدة من الاشتباك معه . وفيما بين الساعة السادسة والدقيقة ٥٣ والسادسة والدقيقة ٥٤ انطلق صاروخان أرض / جو من « فينسينز » وضربا « الأيرباص » ، ودمراها فى الجو على مسافة حوالى أربعة عشر ميلاً بحريا .

ورغم أن إسقاط « الأيرباص » كان مأساة كبرى ، طبقا لما ذكره روبن رايت ، فان الحادث أتاح للإيرانيين « الحجة » التى يحتاجونها لإنهاء الحرب .(٣٨) وفى الثامن عشر من يوليو ، أعلنت إيران ـ بموافقة خومينى ـ أنها سوف تلتزم بقرار وقف إطلاق النار ـ الصادر عن الأمم المتحدة ،

وأشارت إلى « الأبعاد غير المسبوقة » للحرب وإلى « هلاك » أرواح « المدنيين الأبرياء » .(٣٩)

لقد انتهت الحرب الإيرانية ـ العراقية ، وانتهى معها تورط الولايات المتحدة فى حرب الناقلات .

فى الفترة من يوليو ١٩٨٧ حتى يوليو ١٩٨٩ ، استخدمت الولايات المتحدة القوة العسكرية ، وبشكل رئيسى قطع البحرية الأمريكية ، لتحقيق أهداف محدودة داخل إطار صراع إقليمى أوسع : الحرب الإيرانية ـ العراقية . فقد أحبطت عمليات البحرية الأمريكية فى الخليج العربى وشمال بحر العرب ، المحاولة الإيرانية لممارسة خيار تصعيدى كان يمكن أن يتيح للإيرانيين قطع الطريق على المساندة الاقتصادية التى يقدمها عرب الخليج للعراق ، مثلما فعل العراق عندما قام بضرب القوة الاقتصادية لإيران عن طريق مهاجمة صناعتها البترولية . ولسوء حظ الإيرانيين ، فإن تحركاتهم هددت أيضا بصورة مباشرة الدول العربية الموالية للغرب فى الخليج نسبياً ، وهددت بطريقة غير مباشرة الرخاء الاقتصادى للغرب . وهذا هو الأساس الذى تصرفت وفقاً له الولايات المتحدة التى كانت قد حلت محل بريطانيا العظمى كحامية لعرب الخليج ، تماماً كما حدث قبل قرن عندما تولى البريطانيون دور الشرطى فى مياه الخليج ومنعوا الدول الأكبر فى المنطقة من التهام الدول الأصغر .

ورغم نجاح سياسات إدارة ريجان فى نهاية المطاف ، ورغم أن تلك السياسات كانت متجاوبة ومتمشية مع سياسات الإدارة السابقة عليها ، فإنها كانت تنطوى على مخاطرة كبيرة . كان الالتزام الأمريكى غير محدد بأى حدود ، فالولايات المتحدة لم تكن تعتزم فرض نهاية لحرب ـ الحرب الإيرانية العراقية ـ لم تظهر أى مؤشرات على أنها سوف تنتهى مبكرا ، وكانت قدرة الولايات المتحدة محدودة فى هذا المجال . كذلك لم يكن قرار الولايات المتحدة بمساعدة الكويت رادعاً لإيران بحيث يحول بينها وبين المزيد من التصعيد .

ومع ذلك ، فإن استخدام القوة العسكرية فى الخليج العربى عزز المصالح القومية للولايات المتحدة . ورغم أن الإيرانيين لم يُردعوا فى البداية ، فقد كشفوا عن عجزهم عن اتخاذ إجراءات فعالة فى ظل وجود القوات البحرية الأمريكية . وكان من شأن تصرفات طهران ، أن أصبحت إيران ـ وليست الكويت أو أى دولة عربية خليجية أخرى ـ معزولة على الصعيد الدولى . كما أن تلغيم الممرات المائية الدولية لم يحقق شيئاً فعليا بالمعنى العسكرى ، رغم أنه وضع الولايات المتحدة ، وخاصة البحرية الأمريكية ، فى موقف صعب . كما أن عمليات التلغيم كانت عشوائية للغاية وبلا تمييز فى طبيعتها مما جعل الإيرانيين يدفعون ثمنا سياسيا غالياً وأدى إلى مساعدة دولية متزايدة للمجهود الأمريكى .

كيف كانت ستتجه الأحداث فى الخليج ، لو أن الولايات المتحدة لم تقدم على التحركات التى قامت بها ؟ هذا ما سيظل محور التكهنات . وقد ذكر وزير الدفاع الأمريكى السابق واينبرجر أن الولايات المتحدة كانت مطلعة على معلومات سرية تكفى لإثارة قلق مشروع بشأن الطريق الذى

كان يتجه إليه التصعيد الإيرانى إذا لم يجد من يرد عليه . وبالنظر إلى مسار الحرب الإيرانية - العراقية خلال عام ١٩٨٦ ، فإنه لم يكن لدى إدارة ريجان أى مبرر للاشتباه بأن أيا من طرفى الصراع الذى وصل إلى طريق مسدود - واللذين استخدم كلاهما أسلحة كيماوية بدرجة أكبر بكثير من أى طرف محارب منذ عام ١٩١٨ - سوف يظهر قدرا كبيرا من ضبط النفس .

والأهم من ذلك ، أن قرار إدارة ريجان برفع العلم الأمريكى على ناقلات البترول الكويتية كان نقطة تحول حاسمة فى تاريخ التورط الأمريكى فى الخليج العربى . وأثبت التدخل الفعلى فى الحرب الإيرانية - العراقية أن الأمريكيين أخذوا مصالحهم بجدية فى أيديهم ، وأعنى بها مصالحهم التجارية والاستراتيجية والجغرافية - الاقتصادية فى الخليج ، وكما تعهدت إدارة كارتر ، كانت الولايات المتحدة مستعدة للقتال لحماية هذه المصالح . وأثبت ريجان أن تصريحات وسياسات كارتر ، التى اعتبرها العديد من المنتقدين الأجانب والمحليين مجرد وعيد صاخب وعبارات إنشائية ، كانت فى حقيقة الأمر بيانات جادة تفصح عن النوايا الأمريكية .

بل لقد كان قرار ريجان بمثابة خطوة أخرى فى تنمية المصالح والتورط الأمريكيين فى الخليج اللذين كانا يزدادان رسوخا على نحو مطرد . ومنذ الحرب العالمية الثانية ، كان هناك إجماع واضح بين أصحاب القرار السياسى الأمريكيين على أن الشرق الأوسط ، وخاصة الخليج العربى ، حيوى للغاية بالنسبة للغرب وأن الدفاع عنه ضرورة استراتيجية أساسية . وباعتراف الجميع ، ظل الأمريكيون لأحقاب يتطلعون إلى الآخرين للدفاع عن المنطقة ، أما الآن فقد قررت إدارة ريجان أن على الولايات المتحدة أن تتولى القيادة العسكرية وتنفذ سياسات وتعهدات إدارة كارتر . وأوضح قرار ريجان برفع العلم الأمريكى على ناقلات البترول الكويتية وحمايتها أن الأمريكيين سيكونون حراس الخليج من الآن فصاعداً .

جانب هام آخر لقرار رفع العلم الأمريكى ، وهو جانب لم يتعرف عليه الكثيرون فى ذلك الوقت (وبطبيعة الحال فإن صدام حسين لم يتعرف عليه) وهو أن نقطة ارتكاز وبؤرة اهتمام إدارة ريجان كانت الكويت . لقد أسهم مؤيدو ومنتقدو الإدارة الأمريكية على السواء بدور بارز فى « الميل » الأمريكى إلى جانب العراق فى صراعه مع إيران . غير أن الولايات المتحدة لم تخاطر بحرب مع طهران لكى تدافع عن بغداد عندما بدا أن الإيرانيين على وشك إحراز نصر ساحق على قوات صدام حسين ، بينما كان ريجان مستعداً للمخاطرة بحرب أوسع نطاقاً للدفاع عن عرب الخليج ، وبوجه أخص ، للدفاع عن الكويت .

الفصل الثامن

الطريق إلى عاصفة الصحراء

أغسطس ١٩٨٨ ـ أغسطس ١٩٩٠

كانت حرب الناقلات ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ ، بالنسبة للولايات المتحدة ، علامة النهاية لعملية استغرقت قرنين : عملية إزاحة بريطانيا العظمى من الخليج . ولم يعد الأمريكيون « الإنجليز رقم ٢ » . فقد قبلت الولايات المتحدة ليس فقط المسئولية السياسية ، بل أيضا المسئولية العسكرية عن أمن الخليج العربى . وكان الأمريكيون مستعدين للدفاع عن مصالحهم وقادرين على ذلك ، ليس فقط ضد تعديات سوفيتية محتملة ، بل أيضا ضد مكائد قوة من داخل المنطقة . وكانت الولايات المتحدة ، رغم فضيحة إيران جيت ، قوة يعتمد عليها لا تتخلى عن حلفائها العرب فى أوقات الشدة . وهذا ما أدركه عرب الخليج ، وما إن رأوا إدارة ريجان تتولى القيادة حتى برهنوا على استعدادهم للعمل بصورة وثيقة مع الولايات المتحدة ، ولو من وراء الستار فى أغلب الأحوال .

بعد حل الأزمة وانتهاء الحرب الإيرانية ـ العراقية ، عاد الموقف فى الخليج إلى حالته « الطبيعية » . ورغم أن وقف إطلاق النار بين الطرفين المتحاربين السابقين لم يتطور إلى تسوية سياسية رسمية ونهائية ، فإنه لم يكن هناك مؤشر واضح على أن أيا من الدولتين ترغب فى استئناف المعارك فى المستقبل القريب . ومع أن الولايات المتحدة استمرت تراقب حركة مرور الناقلات فى الخليج ، فإن وزارة الدفاع الأمريكية حلت « قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط » ، وعادت قوة الشرق الأوسط التابعة للبحرية الأمريكية تدريجياً إلى مستويات ما قبل عام ١٩٨٧ : حوالى خمس سفن . ورابطت مجموعة حاملة طائرات محمولة بحراً ، عادة ، فى مكان ما من المحيط الهندى .

وبطبيعة الحال ، فإن الدور الأمريكى فى حرب الناقلات لم يساعد على تحسين حالة العلاقات بين طهران وواشنطن . وظلت إيران الرسمية ، حتى بعد وفاة آية الله خومينى ، تعتبر الولايات المتحدة « الشيطان الأكبر » . وساندت إيران الجماعات الإرهابية فى لبنان التى كانت لا تزال تحتفظ برهائن أمريكيين وغربيين آخرين . مع ذلك فإن إيران أبدت قدراً ضئيلاً من العداء الصريح الناشط

تجاه الولايات المتحدة . وكانت الأولوية ، بالنسبة للقيادة الإيرانية ، هى استعادة القدرة الاقتصادية والاستقرار الاجتماعى للبلاد .

أما العلاقة بين الولايات المتحدة والعراق ، الطرف المحارب الذى استفاد أكثر من غيره من السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ، فقد كانت فى وضع أفضل إلى حد ما مقارنة بالعلاقة مع إيران ، ولكنها كانت تتسم بخلافات حادة وعدم ثقة متبادلة . وواصلت الولايات المتحدة جهودها لتحسين العلاقات مع بغداد ، وخاصة من خلال توسيع فرص التجارة ، غير أن صناع السياسة الأمريكيين ظلوا قلقين بشأن طبيعة نظام حكم صدام . كما أن مساندة العراق للإرهاب الدولى ، والحرب الكيماوية ضد الأكراد ، والانتهاكات العراقية لحقوق الإنسان أدت إلى توتر العلاقة العراقية ـ الأمريكية .

ومن أسباب التوتر أيضا ، الاحتفاظ بالقدرة العسكرية العراقية على نفس مستوى زمن الحرب . والعراق بلد صغير نسبياً يبلغ تعداده ما بين ١٧ و ١٨ مليون نسمة . ومع ذلك احتفظ صدام بمليون رجل تحت السلاح ، وبآلة عسكرية وصلت فى حجمها إلى ما يعادل حجم الآلة العسكرية لعدوين لدودين للعراق هما إيران وسوريا معاً . وقوة بهذا الحجم كان لا بد أن تفرض استنزافاً اقتصاديا خطيراً على الاقتصاد العراقى وتتفوق تماما على القوة العسكرية لدول الخليج المنتجة للنفط والموالية للغرب التى كانت كلها لا تستطيع أن تحشد فى ميدان القتال إلا حوالى ١٦٥ ألف رجل .(١)

ورغم ذلك فإن الهدوء النسبى فى المنطقة التى يندر أو يستحيل أن تكون فى حالة سكون ، أتاح لصناع السياسة الأمريكيين تركيز جهودهم فى أماكن أخرى . فقد استحوذت الأحداث المثيرة فى عام ١٩٨٩ فى شرق ووسط أوروبا على اهتمام معظم الأمريكيين سواء فى الحكومة أو خارجها . وألقت الشئون الأوروبية ، والعلاقات السوفيتية ـ الأمريكية ، وانتهاء الحرب الباردة ظلالها على أحداث الشرق الأوسط وجعلتها تتوارى تماما إلى الخلف . وحيث إن السياسة الأمريكية لم تركز على منطقة الشرق الأوسط فى تلك الفترة بأى حال ، فقد انتقلت بؤرة الاهتمام ، كالعادة ، إلى ناحية الغرب . واعتبرت الولايات المتحدة أن الاضطرابات الأهلية المستمرة فى لبنان والانتفاضة ـ الثورة الفلسطينية ضد الحكم الإسرائيلى للضفة الغربية وغزة ـ التى كانت تتقدم باستمرار ـ تشكل التهديدات الرئيسية للاستقرار فى الشرق الأوسط .

غير أن الخليج العربى أصبح فى أوائل عام ١٩٩٠ مرة أخرى النقطة المحورية للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . وفى أواخر فبراير ١٩٩٠ ، عقد مجلس التعاون العربى ـ الذى يضم العراق والأردن واليمن ومصر ، اجتماعاً له فى عمان بالأردن فى توقيت يتوافق مع مرور سنة على تأسيس هذا المجلس . وفى الرابع والعشرين من فبراير ، شن صدام هجوماً لاذعاً ، على شاشة التليفزيون الأردنى ، ضد الولايات المتحدة . وناقش فى ذلك الخطاب تأثير ذبول قوة الاتحاد السوفيتى على الشرق الأوسط ، وهو التطور الذى لم يتكهن به أحد والذى جعل الولايات المتحدة القوة المهيمنة فى المنطقة . ومن أجل موازنة القوة الأمريكية ، دعا صدام زملاءه العرب إلى

التضامن لإرغام الولايات المتحدة على سحب قواتها البحرية من الخليج ، ولسحب الاستثمارات والأموال من البنوك والشركات فى الولايات المتحدة ، ولإعادة الاستثمار فى أماكن أخرى ، ربما فى الاتحاد السوفيتى أو أوروبا الشرقية .(٢)

وأثارت لهجة تصريحات صدام ، واستخدام مجلس التعاون العربى كمحفل لمهاجمة الولايات المتحدة ، القلق الشديد لدى الرئيس المصرى حسنى مبارك حتى انه غادر عمان قبل يوم من الموعد المقرر . وعلى مدى عام قاوم مبارك محاولات صدام والعاهل الأردنى الملك حسين لتحويل ما هو مفترض أنه إطار اقتصادى محض للتعاون إلى حلف عسكرى إقليمى . وفى الحقيقة فإن الخوف من احتمال أن تصبح دول الخليج المنتجة للنفط هدفاً لمجلس التعاون العربى قد تسبب فى إثارة الذعر فى الخليج . وبعد غزو الكويت ، استنتج مبارك أن مجلس التعاون العربى ربما كان جزءاً من « مؤامرة » استهدفت عزل الدول المنتجة للنفط فى شبه الجزيرة العربية ، بل وربما أيضا استهدفت تمهيد الأرض لغزو الكويت عن طريق تجميد حركة مصر بوعود المعونة الاقتصادية الضخمة .(٣)

وفى الربيع ، احتدم مناخ الأزمة . ففى شهر مارس ، شنق العراق صحفياً بريطانياً ، إيرانى الأصل ، بعد اتهامه وإدانته بالتجسس .(٤) وبعدها بوقت قصير ، صادر مسئولون بريطانيون وأمريكيون أجهزة الكترونية متطورة وأنابيب فولاذية ضخمة كانت فى طريقها إلى العراق . وبدا أن عمليات الضبط والمصادرة المذكورة تؤكد صحة الأنباء التى ذكرت أن العراقيين بصدد إنتاج مدفع عملاق طويل المدى وإقامة ترسانة ذرية . وفى شهر أبريل ، حذر صدام العالم بأنه يمتلك أسلحة كيماوية مزدوجة ، وحذر الإسرائيليين من أنهم إذا هاجموا العراق ، فإنه سيحرق نصف إسرائيل رداً على ذلك . وفى ٢٨ مايو ، لم يكتف صدام بشن هجوم عنيف على إسرائيل فى مؤتمر القمة العربى ، وإنما شن هجوماً عنيفاً أيضا على جيرانه من عرب الخليج ، واتهمهم بأنهم يخوضون « حرباً اقتصادية » ضد العراق .

وشيئاً فشيئاً ، أثارت عبارات التهديد والوعيد المستمرة من جانب صدام انتباه الولايات المتحدة . ونشرت مجلة « يو . إس . نيوز آند وورلد ريبورت » الأمريكية صورة صدام على غلافها فى عدد ٤ يونيو ١٩٩٠ ، وأطلقت عليه وصف « أخطر رجل فى العالم » . وأثار موضوع غلاف المجلة القلق بشأن قدرات العراق النووية والكيماوية المتنامية ، وكذلك ما يتعلق بتطوير العراق لأنظمة الإطلاق مثل الصواريخ التسيارية بعيدة المدى والمدفع العملاق .(٥) وفى عدد ٢٧ يوليو من صحيفة « واشنطن بوست » قارن المعلق تشارلس كروتهامر ، فى باب الرأى ، بين صدام حسين وأدولف هتلر .

وفى أواخر شهر يونيو ، وافق صدام على إجراء مقابلة صحفية نادرة مع « كارين إليوت هاوس » من صحيفة « وول ستريت جورنال » . وحذر فى ذلك الحديث من الخطر المتزايد لاندلاع حرب فى الشرق الأوسط . وقال إنه يعتقد أن إسرائيل تتآمر ضد العراق بتأييد من الولايات المتحدة . ودعا صدام مرة أخرى إلى انسحاب القوات البحرية الأمريكية من الخليج . وقال أيضا

لكارين اليوت هاوس إن انتهاء الحرب الباردة أنعشت آمال الأمريكيين فى شق طريقهم إلى الشرق الأوسط ، غير أن ثمة ملاحظة أبداها صدام عكست تفسيره الخاطىء تماما لتاريخ دور القوى الأعظم فى الخليج ، وسوء تقديره لما تنطوى عليه نهاية الحرب الباردة من احتمالات فى المستقبل . إذ قال صدام إن تخفيف التوترات بين الروس والأمريكيين أنهى انقسام العالم العربى إلى معسكرين ، وأدى إلى تقوية التضامن العربى .(٦)

ومع ارتفاع درجة حرارة الصيف فى الخليج ، ارتفعت أيضا حدة التوتر الدبلوماسى . ففى السادس عشر من يوليو ، اتهم وزير الخارجية العراقى طارق عزيز ، فى رسالة إلى الجامعة العربية ، دول الخليج بالتآمر مع الولايات المتحدة لتخفيض أسعار النفط فى مخطط يهدف إلى منع الاقتصاد العراقى من الوقوف على قدميه مرة أخرى ، وأدان الكويت لسرقتها للنفط من حقل الرميلة الذى يقع بين الحدود العراقية والحدود الكويتية ، وأصر على أن تتوقف السرقة ، وعلى أن تدفع الكويت تعويضاً قدره ٢,٤ مليار دولار . وطالب عزيز ، إلى جانب ذلك ، بأن يسقط عرب الخليج ديون العراق وقدرها ثلاثون مليار دولار ، ودعا إلى وضع « مشروع مارشال » عربى لإعادة بناء العراق ، وطلب مساندة منظمة « الأوبك » لخطة عراقية ترمى إلى رفع أسعار النفط إلى ٢٥ دولاراً للبرميل . وهاجم صدام حسين نفسه الكويت والإمارات فى اليوم التالى الذى كان يوافق يوم الاستقلال العراقى (١٧ يوليو) ، واتهم الدولتين بالتآمر مع الأمريكيين والصهاينة . وحذر قائلا : « إذا فشلت الكلمات فى توفير الحماية لنا ، عندئذ لن يكون أمامنا خيار آخر سوى اللجوء إلى عمل فعال لوضع الأمور فى نصابها واستعادة حقوقنا . »(٧) وأشارت مجلة « الإيكونوميست » فى عددها الصادر فى ٢١ يوليو ١٩٩٠ إلى أن « خطاب صدام ورسالة وزير خارجيته يبدوان على نحو ينذر بالخطر مثل ذريعة لغزو . »(٨)

ولا مجال للشك فى أن تصرفات صدام فى النصف الأول لعام ١٩٩٠ أخذت الولايات المتحدة على غرة . ومن الطبيعى أن يكون « النصر » العراقى فى الحرب مع إيران قد أعطى صدام إحساساً جديدا بالأمان افتقده من قبل . فقد كانت إيران على مدى أحقاب تلقى بظلالها على جارتها العربية الأصغر وتبزها ، وأخذت تشكل تهديدا عسكرياً خطيرا فى ظل الشاه ثم تحدياً دينياً فى ظل الخومينى . أما الآن فقد لحقت الهزيمة بإيران ، وتحطم جيشها واقتصادها . كما أن سوريا كانت مضطرة للاحتفاظ بمعظم قواتها ناحية الغرب فى لبنان (وكان ذلك جزئياً بسبب مساندة صدام للعناصر الحزبية المنشقة المناوئة لسوريا) وعلى طول الحدود مع إسرائيل . وكان لدى العراق رابع أكبر جيش فى العالم ، وسادس أكبر سلاح جوى ، وأكبر ترسانة حربية فى الشرق الأوسط ، بل أكبر حتى من ترسانة تركيا العضو فى حلف شمال الأطلسى . ورغم أن ميزان القوى الإقليمى كان لصالح العراق ، إلا أن صدام ظل يتصرف باعتباره يشعر بعدم الأمان بصورة لا عقلانية وحادة .

وكانت أسباب سلوك صدام سيكولوجية واقتصادية .(٩) فقد كان انتصار صدام على إيران هزيلاً ومكلفاً على السواء . وبلغ مجموع القتلى من العراقيين ١٥٠ ألفاً على الأقل ، وربما وصل إلى

٣٤٠ ألفا . وربما تكون تكلفة الحرب قد تجاوزت ٥٦٠ مليار دولار .(١٠) وخرج العراق من الحرب وقد بلغت ديونه ٨٠ مليار دولار تقريبا ، منها ما بين خمسين وستين مليارا ديونا لعرب الخليج . وطبقا لأحد التقديرات ، فإن تكلفة الحرب التى تحملها الطرفان المتحاربان معبرا عنها فى صورة المفقود من عائدات النفط ، وتدمير البنية الأساسية ، والموارد الفعلية التى استنفدت ، فإن مجموعها يتجاوز مرتين كل قيمة عائدات النفط للعراق وإيران معاً التى حصلت عليها الدولتان منذ بدأت كل منهما تصدير النفط !(١١)

حرب طويلة على هذا النحو ، كان لها تأثير قاتل على الاقتصاد العراقى . فقد تدهور الناتج القومى الإجمالى فى عام ١٩٨٨ ، رغم أنه بدأ يستعيد عافيته فى عام ١٩٨٩ . ووصل معدل التضخم إلى ٤٥ فى المائة فى عام ١٩٩٠ . وظلت ثمار « انتصارات » صدام بعيدة عن متناول الشعب العراقى .

ومع ذلك ، فقد كان العراق غنياً بالنفط ، ولديه قطاع زراعى منتج ، ولديه شعب من أكثر الشعوب حظاً من التعليم والمهارات فى المنطقة . وكان من الممكن أن تساعد الإدارة الجيدة والنفقات الدفاعية المخفضة العراق على أن يستعيد قوته الاقتصادية .

ولكن قبضة صدام على السلطة جعلت من الدولة العراقية مؤسسة تديرها عائلة ، وهو اتجاه لم يسعف العراق فى رفع مستوى الكفاءة الإدارية . وعلاوة على ذلك فإن صدام رفض تخفيض الإنفاق الحكومى ، وأمر باستمرار مشروعات التنمية والتطوير النوعى للقوات المسلحة . وقام بتسريح حوالى ٢٠٠ ألف من قوات الاحتياط التى تم استدعاء أفرادها أثناء الحرب ، ولكن حجم الجيش العامل ظل تقريبا على نفس المستوى الذى بلغه فى السنة الأخيرة للحرب الإيرانية ـ العراقية .

بالنسبة لصدام ، فإن الضرورات الاقتصادية كانت واضحة : ما لم يعمل على إبطاء الزخم لاستعادة النشاط الاقتصادى أو يخفض بدرجة كبيرة قواته المسلحة ، فإن عليه إقناع عرب الخليج بإسقاط المليارات المدين بها لهم وبأن يخفضوا فى الوقت نفسه صادراتهم النفطية ويمنحوا العراق حصة أكبر من الإنتاج فى إطار منظمة الأوبك . فإذا ما تحرر من الديون وأتيح له إنتاج المزيد من النفط بسعر ٢٥ دولارا للبرميل (بزيادة تتجاوز خمسين فى المائة) فإن استعادة القوة الاقتصادية ستكون ممكنة .

غير أن عرب الخليج كانت لهم احتياجاتهم الاقتصادية الخاصة . ذلك أنه بسبب أسعار النفط المرتفعة بطريقة مصطنعة فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات ، فقد العرب حصصهم فى الأسواق وحل محلهم نفط السوفيت وبحر الشمال ومنحدر آلاسكا . وردت دول الخليج العربية على ذلك بضخ البترول بكميات تتجاوز الحصص التى قررتها لها منظمة الأوبك .(١٢) وفى عام ١٩٩٠ هبطت أسعار النفط من حوالى ٢٢ دولارا للبرميل فى يناير إلى ١٦ دولارا للبرميل فى يونيو . وكل هبوط فى سعر النفط قدره دولار واحد كان يكلف العراقيين مليار دولار سنوياً .

والأكثر أهمية ، أن الثمانينات شهدت ظهور خط تقاطع آخر فى الخليج . فإلى جانب الانقسامات القائمة بين العرب والإيرانيين ، وبين السُنّة والشيعة ، وبين منتجى النفط وغير المنتجين ، ظهرت فجوة جديدة تكشف عن تباين كبير فى المصالح . فقد انفق كل من العراق وإيران عائداته البترولية واحتياطياته على الحرب . وأنفقت دول الخليج الأخرى المليارات على شراء الأسلحة ، ولكنها احتفظت باحتياطيات ضخمة مستثمرة فى الغرب .(١٣) ونتيجة لذلك فإنه فى حين أن جميع منتجى النفط ـ باعتبارهم جهة الإمداد بمصدر حيوى للطاقة ـ كانوا يشكلون جزءاً من النظام الاقتصادى الغربى ، إلا أن دول الخليج أصبحت ، باستثماراتها الضخمة ، جزءاً لا يتجزأ من النظام المالى الغربى . وعلى سبيل المثال ، فقد تردد أن الكويتيين كسبوا من استثماراتهم فى عام ١٩٨٩ أكثر مما كسبوا من إنتاج النفط . وبالنسبة للعراقيين والإيرانيين ، فإن القرارات بشأن أسعار وإنتاج النفط كان يمكن أن تستند على مجرد تقدير صغير نسبيا للاحتمالات فى المستقبل فيما يتعلق بالعائدات . أما بالنسبة لعرب الخليج ، فإن القرارات المتعلقة بتسعير النفط كانت لا تعتمد فقط على العائدات وإنما أيضا تضع فى اعتبارها تأثير الأسعار الأعلى على الاقتصادات الغربية . ولم يعد النمو الاقتصادى البطىء فى أوروبا واليابان والولايات المتحدة يتفق مع مصلحة عرب الخليج . وكان صدام على علم بهذا التطور ، غير أن دعوته لنقل الاستثمارات من الولايات المتحدة إلى الاتحاد السوفيتى لم تكن تحمل فى طياتها قيمة تذكر من الناحية المالية ولم تلق صدى طيبا لدى جيرانه العرب .

كذلك فإن رفع سعر النفط بطريقة مصطنعة كان يمثل خطوة تفتقر إلى منطق قوى . ذلك أن تشكيل مجلس التعاون العربى فى فبراير ١٩٨٩ جعل عرب الخليج مطوقين بدول أكثر ازدحاماً بالسكان ومدججة بالسلاح وعاجزة اقتصادياً . فلماذا يقدم عرب الخليج على تقويض علاقتهم بالولايات المتحدة ، الدولة التى برهنت للتو على أنها وحدها التى تملك القوة والإرادة لحماية دول الخليج من مخططات جيرانهم الأشد بأساً ؟

وحيث إن الموقف السياسى ـ العسكرى فى الخليج فى أوائل عام ١٩٩٠ كان محفوفاً بالمجازفات ومهدداً بالقلاقل ، فلماذا لم يشعر صناع السياسة الأمريكيون بالخطر ؟ وهل أعطى صناع السياسة الأمريكيون ـ من خلال أعمالهم أو من خلال تقاعسهم عن العمل ـ « ضوءاً أخضر » لصدام ؟ هل كان هناك مبادرات تستطيع الولايات المتحدة أن تقوم بها ، وكان من شأن هذه المبادرات منع الغزو العراقى للكويت ؟

كانت السياسة الأمريكية تجاه العراق وصدام حسين فى الثمانينات غامضة فى طابعها على الدوام بدرجة أو بأخرى . لقد « مالت » الولايات المتحدة بالفعل ناحية العراق أثناء الحرب الإيرانية ـ العراقية . والأسباب تتميز بالبساطة . فإن إيران هى التى اعتبرتها الولايات المتحدة بمثابة التهديد الأكثر خطورة . وإيران ـ رغم كل شىء ـ أمة حقيقية ، وسكانها أكثر تجانساً بكثير من سكان العراق ، كما أنها أكبر ثلاث مرات تقريباً فى حجمها من العراق . ويستطيع الإيرانيون أن يتتبعوا تاريخ تراث أمتهم فى الماضى إلى أيام الإمبراطورية الفارسية التى أعلنت التحدى ذات مرة للدول ـ

المدن فى بلاد الإغريق القديمة للفوز بالسيادة على البلقان . ورغم جهود صدام لكى يقدم نفسه باعتباره « نبوخذ نصّر » العصر الحديث [نبوخذ نصّر هو ملك بابل وفاتح القدس](١٤) إلا أن العراق كيان ملفق مصطنع تولت بريطانيا العظمى تجميع أجزائه فى العشرينات ، وليس أمة ذات تراث عريق وإنما دولة تحكمها أقلية عربية سُنيّة فى نزاع أو خصام مع حوالى سبعين فى المائة من سكانها .(١٥) وقد أحرز العراق نصراً محدوداً فى حربه الطويلة مع إيران ، لأن الإيرانيين أصيبوا بالضعف نتيجة اضطرابات الثورة ، ولأن مؤسستهم العسكرية التى شيدها الشاه عانت من إهمال جسيم . ما الذى كان بوسع جيش الشاه - قبل الثورة - أن يفعله بالعراق لو أن الحرب بدأت فى عام ١٩٧٧ بدلاً من عام ١٩٨٠ ؟ وقد حدث فى مناسبات عدة أن أطلق الإيرانيون التهديدات بتحطيم الخطوط العراقية ، والزحف على بغداد ، والتوغل جنوباً على طول الساحل الجنوبى للخليج العربى . وكان من شأن هذه الظواهر المثيرة للقلق أن دفعت الولايات المتحدة إلى إعادة علاقاتها مع العراق وتقديم المعلومات السرية للعراقيين ، وإلى مساعدة الحلفاء العرب للعراق عندما تعرضت ناقلاتهم للتهديد من جانب إيران .

وفى أعقاب الحرب ، كان لدى صناع السياسة الأمريكيين يد طليقة أكثر بكثير فى صياغة سياساتهم تجاه العراق ، بيد أنه لم يتغير إلا القليل . فقد كان هناك توافق فى الرأى - وربما يمكن أن يسمى باتجاه ثابت وراسخ فى التفكير - فى واشنطن والخليج على السواء على أن أى تحرك لعزل العراق دبلوماسياً سوف يحقق نتائج عكسية مؤكدة . ثم إنه بدا أن الرجل الذى وصفه الشاه يوماً بأنه واحد من « متوحشى العراق المتعطشين للدماء والمجانين » قد نضج واشتد عوده وصقلته التجربة أثناء الحرب مع إيران .(١٦) وكان صدام هو أول من قبل نداءات أمريكا والأمم المتحدة لإنهاء الحرب بطريقة دبلوماسية . وحتى عندما استعاد تفوقه العسكرى فى عام ١٩٨٨ وكان فى إمكانه أن يحرز نتائج أكبر .. التزم بوقف إطلاق النار وفقا لقرار الأمم المتحدة .

وكانت هناك شواهد ، بطبيعة الحال ، على أن صدام لا يزال الوحش الكاسر . فقد استخدم الغاز ضد أكراد العراق ، وكان نظام حكمه مُدان بانتهاكات متعددة لحقوق الإنسان . واحتفظ صدام بجيش ضخم وبقوة جوية هائلة ، وبدا أنه عازم على مواصلة تعزيز قوته العسكرية سواء فى مجال الأسلحة التقليدية أو غير التقليدية .

وعلى نقيض ما كان متوقعاً ، فإن سياسات إدارة بوش التى تبدو عند التمعن فيها الآن بمثابة شكل من أشكال التهدئة ، كانت فى نظر صدام جزءاً من مؤامرة أمريكية لمحاصرة وتدمير العراق . وكانت الولايات المتحدة ، فى حقيقة الأمر ، توجه إشارات متضاربة إلى بغداد . وحتى سياسة التهدئة تتطلب درجة معقولة من الاتساق ، ولكن مثل هذا الاتساق كان مفتقداً فى واشنطن . وفى فبراير عام ١٩٩٠ ، تولت إذاعة « صوت أمريكا » الموجهة إلى العراق تذكير المستمعين العرب بأن حركة التاريخ تسير ضد الديكتاتوريين ، وأنها اكتسحت بالفعل العديد منهم ، مثل تشاوشيسكو فى رومانيا ، ممن تولوا دفة الحكم رغما عن شعوبهم . وطالب عدة أعضاء فى الكونجرس الأمريكى صراحة بالحد من الروابط الأمريكية بحكومة صدام وتقليل المساندة لها .

ولكن أعضاء آخرين بالكونجرس ، وبوجه خاص هؤلاء الذين ينتمون إلى ولايات زراعية ، خرجوا على الاتجاه السائد وتعمدوا تقوية العلاقة الاقتصادية المتنامية بين العراق والولايات المتحدة ، وأعربوا لصدام عن أسفهم إزاء نوعية الإعلام الأمريكى .(١٧) ووصلت إلى بغداد أيضا تقارير مفادها أن العسكريين الأمريكيين شرعوا - فى لقاءات مع عرب الخليج - يشيرون إلى العراق على أنه الخطر الرئيسى على أمن المنطقة .

وفى ربيع عام ١٩٩٠ ، بدأت وزارة الخارجية الأمريكية بالفعل إعادة تقييم السياسة الأمريكية تجاه العراق . ولسوء الحظ ، فإن تلك المحاولة أجهضت لأن الأحداث المثيرة فى أوروبا الشرقية جذبت أنظار كبار صانعى السياسة فى أمريكا واستحوذت على كل اهتمامهم .(١٨)

ولكن الموقف المتدهور فى الخليج فى أواخر يوليو تطلب الانتباه . فقد حدث عقب تهديدات صدام اللفظية اللاذعة لجيرانه العرب فى ١٧ يوليو أن تحركت قوات عراقية بلغت ٣٠ ألف رجل إلى مواقع على طول الحدود مع الكويت . ولم يبذل صدام أى محاولة لإخفاء هذا الحشد العسكرى عن الملحقين العسكريين الغربيين والعرب المسافرين على الطريق الرئيسى بين الكويت والبصرة .(١٩)

هذه العلنية التى جرت فى ظلها التحركات العراقية أقنعت معظم المراقبين بأن استعراض القوة العسكرية لصدام ربما كان يستهدف تخويف الكويتيين وليس إعداداً لغزو . ومع ذلك ، فقد أعلنت الولايات المتحدة استعدادها للدفاع عن مصالحها فى المنطقة ، وطلبت إيضاحا بشأن نوايا بغداد . وفى ٢١ يوليو ، اقترحت الإمارات إجراء مناورات عسكرية مشتركة لقواتها وقوات الولايات المتحدة . وبعد يومين ، أصدرت واشنطن أوامرها إلى « قوة الشرق الأوسط » التابعة للبحرية الأمريكية - وقوتها فى ذلك الوقت ست سفن وطائرتان من طراز « كيه سى - ١٣٥ » من حاملات الوقود تابعتان للسلاح الجوى الأمريكى ، وطائرة نقل للبضائع من طراز « سى - ١٤١ » - بإجراء المناورة العسكرية الأولى من نوعها بين قوات الإمارات العربية المتحدة والولايات المتحدة . أما الكويتيون ، فإنهم لم يرسلوا طلبات إلى واشنطن يلتمسون فيها المساندة ، خشية أن يؤدى مثل هذا التصرف من جانبهم إلى استفزاز العراق ودفعه إلى القيام بغزو بدلاً من أن يمنع الغزو . كذلك فإن الولايات المتحدة لم تحرك تلك القوات التى كان يمكن أن تكون مؤشراً لصدام على القلق الأمريكى . ولم تتحرك حاملة الطائرات « إندبندانس » التى كانت فى المحيط الهندى ، غرباً تجاه بحر العرب . وفى ٢٤ يوليو أكدت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية ، مارجريت تاتوايلار ، أنه لا توجد أية اتفاقيات دفاعية بين الولايات المتحدة والكويت ، رغم أنها صرحت أيضا بأنه لا مكان فى النظام العالمى الجديد لدبلوماسية الإكراه .

وأخذت الولايات المتحدة بنصيحة أصدقائها فى المنطقة ، وانتظرت حتى يحاول الزعماء العرب التوصل إلى تسوية عربية . وفى ٢٤ يوليو ، قام الرئيس مبارك بزيارة لكل من الكويت والعراق فى محاولة للوساطة . وحصل من صدام على تأكيدات - صدقها - بأن الحرب غير وشيكة . ووافق

الرئيس العراقى أيضا على إيفاد ممثل له لحضور اجتماع قمة عربى فى جدة بالمملكة العربية السعودية يوم أول أغسطس .

وفى الخامس والعشرين من يوليو ، استدعى صدام السفيرة الأمريكية فى بغداد « ابريل جلاسبى » لمقابلة أصبحت شهيرة أو سيئة السمعة . وطبقاً « لصورة محضر الاجتماع » الذى نشره العراقيون فيما بعد ، فإن السفيرة جلاسبى أبلغت صدام بأنه « ليس للولايات المتحدة رأى فيما يتعلق بالمنازعات العربية ـ العربية ، مثل خلافكم مع الكويت حول الحدود » ، فيما كان يبدو أنه إعطاء ضوء أخضر للعراقيين للغزو .(٢٠) ولكن جلاسبى أدلت بشهادتها أمام الكونجرس فى مارس ١٩٩١ ، وقالت إن ما يسمى بصورة محضر الاجتماع قد أعيدت صياغته . وقالت إنها فى الوقت الذى أبلغت فيه صدام بأن الولايات المتحدة لا تعتبر منازعات الحدود شأناً من شئونها ، فإنها أوضحت أن « ما يخصنا بكل تأكيد هو أن يتم التوصل إلى تسوية بأسلوب غير عنيف . »(٢١)

وأغلب الظن أن ما قالته جلاسبى أو ما لم تقله لصدام لا صلة له بالموضوع ، لأن الرئيس العراقى كان قد حزم أمره بالفعل على الأرجح وقرر غزو الكويت ، رغم ادعاءاته بعكس ذلك ، وتوقع تماما نوعا من الرد الأمريكى السريع . وبعد شهور من انتهاء الحرب ، أبلغ طارق عزيز ، الذى حضر لقاء ٢٥ يوليو ، الزعيم التركى بولنت اجاويد فى أواخر مايو ١٩٩١ أن جلاسبى « لم تعط ضوءاً أخضر ، ولكنها لم تشر إلى ضوء أحمر » . وطبقاً لما ذكره عزيز فإن صدام توجه إلى ذلك اللقاء (مع جلاسبى) وهو مستعد لرد أمريكى .(٢٢)

ويبدو أن صدام استخدم لقاء ٢٥ يوليو لاختلاق التبريرات . وحتى « النسخة العراقية لمحضر الاجتماع » التى تم التلاعب فيها ، والتى نشرت فى وسط الأزمة ، تكشف عن أن صدام لم يعط لجلاسبى أى خيط يجعلها تتوقع هجوماً على الكويت . وخلال اللقاء تم استدعاء صدام للرد على مكالمة تليفونية من الرئيس مبارك . وعاد الرئيس العراقى لإبلاغ السفيرة الأمريكية بأن الكويتيين وافقوا على حضور اجتماع جدة . وأبلغت جلاسبى ـ التى شعرت بارتياح عند سماعها لهذا النبأ ـ صدام أنها كانت تعتزم البقاء فى بغداد بسبب الأزمة ، إلا أنها بدلاً من ذلك سوف تسافر إلى واشنطن لكى تتباحث مع الرئيس بوش .

وبينما كان صدام والسفيرة جلاسبى يجتمعان فى بغداد ، افتُتحت جلسات قمة منظمة « الأوبك » فى جنيف . وفى تلك القمة ، التى عقدت فى الأيام من ٢٥ حتى ٢٧ يوليو ، وافق الكويتيون على المطالب العراقية برفع سعر النفط بحيث يكون الهدف هو الوصول بالسعر إلى رقم يتراوح بين ١٨ و ٢١ دولاراً للبرميل ، وتخفيض الإنتاج بنسبة ٢٥ فى المائة .(٢٣) وبدا أن حملة التخويف التى يشنها صدام تحقق نجاحاً .

غير أنه فى الوقت الذى كان يجرى فيه إنجاز الترتيبات النهائية للقمة العربية الطارئة المصغرة ، واصل صدام حشد القوات على طول الحدود الكويتية . وبحلول نهاية الشهر ، كان هناك مائة ألف جندى فى مواقعهم . وفى ٢٩ يوليو وضع نظام الدفاع الجوى العراقى فى حالة تأهب عسكرى .

وفى الأول من أغسطس اتخذ الانتشار العراقى حجما ينذر بالخطر ، وزادت الشكوك فى صدق صدام . أما وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، التى كانت تسجل فى تقاريرها منذ ٢٥ يوليو أن صدام لا يفعل ذلك لمجرد التهويش والخداع ، فقد كانت مقتنعة الآن بأن الهجوم سيبدأ خلال أربع وعشرين ساعة .(٢٤) وفى ٣١ يوليو ، استخلص محللو المعلومات السرية الأمريكيون من إقامة شبكة خطوط الإمدادات والتموين فى مؤخرة الجبهة أن العراقيين على وشك غزو الكويت . وحسب ما ذكره الجنرال توماس كيلى ، مدير هيئة الأركان المشتركة للجيش الأمريكى ، فإن الولايات المتحدة أصدرت التحذير رقم (١) بشأن خطر معاد ، مشيرة إلى أن عملا عسكرياً يوشك أن يقع .(٢٥) وقام الجنرال نورمان شوارتزكوف ، القائد العام للقيادة المركزية الأمريكية الذى كان مقر قيادته مسئولاً عن الخليج ، بعرض للموقف على وزير الدفاع ديك تشينى ورؤساء الأركان فى البنتاجون فى أول أغسطس . وطبقا لما قاله شوارتزكوف ، فإنه كان مقتنعاً بأن العراقيين سيقومون بغزو الكويت ، رغم أنه توقع أنهم سوف يستولون فقط على منطقة الرُميلة المتنازع عليها وجزيرتى بوبيان وربة .(٢٦) وفى الحقيقة ، فإنه لم يكن هناك أى شخص فى موقع المسئولية فى الولايات المتحدة يبدو أنه فكر فى احتمال أن يحاول صدام اجتياح كل الكويت .

كذلك لم يكن هناك إجماع واضح على أن صدام سيغزو الكويت من الأساس . فقد قيل إن الرئيس مبارك والملك حسين عاهل الأردن والملك فهد عاهل المملكة العربية السعودية قد أكدوا جميعاً للرئيس بوش أن العراقيين لن يهاجموا . وعندما أبلغ وزير الخارجية الأمريكى جيمس بيكر نظيره السوفيتى ادوارد شيفارنادزه بأنه يبدو أن هجوماً يوشك على الوقوع ، أكد شيفارنادزه للوزير الأمريكى أن صدام لن يقدم على الغزو .(٢٧) وفى الساعة الثالثة من بعد الظهر ، عندما استدعى مساعد وزير الخارجية الأمريكى جون كيلى السفير العراقى فى الولايات المتحدة إلى وزارة الخارجية وطلب تفسيراً لما يجرى ، أنكر الدبلوماسى العراقى أن جيش صدام يتأهب لغزو الكويت .(٢٨)

وفى جدة ، كانت المحادثات بين ولى عهد الكويت الشيخ سعد الصباح ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى عزة إبراهيم .. عقيمة وانهارت خلال أقل من ساعتين . ورفض الكويتيون ، الذين سبق واستسلموا فيما يتعلق بمسألتى حصتهم من إنتاج الأوبك والأسعار فى اجتماع جنيف ، رفضوا إسقاط ديون صدام الخاصة بفترة الحرب ، كما رفضوا أن يسددوا لصدام ثمن النفط الذى يدعى أنه مسروق من حقل الرُميلة أو تأجير جزيرة بوبيان للعراق .

إن كبار المسئولين العراقيين فقط هم الذين يعرفون ما إذا كانت محادثات جدة .. مفاوضات حقيقية أم غطاء للاستعدادات النهائية للغزو ، ولكن يبدو أن الافتراض الأخير هو الصحيح . ذلك انه بالإضافة إلى ما قاله وزير الخارجية طارق عزيز للزعيم التركى ، فإن تقارير نشرت فى خريف عام ١٩٩٠ توضح أن العراقيين كانوا يقومون بتدريبات عسكرية استعدادا للغزو لمدة عامين ، بما فى ذلك تدريب جرى فى منتصف شهر يوليو كبروفة لهجوم تشنه قوات محمولة بطائرات الهيليكوبتر على مدينة الكويت .(٢٩) وعلق الجنرال شوارتزكوف فى وقت لاحق قائلا :

« لقد تأكدنا تماما من أن العراقيين كانوا يخططون لغزو الكويت على مدى فترة تتراوح بين عامين وأربعة أعوام .... ونحن نعلم أنهم قاموا بعمليات محاكاة بالكومبيوتر ووضعوا خططاً حربية لغزو الكويت . وهناك معلومات كثيرة تدل على أنهم وضعوا خططاً مماثلة تتعلق بالمملكة العربية السعودية . »(٣٠)

وقد تكون تلك الخطط المذكورة خططاً للطوارىء . بيد أن هناك دليلاً إضافياً على أن صدام كان قد قرر فى منتصف يوليو تنفيذ هذه العملية : الذهاب إلى الحرب . فقد جمع العقيد سعيد مطر الضابط فى الجيش الكويتى ، أثناء عمله كملحق عسكرى فى البصرة ، معلومات سرية حول العسكرية العراقية . لاحظ الضابط العلامات الأولى للاستعدادات العسكرية فى شهر أبريل ١٩٩٠ ، أى تقريبا فى الوقت الذى بدأ فيه صدام هجماته اللفظية على الكويت والإمارات . ثم حدث فى يوم ٢٥ يوليو ـ وهو نفس اليوم الذى التقت فيه جلاسبى مع صدام ، ونفس اليوم الذى توصلت فيه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إلى أن صدام ليس بصدد عملية « تهويش » فقط ـ أن أبلغ ضابط فى فرقة الحرس الجمهورى العراقى العقيد مطر أن العراق سيغزو الكويت فى الثانى من أغسطس .(٣١)

بالنسبة للولايات المتحدة ، كان الغزو العراقى للكويت فشلاً كلاسيكياً للردع الموسع(٣٢) . فلكى يكون الردع ناجحاً ، فإن هذا الردع سواء من النوع البسيط أو الموسع ، يتطلب عنصرين أساسيين : اعتراف الدولة الموجه إليها الردع بأن الدولة التى تمارس الردع تمتلك الإرادة والقدرة على السواء للرد العسكرى .

وقد ارتكز صدام فى قراره بغزو الكويت على خطأ فادح فى الحسابات بشأن رغبة وقدرة الولايات المتحدة على الدفاع عن مصالحها فى الخليج العربى . واستنتاجات صدام المغلوطة واضحة فى « صورة محضر اجتماع » ٢٥ يوليو ١٩٩٠ مع السفيرة جلاسبى .(٣٣) فقد ذكر صدام لجلاسبى أن الولايات المتحدة « مجتمع لا يستطيع أن يتقبل سقوط عشرة آلاف قتيل فى معركة واحدة » . وهذا الشعور بالأسف فى ذهن صدام على المجتمع الأمريكى جعله يستبعد تدخلاً أمريكياً واسع النطاق فى شبه الجزيرة العربية ، لأنه استنتج أن مثل هذه الحرب ستكون دموية . كذلك لم يصدق صدام أن الأمريكيين يملكون قدرة عسكرية تؤهلهم للرد الفعال . وكان يعرف أن الولايات المتحدة يمكن أن تشن حملة جوية ضد العراق ، ولكنه لم يتصور قط أن الأمريكيين يمكن أن ينشروا قوات برية كبيرة فى الخليج ويمدوها بأسباب البقاء . وقال صدام لجلاسبى : « تستطيعون أن تأتوا إلى العراق بالطائرات والصواريخ » ، ولكنه لم يقل شيئاً عن قوات برية أمريكية . وطريقة تفكير صدام وحججه واضحة . فقد أخبر جلاسبى بأنه لو كان الإيرانيون قد هزموا العراقيين فى الحرب الإيرانية ـ العراقية ، لكانت قوات الخومينى قد « اجتاحت » الخليج ولما كان فى استطاعة الولايات المتحدة وقفها إلا بوسيلة واحدة هى « الأسلحة النووية » . وفى تصور صدام أنه إذا كان الأمريكيون عاجزين عن تحريك قوات كافية إلى شبه الجزيرة العربية لوقف الإيرانيين ، فكيف سيكون فى استطاعة الولايات المتحدة تحريك قوة كافية إلى الخليج لوقف الجيش العراقى الأكثر قوة من الجيش الإيرانى ؟

ولكن ، لماذا أخطأ صدام فى حساباته ؟ لقد علقت جلاسبى على ذلك خلال شهادتها أمام الكونجرس بقولها إن صدام « كان غبياً » . وربما يكون أساس هذه الغباوة هو المشورة الرديئة من مرؤوسيه أو من « المستشارين » السوفيت ؛ حسناً ، ولكنها معلومات عفى عليها الزمن وتحليل لكتابات ضخمة للنقاد الأمريكيين للسياسة العسكرية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط .

ومع أن مدى تعاون العراقيين والسوفيت أثناء الحرب غير واضح ، فإنه لا بد أن صدام قد طلب من السوفيت تقديراً للقدرات العسكرية الأمريكية حتى لو كان تقديراً يتصف بالعمومية . وأغلب الظن أن السوفيت لم يحذروا صدام بأن الولايات المتحدة ستنقل ٥٠٠ ألف جندى وأسطولاً جوياً هائلا ، وسترسل أكثر من ١٥٠ سفينة حربية ، بينها ست حاملات طائرات ، إلى الشرق الأوسط ثم تشن هجوماً مدمراً يجعل مليارات الدولارات التى أنفقها العراقيون على قواتهم المزودة بأسلحة سوفيتية تبدو أكبر عملية تبديد للأموال فى التاريخ . واعترف مارشال سوفيتى فى وقت لاحق بأن سرعة ومدى النصر الذى قادته أمريكا على العراق فاجأ الروس ، وأدى إلى « تعديل الأفكار التى كنا نعتنقها بشأن طبيعة العمليات العسكرية الحديثة . »(٣٤)

وربما كان صدام أيضا ضحية تضليل ما بدا فى ذلك الوقت أنه ضربة مخابرات جديدة . ففى ٢٨ أغسطس عام ١٩٩٠ ، ألقت السلطات فى بون القبض على كاتب سجلات ألمانى غربى بتهمة تقديم معلومات سرية محظور تداولها إلى الحكومة العراقية . وكان لدى ذلك الكاتب فرصة الاطلاع على وثائق عسكرية أمريكية سرية للغاية ، كانت الولايات المتحدة تشرك وزارة دفاع ألمانيا الغربية فى الاطلاع عليها . وطبقاً لمصادر المخابرات الألمانية الغربية ، فإن العراق عرف من خلال تلك الوثائق « التحليل الأمريكى للموقف فى الخليج » قبل الغزو .(٣٥) غير أنه تمت إعادة دراسة الخطط الأمريكية للدفاع عن المنطقة فى عام ١٩٩٠ . ولو كانت تلك الخطط والتقديرات بشأن الخليج قد تسربت من خزائن الملفات السرية فى بون إلى بغداد ، فإن الأرجح أن تكون هذه الوثائق قد أصبحت بالية وتجاوزها الزمن . والأغلب أنها لم تكن تعكس التغيرات الجارية حينئذ فى العملية التخطيطية ، كما لم تكن تعكس الحالة الراهنة لقدرات النقل البحرى والجوى .

وإذا كان محللو المعلومات السرية لدى صدام قد قلّبوا بسرعة أدبيات الدفاع الغربية التى أُزيح عنها الستار ، بحثا عن حقائق القدرات العسكرية للولايات المتحدة فى الخليج ، فإنه يحتمل أن يكونوا قد نصحوا صدام بأن لا يشعر بقلق . وقد تساءل محللون عسكريون أمريكيون كثيرون طويلاً حول المنطق الذى يختفى وراء « قوة الانتشار السريع » وخليفتها « القيادة المركزية » ، رغم التحسن فى قدرات القيادة خلال الثمانينات . وعلى سبيل المثال ، ففى تقديرات مارس عام ١٩٩٠ ، أعرب المحلل العسكرى جيفرى ريكورد عن شكه فى « قدرة إدارة أمريكية متجاوبة فى البيت الأبيض على أن تعبىء فى الوقت المناسب وبطريقة فعالة مساندة سياسية محلية للتدخل » إذا هدد العراق المملكة العربية السعودية .(٣٦) وحتى فى داخل الجيش الأمريكى ، كانت هناك شكوك فى قدرة الأمريكيين على منازلة العراقيين وإحراز النصر . وقد نُشرت قبل وقت قصير من الغزو ، أى فى صيف عام ١٩٩٠ ، دراسة تثنى على قوة الجيش العراقى . وقد نشرت الدراسة الكلية

الحربية التابعة للجيش ، وتوصلت إلى أنه من أجل « أداء يتميز بالكفاءة » فى الشرق الأوسط ، فإنه لا بد من « إعادة تشكيل وإعادة تدريب وإعادة تجهيز وتسليح » جيش الولايات المتحدة .(٣٧) وأشار مقال نشر حتى فى أواخر فبراير عام ١٩٩١ فى مجلة « ميليتارى ريفيو » العسكرية - صحيفة رسمية للجيش الأمريكى تنشرها قيادة الجيش الأمريكى وكلية هيئة القيادة - إلى أن :

« هناك اتجاها فى الغرب لإعادة النظر فى الانتصار العراقى على إيران باعتباره مجرد تفوق لقوة النيران على هجمات الموجات البشرية . ويصعب تصوير المسألة على هذا النحو ، حيث إن العسكرية العراقية قد أظهرت درجة عالية من التطور فى تخطيطها وقيادة العمليات . وأظهر الجيش العراقى تحسناً تكتيكياً هائلا منذ عام ١٩٨٠ . إنهم مقاتلون أفضل بكثير مما كان يعتقد معظم المحللين العسكريين فى السابق . »(٣٨)

وأسقط صدام من حساباته حقبة من التطورات فى تنظيم النقل البحرى والنقل الجوى ، والتحسينات فى هيكل القوة ، وفى التخطيط الذى تشرف عليه القيادة المركزية فى « تامبا » . وكان تأويله خاطئاً لمدى استعداد الولايات المتحدة لاستخدام القوة للدفاع عن مصالحها ، رغم العمليات الناجحة فى جرينادا ، وضد ليبيا ، وفى الدفاع عن الكويت فى الخليج العربى فى عامى ١٩٨٧ و ١٩٨٨ ، وفى بنما .

وبصرف النظر عن ذلك المزيج من جنون العظمة والغباء والاستخبارات الرديئة والخطأ فى الحسابات الذى صاغ قرارات صدام ، فإن الجمود فى أفكاره ترك مجالا ضيقاً للمناورة من جانب الدبلوماسيين الأمريكيين . والأرجح أن سياسات أكثر تشدداً لم تكن لتؤدى إلى شىء سوى إقناع صدام بأن الولايات المتحدة تتآمر ضده حقاً . والتهديدات التى تستهدف رجلا يشك ليس فقط فى مدى الاستعداد الأمريكى ، بل أيضا فى القدرة الأمريكية على الدفاع عن مصالح الولايات المتحدة فى المنطقة ضد دولة مسلحة جيداً مثل العراق .. مثل هذه التهديدات كانت ستُقابل فى الأغلب بالتجاهل . ومع أن توجيه تهديد حاسم بمواجهة عكسرية مباشرة مع الولايات المتحدة حول الكويت كان يحتمل أن يقنع صدام بألا يوجه ضربته (رغم كل شىء فإنه لم يتحرك صوب السعودية عندما بدأت عملية « درع الصحراء ») فإنه بدون طلب كويتى بالمساعدة - نداء سريع يؤدى إلى وصول الأفراد العسكريين الأمريكيين إلى البلاد والوقوف فى طريق صدام - لم يكن بوسع إدارة بوش سوى أن تفعل القليل .

الفصل التاسع

درع فى الصحراء

أغسطس ١٩٩٠ ـ يناير ١٩٩١

فى مساء اليوم السابق على الغزو العراقى ، أخذ المسئولون الأمريكيون فى واشنطن يترقبون فى قلق الأنباء المتوقعة من الكويت . كان الأمريكيون ـ بعد عامين فقط من انتهاء حرب الناقلات غير المعلنة بين الولايات المتحدة وإيران ـ على وشك مواجهة أزمة أخرى فى الخليج العربى . ولم يكن يقع على كاهل الولايات المتحدة التزام رسمى بالدفاع عن الكويت . كذلك لم يكن الرئيس بوش قد وضع ، بعد ، خطاً فاصلاً على الرمال . غير أن المسئولين الرسميين فى واشنطن أدركوا أنه إذا ـ أو الأكثر ترجيحاً .. عندما ـ تحرك صدام صوب الجنوب ، فإن الولايات المتحدة ستصبح طرفاً فى الموقف .

لقد ولت منذ زمن بعيد الأيام التى كانت تعتبر فيها أزمات الخليج من شئون الآخرين . لقد استغرق الأمر نحو قرنين ، بيد أن الولايات المتحدة جعلت من نفسها صاحبة المركز الأعلى فى الخليج . وكانت عشرون سنة قد مضت على الانسحاب البريطانى ، وإحدى عشرة سنة على تخلى الشاه عن العرش . وعلى مدى حقبة من الزمان ، عمل الأمريكيون بمثابرة لكى يقيموا قيادتهم فى المنطقة ويعلنوا عنها . والآن ، توشك هذه القيادة أن تواجه تحدياً من رجل مجنون يسيطر على رابع أكبر جيش فى العالم ، وعلى ترسانة كيماوية حديثة العهد ، وربما أيضا سلاح نووى بدائى .

إذا زحف جيش صدام ، فإن كل الأنظار سوف تتركز على واشنطن . وسيتطلع العالم إلى جورج بوش لكى يرشده إلى الاتجاه الصحيح . وستكون المصالح الأمريكية فى خطر ليس فقط فى الكويت بل فى أنحاء الشرق الأوسط . كذلك فإن العوامل التجارية والاستراتيجية والجغرافية ـ الاقتصادية التى كانت قد دفعت الأمريكيين إلى التوغل بعمق فى شئون الخليج ستتعرض للتهديد ، ومعها أيضا المستقبل السياسى للرئيس . ويتذكر جورج بوش السياسى جيداً كيف جنحت إدارة كارتر وهى تبحر فى مياه الخليج العربى السياسية التى لا يمكن التنبؤ بأعماقها والتى لا تظهر على الخرائط .

فى الساعة الثانية من صباح يوم ٢ أغسطس (بالتوقيت المحلى) ، قام أكثر من مائة ألف جندى

عراقى تحت قيادة ثلاث فرق من « القوات الخاصة » (الحرس الجمهورى) بغزو الكويت . واستولت وحدات القوات الخاصة ـ التى سبق أن قامت بتدريبات على هجمات وهمية تشنها عناصر محمولة بطائرات الهيليكوبتر فى وسط العراق فى شهر يوليو ـ على المبانى المهمة ، وبوجه خاص قصر أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح . وصدرت الأوامر للجيش الكويتى ، وقوامه عشرون ألف جندى ، بتقليل درجة التأهب التى كان قد رفعها لأقصى حد قبل أيام من الغزو ، وذلك لتجنب استفزاز صدام . وبعد أربع وعشرين ساعة ، انتهت المقاومة المسلحة المنظمة وأصبح البلد كله فى الأيدى العراقية .

ومع ذلك فإن الهجوم لم يكن نجاحاً كاملاً . وعانت فرق الحرس الجمهورى من أعطال متعددة فى المعدات ، ويحتمل أن يكون ذلك سبباً فى عدم توجيه ضربة فورية للمملكة العربية السعودية .(١) وفرّ الأمير ، ومعظم أفراد الأسرة المالكة ، وعناصر من القوات المسلحة الكويتية إلى المملكة العربية السعودية .(٢) وتشير تقارير فى وقت لاحق إلى أن صدام الذى أصيب بخيبة أمل ربما يكون قد أعدم بعض الضباط المسئولين عن هذه الأعطال .

كان رد الفعل العالمى للهجوم على الكويت حاداً . فقد أدانت الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفيتى ، والأمم المتحدة ، والجامعة العربية ، والمجموعة الاقتصادية الأوروبية ، واليابان الغزو خلال أسبوع واحد . وفى السادس من أغسطس ، صوَّت مجلس الأمن الدولى بأغلبية ١٣ ضد لا شىء مع امتناع كوبا واليمن عن التصويت على مشروع قرار بفرض عقوبات اقتصادية على العراق والأراضى التى يسيطر عليها العراقيون .(٣)

وكان رد الفعل السريع والقوى من جانب المجتمع الدولى مفاجأة أذهلت صدام . ومن أجل تهدئة الضغط المتصاعد ، أعلن صدام أن العراق قام بالغزو لمساعدة الثوريين الذين كانوا يستعدون لإقامة « حكومة الكويت الثورية الحرة » . وطمأن صدام الجميع على أنه إذا لم يتعرض العراق لتهديدات ، فإن قواته ستبدأ انسحابها يوم الأحد ٥ أغسطس ، على أن أسرة الصباح لن تستطيع العودة إلى مدينة الكويت .(٤) ولكن الغضب العالمى استمر بكامل عنفوانه .

ورغم ذلك رفض صدام التراجع . ولم تكن الإشارات الدولية الواضحة كافية لإقناعه بأنه ارتكب عملا أحمق . ويرجع ذلك إلى أنه بينما بدا العالم مستعداً لعزل العراق اقتصاديا وسياسيا ، كانت الشواهد التى تدل على أن العالم مستعد لإرغامه على التخلى عن غزوته لا تزال محدودة . كذلك كان صدام يعرف أن العالم سيدفع ثمن هذه الوقفة ضد الغزو . فقد قفزت أسعار النفط الخام إلى ٢٣,١١ دولار للبرميل ، بزيادة قدرها ١,٥٧ دولار ، بعد أن كان سعر البرميل فى أوائل يوليو قبل أن تبدأ الأزمة ١٧ دولارا .

وجاء رفض صدام للانسحاب إزاء ضغط دولى لا نظير له ، ليضع الولايات المتحدة فى موقف صعب . وفى صباح يوم السبت ٤ أغسطس اجتمع الرئيس بوش لمدة ساعتين ونصف الساعة مع كبار مستشاريه للأمن القومى ومستشاريه العسكريين فى المنتجع الرئاسى فى كامب ديفيد بولاية ميريلاند .(٥) كان الموقف كئيباً . وحذر محللو المخابرات من أن القوة العراقية التى عبرت الحدود

فى ٢ أغسطس أكبر مما هو ضرورى لغزو واحتلال الكويت . ورغم الإعلان العراقى عن انسحاب فى الخامس من أغسطس ، إلا أن قوات صدام كانت تتحرك وتتوغل جنوباً وتحتشد على طول الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ، كما أن صدام ألغى كل الإجازات وقام بتعبئة ١٤ فرقة احتياطية إضافية .(٦) وكانت قوات الولايات المتحدة فى المنطقة قليلة ، وبالتالى فإن الخيارات الفورية كانت محدودة . وسرعان ما اندفعت حاملة الطائرات « إندبندانس » من المحيط الهندى ، ومعها مجموعتها وجناحها الجوى الذى يضم أكثر من ثمانين طائرة ، نحو بحر العرب . وتوجهت حاملة الطائرات « دوايت د . ايزنهاور » من البحر المتوسط تجاه الشرق . واستعد أسطول الأطلسى التابع للبحرية الأمريكية لإرسال حاملة الطائرات « ساراتوجا » والبارجة « ويسكونسين » و « لواء الحملات البحرية » من الساحل الشرقى للولايات المتحدة إلى الخليج .

وحينذاك ، فإن الخوف على السلامة المباشرة للمملكة العربية السعودية جعل مشكلة إرغام العراقيين على الخروج من الكويت تتوارى تماماً . ووضع مسئولو المخابرات تقديراتهم للنوايا العراقية على أساس ما كان يجرى على الأرض فى الكويت وجنوب شرقى العراق . واتخذت تحركات الجيش العراقى شكلاً ينذر بالخطر . وربما كانت هذه التهديدات تستهدف تخويف السعوديين ، ما دام صدام أوضح بشكل قاطع أنه لا يعتزم غزو المملكة العربية السعودية . ولكن « الخبراء » كانوا قد تنبأوا فى شهر يوليو بأن العراقيين إنما يحاولون فقط إثارة الفزع لدى الكويتيين ، كما أن صدام طمأن الجميع على أنه لا يعد لعملية غزو . وكانت مصداقية الرئيس العراقى متدنية بكل تأكيد فى الأيام الأولى لأغسطس عام ١٩٩٠ ، واستنتج خبراء المخابرات الأمريكية ، الذين انخدعوا من قبل مرة ، أنه من المرجح أن يكون صدام على وشك أن يغزو المملكة العربية السعودية . ومن هنا شعر وزير الدفاع تشينى بقدر كاف من الاقتناع بالقرائن وهو يؤكد للكونجرس فى ديسمبر ١٩٩٠ قائلا :

« إننى شخصياً مقتنع بأننا لو لم نكن قد رددنا بسرعة ، كما فعلنا ، لواصل صدام فى الحقيقة عدوانه . وكانت سرعة الرد الأمريكى هى فقط التى حملته على التردد وأتاحت لنا فرصة لنشر القوات التى توجد الآن فى الميدان . »(٧)

ولو كان صدام قد أرسل بالفعل قواته إلى الجنوب ، لأصبحت الخيارات العسكرية الأمريكية محدودة . فقد كان من المستبعد أن يرغم حصار بحرى للعراق والكويت المحتلة صدام على الانسحاب ، فهذا الحصار لم يكن ليؤثر فى شىء على إعاقة زحف عراقى صوب الجنوب . وكان فى استطاعة حاملتى الطائرات « اندبندانس » و « ايزنهاور » شن ضربات جوية ضد أهداف فى العراق ، أو ضد قوات تتقدم نحو المملكة العربية السعودية . غير أن الطائرات المحلقة من حاملات الطائرات فى شمال بحر العرب والبحر الأحمر كانت ستطير إلى مداها الأقصى ، وستتفوق عليها عددياً تفوقاً كبيراً القوة الجوية لصدام التى تتكون من ٨٠٠ طائرة . وكانت أفضل وسيلة لردع هجوم عراقى فى الجنوب ، ووقف هذا الهجوم فى حالة وقوعه ، وبناء قوة قادرة على إرغام صدام على الانسحاب من الكويت هى نقل وحدات برية وجوية أمريكية إلى المملكة العربية السعودية . ولكن حتى مع وجود تعاون سعودى كامل ، فإن الجنرال شوارتزكوف حذر الرئيس من أن نشر

قوات « القيادة المركزية » الأمريكية ـ حوالى ٢٢٥ ألف فرد ـ فى الخليج سوف يحتاج إلى سبعة عشر أسبوعاً ، أما بناء قوة قادرة على طرد العراقيين من الكويت فإنه يحتاج إلى فترة زمنية تتراوح بين ثمانية واثنى عشر شهراً .(٨)

وعقب اجتماع كامب ديفيد ، اتصل الرئيس بوش تليفونيا بالملك فهد للمرة الثانية بعد ٢ أغسطس . وتباحث مسئولون أمريكيون آخرون مع الأمير بندر بن سلطان ، السفير السعودى فى الولايات المتحدة وابن شقيق الملك . وأسفرت هذه المشاورات عن اتخاذ قرار فى الخامس من أغسطس بإرسال وفد أمريكى على مستوى عال برئاسة وزير الدفاع تشينى والجنرال شوارتزكوف إلى جدة لمقابلة الملك فهد .

فى غضون ذلك ، أصبح الموقف على طول الحدود السعودية أكثر خطورة ، واستمر تصاعد مناخ الأزمة فى الخليج . فقد عبرت قوات عراقية الحدود إلى المملكة العربية السعودية ثلاث مرات بين ٣ أغسطس و ٦ أغسطس ، مما زاد من المخاوف السعودية .(٩) وانهارت المحادثات العربية التى كان من المقرر أن تجرى فى جدة يوم ٤ أغسطس .

وانتقل محور الاهتمام إلى المعركة حول خطوط أنابيب البترول التركية والسعودية التى كانت تنقل تسعين فى المائة من صادرات البترول العراقى . ذلك أنه إذا كان لا بد أن تكون العقوبات الاقتصادية ضد صدام فعالة ، فإنه كان لا بد من إغلاق خطوط الأنابيب . وكانت الولايات المتحدة ، فى الثالث من أغسطس ، قد طلبت من كل من تركيا والمملكة العربية السعودية وقف تدفق البترول . وكانت تركيا بمأمن نسبياً من تهديدات صدام ، فهى دولة كثيرة السكان ، ولها حدود يسهل الدفاع عنها ، ومؤسسة عسكرية كبيرة ، وعضو فى حلف شمال الأطلسى . أما المملكة العربية السعودية فإن عدد سكانها ضئيل ، وحدودها يصعب الدفاع عنها ، وهى مؤسسة عسكرية صغيرة ، كما أنها لا ترتبط بدولة أخرى بروابط أمنية رسمية ، ولذلك لم تكن بمأمن من تلك التهديدات . وفى الخامس من أغسطس ، حذر العراقيون الأتراك من العواقب المحتملة إذا أغلقوا خطوط الأنابيب فى بلادهم .(١٠) ومع تزايد الضغط على المملكة العربية السعودية ، أصبح الجانب الرئيسى فى مهمة تشينى هو إقناع السعوديين بوقف تدفق البترول العراقى فى مقابل الحماية الأمريكية .(١١)

وتصاعد القلق أيضا على سلامة الأجانب فى الكويت مع وصول أنباء إلى واشنطن حول القبض على رعايا غربيين هناك .(١٢) ولم تفعل الحكومة الكويتية الجديدة شيئاً يذكر لتهدئة المخاوف الغربية ، بل وجهت تحذيراً بأنها لن تتصرف بالضرورة « بطريقة لائقة خاصة » مع المواطنين الأجانب .(١٣) وأبلغ بوش ، الذى عاد إلى واشنطن يوم الأحد ، الصحفيين بأن الغزو العراقى « لن يصمد » ، وعندما سئل عما تستطيع الولايات المتحدة أن تفعله لتغيير الموقف ، قال : « عليكم بالانتظار ، ومراقبة الموقف وسوف تعرفون . »(١٤)

والتقى يوم الاثنين ٦ أغسطس فى جدة تشينى وشوارتزكوف مع الملك فهد . وعرض الفريق الأمريكى على السعوديين القدرات العسكرية للولايات المتحدة . وطلب تشينى أن يوقف الملك تدفق

البترول العراقى ويسمح للقوات الأمريكية بالانتشار فى قواعد سعودية . وأكد وزير الدفاع الأمريكى للملك فهد أيضا أن القوات الأمريكية سترحل « على الفور » عندما تنتهى الأزمة أو وقتما تؤمر بذلك .(١٥)

ولحسن حظ الولايات المتحدة أن فريق الوزير تشينى لم يواجه صعوبة فى التوصل إلى ما يريد . فمنذ وقت مبكر يرجع إلى يوم ٣ أغسطس ، كان الملك ، الذى اعتراه قلق عميق إزاء النوايا العراقية ، قد حزم أمره على طلب نشر قوات أمريكية فى بلاده ، غير أنه ليس من الواضح ما إذا كان مستعداً من قبل أو غير مستعد لقبول قوات برية .(١٦) ولكن الملك فهد ، فى لقائه مع الأمريكيين فى السادس من أغسطس ، أعاد إلى الأذهان العلاقة الطويلة بين بلاده والولايات المتحدة ، مشيراً إلى الاجتماع الذى عقده والده - ابن سعود - مع الرئيس روزفلت فى عام ١٩٤٥ . وأعلن فهد أن القوات البرية ، أيضاً ، يمكن أن تُنشر فى شبه الجزيرة ، وأنه سيغلق خط أنابيب البترول العراقى . وعرض أيضا زيادة إنتاج النفط السعودى لتعويض توقف إمدادات البترول العراقى والكويتى فى محاولة للحفاظ على بقاء الأسعار مستقرة .(١٧)

وعقب الاجتماع ، اتصل تشينى ببوش الذى أعطى لوزير الدفاع الأمر بالشروع فى تحريك القوات العسكرية الأمريكية . ثم اتصل تشينى تليفونيا بالجنرال كولين باول رئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات الأمريكية ، وأبلغه بالتعليمات اللازمة . وأعطى تشينى أوامره لشوارتزكوف مباشرة .(١٨) ثم طار وزير الدفاع الأمريكى إلى مصر حيث قابل الرئيس مبارك الذى وافق على السماح بمرور السفن الحربية للبحرية الأمريكية ، بما فيها حاملة الطائرات ايزنهاور التى تعمل بالطاقة النووية ، من شرقى البحر المتوسط إلى البحر الأحمر عبر قناة السويس .

كان القرار السعودى فى ٦ أغسطس هو الشرط الضرورى الذى لا غنى عنه لعملية درع / عاصفة الصحراء . وكان من شأن استعداد الملك فهد للتعاون مع الولايات المتحدة أن يؤثر تأثيرا هائلاً ضاغطاً على صدام على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وزاد احتمال وقوع مجابهة عسكرية مع القوات الأمريكية . كما أن الالتزام السعودى بالعقوبات الاقتصادية الدولية أعطى الائتلاف المناهض للعراق قوة كبرى داخل العالم العربى وفى أسواق النفط الدولية .

ومع أنه أمكن تفادى عقبة سياسية رئيسية تعترض الطريق ، فإن الولايات المتحدة كانت لا تزال تواجه تحدياً ضخماً . ذلك إنه بعد السادس من أغسطس ، فإن أى تحرك عراقى إلى داخل أراضى المملكة العربية السعودية كان سيؤدى إلى مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة ، وهو موقف يمكن أن يردع صدام ، كما هو مأمول . أما إذا لم يجد الديكتاتور العراقى فى هذا الموقف ما يردعه ، فإن الحلفاء سيواجهون موقفا صعباً .

كان الجيش السعودى برمته - ٣٨ ألف رجل - أصغر بكثير من القوات العراقية التى نُشرت فى الكويت . وأشارت تقديرات المحللين العسكريين السعوديين إلى أن العراقيين يستطيعون اجتياح المنطقة الشرقية فى فترة تتراوح بين ٦ و ١٢ ساعة ، حتى مع وجود غطاء جوى أمريكى .(١٩) واعترف الوزير تشينى فى ديسمبر عام ١٩٩٠ بأنه « فى ٢ أغسطس ... بأن كتيبة الحرس الوطنى

السعودى كانت هى الحائل الوحيد بين صدام حسين وتلك الحقول النفطية [فى شرقى المملكة العربية السعودية] . وبالتالى لم تكن هناك عقبة عسكرية كبيرة تقف أمام توغله فى اتجاه الجنوب . »(٢٠) وربما كان فى استطاعة العراقيين الوصول إلى الرياض - العاصمة السعودية - فى فترة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أيام .(٢١)

ولم يكن من شأن وصول الوحدات الأمريكية الأولى المقرر نشرها فى المملكة العربية السعودية إحداث تغيير فورى يُذكر فى ميزان القوى على البر . وأوكل لطائرات السلاح الجوى « أواكس » ، وطائرات التموين بالوقود فى الجو ، ومقاتلات التفوق الجوى (ايجل « إف - ١٥ ») مهمة تعزيز الدفاعات الجوية السعودية وضمان سيطرة القوات المتحالفة على الجو . وهكذا يمكن حرمان العراقيين الزاحفين من المساندة الجوية ، غير أن الوضع كان لا يزال أبعد من أن يثير خوف العراقيين من العمليات الجوية إلا بقدر ضئيل . وكانت أولى الوحدات البرية الأمريكية التى وقع عليها الاختيار للتوجه إلى شبه الجزيرة العربية هى الألوية الثلاثة التابعة للفرقة ٨٢ المحمولة جواً من قاعدة « فورت براج » فى ولاية كارولينا الشمالية . ولكن المظليين المحمولين جواً كانوا قوة مشاة خفيفة مسلحين فقط بعدد ضئيل نسبياً من الدبابات المصفحة بدروع خفيفة . ولو تحرك العراقيون صوب الجنوب ، لكان من الصعب وقفهم . وأدرك رئيس الأركان باول أن وقوع هجوم عراقى أثناء الأيام الثلاثين الأولى لدرع الصحراء كان من شأنه أن يضع القوات الأمريكية فى « موقف صعب جدا ، جداً . »(٢٢)

وكانت المهمة الأولى للفرقة ٨٢ المحمولة جواً هى تأمين القواعد الجوية والموانىء التى ستصل منها وحدات أمريكية أخرى فى وقت لاحق . واعتبر الجنرال باول أن الاحتفاظ بهذه الرؤوس البحرية والجوية « همه الأول » . ذلك أنه إذا اجتاح العراقيون ميناءى جبيل والدمام والقاعدة الجوية فى الظهران ، فإن الحشد العسكرى الأمريكى سوف يتأخر كثيراً . كما أن الاستيلاء على رأس تنورة ، وهو الميناء السعودى الرئيسى لتصدير النفط ، كان يمكن أن يشكل كارثة اقتصادية للائتلاف .

وبصرف النظر عما إذا كان صدام عاقدا العزم على أن تكون خطوته التالية بعد الاستيلاء على الكويت هى غزو المملكة العربية السعودية أم لم يكن ، فإنه كان على القوات العراقية أن تتوغل جنوبا بمجرد سماح الملك فهد للقوات الأمريكية بدخول البلاد وإعلان الرئيس بوش عن بدء عملية « درع الصحراء » . ففى تلك الحالة لم يكن فى الإمكان أن يصيب العراقيين أسوأ مما أصابهم إلا بشق الأنفس . وحتى إذا دافعت القوات الأمريكية بنجاح عن الامتداد الساحلى السعودى بين جبيل والظهران ، فإنه كان بوسع عملية عراقية جريئة أن تجتاح على أقل تقدير الجزء الأكبر من المنطقة الشرقية المنتجة للنفط ، وأن تجبر الوحدات الأمريكية المزودة بدروع خفيفة على أن تقاتل القوات المدرعة العراقية فى ظروف غير مواتية للوحدات الأمريكية ، وربما استطاعت القوات العراقية أن تستولى على الرياض . ولو فعل صدام ذلك ، لكان قد اكتسب قوة هائلة سياسية واقتصادية وعسكرية كان يمكن استخدامها فى ترتيب تسوية سلمية قد تتيح له الاحتفاظ بجزء من حصيلة غزواته .

إن السؤال عن السبب فى أن صدام لم يقدم على غزو المملكة العربية السعودية ، هو سؤال لا بد أن يظل محوراً للتكهنات إلى أن ينشر العراقيون سجلات وملفات الحرب ، غير أن هناك عاملين يحتمل أن يكونا قد لعبا دوراً فى تشكيل تفكير صدام . فالأرجح أنه لم يصدق أن « عملية درع الصحراء » ستقود فى نهاية الأمر إلى نشر قوة عسكرية متحالفة قوية ساحقة فى داخل شبه الجزيرة العربية وحولها ، كما لم يصدق أن الائتلاف سيقوم بعمليات هجومية لإرغام العراقيين على الخروج من الكويت . وببساطة ، فإن صدام لم يأخذ على محمل جدى النوايا والقدرات الأمريكية . كذلك فإن صدام لم يكن قائداً عسكرياً جسوراً . ففى عام ١٩٨٠ ، عندما شنت القوات العراقية حرباً خاطفة على إيران ، واستولت على معظم الأهداف الأولى التى أرادت الاستيلاء عليها ، وأرغمت الإيرانيين على الفرار ، أوقف صدام هجومه وسعى إلى التفاوض بشأن تسوية لتأمين مكاسبه . ورفض الإيرانيون عروض السلام العراقية واستمرت الحرب لثمانى سنوات دامية .

وبالمثل ، لم يكن رد صدام على « عملية درع الصحراء » هو غزو المملكة العربية السعودية ، وإنما جلس القرفصاء وسعى إلى حل الأزمة بالطريق الدبلوماسى . وفى الثامن من أغسطس ، أعلن عن ضم « المحافظة العراقية رقم ١٩ » . وفى التاسع من أغسطس ، أشارت تقارير المخابرات الأمريكية إلى أن الوحدات العراقية تتراجع وتتخذ مواقع دفاعية ؛ رغم أنه كان يمكنها التحول إلى الهجوم خلال ثمان وأربعين ساعة .(٢٤) وفى العاشر من أغسطس ، دعا صدام إلى شن حرب مقدسة - الجهاد - ضد الائتلاف الذى تقوده أمريكا . وحذر صدام زملاءه العرب قائلاً إن الأماكن الإسلامية المقدسة قد « أسرتها رماح الأمريكيين والصهاينة » . ووجه نداءات « لإنقاذ مكة وقبر الرسول من الاحتلال » ، و « للثورة ضد الأمراء الذين يدفعون النساء العربيات إلى الرذيلة » ، و « لإحراق الأرض تحت أقدام الغزاة » ، و « لضرب مصالحهم فى كل مكان » ، ولمنع سفنهم من المرور عبر قناة السويس .(٢٥) ثم عرض صدام فى الخامس عشر من الشهر - فى محاولة لتأمين جناحه الشرقى - أن يعيد لإيران كل الأراضى التى استولى عليها خلال حرب ١٩٨٠ - ١٩٨٨ ، وكل أسرى الحرب ، وقبول اتفاقية الجزائر لعام ١٩٧٥ التى تقضى بتقسيم شط العرب بين العراق وإيران .(٢٦) وقبل الإيرانيون العرض العراقى . وبذلك أصبح صدام قادراً على نقل قوات إضافية لتعزيز دفاعاته فى الكويت .

ورغم أن بعض المحللين اعتبروا مبادرة صدام تجاه إيران « ضربة معلم » ، إلا أن تلك الخطوة كانت ، فى حقيقة الأمر ، خطأ هائلا جسيما . ففى الخامس عشر من أغسطس أحرق صدام جسوره . لقد أعاد إلى إيران ذلك القدر الضئيل الذى كسبه العراق بثمن فادح خلال ثمانى سنوات من الحرب ، مقابل الثمار المأمولة لغزو الكويت ، وهى الثمار التى لم يكن قد أدركها بعد . وفى الواقع فإن صدام رفع مستوى الخلافات ، ودعا الولايات المتحدة إلى إثبات قدرتها على تنفيذ تهديداتها ، وأصبح يقامر على « المزيد أو لا شىء » . ذلك أنه لو كان صدام قد اختار طريق الانسحاب من الكويت بعد الخامس عشر من أغسطس ، لما تبقى لديه شىء يتباهى به بعد حقبة

من الحرب ومئات الآلاف من القتلى والجرحى ، ومئات المليارات من ثروة البلاد . بعد الخامس عشر من أغسطس ، أصبحت حرية المناورة الدبلوماسية لصدام صفراً .

حينذاك أصبحت كل من الولايات المتحدة والعراق تقفان أمام مواجهة يائسة محتومة ، وكل منهما يحاول تجنيد الحلفاء وحشد القوات فى ما أسماه العسكريون الأمريكيون « مسرح العمليات الكويتى » ، الذى كان يضم منطقة الكويت وما حولها على رأس الخليج العربى .

ورغم جهود صدام القصوى ، فإن نداءاته الداعية إلى شن حرب مقدسة ضد الغرب وحلفائه من العرب لم تكسب سوى القليل من الأنصار . فقد حصل صدام على تأييد ضئيل ولكنه صريح من اليمن ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وكوبا ، والأردن . ووقفت القوات العراقية فى الكويت المحتلة وحدها ، باستثناء حفنة من الميليشيات الفلسطينية التى تم تجنيدها فى مدينة الكويت .

أما الولايات المتحدة ، فقد كانت أكثر نجاحاً بكثير فى بناء الائتلاف ليس فى الغرب فقط ، بل أيضاً بين صفوف العرب وفى أنحاء العالم الثالث . وضمنت الولايات المتحدة مساندة المجتمع الدولى بما فيه الاتحاد السوفيتى ، والذى بدونه كان مجلس الأمن سيصبح عاجزاً . واقترب دور الأمم المتحدة فى الأزمة من ذلك الدور الذى كان يتصوره مؤسسو المنظمة إبان الحرب العالمية الثانية . وانضمت ٣٨ دولة إلى الائتلاف ضد العراق ، وأرسلت قوات وطائرات وسفنا وفرقا طبية وأموالا لمساندة الجهود الجارية .

ومضى الحشد العسكرى بقيادة أمريكا سريع الخطى . وأصبح يوم بدء « عملية درع الصحراء » هو ٧ أغسطس . وعبرت مجموعة حاملة الطائرات « ايزنهاور » قناة السويس بتصريح من الرئيس مبارك . واتخذت حاملات الطائرات الأمريكية فى البحر الأحمر وبحر العرب مواقعها لتغطية الجسر الجوى الأول إلى المملكة العربية السعودية .(٢٧) وأرسلت مقاتلات إيجل « إف - ١٥ سى » و « إف - ١٥ دى » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى ، والملحقة بالجناح المقاتل التكتيكى الأول السابع والعشرين والأسراب المقاتلة التكتيكية الواحدة والسبعين ، من قاعدة القوات الجوية فى لانجلى فى فيرجينيا إلى الظهران . وبعد ٣٨ ساعة من إبلاغ طائرات « إف - ١٥ » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى بالانتشار ، كانت فى حالة تأهب وعلى استعداد للقيام بدوريات دفاعية على طول الحدود العراقية - السعودية ، على مسافة سبعة آلاف ميل من القواعد التى انطلقت منها .(٢٨) وبدأ جنود اللواء السريع للفرقة الأولى التابع للفرقة ٨٢ المحمولة جوا يستقلون الطائرات فى قاعدة « بوب » الجوية المجاورة لقاعدة « فورت براج » التابعة للجيش الأمريكى فى فايتفيل فى ولاية كارولينا الشمالية . وفى اليوم التالى - ٨ أغسطس - بدأ وصول طائرات النقل التى تقل أفراد اللواء إلى الظهران .

وفى الثامن من أغسطس ، أبحرت سفينة تحديد المواقع البحرية مسبقا ، السربان الثانى والثالث من دييجو جارسيا وجوام على التوالى . وحملت هذه السفن المعدات ومؤنا تكفى ثلاثين يوما للواء الحملات البحرى السابع التابع لفيلق البحرية من « توينتى ناين بالمز » فى كاليفورنيا ، ولواء

الحملات البحرى الأول من هاواى . وفى الرابع عشر من أغسطس ، طارت عناصر المقدمة من لواء الحملات البحرى السابع إلى جبيل التى سبق تأمينها بواسطة اللواء السريع للفرقة الأولى التابع للفرقة ٨٢ المحمولة جواً . وفى اليوم التالى ، وصلت سفن النقل البحرى التابعة للأسطول الثانى إلى جبيل ، وبدأ أفراد اللواء « يتمازجون » مع معداتهم .(٢٩) وحتى شهر سبتمبر ، كان مشاة البحرية يشكلون أغلبية القوات البرية الأمريكية التى تم نشرها فى المملكة العربية السعودية .(٣٠)

وقلل وصول لواء الحملات البحرى السابع إلى جبيل من الأخطار التى واجهتها الولايات المتحدة أثناء المرحلة الأولى من « درع الصحراء » . فقد كان اللواء البحرى ـ وقوامه ١٧ ألف رجل ـ كبيراً فى حجمه ويناهز حجم فرقة فى الجيش الأمريكى . وكان مشاة البحرية ، يدعمهم العنصر الجوى الذى يتبعهم ، قادرين على إقامة موقع يشكل عائقاً فى شمال جبيل يغطى رأس تنورة والدمام والظهران . وكان لدى مشاة البحرية أيضاً دبابات من طراز « إم ـ ٦٠ ايه ١ » ، ورغم أنها أدنى فى مستوى كفاءتها من دبابات « إم ١ » و « إم ١ ايه ١ » الموجودة فى الجيش الأمريكى ، إلا أنها تتفوق كثيرا على دبابات شيريدان « إم ـ ٥٥ » التى كانت فى حوزة الفرقة ٨٢ المحمولة جواً ، وأثبتت ، وهى فى أيدى أطقم دبابات مشاة البحرية الذين أحسن تدريبهم ، أنها أكثر قدرة من أى شيء فى الترسانة الحربية العراقية .

وبالنظر إلى أهمية وصول لواء الحملات البحرى السابع التابع لمشاة البحرية ، فإن المرء قد يتساءل عن سبب عدم مغادرة سفن النقل البحرية التابعة للأسطول الثانى لقاعدة دييجو جارسيا إلا بعد يومين من موعد بدء الحشد (٨ أغسطس) ؟ وحيث إن صدام لم يقدم على غزو المملكة العربية السعودية ، فإن السؤال يظل على المستوى الأكاديمى النظرى . غير أنه لو كان العراقيون قد وجهوا الضربة ، فإن التأخير فى تحريك سفن النقل البحرية كان يمكن أن يكون خطيراً . وكانت وجهة نظر الجنرال جوزيف ب . هور ، النائب السابق لرئيس هيئة الأركان المشتركة لشئون الخطط والسياسات والعمليات فى مقر قيادة فيلق البحرية ، أن سفن النقل البحرية كان يجب أن تتحرك فى موعد أقصاه ٢ أغسطس .(٣١)

وقد حل الجنرال هور ابتداء من أغسطس ١٩٩١ محل الجنرال شوارتزكوف كقائد للقيادة المركزية . والمؤكد أنه كان ينبغى أن تغادر هذه السفن دييجو جارسيا قبل الثامن من أغسطس ، وإذا لم يكن بوسعها أن تغادر فى الثانى من أغسطس ، فربما كان يجب أن تغادر فى الثالث ، أى فى اليوم التالى للغزو ، أو فى اليوم السادس ، وهو اليوم الذى وافق فيه الملك فهد على السماح للوحدات الأمريكية بدخول المملكة العربية السعودية . ويقرر « بوب وودوارد » فى كتابه « القادة » أن الجنرال باول نحى جانبا اقتراحا يقضى بتحريك سفن النقل البحرية فى اتجاه الخليج قبل يوم ٢ أغسطس كمؤشر للعراق على التصميم الأمريكى .(٣٢) ووجهت مصادر أخرى فى البنتاجون أصبع الاتهام نحو البيت الأبيض أو أرجعت التأخير إلى مجرد قصور بيروقراطى .

وبالإضافة إلى السفن الخمس المخصصة للنقل البحرى التابع للأسطول الثانى ، فقد احتفظت

الولايات المتحدة أيضا باثنتى عشرة سفينة نقل بحرية طافية فى دييجو جارسيا محملة بالمعدات والمؤن للقوات التابعة للجيش الأمريكى والسلاح الجوى والقوات البحرية ، بحيث يمكن أن تنتشر فى مسرح العمليات فى حالة الطوارىء . وقد أسرعت عشر من هذه السفن صوب الخليج ، ومع مجىء شهر سبتمبر كانت قد أتمت إفراغ شحناتها . وكانت اثنتان من السفن الأولى للنقل البحرى الطافية التى وصلت إلى الموانىء السعودية تحمل معدات حربية لوحدات القوة الجوية الأمريكية .(٣٣) ووصلت سفينة أخرى من سفن النقل البحرى الطافية ، هى « نوبل ستار إم فى » إلى المملكة العربية السعودية فى ١٥ أغسطس ، وأفرغت حاوياتها ، وعددها ٤٠٠ حاوية ، خلال أسبوعين ، وكان مستشفى الميدان رقم ٥ التابع للبحرية الأمريكية ، « والذى يمتد على مساحة ٢٨ فدانا » ، يعمل بكامل طاقته .(٣٤)

ونشرت قيادة الجسر البحرى الحربى فى البحرية الأمريكية ثمانى سفن نقل بحرى سريعة من طراز « إس إل ـ ٧ » فى سافانا بولاية جورجيا لكى تنقل فرقة المشاه الآلية الرابعة والعشرين التابعة للجيش الأمريكى إلى المملكة العربية السعودية . وفى الحادى عشر من أغسطس ، كانت السفينة « كابيلا » هى أول سفينة من طراز « إس إل ـ ٧ » تبدأ رحلة الـ ٨٧٠٠ ميل إلى الدمام . ولما كانت السفينة قد أبحرت خلال رحلتها بسرعة متوسطة هى ٢٧ عقدة ، أى ٢٧ ميلا بحريا فى الساعة ، فإنها وصلت إلى الدمام فى ٢٧ أغسطس بحمولتها من دبابات « إم ـ ١ » ، ومركبات « برادلى » القتالية ، وشاحنات ، ومعدات أخرى . ولسوء الحظ ، تأخر نشر الفرقة الرابعة والعشرين ١٢ يوما عن الموعد المقرر بسبب عطل فى محرك إحدى سفن « إس إل ـ ٧ » ، وهى السفينة انتاريس ، ولم يستكمل النشر إلا فى ١٣ سبتمبر .(٣٥)

كذلك قامت « قيادة الجسر البحرى الحربى » بحشد سفن من « أسطول الاحتياطى الدفاعى القومى » والسفن الأمريكية والأجنبية المؤجّرة لنقل المهمات إلى الخليج . واشتملت المرحلة الأولى من الجسر البحرى ـ حشد القوات الأولى للقيادة المركزية ـ على أكثر من مائة وسبعين سفينة منها ٤٩ سفينة (٢٨ فى المائة) أجنبية .(٣٦) وخلال المرحلة الثانية للجسر البحرى ـ بين ديسمبر ١٩٩٠ ومارس ١٩٩١ ـ سيطرت « قيادة الجسر البحرى الحربى » على ٢٢٠ سفينة فى عملية أسفرت بحلول مارس ١٩٩١ عن وصول ٨٤ مليون رطل من الشحنات العسكرية إلى الموانىء السعودية يومياً .(٣٧)

ورغم أن الجزء الأكبر ـ أكثر من ٩٠ فى المائة ـ من المواد التى شحنت إلى شبه الجزيرة العربية وصلت بطريق البحر ، فإن الجسر الجوى الاستراتيجى لقى اهتماما أكبر من الجسر البحرى أثناء « عملية درع الصحراء » . ومشاهدة شريط فيديو لهبوط طائرة « سى ـ ٥ ايه » عملاقة تابعة للسلاح الجوى الأمريكى فى الظهران أشد إثارة بكثير من مراقبة سفينة وهى ترسو فى ميناء الدمام . ولعب الجسر الجوى بالفعل الدور الحاسم فى أغسطس ١٩٩٠ ، إذ قام بسرعة بنقل الألوية السريعة المقاتلة الأولى التابعة للفرقة ٨٢ المحمولة جواً بالجيش الأمريكى إلى الظهران وجبيل . وفى ذروة الجسر الجوى (أغسطس ـ سبتمبر) ، كانت طائرة نقل تهبط فى الظهران كل عشر

دقائق . وخلال عمليتى درع الصحراء وعاصفة الصحراء ، وصلت أغلبية القوات البرية الأمريكية ، التى نُشرت فى شبه الجزيرة العربية ، بطريق الجو . وأقلت طائرات نقل السلاح الجوى ، والطائرات المدنية المؤجرة تحت إشراف « قيادة الجسر الجوى الحربى » ٤٨٢ ألف شخص و ٥١٣ ألف طن من المعدات إلى مسرح العمليات .(٣٨)

بيد أن الجسر البحرى ظل العنصر الحاسم فى النجاح الكلى لعمليتى « درع الصحراء وعاصفة الصحراء » . فطائرات النقل التابعة للسلاح الجوى ، بما فى ذلك حتى طائرات « سى - ٥ ايه » العملاقة ، لم يكن باستطاعتها نقل معدات الفرق المدرعة تدريعاً ثقيلاً فى الجيش الأمريكى . كذلك فإن الأمر كان سينطوى على تكلفة عالية بغير مردود ، بعد اجتياز المراحل الأولى للأزمة ، أن يتم استخدام الطائرات لإرسال إمدادات كان يمكن إرسالها بطريق البحر . وعلى سبيل المثال ، فقد اعتمدت الفرقة ٨٢ المحمولة جواً على « الفليق البحرى » أثناء الأسابيع القليلة الأولى لـ « درع الصحراء » إلى أن لحقت بها وانضمت إليها إمدادات المظليين المحمولين جواً الذين جاءوا بطريق البحر .(٣٩) وكان الأمر سيتطلب تسيير أكثر من ثلاثة آلاف رحلة جوية بطائرات « سى - ١٤١ » لنقل الحمولة التى نقلتها أول ثلاث سفن نقل بحرية للوصول إلى جبيل .(٤٠) وكان مشاة البحرية ، الذين وصلت معداتهم بطريق البحر ، هم أول وحدات مدرعة تدريعاً ثقيلاً تصل إلى المملكة العربية السعودية . وبحلول ديسمبر ١٩٩٠ ، ومع انتهاء المرحلة الأولى للجسر البحرى ، كانت السفن التابعة « لقيادة الجسر البحرى الحربى » قد نقلت ٣,٥ مليون طن من الوقود و ١,١ مليون طن من المهمات إلى الخليج . وفى وقت لاحق ، أوضحت دراسة فى سلاح البحرية ما يلى :

« نقل الجسر البحرى ٢,٤ مليون طن من المهمات خلال الأشهر الستة الأولى من « درع الصحراء » . ومن باب المقارنة ، فإن هذه الحمولة تزيد أربع مرات على الحمولة التى نقلت عبر القنال الانجليزى إلى نورماندى أثناء العملية العسكرية التى قام بها الحلفاء لغزو أوروبا الغربية فى الحرب العالمية الثانية(*) ، وتزيد ٦ مرات ونصف المرة على الحمولة التى تم نقلها فى ذروة حشد القوات إبان الحرب الفيتنامية وخلال نفس الفترة الزمنية . وفى ٢ يناير عام ١٩٩١ ، وفى ذروة نشر القوات المشاركة فى عملية « درع الصحراء » ، كانت هناك ١٧٢ سفينة تعمل تحت قيادة الجسر البحرى الحربى . »(٤١)

وأتاح التوسع فى قدرات النقل الاستراتيجى - سواء بالجو أو بالبحر - خلال حقبة الثمانينات ، للولايات المتحدة أن تنقل بسرعة قوات هائلة إلى الخليج فى صيف عام ١٩٩٠ . وفى نهاية سبتمبر كان هناك أكثر من مائة ألف من أفراد القوات العسكرية الأمريكية داخل « إطار مسئولية القيادة المركزية » . وأرسلت المغرب ومصر وسوريا كتائب صغيرة إلى المملكة العربية السعودية للانضمام إلى القوات الأمريكية والعربية الخليجية التى تواجه العراقيين الذين كانوا يتحصنون وقتذاك فى الكويت . وكان من المنتظر وصول المزيد من القوات تباعا .

وفى البحر ، أرسلت معظم دول أوروبا الغربية - أو كانت بصدد إرسال - سفناً حربية للمساعدة

(*) بدأت هذه العملية يوم ٦ يونيو عام ١٩٤٤ . (المترجم) .

على تشديد الحظر . وفى الخامس والعشرين من أغسطس ، أصدر مجلس الأمن الدولى القرار رقم ٦٦٥ الذى كان ينص على دعوة الدول التى تملك قوات بحرية « وتتعاون مع حكومة الكويت » إلى اتخاذ الإجراءات الضرورية لتنفيذ بنود القرار رقم ٦٦١ .

ورغم السيطرة المطلقة الفعلية لقوات التحالف على البحار ، إلا أن تنفيذ العقوبات الاقتصادية ضد العراق لم يكن بهذا القدر من البساطة . فقد كان على القوات البحرية المتحالفة أن تطوف فى أنحاء ٢٥٠ ألف ميل مربع من الممرات البحرية فى الخليج العربى ، وخليج عمان ، والبحر الأحمر . وراقبت حركة المرور أسلحة من ١٤ دولة من القوات المتحالفة ، فى الجو وفى البحر فوق سطح المياه وتحت سطح المياه مباشرة . وفى الفترة بين أغسطس ١٩٩٠ ومارس ١٩٩١ تولت أكثر من ١٦٥ سفينة متحالفة ، حوالى ٨٠ فى المائة منها أمريكية ، اعتراض أكثر من تسعة آلاف سفينة تجارية ، وتم الصعود إلى سطح أكثر من ١١٠٠ سفينة لفحص البيانات الخاصة بحمولتها وتفتيش محتوياتها ، وتمت إعادة ستين سفينة ومنعها من إكمال رحلتها بسبب انتهاكها للعقوبات الدولية .(٤٢)

إلى أى مدى كان هذا الحظر فعالاً أو سيصبح كذلك ؟ سرعان ما أصبح هذا التساؤل محورا للنقاش . وفى وقت مبكر يرجع إلى أواخر شهر أغسطس ، ظهرت فى صحف الغرب أنباء عن نقص فى مواد أساسية ، مثل قطع الغيار اللازمة للجيش العراقى . وأعقب ذلك تكهنات حول الفترة الزمنية التى يستطيع خلالها العراق تحمل وطأة ضغوط الحظر .(٤٣) ولكن ، بصرف النظر عن هذه الضغوط وحجمها ، فإن صدام لم تصدر عنه أية إشارة تدل على عزمه التخلى عن الكويت . بل واصل تعزيز جيشه فى الكويت حتى أصبح قوامه ٢٦٥ ألف جندى فى أواخر أغسطس . ومع ذلك ، فإن الرد السريع والقوى من جانب دول التحالف اقنع الرئيس العراقى ـ فيما يبدو ـ بعدم مهاجمة المملكة العربية السعودية . وفى الأيام الأخيرة من أغسطس ، انسحبت أفضل الوحدات العراقية ، وهى فرق الحرس الجمهورى ، إلى مواقع احتياطية فى شمال الكويت .(٤٤)

كانت تلك التحركات العراقية ، وما ارتبط بها من احتشاد ضخم وسريع لقوات الائتلاف الجوية والبرية والبحرية فى مسرح العمليات ، علامة على نهاية المرحلة الأولى والأكثر خطورة « لدرع الصحراء » . وفى ٢٦ أغسطس ، انتقل الجنرال شوارتزكوف من « تامبا » إلى مركز قيادته المتقدم التابع للقيادة المركزية فى الرياض . وفى أول مقابلة صحفية أجراها ، أوضح شوارتزكوف أنه بينما كان لا يزال غير واثق من النجاح فى حالة وقوع ضربة عراقية فى الجنوب ، فإن أسوأ فترات الأزمة قد مرَّت .(٤٥) وفى الرابع من سبتمبر ، أمر شوارتزكوف أفراد الفرقة ٨٢ المحمولة جواً ومشاة البحرية بالتحرك صوب الشمال نحو الحدود السعودية . ولم يعد بوسع صدام أن يتحرك نحو الجنوب ، سواء إلى المنطقة الشرقية أو تجاه الرياض ، بدون مجابهة القوات البرية الأمريكية التى تساندها قوة كبيرة تصل إلى ١٨٠ طائرة مقاتلة تابعة للسلاح الجوى الأمريكى ، واثنتين من حاملات الطائرات تابعتين للأسطول الأمريكى ، وطائرات الفيلق البحرى للهجوم البرى ، وتشكيلة من القوات العربية التى تم نشرها فى العمق فى أنحاء شبه الجزيرة العربية .(٤٦)

وبإغلاق أبواب الخليج فى وجه صدام ، بدأ القادة السياسيون والعسكريون للتحالف مناقشة المسار الذى يجب أن تتخذه سياسة الائتلاف . وكانت عبارة « درع الصحراء » تحمل رنيناً دفاعياً يعبر عما كان يشكل بوضوح عملية دفاعية . وفى شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩٩٠ ، صرح السعوديون بأن الحشد العسكرى للقوات المتحالفة فى المملكة ليس مقدمة لهجوم عسكرى . وفى ٣١ أغسطس ، قال الجنرال شوارتزكوف للصحفيين بأنه « لن تكون هناك أى حرب ما لم يشن العراقيون هجوماً » .(٤٧) وأعلن الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع السعودى أن بلاده لن تكون « ميداناً لأى عمل غير دفاعى . »(٤٨) ومع أن القيادات العسكرية فى كل من الرياض وتامبا وواشنطن كانت تعد لخطط طوارىء لعملية تستهدف طرد صدام من الكويت ، إلا أن قوات التحالف لم تكن لتستطيع القيام بعمل هجومى قبل أواخر الخريف ، وهو الوقت الذى ستكون فيه الولايات المتحدة قد نشرت تماماً القوات المخصصة لتكون تحت إمرة القيادة المركزية .(٤٩)

وفى غضون ذلك ، علّقت دول التحالف آمالها على مظاهرة التضامن الدولى غير المسبوقة والحظر الاقتصادى الذى فرضته الأمم المتحدة . ولسوء الطالع ، تبدد بسرعة الأمل فى أن يؤدى التعاون الدولى إلى دفع صدام للانسحاب . وواصل صدام إبداء الازدراء والتحدى لأعدائه وتشديد قبضته على الكويت . وكان مدى جدوى العقوبات الاقتصادية محور مناقشة أيضا . فقد كان هناك الكثيرون ممن يتوقعون ـ أو على الأقل يأملون ـ أن يرغم الضغط الاقتصادى صدام على الخروج من الكويت ، غير أنه كان هناك آخرون ممن شككوا فى مدى فعالية الحظر أو رأوا أن الائتلاف يمكن أن يتفكك قبل وقت طويل من استسلام صدام .(٥٠)

ومن الواضح أن الحظر كان فعالاً . وبرهنت العقوبات على عزلة العراق على الساحة الدولية . وحال الحصار بين صدام والوصول إلى الأسواق العالمية ، وقضى على المصدر الرئيسى الذى يعتمد عليه فى الدخل ـ صادرات النفط ـ وحرم قواته المسلحة من سبل الحصول على قطع الغيار التى تحتاجها لصيانة المعدات الأجنبية الصنع .

غير أن فاعلية هذه الإجراءات الاقتصادية الدولية لم تكن تعنى بالضرورة أنها يمكن أن تكون حاسمة . فهناك أمثلة تاريخية محدودة لمعتدين تخلوا عن مكاسبهم تحت ضغط عقوبات فقط .(٥١) ومما لا شك فيه أن رفض صدام للتعاون مع التحالف الدولى بصورة كاملة حتى وقت متأخر هو شتاء ١٩٩١ ، رغم هزيمته فى حرب يناير ـ فبراير ١٩٩١ ورغم أن العقوبات ظلت سارية المفعول ، يدعم الرأى القائل بأن الإجراءات الاقتصادية وحدها لم تكن لترغم صدام على الخروج من الكويت .

وأفضل نموذج للعقوبات الاقتصادية « الفعالة » ـ وهو النموذج الذى طرح للمناقشة فى قاعات البنتاجون فى خريف عام ١٩٩٠ ـ هو الجهد الأمريكى فى عام ١٩٤١ لعزل اليابان . ولم تكن نتيجة ذلك الجهد ، بطبيعة الحال ، هى الانسحاب اليابانى من الصين ، وإنما مهاجمة الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور . وبالمثل ، كان كبار المسئولين فى إدارة بوش ـ ومنهم وزير الدفاع تشينى ـ يشعرون بقلق من احتمال أن يوجه صدام ضربة فى الجنوب ضد المملكة العربية السعودية

إذا بدأت العقوبات تخنق بغداد ، بدلاً من أن يستسلم .(٥٢) وحيث إن صدام ، وفقاً لتفسيره هو نفسه للأحداث ، قام بغزو الكويت فى أغسطس ١٩٩٠ فى محاولة للتملص من حصار اقتصادى ادّعى أن الولايات المتحدة هى العقل المدبر له ، فإن افتراض أنه يمكن أن يوجه ضربة عنيفة قبل أن ينسحب من الكويت كان افتراضا معقولا . ولم يكن لدى العسكريين الأمريكيين استعداد لترك زمام المبادرة لصدام والسماح له باختيار الزمان والمكان لبدء عمليات عسكرية مؤثرة .

وكان الوقت عاملا آخر له أهمية حاسمة : هل فى استطاعة الائتلاف أن يتفوق على صدام فى القدرة على الاستمرار ؟ لقد هز ارتفاع أسعار النفط ، الذى رافق الغزو العراقى للكويت ، النظام الاقتصادى العالمى . ذلك إن أسعار النفط ارتفعت من ١٥,٦٠ دولار للبرميل قبل الغزو إلى ٤٠,٤٠ دولار فى منتصف أكتوبر . وكلفت هذه الزيادة الاقتصاد الأمريكى ٢,٥ مليار دولار شهرياً ، علاوة على النفقات الأخرى المرتبطة بالجهد العسكرى .(٥٣) ولحقت ببلدان العالم الثالث أيضاً أضرار نتيجة أسعار الطاقة المتصاعدة والتكاليف الأخرى . وعلى سبيل المثال ، فإن ارتفاع أسعار النفط والحاجة لإعادة توطين العمال العائدين من الخليج كلّف الهند نفقات تقدر بـ ٢,٥ مليار دولار بحلول منتصف سبتمبر ١٩٩٠ .(٥٤) وخسرت الدول الديمقراطية الجديدة فى أوروبا الشرقية حوالى أربعة مليارات دولار كان العراق قد استدانها منها ، وعانت أيضا نتيجة ارتفاع أسعار الطاقة والركود الاقتصادى الذى عرض للخطر نجاح الإصلاحيين .(٥٥)

وهدد الإرهاب بتقويض أئتلاف كان برغم اتساعه يتصف بأنه ، كما قال الوزير تشينى ، « هش نسبياً ومشروع معقد . »(٥٦) وقد أخذ التحالف هذه التهديدات بجدية . وتحدث رئيس « جبهة التحرير الفلسطينية » من منزله فى بغداد فوصف صدام بأنه « رجل الأفعال المحسوسة وليس الشعارات » ، وحذر من أنه فى حالة هجوم أمريكى ، فإن المصالح الغربية فى أوروبا والشرق الأوسط ستكون هدفاً لضربات انتقامية .(٥٧) وأثار احتمال وقوع عمليات إرهابية عراقية أو بتشجيع عراقى انزعاج حلفاء أمريكا من العرب بوجه خاص .(٥٨)

كذلك فإن « درع الصحراء » تسببت فى ضغوط قاسية على العسكريين الأمريكيين . وقد أكد الجنرال باول للكونجرس أن قوة كبيرة يمكن أن تبقى فى شبه الجزيرة العربية لمدة قد تصل إلى سنة .(٥٩) ولسوء الحظ ، فإنه لم تكن هناك مؤشرات ترجح أن العراق سوف يذعن خلال ١٢ شهراً . ثم إن المملكة العربية السعودية لم تكن أوروبا الغربية ، ولم يكن فى الإمكان الإبقاء على القوات الأمريكية المنتشرة فى الصحراء بطريقة غير مريحة إلى حد ما .. إلى الأبد فى الميدان .

وكان حجم ونطاق الانتشار العسكرى يعنى فى حد ذاته استحالة تحمل التزام عسكرى إلى ما لا نهاية . لقد استمر نشر وحدات القوات البرية الأمريكية بنفس المستوى من القوة - دون تخفيف - حتى مطلع خريف عام ١٩٩٠ ، غير أن المرحلة الأولى من الحشد الجوى والبحرى انتهت قبل ذلك بكثير . إذ أنه بحلول منتصف سبتمبر ، كانت مقومات السلاح الجوى الأمريكى المخصصة للقيادة المركزية قد أكملت فعلياً انتشارها فى الخليج .(٦٠) ومع وجود اثنين من ألوية الحملات البحرية على الشاطىء ولواء آخر عائم ، يكون الفليق البحرى قد نشر أكثر من ثلث قوته

فى أوائل أكتوبر .(٦١) وتجاوزت البحرية الأمريكية الحد فى انتشارها بوضع ثلاث من حاملاتها الأربع عشرة فى البحر فى ميدان تطلب سبع حاملات للاحتفاظ بواحدة فى الموقع .

وشكلت المناوبة المنظمة لقوة كبيرة على هذا النحو مشكلة صعبة للغاية بالنسبة للعسكريين الأمريكيين رغم إمكانية التغلب عليها . ولكن خبراء التخطيط فى البحرية الأمريكية والفيلق البحرى والسلاح الجوى كانوا يدركون منذ وقت مبكر يرجع إلى شهر سبتمبر أن أى خطة للمناوبة سوف تضعف الفاعلية القتالية للقوات التى كان سيتم نشرها فى الميدان ابتداء من ربيع ١٩٩١ .

كذلك لم يكن السعوديون وعرب الخليج الآخرون تواقين لرؤية القوات الغربية تبقى فى شبه الجزيرة العربية إلى أجل غير مسمى . وتوصل صناع القرار السياسى فى كل من واشنطن والرياض إلى أنه سيكون من الأفضل لكل الأطراف المعنية أن يتم حل الأزمة قبل موسم الحج إلى الأماكن الإسلامية المقدسة فى مكة والمدينة فى غربى المملكة العربية السعودية ، والذى يبدأ فى يونيو ١٩٩١ . ورغم الرفض السعودى السابق لخيار الهجوم العسكرى ، فقد أشار الملك فهد فى اجتماع فى أوائل أكتوبر فى جدة مع الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران إلى أن لديه شكوكا فى فعالية العقوبات الاقتصادية ، وتوقع حلاً عسكرياً للأزمة المحتدمة حول الكويت .(٦٢)

وفى أكتوبر ، شاركت إدارة بوش السعودية رأيها ، رغم أن قلة من صناع السياسة الأمريكيين هى التى كانت تود أن تظهر فى صورة الساعية إلى الحرب فى وقت كشفت فيه استطلاعات الرأى أن الشعب الأمريكى كان يعارض شن هجوم لطرد العراقيين من الكويت . ونادراً ما كانت تقارير وسائل الإعلام ، التى كانت تستند إلى أنباء متسربة من « مصادر حكومية » ، تعبر عن الرأى القائل بأنه من المرجح أن ترغم العقوبات الاقتصادية صدام على الانسحاب من الكويت فى أى وقت قريب .(٦٣) ومع أن الكثيرين فى الكونجرس عارضوا الخيار العسكرى ، فقد أعرب آخرون عن شكهم فى فعالية الحظر . وفى مقابلة صحفية فى أوائل سبتمبر ١٩٩٠ مع « ليس اسبن » ، وهو عضو ديمقراطى من ويسكونسين ورئيس لجنة شئون القوات المسلحة بمجلس النواب الأمريكى ، علق قائلاً : « حالة الترقب لا يمكن أن تدوم إلى الأبد . نحن نعبىء ، وصدام حسين يعبىء ، هناك نشاط زائد فى كل مكان . وإننى أقول إن الأزمة ستصل إلى الذروة خلال ستة أشهر كحد أقصى ، وربما قبل ذلك بكثير . »(٦٤)

ولكن إذا لم تكن الغضبة الدولية كافية لإقناع صدام بالانسحاب ، وإذا لم يكن تأثير الحصار قصير الأجل وطويل الأجل كافيا لكى يحقق هذا الانسحاب ، فهل سيؤيد المجتمع الدولى ، وحلفاء الولايات المتحدة ، والأكثر أهمية ، هل سيؤيد الشعب الأمريكى استخدام القوة العسكرية ؟ ورغم التوازن الدقيق على ما يظهر بين هؤلاء الراغبين فى استخدام القوة لطرد العراقيين من الكويت ، وغير الراغبين فى استخدامها ، فإن إدارة بوش كانت على يقين من أن القيادة الحازمة من جانب الولايات المتحدة ستحقق إجماعاً داخلياً ودوليا على تأييد الخيار العسكرى .

كان هناك أساس صحيح لذلك الادعاء . فمع امتداد أجل الأزمة ، بدا أن الحلفاء العرب الرئيسيين أكثر استعدادا للجوء إلى القوة فى محاولة لإنهاء الجمود . وكانت بريطانيا العظمى ، الدولة

الأوروبية التى أرسلت بأكبر قوة عسكرية إلى شبه الجزيرة العربية ، راغبة فى الوقوف إلى جانب حليفها الأمريكى . وفى الولايات المتحدة ، كان اعتقاد إدارة بوش بأن الأمريكيين سيؤيدون حرباً لإخراج صدام من الكويت يستند إلى تقييم واقعى لوطنية الشعب ، على أن هذا الاعتقاد كان لا يتعارض مع إدراكها أن التأييد لصراع دموى أو بلا نهاية سوف يتآكل بسرعة . فرغم الجراح التى خلّفتها حرب الهند الصينية ، ساند الأمريكيون عمليات عسكرية سريعة فى ليبيا وجرينادا وبنما . وواجهت إدارة ريجان متاعب فى لبنان حيث بدا التورط الأمريكى محدوداً ، ولكنه انقلب إلى تورط دموى وبلا نهاية . وهكذا ، فإذا استطاع القادة العسكريون أن يطمئنوا الرئيس على أن اللجوء إلى السلاح يمكن أن يكون سريعاً وغير دموى ، فإن الحكومة الأمريكية كانت مقتنعة بأنها يمكن فى هذه الحالة أن تعتمد على تأييد الشعب الأمريكى .

ولكن ، هل سيكون الجهد العسكرى لطرد جيش صدام من الكويت سريعاً وغير دموى ؟ إن تقدير الاحتمالات بشأن تكاليف الحرب كان له تأثيره ليس فقط على توجهات السياسة العسكرية والتخطيط العسكرى ، بل أيضا على المناقشات الدولية والأمريكية المحلية حول المسار الذى ينبغى انتهاجه . والمشكلة التى واجهتها إدارة بوش فى أوائل خريف عام ١٩٩٠ هى أن الجنرال باول والجنرال شوارتزكوف لم يكونا على استعداد لتقديم تأكيدات بأن الحرب لن تتحول إلى حملة طويلة دامية .

كان التخطيط العسكرى الأمريكى للخليج العربى فى حالة تغير مستمر فى صيف عام ١٩٩٠ . فمنذ خريف ١٩٨٩ ، وتحت قيادة الجنرال باول كرئيس لهيئة الأركان المشتركة فى واشنطن والجنرال شوارتزكوف كقائد للقيادة المركزية فى تامبا ، بدأ العسكريون الأمريكيون يغيرون بؤرة التخطيط الأولى للقيادة المركزية من ضرورات مواجهة زحف سوفيتى قادم من القوقاز وآسيا الوسطى نحو الخليج العربى إلى ضرورات الرد على تهديد إقليمى من نوع التهديد الصادر عن إيران أو العراق . وبالنسبة لباول وشوارتزكوف ، كان التهديد السوفيتى لا يعكس الواقع العسكرى الإقليمى فى منتصف وأواخر الثمانينات ، بقدر ما كان يعكس الهموم المعتادة للحرب الباردة والقلق فى أوائل الثمانينات الذى نجم عن غزو موسكو لأفغانستان ، ذلك الغزو الذى أدى إلى ظهور مبدأ كارتر وتأسيس قوة الانتشار السريع التى حلت محلها القيادة المركزية .

وقام شوارتزكوف ، بعد أن تولى القيادة فى تامبا فى نوفمبر ١٩٨٩ ، وبناء على أوامر باول ، بتغيير اتجاه عمل مخططى القيادة المركزية لكى ينصب اهتمامهم على التهديدات من داخل المنطقة . وفى أواخر الثمانينات ، كان التهديد المرجح هو العراق بعد أن أنهكت إيران وانبطحت أرضاً نتيجة ثمانى سنوات من الحرب . فقد أرسل صدام إلى الميدان برابع أكبر جيش فى العالم ، قوامه مليون جندى تقريبا ، وأكثر من خمسة آلاف دبابة .

وفى ظل قيادة شوارتزكوف ، أصبح « السيناريو العراقى » هو بؤرة ومحور تخطيط القيادة المركزية . وأظهرت المناورات العسكرية والدراسات ، بما فيها المناورات العسكرية الكونية فى صيف عام ١٩٩٠ التى أجريت فى الكلية الحربية البحرية فى نيوبورت (رُود ايلاند) مدى

الصعوبة التى كانت ستواجه الولايات المتحدة فى التعامل مع زحف عراقى على شبه الجزيرة العربية . وأجرت القيادة المركزية نفسها مناورة عسكرية محورها العراق - تحمل اسم « نظرة داخلية ٩٠ » - فى الأسبوع الأخير من يوليو .(٦٥) واستعاد الجنرال تشارلس هورنر ، قائد القوات الجوية المركبة التابعة للجنرال شوارتزكوف ، وقائع تلك المناورة فى وقت لاحق ، فقال :

« كنا نقوم بذلك [حملة جوية فى ظروف الطوارىء ضد العراق فى ربيع ١٩٩٠] من الناحية النظرية ، وكانت مهمتى تحديد الموارد التى سأحتاج إلى توفيرها للفريق المحارب - إذا حدث ووقعت الواقعة فى يوم من الأيام - فى مجالات القيادة والسيطرة ، وفيما يتعلق بأنواع الطائرات والأماكن التى تستقر فيها .

« فى ذلك الوقت كان لدى السلاح الجوى ما تقدر قيمته بنحو مليار دولار من المعدات المخزونة سلفا . كانت كل المهمات موجودة بالفعل هناك (فى المملكة العربية السعودية) - من مؤن حربية ووقود وأشياء من هذا القبيل . »(٦٦)

وفى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ كانت هيئة القيادة برئاسة شوارتزكوف لا تزال مستغرقة بلا طائل فى إعداد مشروع خطة تحمل اسم « خطة العمليات ٩٠ - ١٠٠٢ » كانت مهمتها توجيه عمل القيادة المركزية خلال الأزمة القادمة .

وكل ذلك التخطيط والمناورات العسكرية اوضح أن حرباً ضد العراق ستكون باهظة التكاليف ودموية وممتدة على الأرجح . وستكون الفترة الحاسمة للحملة العسكرية هى الأسبوعين الأولين ، والتى من المتوقع أن يزحف العراقيون خلالهما صوب الجنوب فى محاولة لاجتياح الموانىء والمطارات التى يحتاج إليها الأمريكيون لدعم الحشد العسكرى الأمريكى . وكان شوارتزكوف يأمل فى أن تساعد أزمة إقليمية طويلة الأجل فى تمكين الأمريكيين من الشروع فى مرحلة الحشد قبل البداية الفعلية للعمليات العسكرية ، غير أن العراقيين اقتحموا الكويت قبل وصول جندى أمريكى واحد إلى الميدان . ولحسن الحظ ، أن جيش صدام توقف دون أن يواصل زحفه نحو المملكة العربية السعودية .

ولكن إذا كانت الولايات المتحدة قد « تفادت الرصاصة » المسددة إليها فى الخليج بفضل تواضع أهداف صدام أو خوفه من المواجهة مع القوات الأمريكية ، فإن المشكلة ظلت قائمة : كيف يمكن إخراج العراقيين من الكويت . ونظرت فروع القوات المسلحة الأمريكية إلى هذه المشكلة من زوايا متباينة تماما . فقد رأى كبار قادة الجيش الأمريكى - وهم يواجهون مئات الآلاف من الجنود العراقيين المتحصنين فى الكويت - أن شن هجوم برى يمكن أن يؤدى إلى خسائر كبيرة فى الأرواح ، وأقروا بأن الجزء الأكبر من هذه الخسائر البشرية الأمريكية ستقع فى صفوف أفراد الجيش . وشارك كبار ضباط الفيلق البحرى الأمريكى .. أشقاءهم فى الجيش العديد من مخاوفهم ، رغم أن الفيلق بوجه عام بدا أقل تحفظاً تجاه الخيار العسكرى . أما الأسطول الأمريكى ، الذى كان مستغرقاً بالفعل فى إكمال حلقات الحصار ، فإنه سيلعب دور المساند فقط فى أى حملة عسكرية . وستقوم حاملات الطائرات وصواريخ توماهوك كروز ، التى تطلق من السفن العائمة أو الغواصات ، بمساندة العمليات الجوية ككل ، وتوفير مساندة جوية عن كثب لهجوم برى .

وتستطيع سفن الأسطول البرمائية إنزال مشاة البحرية على طول الساحل الكويتى ، بينما تتولى سفن السطح المقاتلة ، وبالأخص السفن الحربية القديمة مثل ويسكونسين ، توفير المساندة بنيران المدفعية . وهكذا يمكن للبحرية أن تتوقع أن تمنى بخسائر بشرية محدودة ، ربما عشرين من الطاقم الجوى ، إذا قرر الرئيس بوش استخدام القوة لإرغام صدام على الخروج من الكويت . ورغم أن السلاح الجوى الأمريكى سيتحمل العبء الرئيسى لأى حرب جوية ، فإنه كان يقدر خسائره بالمئات فى أسوأ الأحوال ، وليس بالآلاف كما كان متوقعاً بالنسبة لخسائر الجيش . وإلى جانب ذلك ، فإن القيادة العليا للسلاح الجوى كانت ترى أن هناك مبالغة جسيمة فى تقدير القوة العسكرية لصدام وأنه يمكن إلحاق الهزيمة بقواته ، أو على الأقل دفعها إلى حافة الهزيمة ، بالسلاح الجوى وحده .

وبحلول منتصف سبتمبر ، وهو الوقت الذى وصل فيه إلى الخليج الجزء الأكبر من قوات السلاح الجوى الأمريكى المقرر نشرها ، كان هذا السلاح مستعداً للعمل .(٦٧) وكانت القيادات العسكرية فى واشنطن والرياض قد وضعت خططاً تفصيلية لتدمير العراق وقواته فى هجوم جوى شامل .(٦٨) وعندما طار الجنرال مايكل دوجان ، رئيس أركان حرب القوات الجوية ، إلى المملكة العربية السعودية وبرفقته الصحفيان ريك اتكنسون من صحيفة « واشنطن بوست » ، و « جون موروكو » من « افييشن ويك آند سبيس تكنولوجى » (أسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء) ، تحدث دوجان بالتفصيل عن حالة وطبيعة التخطيط مع هذين الصحفيين . قال إنه إذا اتجه الرئيس إلى الخيار العسكرى ، فإن الولايات المتحدة ـ طبقاً لخطة العمليات ٩٠ ـ ١٠٠٢ ـ سوف تستخدم كل قوتها لأداء المهمة ، وأن القوة الجوية هى « الرد الوحيد » على معضلة طرد صدام من الكويت دون تحمل خسائر بشرية أمريكية فادحة . وأبلغ دوجان الصحفيين بأن « الحد الفاصل سيكون فى قلب المركز التجارى لبغداد . »(٦٩) ونوه بأن مقومات السلاح الجوى الموجودة بالفعل فى المملكة العربية السعودية تكاد تكون فى نفس مستوى قوة تلك المقومات التى نُشرت فى أوروبا لوقف السوفيت . وأشار رئيس أركان حرب القوات الجوية إلى الجيش العراقى باستخفاف قائلا إنه « غير كفء » ، وأبلغ الصحفيين بأن للسلاح الجوى لصدام « قدرة عسكرية محدودة » . وحذر الجنرال جيمى آدامز ، نائب رئيس الأركان لشئون الخطط والعمليات ، قائلاً « لا أقصد أن أخبركم بأننا لن نخسر أى طائرات ، ولكننى أعتقد أنها مخاطرة يسهل السيطرة عليها » . ومن وجهة نظر دوجان ، فإن فرق البحرية والجيش يمكن أن تؤمن القواعد فى المملكة العربية السعودية ، وأن تشن هجمات لصرف أنظار العراقيين بعيداً عن العملية الرئيسية وهجمات على أجنحة الجيش العراقى . وأضاف أن السلاح الجوى سيدمر قدرة العدو على المقاومة بحيث تستطيع القوات البرية أن « تمضى قدما دون أن تضطر للقتال » . وأعرب دوجان أيضا عن القلق من الضجر فى حالة استمرار « درع الصحراء » إلى ما لا نهاية .

كانت آراء دوجان هى السائدة على نطاق واسع داخل السلاح الجوى ، ويشاركه فيها طيارون آخرون من قوات جوية غير أمريكية أيضا . وصرح الجنرال رويال مور ، قائد جناح طيران البحرية الثالث فى الفيلق البحرى ، لميليسا هيلى ، الصحفية فى « لوس انجيليس تايمز » ، بقوله :

« إن رأينا ، ورأى السلاح الجوى وآخرين ، أننا نستطيع إرغام هؤلاء الفتيان على التقهقر ، وأعتقد أننا نستطيع أن نفعل ذلك بفاعلية شديدة جداً . إننى لن أقول إننا ذاهبون لحفلة راقصة ، ولكننا إذا فعلنا ذلك بطريقة سليمة ، فإن الخسائر البشرية ستكون طفيفة كما نأمل . »(٧٠)

ولكن وزير الدفاع فصل دوجان من الخدمة فى ١٧ سبتمبر . واتهم تشينى رئيس أركان القوات الجوية بأنه أدلى بتصريحات علنية للصحافة تكشف عن « تقييم ردىء فى وقت حساس » ، وقال إنه أفصح عن « أشياء لا نتحدث عنها أبداً . »(٧١) كانت الخطة الجوية التى استعرضها الجنرال دوجان هى إعلان مسبق بالفعل عن العملية التى جرى تنفيذها فى يناير وفبراير ١٩٩١ . ذلك أن الحملة الهجومية الجوية كانت جهدا شاملا وجه الضربة لقلب بغداد فى اليوم الأول . ولم تكن الحرب البرية سوى عملية تطهير من بقايا جيش العدو لإتمام المهمة ، وهو نفس ما تنبأ به دوجان .

وبالقطع ، فإن صراحة دوجان مع الصحفيين هى التى أدت إلى عزله ، وليست أية مناقشة استراتيجية بين أسلحة الجيش الأمريكى . غير أن تعليقات رئيس أركان حرب القوات الجوية كانت تعكس بالفعل الانقسام داخل الجهاز القيادى للعسكرية الأمريكية حول الاستراتيجية والدور المسند إلى القوات الجوية . وكانت الآراء التى عبر عنها دوجان علناً تتعارض مع آراء الجنرال شوارتزكوف ، القائد الميدانى الذى أمسك بزمام قيادة العمليات فى المملكة العربية السعودية ، وآراء رئيس هيئة الأركان المشتركة الجنرال باول . فقد كان هذان القائدان من قادة الجيش الأمريكى أقل حماساً فيما يتعلق بربط نجاح الجهد العسكرى الأمريكى بالمهمة التى سيضطلع بها السلاح الجوى الأمريكى ، وكانا يعتقدان أن الجيش والقوات البرية للفيلق البحرى ستدفع الثمن إذا اختار الرئيس أن يستخدم القوات العسكرية لتحرير الكويت . وقال شوارتزكوف لأحد الصحفيين :

« لقد تبين لنا ـ كولين باول وأنا ـ منذ وقت مبكر جداً أن حملة قصف استراتيجى من الجو لم تحقق وحدها انتصارا فى حرب ، ولم ترغم قط أى شخص على أن يفعل أى شىء إذا لم يكن يريد أن يفعله . ولا أعتقد أننا على وجه التخصيص قد اقتنعنا يوماً بأن المسألة تتم على هذا النحو . ومن هنا بدأنا الحديث بالفعل عن حملة برية . »(٧٢)

وبالمثل أبلغ باول الكونجرس فى ديسمبر ما يلى :

« إن العديد من الخبراء والهواة وغيرهم فى هذه المدينة يعتقدون بأنها مهمة يمكن إنجازها بطريقة تشبه الضربات الجوية الجراحية أو ربما بطريقة الضرب الجوى المستمر . وهناك مجموعة متنوعة من الخيارات الأخرى اللطيفة والمرضية ، يقال بالإضافة إلى ذلك إنها قليلة التكلفة والتى يحتمل أن تكون ناجعة ، جرى ترديدها بانتظام فى هذه المدينة .

والعيب الأساسى القاتل فى كل هذه الاستراتيجيات هو أنها تترك زمام المبادرة فى أيدى صدام حسين . إنه صاحب قرار ما إذا كان سينسحب أو لا ينسحب . وهو الذى يقرر ما إذا كان قد عوقب بما فيه الكفاية ، وبالتالى فإنه من الضرورى الآن بالنسبة له أن يسير فى الاتجاه المضاد ويتخذ مسلكاً سياسيا جديداً . تلك الاستراتيجيات قد تصلح ، غير أنها قد لا تصلح أيضاً ، حيث إنها تترك المبادرة بين يدى صدام حسين . »(٧٣)

وانتهج الجنرال باول نفس هذا الخط فى المجادلة ـ مشكلة ترك المبادرة فى أيدى صدام ـ فى مناقشته للعقوبات الاقتصادية أثناء شهادته العلنية أمام الكونجرس .(٧٤) ولكن إذا كان باول ـ كما يدّعى بوب وودوارد ـ يفضل فى الواقع منح العقوبات الوقت الكافى لتحدث أثرها ، فإن رئيس هيئة الأركان المشتركة لم يكن على المستوى المطلوب من الصراحة مع الممثلين المنتخبين للشعب الأمريكى .(٧٥) وعلاوة على ذلك ، فإنه لو كان باول مستعداً لترك المبادرة لصدام فى محاولة للانتظار والترقب لرؤية ما إذا كانت العقوبات ستحدث أثراً ، فلماذا كان غير مستعد للتخلى عن نفس تلك المبادرة لصدام ومنح السلاح الجوى الأمريكى الفرصة لرؤية ما إذا كان يستطيع إرغام العراقيين على الخروج من الكويت بالقوة الجوية وحدها ؟ ولسوء الحظ ، فإن آراء الجنرال باول الحقيقية وقتها لا تزال سراً غامضاً . والصورة التى قدمها وودوارد لتفكير رئيس الأركان المشتركة تتناقض مع ما ذهب إليه مدير هيئة الأركان المشتركة الجنرال توماس كيلى الذى صرح بأنه لم يكن هناك أحد يتوقع أن تُحدث العقوبات أى أثر فى أى وقت قريب .(٧٦) واحد من الاثنين ، إما وودوارد أو كيلى ، قدم صورة غير دقيقة لآراء رئيس الأركان المشتركة ، أو أن معلومات خاطئة قُدمت لمدير هيئة الأركان المشتركة ، والكونجرس ، ورئيس الولايات المتحدة حول حقيقة تفكير الجنرال باول .

وبصرف النظر عن آراء رئيس الأركان ، فإن الحشد العراقى المستمر فى مسرح العمليات الكويتى ، وبلوغه حجم قوة تقدر بأكثر من ٣٦٠ ألف رجل فى منتصف سبتمبر ، زاد من قلق الجنرال شوارتزكوف والجنرال باول حول الخسائر المتوقعة فى حالة شن هجوم برى .(٧٧) ولم يشارك الجيش الأمريكى الجنرال دوجان فى رأيه بشأن « عدم كفاءة » الجيش العراقى . وكثرت المخاوف من وقوع حمامات دم . وبلغت التقديرات العسكرية الرسمية للخسائر البشرية المتوقعة رقماً كبيراً يصل إلى عشرين ألفا ، منهم سبعة آلاف قتيل .(٧٨) ووضعت هذه التصورات هيئات أركان القيادة المركزية وهيئة الأركان المشتركة ، وكانت هذه التصورات تعكس آراء أو مخاوف شوارتزكوف وباول ، وهو أمر لا يبعث على الدهشة . ومن دواعى السخرية ، أن التقديرات الرسمية السرية للخسائر البشرية كانت تتطابق إلى حد بعيد مع تقديرات عدد لا يحصى من « الخبراء » المدنيين الذين كان الكثيرون منهم ينتقدون بانتظام السياسات الدفاعية للولايات المتحدة ، والذين تنبأوا أيضا بخسائر بشرية فادحة تشمل عدداً كبيراً من القتلى الأمريكيين يصل إلى عشرة آلاف .(٧٩)

ولكن ، لم يعتنق الجميع ذلك الرأى القائل بأن الخيار العسكرى سيقود بالضرورة إلى تحويل الكويت إلى سلخانة للأمريكيين . وكان الجنرال ميريل ماك بيك ، رئيس أركان القوة الجوية ، مثل سلفه الجنرال دوجان ، يرى أن السلاح الجوى يمكن أن يؤدى المهمة . وذكرت التقارير أن ماك بيك أبلغ الجنرال باول رئيس الأركان خلال اجتماع معه فى شهر أكتوبر بما يلى :

« اغثنى يا رب ... ، هذا بحق السماء بلد من العالم الثالث ، بلد صغير يتكون من مدينة واحدة . إننا نجعل الأمر يبدو كأنه الحرب العالمية الثالثة . نحن لن نحصل على شهادات بدرجات الإبداع عند نهاية هذا الشيء . علينا أن نحاول أن نجعل الأمور تبدو سهلة بدلاً من أن نجعلها تبدو صعبة . والموضوع الذى يشغلنى هو أننا ننتظر أكثر مما يجب . »(٨٠)

وقد تنبأ الكولونيل ت . ن . دوبوى ، خبير الإحصاءات العسكرية ذائع الصيت ، بهزيمة الجيش العراقى فى غضون عشرة أيام من القتال البرى الذى ستمنى الولايات المتحدة خلاله بخسائر بشرية تقدر بـ ٨٠٩١ جنديا منهم ١٢١٤ قتيلاً .(٨١) ووضع جوشوا ابشتين ، من معهد بروكنجز ، نموذجاً تكهن بأن الخسائر البشرية سوف تتراوح بين ٣٣٤٤ و ١٦٠٥٩ جنديا ، منهم عدد يتراوح بين ١٠٤٩ و ٤١٣٥ قتيلا فى المعارك .(٨٢)

لماذا هذا التفاوت فى تقديرات الخسائر ؟ لقد كان لدى المنتقدين الدائمين للسياسات الدفاعية الذين يعارضون استخدام القوة العسكرية ، المبرر بوضوح للتكهن بوقوع حمامات دم لإحباط الخيار العسكرى . ولكن ، ماذا عن التقديرات الصادرة عن هيئة الأركان المشتركة والقيادة المركزية ؟ هل استخدم الجنرال باول والجنرال شوارتزكوف ، أو الهيئات القيادية العسكرية الخاضعة لهما ، تقديرات الخسائر البشرية فى محاولة للتأثير على اتجاه السياسات ؟

إن الكيفية التى توصل بها العسكريون الأمريكيون إلى تقديرات للخسائر البشرية تتراوح بين عشرين وثلاثين ألفا مازالت غير واضحة . ففى أثناء الحرب الكورية ، التى كانت تشبه كثيراً الموقف الذى واجهته الولايات المتحدة فى خريف عام ١٩٩٠ ، من حيث أبعاد الانتشار وطبيعة القتال ، منى العسكريون الأمريكيون بحوالى ألف قتيل فى المتوسط كل شهر فى المعارك . وحتى إذا استخدمنا إحصاءات الحرب الكورية ، وتجاهلنا أن معدلات الخسائر قد انخفضت مع مرور سنوات القرن العشرين ، فإنه من الصعب فهم كيف استطاع أى شخص ـ والعسكريون الأمريكيون على الأخص ـ أن يتنبأ بسقوط عدد يتراوح بين سبعة وعشرة آلاف قتيل فى المعركة .

ويمكن تفسير مثل هذه التقديرات التى كانت تنذر بكارثة ـ جزئيا ـ بأنها تعبير عن مغالاة جسيمة فى تقدير قدرات العسكرية العراقية من جانب الجيش الأمريكى . فقد وصف مؤلف دراسة علمية فى الجيش الأمريكى .. جيش صدام بأنه « آلة مدمرة . »(٨٣) وتوصلت الدراسة إلى أن :

« إن محاولتنا فى الوقت الراهن إرسال قوات أمريكية وإقحامها فى نزاع شرق أوسطى تعنى أننا نضع هذه القوات أمام مخاطرة كبرى . وبادىء ذى بدء ، فإننا لم نستطع أن نرسل إلى ميدان القتال قوة بالحجم الذى تتطلبه ضرورات حماية نفسها بصورة كافية . كما تنقصنا وسائل النقل الجوى والبحرى اللازمة لنشر قوات فى المنطقة قادمة من قواعد فى الولايات المتحدة وأوروبا . وكما سلفت مناقشته ، فإنه يحتمل أن نكون قد عجزنا عن الاعتماد على حكام الخليج فى الحصول على المساندة ، الأمر الذى يعنى أن علينا أن نعمل من مكان ما خارج المنطقة . وباليقين ، فإننا إذا كرسنا كل طاقاتنا فى العملية ، نستطيع أن نحقق نجاحا ، ولكنه نجاح باهظ التكاليف بدرجة هائلة . »(٨٤)

وفى وقت لاحق ، اعترف الجنرال كروسبى سانت ، القائد العام للجيش الأمريكى فى أوروبا ، قائلا : « إذا تطلعنا إلى الوراء ، كان يجب أن نعلم من البداية بأن العراقيين ربما امتلكوا جيشا تكتيكيا جيدا بدرجة معقولة ، ولكنه لا يرقى إلى مستوانا . »(٨٥)

وعبر عن هذه الأفكار شوارتزكوف وباول ومعاونوهما ، وهؤلاء الذين يرتدون الأزياء العسكرية على الأقل . وفى وقت مبكر من العملية أسدى شوارتزكوف ، وفقاً لروايته هو نفسه ،

للرئيس « مشورة مروعة » ، فقد أبلغ بوش بأن القيادة المركزية سوف تحتاج « إلى قوة أكبر بحوالى خمس مرات من تلك التى حصلت عليها فى نهاية المطاف ، وذلك سيستغرق سبعة أو ثمانية شهور إضافية ، أى إلى وقت أطول مما استغرقته فعلياً لأداء المهمة . »(٨٦) وعندما وصل نائب شوارتزكوف إلى واشنطن فى منتصف أكتوبر لتقديم تقرير إلى الرئيس ، بالغت القيادة المركزية ، مرة أخرى ، فى صعوبة المهمة المرتقبة .

« بحلول منتصف شهر أكتوبر ، كان قد تم الإعداد لحملة جوية استراتيجية قوية كاملة يسهل تنفيذها مائة فى المائة بحيث يمكن أن تصل إلى أهداب جفن بعوضة صغيرة . وعدنا إلى واشنطن لنقدم تقريراً للرئيس . وتم إبلاغنا بما يلى : « آه ، على فكرة ، عليك بأن تعرض الخطة البرية فى نفس الوقت . » وجعلت الحملة البرية كل امرىء يرغى ويزبد ، لأن تقديرى للموقف كقائد هو أنك لا تستطيع الانتقال إلى هناك من هنا . ومن ثم صدر القرار بإرسال بقية القوات . »(٨٧) .

وفى الحقيقة ، فإن التقرير الذى قدمه القائد البحرى الجنرال روبرت جونستون ، نائب شوارتزكوف ، فى العاشر من أكتوبر جعل القيادة العسكرية الأمريكية العليا فى حالة اضطراب .(٨٨) فقد بدت خطط الحرب الجوية مدروسة جيداً ومبشرة ، ولكن القيادة المركزية صاغت فى عجلة ، باعترافها ، الخطوط العريضة لحرب برية اشتملت على هجوم برمائى على الساحل الكويتى يترافق مع هجوم مباشر لقوات التحالف على المواقع العراقية داخل الكويت . وكانت هذه الخطوط العريضة أشبه بوصفة طبية لتحقيق كارثة . واعتقد شوارتزكوف أنه يفتقر إلى القوة البرية الكافية لعمل أى شىء آخر ، مثل القيام بعملية للالتفاف حول الجناح الأيمن للجيش العراقى . كما لم يكن الجنرال باول والجنرال شوارتزكوف يريان أن القوة الجوية وحدها يمكن أن تكسب حرباً .

وحينذاك أصبحت إدارة بوش تواجه قراراً صعباً . لقد نفد صبر الرئيس مع صدام منذ وقت مبكر يرجع إلى أواخر سبتمبر .(٨٩) وبدا أن احتمال تسوية سريعة للأزمة قد بات معدوماً . وفى منتصف أكتوبر ، وصلت الوحدات المدرعة الأولى لفرقة الفرسان الأولى التابعة للجيش الأمريكى وكتيبة الفرسان المدرعة الثالثة إلى المملكة العربية السعودية .(٩٠) واكتملت تقريبا تحركات قوات القيادة المركزية ، ولكن الجنرال شوارتزكوف اعتبر الوحدات التى تم نشرها حتى ذلك الوقت فى الخليج غير كافية لضمان النجاح . وأيد باول موقف شوارتزكوف ورفض الآراء القائلة بأن القوة الجوية يمكن أن تجبر صدام على الانسحاب .

ولم يكن أمام الإدارة مجال واسع للاختيار ومن ثم استمر الاحتشاد العسكرى . وأعلن وزير الدفاع تشينى بعد أيام قلائل خلال رحلة إلى أوروبا أن تعزيز القيادة المركزية سوف يستمر إلى أن يوضح شوارتزكوف قائلا : « حسناً ، لقد حصلت على ما احتاجه . »(٩١) وكانت هناك مناقشة مفتوحة فى الصحافة حول قرار نقل دبابات « إم ١ ايه ١ » من ألمانيا إلى المملكة العربية السعودية لتحل محل الدبابات الأقدم من طراز « إم ١ » و « إم - ٦٠ » التابعة لفرقة المشاه الآلية الرابعة والعشرين فى الجيش الأمريكى والفيلق البحرى السابع ولواء الحملات البحرية الأول .(٩٢) وبدأت التقارير تشير وقتذاك إلى إمكانية تحرك قوات من أوروبا إلى الخليج ، رغم أن هذا التحرك كان

يمثل جزءا من خطة مناوبة وليس تعزيزاً للقيادة المركزية .(٩٣) غير أنه بعد أيام قلائل فقط ، وبعد تلميحات سعودية لا تتصف بالحنكة بشأن تسوية دبلوماسية يمكن أن تعطى لصدام جزءاً من الكويت ، أعلنت الإدارة الأمريكية بسرعة أن القوات المتجهة من أوروبا إلى الخليج سوف تقوم بتعزيز القوات المرابطة هناك بالفعل وليس الحلول محلها .(٩٤)

وفى الوقت الذى كانت فيه الإدارة الأمريكية تناقش الوضع السياسى وتتحرك بسرعة للمحافظة على الخط المتشدد للائتلاف تجاه العراق حتى لا يهتز ، طار الجنرال باول إلى المملكة العربية السعودية ليجتمع مع شوارتزكوف .(٩٥) وقد أراد الأخير مضاعفة قواته ، البرية والجوية والبحرية ، فعليا ، وأيضا نقل الفيلق السابع من ألمانيا إلى المملكة العربية السعودية . وحتى بعد امتلاك شوارتزكوف لمثل هذه القوة ، فقد كانت الشكوك لا تزال تساوره بشأن احتمالات شن هجوم .(٩٦) ولكن قبيل عودة باول من الرياض ، أعلنت الإدارة عن خططها لنشر مائة الف جندى إضافى فى الخليج ، رغم أنها واصلت التحدث عن مناوبة القوات .(٩٧)

وفى اجتماع لمجلس الأمن القومى الأمريكى فى البيت الأبيض بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر ، نقل باول إلى المجتمعين توصيات شوارتزكوف ، وطلب قوات إضافية كبيرة .(٩٨) وأعرب وزير الدفاع تشينى عن تأييده لموقف باول . وكان قد بدأ وضع خطط الطوارىء لإعادة انتشار كثيفة منذ وقت مبكر يرجع إلى شهر أغسطس .(٩٩) وبناء على أمر الرئيس سوف تتحرك قوات إضافية يصل عددها إلى ٢٠٠ ألف ، وتشمل الفيلق السابع للجيش الأمريكى فى بافاريا ، إلى الخليج من أوروبا والولايات المتحدة . ووافق الرئيس بوش ، رغم أن القرار استبعد أساساً استراتيجية الاحتواء واحتمال حدوث مناوبة للقوات . مثل هذه القوة العسكرية ستكون كبيرة تفوق الحد بحيث يكون من الصعب الاحتفاظ بها فى الصحراء إلى ما لا نهاية ، كذلك لن تتوافر قوات كافية هناك للتناوب مع وحدات الموجة الأولى العائدة إلى الوطن . إما أن يستخلص صدام الاستنتاجات الصحيحة والعقلانية وينسحب من الكويت ، أو ستقع الحرب .

وقررت الإدارة الأمريكية تأخير الإعلان عن قرارها بإعادة نشر القوات حتى يوم ٨ نوفمبر عقب انتخابات التجديد النصفى لمجلس الكونجرس . بيد أن الصحافة شعرت بالترجيح المتزايد لاندلاع الحرب ، ونشرت ذلك .(١٠٠) كذلك شعر صدام حسين الذى وضع قواته المسلحة فى « حالة تأهب قصوى » فى الثلاثين من أكتوبر .(١٠١)

ولا شك أن قرار نقل قوات إضافية إلى المملكة العربية السعودية أنقذ أرواحاً أمريكية . ولم تذهب عبثاً الشهور الإضافية التى استغرقتها إعادة نشر القوات . فقد قام المخططون بتنقيح خططهم ، وكسبت القوات براعة تكتيكية وعملياتية . وزادت عزلة صدام الدبلوماسية . ونمى التأييد السياسى الدولى والأمريكى الداخلى للخيار العسكرى .

ومع ذلك ، وبالنظر إلى أن الجيش الأمريكى توقع « أن يقاتل عدوا يفوقه فى العدد وأن ينتصر عليه » فى أوروبا ضد القوات السوفيتية الأقدر بكثير جدا من قوات العراق ، فإن تحفظ بعض القادة

العسكريين الأمريكيين بشأن التفكير في حرب برية ضد قوات صدام فى الكويت كان أمراً مثيراً للدهشة . وبحلول منتصف نوفمبر ، كان لقوات التحالف تفوق كمى ونوعى على السواء فى الجو ، وكانت نسبة القوات على الأرض أفضل بكثير مما كانت ستصبح عليه فى حالة غزو حلف وارسو لأوروبا الغربية . ولاحظ لورانس كورب ، مساعد وزير الدفاع الأمريكى السابق ، أنه بحلول يناير ١٩٩١ ستكون هناك قوة عسكرية أمريكية فى الخليج تواجه العراق أكبر من القوة التى نشرتها الولايات المتحدة فى أوروبا لوقف الاتحاد السوفيتى .(١٠٢)

وعلاوة على ذلك ، فإن الحجة التى استخدمت للدفاع عن فكرة مضاعفة عدد القوات الأمريكية المنتشرة فى الخليج لم تستند إلى التقديرات التى تؤكد أن قوات إضافية ستقلل من حجم الخسائر البشرية ، وإنما استندت بالأحرى إلى حجة أخرى هى ، كما قال شوارتزكوف نفسه ، « إنك لا تستطيع أن تنتقل إلى هناك من هذا المكان » بدون هذه القوات الإضافية . وليس هناك ما يدل على أن شوارتزكوف أو باول كان يمكن أن يتطوع لشن هجوم لو أن الموقف السياسى فى أوروبا حال دون نقل وحدات من ألمانيا ، أو أن هذين الجنرالين فى الجيش كانا يتوقان - بعد أن عجزا عن الحصول على قوات برية إضافية - لإعطاء الضوء الأخضر لهؤلاء المدافعين عن السلاح الجوى الذين اعتنقوا فكرة أن القوة الجوية يمكن أن تهزم صدام . وإلى جانب كل هذا ، فإن إعادة الانتشار العسكرى الضخم ، بناء على طلب شوارتزكوف ، أدت إلى القضاء نهائياً على كل احتمال ، مهما كان ضئيلا ، لانتظار صدام ، وهذا الانتظار هو ذات الخيار السياسى الذى قيل إن الجنرال باول يفضله .

وبعد الثامن من نوفمبر ، سارت سياسة إدارة بوش فى الخليج وفق النهج الأمريكى التقليدى ، وهو اتباع مسارين فى وقت واحد . وعلى شاكلة النسر الذى يحمل فى خاتم الدولة السهام وغصن الزيتون فى وقت واحد بين مخالبه ، فإن الولايات المتحدة أعدت للحرب بينما كانت تسعى فى الوقت نفسه إلى تسوية سلمية ، رغم أن ذلك المسعى كان يتسم بفتور الهمة . واستمر تدفق التعزيزات على شبه الجزيرة العربية ، الأمر الذى كان يهيىء للرئيس خياراً عسكرياً قابلاً للتنفيذ ، بينما كانت الدبلوماسية الهجومية تُزيد الضغط الدولى على صدام وتبقى على تماسك الائتلاف المناهض للعراق .

ورغم التقارير الدورية عن عدم رغبة حلفاء أمريكا فى القتال ، أو عن لهفتهم على عقد صفقة مع صدام وراء الكواليس ، فإنه ما إن قرر بوش حل المسألة الكويتية باستخدام القوة ضد صدام ، حتى زاد تأييد الائتلاف . ولن تلبث الأنباء التى نقلتها وسائل الإعلام فى أواخر أكتوبر حول تسوية توسطت فيها السعودية أن تحل محلها فى القريب العاجل قصص حول تأييد الملك فهد لهجوم جوى على العراق .(١٠٣) وتحدث الرئيس حافظ الأسد علنا عن الحاجة إلى « حل عسكرى » ، وأرسل فرقة مدرعة إضافية إلى المملكة العربية السعودية .(١٠٤) وفى لندن ، صرح وزير الخارجية البريطانى دوجلاس هيرد للصحفيين بأن « الطريقة الحاسمة التى ربما يمكن أن تحقق انسحابا سلمياً هى الجمع بين العقوبات التى تسبب نقصاً فى السلع الضرورية ، وبين العمل على أن يدرك صدام أنه إذا لم يتوجه نحو السلام فسوف يتم إرغامه على الخروج من الكويت . »(١٠٥)

ولقى قرار إدارة بوش بانتهاج خط أكثر تشدداً تجاه العراق تأييد الأمم المتحدة . ومن أجل زيادة الضغط على صدام والتمهيد للجوء محتمل لاستخدام السلاح على السواء ، بدأ الدبلوماسيون الأمريكيون فى أواخر شهر نوفمبر استطلاع رأى أعضاء مجلس الأمن بشأن إمكانية إصدار قرار يحدد موعدا نهائياً للانسحاب العراقى ويسمح باستخدام القوة لتحرير الكويت .(١٠٦) وتكهن مسئولون كبار فى الإدارة الأمريكية ، بينهم وزير الدفاع تشينى ، علناً بأن العراق يوشك على إنتاج سلاح نووى يمكن حمله وإطلاقه ، الأمر الذى كان يؤدى إلى التقليل من فرصة حل دبلوماسى .(١٠٧) وأعربت الولايات المتحدة أيضا عن القلق من تأثير الاحتلال العراقى داخل الكويت . فمنذ وقت مبكر ـ أغسطس ١٩٩٠ ـ كان المخططون العسكريون الأمريكيون يتابعون بقلق الترحيل الجماعى للكويتيين من بلادهم ، والطرد الإجبارى والاختفاء والموت لآلاف آخرين ، وتحرك عراقيين وفلسطينيين إلى داخل الكويت . وإذا استمر هذا التدفق على الكويت من الخارج بلا عائق ، فإن التركيبة الديموجرافية للكويت سوف تتغير إلى الدرجة التى لن تكون فيها هناك أمة ينبغى تحريرها . وعلاوة على ذلك ، فإنه إذا استمر هذا التدفق فسيكون صدام قادرا على إجراء استفتاء عام وعلى الفوز فى هذا الاستفتاء .

وتجاوب مجلس الأمن الدولى مع هذا القلق بإصدار قرارين إضافيين . ففى ٢٨ نوفمبر ١٩٩٠ ، أصدر المجلس القرار رقم ٦٧٧ بإدانة « محاولات العراق لتغيير التركيبة الديموجرافية لسكان الكويت ، ولتدمير السجلات المدنية المحفوظة لدى الحكومة الشرعية للكويت . »(١٠٨) وفى اليوم التالى ، أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٦٧٨ الذى خوّل

الدول الأعضاء المتعاونة مع حكومة الكويت ـ ما لم ينفذ العراق بالكامل ، فى موعد أقصاه ١٥ يناير ١٩٩١ ، القرارين السابقين المشار إليهما فى الفقرة الأولى أعلاه ـ استخدام كل الوسائل الضرورية لدعم وتنفيذ القرار ٦٦٠ (١٩٩٠) وكل القرارات اللاحقة ، وإعادة السلام والأمن الدوليين إلى المنطقة .(١٠٩)

ولكن العراق لم يظهر أى إشارة تدل على التراجع . وفى ٢٧ نوفمبر ، أبلغ وزير الخارجية العراقى طارق عزيز الصحفيين بأن « العراق ، الذى يؤمن بالسلام وبالعدل ، لن يذعن أبداً للضغط وسوف يناضل فى سبيل تحقيق السلام والعدل فى المنطقة . »(١١٠) وفى الثامن والعشرين من نوفمبر ، قالت صحيفة « الثورة » العراقية التى تسيطر عليها الدولة أن « أى قرار اتخذه مجلس الأمن فى ظل الهيمنة الحالية للولايات المتحدة لا يهمنا فى شىء . »(١١١) وفى اليوم التالى ، تحدث صدام نفسه قائلاً :

« إذا اندلعت الحرب ، فإننا سنقاتل على نحو يجعل كل العرب والمسلمين فخورين .... إننا مصممون على ألا نركع للظلم .... ونحن لا نقلل من تقدير القوة العسكرية للولايات المتحدة ، ولكننا نستخف بنواياها الشريرة . وإذا شاء الله أن تقع الحرب ، فإن الأمريكيين سوف يجدون أن طائرتهم « الشبح » يراها حتى الرعاة فى الصحراء ، وأيضا ستكون مرئية بواسطة التكنولوجيا العراقية . »(١١٢)

وفى ٢ ديسمبر ، أجرى العراق تجربة إطلاق ثلاثة صواريخ أرض - أرض من طراز سكود ، كما لو كان للتأكيد على تصميم صدام .(١١٣)

ورغم الحديث المتشدد ، فإن صدام تصرف بالفعل ليزيح قدراً من الضغط الدبلوماسى الواقع على بلاده . ففى السادس من ديسمبر ، أعلن عن إطلاق سراح كل الرعايا الأجانب ، ومنهم الأمريكيون ، الذين كان بعضهم محتجزاً ليستخدم « كدروع بشرية » فى مواقع أهداف استراتيجية متعددة فى العراق . ولو كان صدام قد توقع أن يتلقى عبارات الشكر من الدول الغربية ، فلا شك أنه أصيب بخيبة أمل . وقد علّق الرئيس بوش على تلك الخطوة بقوله : « إن إطلاق سراح كل الرهائن يمكن أن يكون شيئاً جيداً جدا ، ولكن المشكلة هى العدوان على الكويت ، ويجب على الرجل أن يترك الكويت بلا تحفظ وبدون شرط . »(١١٤) وفوق ذلك ، فإن الضربة الموفقة المحدودة الأثر التى قام بها صدام فى مجال العلاقات العامة انتهى مفعولها بعد أيام فقط من مغادرة آخر الرهائن لبغداد ، عندما أصدرت منظمة العفو الدولية تقريراً يلقى ضوءاً قوياً على « الانتهاكات واسعة الانتشار لحقوق الإنسان » فى الكويت المحتلة . وجاء هذا التنويه فى صحيفة « نيويورك تايمز » :

« يعدد التقرير ٣٨ طريقة للتعذيب تستخدمها القوات العراقية ، منها ضرب الضحية وهى معلقة فى مروحة سقف أثناء دورانها ، واغتصاب النساء والشبان ، وإطفاء السجائر المشتعلة فى مقلة عين الضحية ، وتقييد الضحايا بسلاسل مثبتة فى وتد وإرغامهم على البقاء تحت الشمس المحرقة لساعات بلا مياه . »(١١٥)

وبينما رحب الأمريكيون بعودة الرهائن إلى الوطن واحتفلوا بأعياد ديسمبر ، التأم شمل القيادة العراقية فى بغداد لعقد اجتماع على أعلى مستوى . وظل صدام يسهب فى الإعلان عن خط متشدد . وحذرت صحيفة رسمية من أن العراق ، إذا هوجم ، فسوف يلحق هزيمة تاريخية بالقوات المتحالفة بحيث لن يبقى فى الساحة سوى « بضعة جنود أصابهم الخبل أو أنصاف مخبولين هربوا من أتون المعركة ... ليخبروا الأجيال عن الأذى الذى أصابهم » بسبب قرار الرئيس بوش بالذهاب إلى الحرب .(١١٦) ورغم ذلك فإن صدام قبل فور صدور قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ ، قبول العرض الذى طرحه بوش بأن يتوجه وزير الخارجية طارق عزيز إلى واشنطن ويتوجه وزير الخارجية جيمس بيكر إلى بغداد .(١١٧)

وتركز النقاش الدبلوماسى على مدى الأسبوع التالى حول مسألة الموعد الذى يمكن أن تنعقد فيه هذه الاجتماعات ، بدلاً من المسائل المهمة المطروحة التى تتسم بالخطورة . وأراد صدام أن يتوجه وزير الخارجية بيكر إلى بغداد فى ١٢ يناير . ولكن إدارة بوش رأت أن اختيار العراقيين لموعد قريب جدا من تاريخ ١٥ يناير ، وهو نهاية المهلة المحددة لهم للخروج من الكويت ، يستهدف التحايل لإطالة أمد هذه المهلة .(١١٨) ومع ذلك ، فقد كان على الرئيس أن يُظهر قدراً من المرونة فى وقت كان يواجه فيه مناقشة فى الكونجرس حول الحرب . ووافقت الإدارة الأمريكية ، كحل وسط ، على إيفاد الوزير بيكر إلى جنيف بسويسرا لمقابلة وزير الخارجية عزيز فى ٩ يناير .

والغرض الوحيد الذى حققته محادثات جنيف هو أنها أثبتت بشكل واضح تشدد كل من العراق والولايات المتحدة . وفى مؤتمر صحفى عُقد فى ختام هذه المحادثات ، أعرب كل من بيكر وعزيز عن خيبة الأمل من عدم التوصل إلى نتائج ، وفى نفس الوقت لم تصدر أية إشارة من أى منهما إلى وجود أى نقاط لاتفاق محتمل . فقد رفض العراقيون سحب جيشهم من الكويت ، ورفض الأمريكيون قبول أى شىء أقل من انسحاب كامل غير مشروط . وركّز بيكر بطريقة صارمة على الكويت . وحاول عزيز توسيع نطاق المناقشة لتشمل قضايا شرق أوسطية أخرى ، وخاصة فلسطين . وعقد الرئيس بوش مؤتمراً صحفياً ، بعد عودة بيكر إلى واشنطن ، وأبلغ الصحفيين بأن الولايات المتحدة تلقت فى جنيف « دفعة فى صدرها لإزاحتها تماماً من الطريق ، لقد كان ذلك رفضاً كاملاً . »(١١٩) بل إن عزيز رفض أن يحمل رسالة من الرئيس إلى صدام . وقد حذر الرئيس بوش فى تلك الرسالة قائلا :

« إننا نفضل أن ينتهى الأمر سلميا . ومع ذلك فإن أى شىء أقل من التنفيذ الكامل لقرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ ، والقرارات السابقة عليه ، غير مقبول . ولا يمكن أن تكون هناك مكافأة للعدوان . كذلك لن يكون هناك أى تفاوض . فلا يمكن المساومة على المبدأ . ومع ذلك ، فإن العراق ـ إذا نفذ القرارات بالكامل ـ فسوف يحرز فرصة العودة للانضمام إلى المجتمع الدولى .

والأمر المباشر والأقرب زمنياً ، أن المؤسسة العسكرية العراقية سوف تنجو من التدمير . ولكن إذا لم تنسحب من الكويت بصورة كاملة وبلا شرط ، فإنك ستخسر ما هو أكثر من الكويت .

والنقطة التى يدور حولها النقاش هنا ليست مستقبل الكويت ـ فهى ستكون حرة وستعود إليها حكومتها ـ ولكنها مستقبل العراق . والأمر بين يديك لتختار .(١٢٠)

غير أن صدام كان قد اتخذ قراره بالفعل . وطبقاً ـ لما نشرته مجلة « تايم » ، فقد اتصل بارزان تكريتي ـ أخ صدام غير الشقيق ـ تليفونيا ببغداد فور انتهاء لقاء جنيف ، وأبلغ الرئيس العراقى بأن الأمريكيين لا يريدون قتالاً .(١٢١) ولو كان هذا الخبر الذى نشرته المجلة دقيقاً ، فإنه يقدم مثالاً على رداءة المشورة التى تلقاها صدام من أقرب مستشاريه . ومجرد أن مجلة « تايم » علمت بأمر هذه المكالمة الهاتفية قد يوضح أيضا أن الولايات المتحدة التقطت المناقشة التى دارت بين بارزان وصدام وعرفت بقرار الأخير . وعلى أية حال فإن صدام أعلن قائلا :

« إننا لسنا من ذلك الطراز الذى ينحنى أمام التهديدات ، وسوف ترون الفخ الذى ستسقط فيه أمريكا .... وإذا تورط الأمريكيون فى حرب فى الخليج ، فسوف ترون كيف سنجعلهم يسبحون فى دمائهم . »(١٢٢)

وبانتهاء محادثات جنيف ، وجهت الإدارة الأمريكية كل اهتمامها بعد ذلك للمناقشة التى كانت على وشك أن تبدأ فى الكونجرس حول الأزمة . وعلى مدى يومين ، دعا أعضاء من مجلسى الشيوخ والنواب زملاءهم لتأييد أو رفض مشروع قرار يمنح الرئيس سلطة استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٨ . وكان العديد من الكلمات مقنعا ، كما كان العديد من الكلمات سخيفاً . غير أنه فى يوم السبت ١٢ يناير وافق الكونجرس بمجلسيه على قرار مشترك يخوّل الإدارة التنفيذية السلطة التى تعتقد الإدارة أنها تملكها بالفعل .(١٢٣)

سبق السيف العذل . بينما كانت أقدام الدبلوماسيين تقودهم نحو الحرب ، استمر تدفق الأسلحة البرية والجوية على شبه الجزيرة العربية . واتخذت عشرات السفن مواقعها فى شرقى البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربى . وبحلول منتصف يناير ، كان الائتلاف قد نشر أكثر من ١٥٠ سفينة و ٢٠٠٠ طائرة . وطوقت العراق حوالى عشرين فرقة متحالفة .

وفى الأسابيع والأيام الأخيرة السابقة على ١٥ يناير ، أكملت القيادة العسكرية استعداداتها للحرب . وواصلت القوات البحرية المتحالفة فرض الحصار على العراق . ومع مجىء ١٦ يناير كانت سفن الائتلاف قد اعترضت طريق ٦٩٦٠ سفينة ، وفتشت ٨٣٢ سفينة ، وحولت مسار ٣٦ سفينة تحمل شحنات غير قانونية . وقامت وحدات عسكرية جوية وبرية وبحرية بمناورات حربية فى شبه الجزيرة العربية وحولها .

واستهدف العديد من هذه المناورات ما هو أكثر من مجرد تحسين المهارات الأساسية لجنود وطيارى وبحارة القوات المتحالفة ، وما هو أكثر من مجرد حل المشكلات فى بنية قيادية مشتركة وموحدة ومركبة . وقال الجنرال شوارتزكوف فى وقت لاحق :

« واصلنا عملياتنا الضخمة فى عرض البحر لأننا أردنا أن يظل العراقيون مقتنعين بأننا سنقوم بعملية برمائية هائلة فى هذه المنطقة . واعتقد أن الكثيرين منكم يتذكرون عدد التدريبات البرمائية التى قمنا بها ، ومنها « الرعد الوشيك » ، والتى كُتب عنها باستفاضة لأسباب كثيرة . بيد أننا واصلنا القيام بتلك العمليات لأننا أردنا ان نجعل قواته تحتشد . وهذا هو ما فعله . »(١٢٤)

وكانت تلك التدريبات ، التى يراقبها رجال الصحافة للتعرف على معلومات ـ ليست كلها دقيقة ـ بصورة روتينية ، تشكّل جزءاً من حملة خداع مكثفة قصد بها إرباك صدام والتغطية على الأنباء الدقيقة التى تجد طريقها من وقت لآخر إلى الصحافة وتظهر كموضوعات غلاف رئيسية .

ولسوء حظ شعب العراق ، فإن أكبر مصدر خداع لصدام جاء من الداخل . ففى زيارة قام بها يوم ١٥ يناير لكبار قادته فى الكويت المحتلة ، شرح صدام فكرته التى يعتنقها عن قَدرَه الإلّهى . إذ قال لقادته العسكريين إن قرار غزو الكويت « كان قرار الله العلى القدير » . وعندئذ فسر صدام لهم السبب فى إيمانه بأن العراق سينتصر :

« من الحقائق الغريبة التى من الضرورى أن تعرفوها ـ أنا شخصياً عرفت بها بالأمس فقط ـ أن رمز حزب بوش هو الفيل . وعندما سمعت بذلك دُهشت تماما . قلت : حمداً لله ، حمداً لله . »(١٢٥)

وهنا يتلو صدام سورة من القرآن للقادة :

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل (١) ألم يجعل كيدهم فى تضليل (٢) وأرسل عليهم طيراً أبابيل (٣) ترميهم بحجارة من سجيل (٤) فجعلهم كعصف مأكول (٥) ﴾ .

التشبيه الذى صوره صدام كان فى الحقيقة على الوجه الأكمل ، رغم أن الصورة الرمزية قد انعكست . فـ « الطير الأبابيل » التى ستظهر قريبا جدا فوق الكويت وجنوب العراق سيكون طير قوات التحالف ، ربما لتنفيذ مشيئة الله وربما ليس كذلك . أما الفيلة فهى دبابات صدام ، وهى قوة سرعان ما ستُرجم من الجو بالقنابل والصواريخ وتصبح « كعصف مأكول » . وفشل صدام فى القيام بدور نبىّ يتنبأ بالأحداث كما فشل فى القيام بدور الجنرال .

الفصل العاشر

حلم قائد عسكرى

تخطيط عاصفة الصحراء

كان رد الفعل داخل الولايات المتحدة إزاء غزو العراق للكويت يعكس الميراث الطويل للمصالح الأمريكية فى الخليج العربى ، وللدور الأمريكى هناك . وجاءت تصريحات إدارة بوش حول السبب الذى جعل الولايات المتحدة ترسم خطأ فاصلاً فوق رمال شبه الجزيرة العربية لتكشف النقاب عن نفوذ الدوافع المتنوعة - التجارية والتبشيرية والاستراتيجية والجغرافية الاقتصادية - التى أغرت واستدرجت الأمريكيين إلى المنطقة على مدار قرنين . ورغم أن الاهتمام بالنفط ، وهو شريان الحياة للغرب ، كان بلاشك العامل الأول فى صياغة وتشكيل السياسة الأمريكية ، فإنه لم يكن هناك شأن واحد أو عنصر اهتمام واحد وراء حدة رد فعل الرئيس بوش والشعب الأمريكى ، تماماً كما أنه لم تكن هناك مجموعة واحدة من المصالح هى التى جرّت الأمريكيين إلى الخليج .

وأفصح واقع هذا الميراث التاريخى عن نفسه أيضا فى الشكوك التى عبر عنها منتقدو سياسة بوش . فقد أعرب بعض الأمريكيين عن شكوكهم فى حكمة أو ضرورة « درع الصحراء » ، واعتبروا أن العملية ، فى نظرهم ، لا تتعدى محاولة مقايضة الدم الأمريكى بالبترول ، وخنق قائد قومى عربى قوى ، وأنها خطوة تم اتخاذها فى ظل جهل بحقائق العالم العربى . وأيد عدد أكبر من الأمريكيين « درع الصحراء » ، ولكنهم عارضوا أى عمل عسكرى هجومى يستهدف طرد العراقيين من الكويت ، مفضلين الانتظار حتى تضطر العقوبات الاقتصادية صدام إلى الإذعان . وكانت المخاوف من عمل عسكرى قد يؤدى إلى حمامات دم ، وكارثة بيئية ، أو إلى جر الولايات المتحدة إلى فيتنام شرق أوسطية ، شائعة على نطاق واسع فى الولايات المتحدة . وتنبأ خبراء كثيرون أيضا بأن عملا عسكرياً قد يؤدى إلى موجة اقليمية ، وربما عالمية ، من العنف المناهض للغرب ، والذى قد ينجم عنه ما هو أسوأ من تبديد ما يمكن أن يتحقق من مكاسب فى حرب مع العراق .

العديد من نفس هذه الشكوك كان مصدر إزعاج للحلقات الضيقة فى دوائر صنع القرار بإدارة

بوش وللعسكريين الأمريكيين . وكان حجم المفاجأة التى صنعها صدام للولايات المتحدة فى الثانى من أغسطس هو الذى استدعى أمام الإدارة الأمريكية أشباح الهزائم السياسية التى لحقت بكارتر والكوارث التى حلت بسياسته الخارجية قبل عقد من الزمان . لقد أُخذ الأمريكيون على غرة فى الشرق الأوسط مرة أخرى . وماذا يدخر صدام فى جعبته من مفاجآت أخرى ؟ وما نوع الأحداث غير المتوقعة التى يمكن أن تحدث فى الخليج ؟ وكيف يمكن أن تتفادى الولايات المتحدة التورط فى مستنقع عسكرى وسياسى قد تعجز عن تخليص نفسها منه بدون عقدة نفسية أخرى مثل عقدة فيتنام ؟

ومثلما فعل ريجان وكارتر ، فإن الرئيس بوش لم يجد أمامه بديلا عن القيادة الأمريكية فى الشرق الأوسط . ولهذا السبب ، فإن الإدارة الأمريكية لم يكن بوسعها أن تسمح لهذه الهموم بأن تحرف الولايات المتحدة بعيداً عن مسارها الذى ينتهى بالمواجهة مع صدام . غير أن ذلك لم يكن يعنى تجاهل القلق بشأن الاتجاهات التى قد يتخذها مسار حرب فى الشرق الأوسط ، وكان لهذا القلق تأثيره على قرارات الإدارة الأمريكية . وسلّم بوش بأنه لا يستطيع إعادة عقارب الساعة إلى الوراء بالنسبة للولايات المتحدة فى الخليج ، ولكن ذلك لم يكن يعنى أنه يرغب فى التزام أمريكى بلا نهاية محددة فى تلك المنطقة . بل لقد بذل أقصى جهد ممكن لتجنب تورط سياسى وعسكرى أبعد غوراً فى المنطقة فى فترة ما بعد الحرب .

إن كراهية بوش لالتزامات محتملة مفتوحة إلى أجل غير مسمى هى التى صاغت الاستراتيجية العسكرية الأمريكية وقامت بتشكيلها . فرغم ولوع الرئيس بتشبيه صدام بأدولف هتلر ، إلا أن خبراء الاستراتيجية والتخطيط الأمريكيين فى عامى ١٩٩٠ و ١٩٩١ لم ينظروا إلى الحرب مع العراق بنفس نظرة أسلافهم فى الأربعينات إلى الحرب مع ألمانيا النازية . ورغبة بوش فى أن يحد من التورط الأمريكى فى فترة ما بعد الحرب ، تفسر السبب فى أن الولايات المتحدة لم تخطط للزحف على بغداد والقضاء على صدام . فلن يكون هناك احتلال للعراق فى فترة ما بعد الحرب . ولن يكون هناك جهد سياسى لإزالة من هم على شاكلة صدام فى أمة من الأمم ، واقتحام معمعة الانقسامات السياسية والعرقية والدينية التى يصعب على الأمريكيين فهمها فضلاً عن معالجتها .

عقب استيلائه على الكويت فى أغسطس ١٩٩٠ ، تخلى صدام عن المبادرة الدبلوماسية للائتلاف ، وترك نفسه ينزلق إلى موقف عسكرى ضعيف ، وأهدر كل الفرص التى أتيحت له لإحراز انتصار فى ميدان المعركة عندما جعل فرصة الهجوم على المملكة العربية السعودية تفلت منه . وساعده اتفاقه مع إيران على تأمين جناحه الأيسر ومؤخرته ، ولكنه رفع التكلفة السياسية المحلية لمغامرته فى الكويت بحيث أصبحت التسوية الدبلوماسية أبعد احتمالا بكثير . وساعد افتقار صدام إلى البراعة الدبلوماسية وفهمه الخاطىء للغرب على تمتين قوة التحالف الذى اصطف ضده ، وزيادة قدرة هذا التحالف على الصمود . ومع نهاية العام كان الائتلاف المتحالف مستعدا لطرد صدام من الكويت ، وكان قد حشد قوات ضخمة تتفوق فى الكم والنوعية على العراقيين فى البحر والجو ، بل وفى البر .

ومع اقتراب الموعد النهائى الذى حددته الأمم المتحدة للانسحاب العراقى ـ ١٥ يناير ١٩٩١ ـ أصبح القيام بدفاع عسكرى ناجح عن الكويت أمراً مشكوكاً فيه . فالقوات البرمائية المتحالفة تستطيع القيام بعملية إنزال على طول الساحل الكويتى على الخليج العربى ؛ ويستطيع المظليون الأمريكيون وعناصر القوات الأمريكية المنقولة جواً القيام بعملية تطويق عمودية أو رأسية فى المؤخرة العراقية ؛ وتستطيع القوات الآلية المتحالفة اختراق الصحراء متجاوزة الكويت صوب الغرب . وكانت خطوط مواصلات الجيش العراقى الممتدة من الكويت فى طريق العودة إلى البصرة ، ومن الأخيرة على طول نهر الفرات إلى بغداد مكشوفة للهجوم الجوى والبرى . بل إن تأمين الجبهة الإيرانية ظل موضع شك مع إعلان طهران عن اعتزامها إجراء مناورات عسكرية فى منتصف يناير على طول الحدود مع العراق . وكان على القادة العسكريين من رجال صدام فى مسرح العمليات بالكويت أن يحتاطوا فى مواجهة كل هذ الاحتمالات ، نظراً لأنه فى حالة بدء العمليات العسكرية ، فإن القوات البرية العراقية كانت ستجد نفسها مرغمة على مواجهة التفوق الجوى لقوات التحالف .

وفى الحقيقة ، فإن الكويت كانت قد أصبحت مصيدة موت حقيقية للجيش العراقى . ولم يكن قرار صدام بإرسال المزيد والمزيد من الرجال والمعدات إلى « محافظته التاسعة عشرة » التى فتحها حديثاً ينبع من استراتيجية عسكرية مدروسة تستهدف إلحاق الهزيمة بهجوم القوات المتحالفة ، بل ينبع من استراتيجية سياسية قصد بها ردع هجوم من هذا النوع عن طريق إثارة شبح حمامات الدم فى أذهان زعماء التحالف . فرغم عباءة السرية التى تخفت وراءها عادة الأنشطة العسكرية العراقية ، لوحظ أن صدام كان يذيع علنا بطريقة روتينية ، ابتداء من خريف عام ١٩٩٠ ، حجم الوحدات العسكرية التى يرسلها لتعزيز قواته فى الكويت . وكمثل على ذلك ، حدث فى شهر نوفمبر بعد إعلان إدارة بوش أن قوات أمريكية إضافية ستنقل من ألمانيا والولايات المتحدة إلى الخليج ، أن وكالة الأنباء العراقية الحكومية أذاعت أن صدام حسين قرر تعزيز الـ ٤٥٠ ألف رجل الذين سبق نشرهم فى الكويت وجنوبى العراق بقوات إضافية قدرها ٢٥٠ ألف رجل .(١)

ولكن صدام بالغ كثيراً فى حجم قواته التى نشرها فى الجنوب ، ولم يواجه جيش الجنرال شوارتزكوف قط ٧٠٠ ألف عراقى فى مسرح عمليات الكويت . ومع ذلك ، واصلت مخابرات الدول المتحالفة وضع تقديرات للقوة العراقية أقرب إلى ما تذيعه وسائل الدعاية التابعة لصدام ، وليس أقرب إلى الحقيقة . وفى ١٧ يناير ، قدرت وزارة الدفاع الأمريكية حجم القوة العراقية بـ ٥٤٠ ألفا ، ولكن بعد انتهاء الحرب ، اقترب تقدير حجم القوات العراقية التى نشرت فى مسرح عمليات الكويت من رقم ٣٥٠ ألفا .(٢)

وهكذا كانت حملة الخداع التى قام بها صدام ناجحة جزئياً ، كما أن استراتيجيته السياسية للدفاع عن الكويت لم تكن حمقاء على الإطلاق . ففى خريف وشتاء ١٩٩٠ حققت هذه الاستراتيجية مفعولها . فقد كان الجنرال شوارتزكوف يمانع فى البدء بعمليات هجومية ضد ما كان يعتبره جيشاً عراقياً هائلاً تم نشره فى مسرح عمليات الكويت . وعند تأمل أحداث تلك الفترة نجد أن خوفاً جامحاً كان يتسلط على معظم الدول المتحالفة خشية وقوع حمامات دم فى الصحراء .

ومع ذلك ، فما إن قرر الائتلاف أن يضرب ضربته حتى أصبح محكوما على القوات العراقية في الكويت بالهلاك ، ما لم يقبل صدام على الفور شروط الأمم المتحدة وينسحب . ولسوء حظ الآلاف من الجنود العراقيين وعائلاتهم ، فإن الرئيس العراقى لم تكن لديه النية للانسحاب .

صدام حسين وحده هو الذى يعلم علم اليقين السبب فى قراره بالبقاء فى الكويت وانتظار هجوم القوات المتحالفة . وإذا كان ثمة احتمال بأنه أدرك أنه لا يستطيع أن يكسب مثل هذه الحرب ، فالأرجح أنه كان يأمل فى إلحاق خسائر بشرية كبيرة بقوات الائتلاف . وكان يأمل فى جر الإسرائيليين إلى الحرب عن طريق توجيه وابل من صواريخ سكود أرض / أرض إليهم . وكان يدرك أنه رغم ضعف الموقف العراقى فى الكويت ، فإن جيشه ، الذى تحمل ضغوط حرب دامت ثمانى سنوات مع إيران ، هو جيش ضخم ومزود بأسلحة كيماوية وبيولوجية .

كان المخططون العسكريون لقوات التحالف على علم تام بجوانب القوة وجوانب الضعف على السواء فى الموقف العراقى . وكان أصحاب القرار السياسى الأمريكيون يدركون أيضا أن الولايات المتحدة لا تواجه فقط مهمة طرد جيش صدام من الكويت ، بل تواجه أيضا ضرورة القيام بهذه المهمة بطريقة مقنعة . إن حملة عسكرية سريعة وسهلة سوف تساعد البلاد على التخلص من عقدة فيتنام ، وتعزيز الأثر الرادع للقوات التى ستحتفظ بها الولايات المتحدة فى الخليج بعد الحرب ، والتى تأمل فى أن تكون قوات محدودة . ومن الناحية السياسية ، لم تكن إدارة بوش لتتحمل انتصارا دمويا ينتزع بثمن باهظ جدا . كما قيل على لسان وزير الدفاع الأمريكى ديك تشينى عندما أسرّ إلى الأمير بندر قائلا : « سوف تكون نهاية العسكريين فى هذا المجتمع ، إذا قمنا بهذا العمل بغير إتقان .(٣)

ولحسن الحظ ، فإن المخططين الأمريكيين ومن دول التحالف كان لديهم قرابة نصف عام لكى يضعوا خطة الهجوم . ولم يحدث من قبل ، منذ غزو ساحل نورماندى فى فرنسا فى يونيو ١٩٤٤ ، أن كان لدى العسكريين الأمريكيين هذا الوقت الكثير ليضعوا خطة عملية كبرى . ففى واشنطن ، قاد الجنرال باول ببراعة عملية إعادة نشر القوات العسكرية الأمريكية ، وهى عملية لم يسبق لها مثيل فى الحجم والسرعة ، بينما تمتع مركز قيادة شوارتزكوف فى الرياض بترف تصميم خطة هجومية لطرد العراقيين من الكويت حيث أتيحت لهذا المركز فسحة زمنية أمتدت لخمسة شهور ونصف الشهر .

والأمر الذى يتعذر تفسيره ، أن صدام لم يفعل شيئاً لإعاقة احتشاد قوات التحالف . فلم تقع ضربات صاروخية على موانىء الإنزال ؛ ولم تحدث محاولة للقيام بهجمات جوية ضد حشود الطائرات والقوات ؛ ولم تشن غارات فدائية فى المملكة العربية السعودية لضرب خط أنابيب بترول « ترانز آريبيا » (تابلاين) الذى يحاذى الحدود . وبينما كانت تتدفق قوات الائتلاف على شبه الجزيرة العربية ، قبع جيش صدام متحصناً فى الكويت ، وكأن قناة غير مرئية تفصله عن الوحدات العسكرية المتحالفة ناحية الجنوب .

كذلك اختار صدام أسوأ توقيت . فقد قام بغزو الكويت فور انتهاء الحرب الباردة ، ولكن قبل

أن تحقق قوة الدفع السياسى التى صاحبت نهاية صراع سوفيتى - أمريكى دام قرابة نصف قرن ، نتائجها فى مجال تفكيك مصادر القوة العسكرية الأساسية . وكانت العسكرية الأمريكية أيضا قد استكملت لتوها حقبة من التحسينات النوعية منقطعة النظير فى كل فروع القوات المسلحة . وكانت المعنويات ومعدلات فترات الخدمة العسكرية تحقق أعلى الأرقام القياسية . ويمكن القول أن العسكرية الأمريكية فى عام ١٩٩٠ ربما كانت فى ذروة قوتها وفعاليتها فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . وبفضل صدام فإن الوحدات العسكرية الأمريكية الجديدة التى وصلت إلى المملكة العربية السعودية - بدلا من أن يلقى بها فى معركة فورية - وجدت أمامها شهوراً لكى تألف الطقس وتتكيف مع ظروف شبه الجزيرة العربية وتتدرب على حرب الصحراء .

وكانت الثمانينات أيضا حقبة نهضة ثقافية للعسكرية الأمريكية . فقد اكتسح « الإصلاح » فروع القوات المسلحة .(٤) واكتشفت فيالق البحرية الأمريكية « حرب المناورات »(٥) وقام الأسطول الأمريكى بتطوير استراتيجيته البحرية . ووضع الجيش الأمريكى التفاصيل لما أسماه « المعركة الجوية البرية » . ومُنحت القوة الجوية الأمريكية دوراً مسانداً رئيسياً بواسطة البحرية الأمريكية والجيش الأمريكى على السواء فى إطار تصورات لعمليات تتوقع حرباً تقليدية عالمية تشن ضد الاتحاد السوفيتى .(٦)

وبطبيعة الحال ، فإن العراق لم يكن روسيا السوفيتية . فقد كان صدام حسين رئيساً لدولة صغيرة من العالم الثالث تواجه ائتلافاً قوياً يشمل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا ودولا عربية عديدة ، وتشكيلة من دول أخرى . ومع ذلك ، فإنه مع استمرار أزمة الخليج بعد أغسطس ١٩٩٠ ، وامتناع صدام عن إرغام الولايات المتحدة على القتال فى حرب برية دموية محتملة دفاعا عن المملكة العربية السعودية ، بدأ العديد من الأمريكيين فى النظر إلى السلاح الجوى كوسيلة « جراحية » لإرغام العراقيين على الخروج من الكويت . وأعتقد بعض هؤلاء المدافعين عن استخدام السلاح الجوى أن القوة الجوية وحدها يمكن أن تكسب الحرب . وتوقع آخرون أن القوات الجوية المتحالفة ستلعب دوراً قياديا متى - وإذا - بدأ القتال ، ولكنهم اعتقدوا أن حملة برية قد لاتزال ضرورية لتحرير الكويت .

أما رأى الجنرال شوارتزكوف ، فقد كان إلى حد ما متناقضا . فقد كان يتمسك بقوة بأن السلاح الجوى لا يستطيع وحده أن يكسب الحرب ، رغم أنه أعترف بأن تفوقه فى الجو سيعطيه اليد العليا فى أى حملة عسكرية . ولكن ، نظراً لأن شوارتزكوف ظل حتى وقت متأخر - أكتوبر ١٩٩٠ - غير مقتنع بأنه يستطيع أن يبادر بنجاح بحرب برية ، فقد وجد نفسه فى مأزق : ماذا لو أمر الرئيس بوش - لأى سبب كان - بعمل هجومى لإخراج العراقيين من الكويت ؟ كذلك كان شوارتزكوف يعلم أن مصادر قوة صدام الاستراتيجية - مثل مرافق الحرب النووية والبيولوجية والكيماوية - يقع معظمها فى وسط العراق ، وليس فى الكويت ، وأنه لا يمكن الوصول إليها وتدميرها إلا عن طريق الجو . وهكذا فإنه بالنسبة لهذا القائد العسكرى الأمريكى - على الأقل لحين صدور قرار بوش فى

٣٠ أكتوبر بإعادة نشر الفيلق السابع فى المملكة العربية السعودية ـ كان القيام بتحرك هجومى لابد أن يشمل بالضرورة استخدام السلاح الجوى .

ولهذه الأسباب ، طلب شوارتزكوف فى ٨ أغسطس مساعدة فى مجال التخطيط الجوى من الجنرال دوجان رئيس أركان السلاح الجوى . وكان خطر غزو عراقى للمملكة العربية السعودية لايزال ماثلاً بالفعل ، كما أن مركز قيادته كان موزعا بين الرياض وتامبا ، ومن هنا كان شوارتزكوف يحتاج لمساعدة .

فى صيف عام ١٩٩٠ ، كان السلاح الجوى الأمريكي يجتاز فترة من الانبعاث الفكرى ، وهى فترة جاءت متأخرة نوعاً ما عن موعدها . ذلك أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، ركّز السلاح الجوى اهتمامه على الحرب النووية الاستراتيجية على حساب الاستخدامات الأخرى للقوة الجوية . فقد كان التعاون بين السلاح الجوى والجيش فى معركة جوية برية يقتصر على مسألة إعداد فريق عمل جوى ـ برى فى ميدان القتال ، أى مساندة جوية عن كثب واستخدام القوة الجوية فى قطع أو تدمير خطوط تموين العدو . غير أنه فى أواخر الثمانينات بدأ السلاح الجوى إعادة النظر فى الأفكار التى استقرت لوقت طويل بشأن القوة الجوية فى ضوء التكنولوجيات الحديثة ، وتوصل إلى أن الولايات المتحدة يمكن أن تشن بنجاح ـ فى ظل ظروف معينة ـ حملة جوية تقليدية استراتيجية مستقلة .

ويلخص كتاب الكولونيل جون أ . واردين الثالث « الحملة الجوية : التخطيط للقتال » التفكير الجديد للسلاح الجوى .(٧) وقد أتم واردين وضع هذا الكتاب عندما كان لايزال طالباً فى كلية الحرب القومية ، ونُشر لأول مرة فى عام ١٩٨٨ بواسطة« ناشيونال ديفنس يونيفيرستى برس » (مطبعة جامعة الدفاع القومى) . ونال الكتاب تقديراً واسعاً داخل السلاح الجوى ، وأعيد نشره فى طبعة تجارية ، وهو أمر نادر الحدوث بالنسبة لمطبوعة حكومية . وفى تقديمه للكتاب ، كتب واردين :

> « كتاب الحملة الجوية هو ببساطة شديدة إطار فلسفى ونظرى لخلق فكرة أو تصور بشأن حملة جوية ، وللتخطيط لهذه الحملة وتنفيذها . وبالقدر الذى يساعد به هذا الكتاب أى مخططين على ترتيب أفكارهم ـ قبل أن يدخلوا معمعان المعركة ـ يكون قد حقق أهدافه . »(٨)

ومن سخريات الأحداث أن واردين هو الذى وجد نفسه فى أغسطس ١٩٩٠ فى « معمعان المعركة » . فقد كُلف بوصفه نائب مدير « نظريات القتال الجوى » من جانب الجنرال جون لوه ، نائب رئيس أركان السلاح الجوى الأمريكى ، بوضع تصور لعمليات حملة جوية ضد العراق وتقديمه للقيادة المركزية .

وبسرعة ، وضعت أركان حرب السلاح الجوى بقيادة واردين ـ وليست أركان الحرب المشتركة ـ خطة حملة جوية .(٩) وفى العاشر من أغسطس ، توجه فريق من قيادة السلاح الجوى برئاسة واردين إلى تامبا لعرض الخطة على الجنرال شوارتزكوف . وفى اليوم التالى ، عرض واردين وفريقه الخطة على الجنرال باول بعد العودة إلى واشنطن . وأعطى باول تعليماته إلى

واردين بإشراك الفروع الأخرى للقوات المسلحة لكى تكون الخطة أكمل وأكثر تفصيلاً وأقرب للواقع . ونتيجة لذلك ، فقد أصبحت القيادة الجوية ، من الناحية الواقعية ، قيادة مشتركة لكل فروع القوات المسلحة . وبعد ذلك ، قام واردين بعرض صيغة مشتركة وموسعة للخطة ـ التى أطلق عليها الآن الاسم الشفرى « الرعد الخاطف » ـ على شوارتزكوف فى تامبا يوم ١٧ أغسطس . ثم طار واردين عائداً إلى واشنطن ، ومنها إلى الرياض حيث وصل فى مساء يوم الأحد ١٩ أغسطس . وفى اليوم التالى ، عرض واردين الخطة على الجنرال هورنر ، قائد السلاح الجوى فى القيادة المركزية وغيره من أعضاء قيادة أركان حرب القيادة المركزية .(١٠)

كان تصور عمليات « الرعد الخاطف » يعكس تفكير واردين حول إمكانيات حملة جوية . فقد رأى أن القوة الجوية يمكن أن تحقق الهدفين العسكريين الأساسيين اللذين وضعهما الرئيس بوش : إخراج صدام من الكويت ، وتصحيح ميزان القوى الاقليمى . وعرض واردين ، فى كتابه ، خمسة أشكال ممكنة يمكن أن يتخذها سيناريو الحرب الجوية . وكتب عن الشكل الثانى ، قائلاً : « الحالة الثانية ، تحدث عندما يكون طرف قادرا على توجيه ضربة لعدوه فى أى مكان ، بينما العدو لا يستطيع أن يفعل أكثر بكثير من مجرد الوصول إلى الجبهة .(١١) وعندما فحص واردين ميزان القوى الجوية بين العراق والائتلاف ، وجد سيناريو الحالة الثانية ماثلاً أمامه ، وهو السيناريو الذى أطلق عليه فى كتابه « حلم القائد العسكرى » . ذلك أن « الحالة الثانية » ـ كما جاء فى الكتاب ـ « تتيح الفرصة لعمل حاسم ـ عمل تصل قدرته على الحسم إلى درجة أن الحرب يمكن كسبها نظرياً من الجو . »(١٢)

حددت خطة واردين خمسة مراكز ثقل أو خمسة مواقع استراتيجية معرضة للهجوم ، وقام بترتيب هذه المواقع فى سلسلة من الدوائر متحدة المركز تبدأ من المركز حتى المحيط : القيادة ، المنشآت الإنتاجية الرئيسية ، البنية الأساسية ، السكان ، قوات الميدان والقوات العسكرية . ورأى واردين أنه بالنظر إلى قوة وقدرات الاسلحة الجوية المتحالفة ـ وخاصة الذخائر دقيقة التوجيه وطائرات ستيلث (الشبح) ـ فإن القوة الجوية تستطيع تجاوز خطوط الجبهة وضرب العدو فى مقتل .

إن فكرة تخطى الحلقات الخارجية بالتحليق فوقها وضرب المركز ليست جديدة تماما . ففى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، أقترح المدافعون عن السلاح الجوى ، مثل الإيطالى جيوليو دوهيه ، استخدام الطائرات لتجاوز خطوط الجبهة الأمامية لتجنب وقوع حمامات دم وضرب قلب العدو .(١٣) ولكن المحاولات التى جرت أثناء الحرب العالمية الثانية لتطبيق هذه النظريات تعثرت لأنه ثبت أن فكرة دوهيه بشأن مهاجمة المراكز السكانية للعدو تحقق نتائج عكسية ، كما أنها كانت مثار طعن من الناحية الاخلاقية ، إلى جانب أن قاذفات قنابل الأربعينات كانت تفتقر إلى القدرة على ضرب المراكز الاستراتيجية الأساسية بدقة تامة .

وفى عام ١٩٩٠ ،أحدثت التكنولوجيات الجديدة ـ مثل أنظمة الملاحة البالغة الدقة ، والذخائر دقيقة التوجيه ، وطائرات ستيلث (الشبح) ، والمراقبة المحمولة جوا وأنظمة السيطرة والمراقبة

مثل نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف وطائرات أواكس (نظام التحذير والتحكم المنقول جواً) - وقدرة القوات الجوية الغربية على ضرب العدو طوال الساعات الأربع والعشرين يومياً ، وفى كل الظروف المناخية .. أحدثت تغيرا فى المعادلة الجوية .(١٤) وأقتنع واردين بأن الولايات المتحدة تستطيع أن تشن .

« أول الحروب بحق التى تبدأ من الداخل ثم تنتقل إلى الخارج ، حيث يمكنك أن تنطلق من مركز القوة ذاته ثم تشق طريقك إلى الخارج على نحو يتعارض مع الطريقة التى كان علينا أن نخوض بها الحروب فى الماضى ، والتى كنا نبدأ فيها بالتعامل مع جيش العدو أو أسطوله ثم نفتح الطريق أمامنا تدريجيا إلى الداخل . »(١٥) .

واختيار الاسم الشفرى للحملة الجوية - « الرعد الخاطف » - كان يعكس أيضاً رغبة العسكريين الأمريكيين فى تجنب تكرار أخطاء الحرب الفيتنامية . ففى أثناء حرب الهند الصينية ، تم استخدام القوة الجوية بطريقة محكومة تصاعدية كان هدفها زيادة الضغط العسكرى تدريجياً على هانوى ، فى محاولة لإرغام الفيتناميين الشماليين على الجلوس إلى مائدة المساومات . وكان الاسم الشفرى لواحدة من الهجمات الجوية الكبرى فى الحرب الفيتنامية « الرعد المتدرج » . غير أن إدارة بوش والعسكريين الأمريكيين لم يخططوا لمثل هذا التصعيد « المتدرج » فى حالة اندلاع حرب مع العراق . فهذه المرة لن يتدرج « الرعد » من الجو متجها من الجنوب إلى الشمال كما حدث قبل خمس وعشرين سنة ، بل سينطلق بطريقة « خاطفة » فى أنحاء العراق ، ضارباً قلب المركز التجارى لمدينة بغداد فى طلقة الافتتاح . ولن تكون هناك مناطق محرمة ، ولن تكون هناك فترات توقف عن قصف القنابل .

ورغم المميزات العديدة « للرعد الخاطف » ، إلا أنه كانت هناك مشكلات نظرية وعملية تتصل بهذه الخطة الجوية التى وضعت بمعزل عن القيادة الجوية « المشتركة » فى البنتاجون ، والتى يرتدى أعضاؤها ثياب هيئة التحكيم القضائى . فالخطة لم ترض تماما الجنرال شوارتزكوف فى تامبا أو الجنرال هورنر فى الرياض . وترتب على ذلك أن هورنر ، قائد السلاح الجوى فى القيادة المركزية ونائب شوارتزكوف فى الموقع فى المملكة العربية السعودية ، قرر أن تتولى القيادة المركزية السيطرة على التخطيط للعمليات الجوية . وفى التاسع عشر من أغسطس ، أجرى هورنر مكالمة تليفونية سرية مع الجنرال باستر جلوسون ضابط السلاح الجوى .

وكان جلوسون قد أُعفى من عمله فى القيادة المركزية فى تامبا فى منتصف يوليو ، وأُرسل إلى الخليج العربى ليكون نائب قائد قوة العمل المشتركة فى الشرق الأوسط . وتولى الرجل فى تلك الفترة تنسيق المناورات العسكرية المشتركة للولايات المتحدة والإمارات العربية المتحدة - والتى أطلق عليها الاسم الكودى « العدالة العاجية » - وكان ذلك فى الأيام السابقة على الغزو العراقى للكويت . وما إن بدأت الحرب حتى عاد جلوسون إلى البحرين ، وإلى سفينة قيادة قوة العمل المشتركة للشرق الأوسط « لاسال » ، حيث تولى تنسيق العمليات الجوية والبحرية فى شمال ووسط الخليج العربى .

وخلال المحادثة الهاتفية التى جرت فى التاسع عشر من أغسطس ، شرح هورنر لجلوسون أن هيئة القيادة المركزية كانت تركز كل اهتمامها حتى ذلك الوقت لأسباب مفهومة ، على الجوانب الدفاعية المباشرة لـ « درع الصحراء » ، بيد أن شوارتزكوف غير سعيد وغير مرتاح من الاعتماد على القيادة الجوية فيما يتعلق بتخطيط لعمليات جوية طويل المدى . وطلب هورنر من جلوسون أن يطير إلى الرياض ، ويتولى قيادة هيئة التخطيط للعمليات الجوية ، ويضع خطة جوية للقيادة المركزية . وسوف يوضع بين يدى جلوسون « فرخ من الورق النظيف الأبيض » ولن يكون مقيداً بخطط موضوعة سلفاً . وأوضح هورنر لجلوسون أيضا أن أى خطة يضعها ستصبح هى نفسها مخطط شوارتزكوف لحملة جوية .(١٦)

وطار جلوسون فى نفس ذلك اليوم إلى الرياض ، وأعد بسرعة تخطيطاً أولياً لتصوره للعمليات . وفى صباح اليوم التالى ، حضر عرضاً موجزاً « للرعد الخاطف » . وكان جلوسون ـ مثله مثل واردين ـ يؤمن بأن التكنولوجيا « قد لحقت برؤيا بيلى ميتشيل »(*) ، وبأن القوة الجوية وحدها يمكن أن تهزم صدام حسين .(١٧) غير أن جلوسون ـ مثل شوارتزكوف ـ رأى أن « الرعد الخاطف » خطة طموحة أكثر مما ينبغى ، وأنها استخدام قاس للقوة الجوية ، وأنها منحازة أكثر مما ينبغى للسلاح الجوى بحيث يصعب قبولها من جانب هيئة الأركان المشتركة للقيادة المركزية ، وبوجه خاص من جانب القائد العام شوارتزكوف .

وكان مفهوم جلوسون عن العمليات أقرب ، إلى حد ما ، إلى العمليات الجراحية ، بالمقارنة بمفهوم واردين ، كما كان أقل تركيزاً على بغداد . وكانت هناك نقاط اختلاف ضئيلة بين تفكير جلوسون وتفكير واردين حول الأهداف التى يجب ضربها وهى القيادة العراقية ، ومراكز القيادة والسيطرة ، والمنشآت التى يجرى فيها تصنيع أسلحة صدام للدمار الشامل ، والبنية الأساسية القومية للعراق : النفط والكهرباء والجسور . غير أن خطة « الرعد الخاطف » تجاهلت عملياً القوات البرية العراقية ، وخاصة الحرس الجمهورى . وأدرك جلوسون أن شوارتزكوف لن يشعر بارتياح أبداً لمثل هذه الخطة . فقد أعتبر كل من شوارتزكوف والجنرال هورنر أن الحرس الجمهورى « هدف استراتيجى . »(١٨) وكان لابد من إضعاف قوات الميدان العراقية ـ بالعمليات الجوية إذا كان ذلك ضرورياً ـ لتنفيذ هدف بوش ، وهو تأمين الاستقرار الإقليمى بعد الحرب . وأراد شوارتزكوف ضرب جيش صدام بالقنابل ، وشل حركته فى المكان الذى يوجد فيه فور بدء

(*) اسمه وليام ميتشيل ، واشتهر على نطاق واسع باسم « بيلى ميتشيل » ، ولد فى ٢٩ ديسمبر عام ١٨٧٩ فى نيس بفرنسا ومات فى ١٩ فبراير ١٩٣٦ بمدينة نيويورك . عرف عنه أنه رائد الدفاع عن فكرة إقامة قوة جوية منفصلة للولايات المتحدة ، وأنه صاحب أفكار فى الحرب الجوية حول القصف الاستراتيجى ، والعمليات الضخمة المحمولة جوا ، وتفوق السلاح الجوى على السفن الحربية . ولم يعش ليشاهد العديد من نبوءاته تتحقق فى الحرب العالمية الثانية . وفى سبتمبر ١٩١٨ ، تولى قيادة أسطول جوى فرنسى ـ أمريكى من ١٥٠٠ طائرة . . فكان أكبر حشد للقوة الجوية فى التاريخ حتى ذلك الوقت . إستخدم تشكيلات من ٢٠٠ طائرة لقصف مركز لأهداف معادية . تولى منصب مساعد قائد السلاح الجوى الأمريكى . (المترجم)

الحرب الجوية .[١٩] وكان هناك قلق من احتمال أن يرسل صدام قواته جنوبا باتجاه المملكة العربية السعودية فى الوقت الذى تقوم فيه القوات الجوية المتحالفة بقصف بغداد ، الأمر الذى يهدد قوات شوارتزكوف البرية والقواعد التى يعمل منها الأسطول الجوى للائتلاف ، أو ـ وهذا هو الأكثر احتمالا فى رأى شوارتزكوف ـ أن يهرب الحرس الجمهورى إلى الشمال فور بدء إطلاق النيران .

ورغم هذه المشكلات التى تتعلق « بالرعد الخاطف » ، فإن جلوسون أقر بأن واردين أنقذ مخططى العمليات الجوية فى القيادة المركزية من الاضطرار إلى الشروع فى عملهم من « نقطة الصفر » . وقام جلوسون ومعاونوه بتحويل خطة « الرعد الخاطف » للعمليات إلى خطة مكتملة ومفصلة وموسعة . ومن بين الأهداف الثمانية والسبعين التى حددها واردين ، بقىَ ستون هدفاً فى خطة جلوسون الأصلية . وخلال عمليتى « درع الصحراء » و « عاصفة الصحراء » استمرت القيادة الجوية « المشتركة » برئاسة واردين فى مساندة خطة جلوسون .[٢٠]

على أن التخطيط للعمليات الجوية الفعلية لعاصفة الصحراء كان على يد الجنرال هورنر ، والجنرال جلوسون ، و « خلية الضربة » فى القيادة المركزية . ووضع معاونو جلوسون تفصيلات الحملة الجوية فى ما أصبح معروفاً باسم « الثقب الأسود » ، وكان فى السابق حجرة مخزن فى بدروم مبنى مركز قيادة السلاح الجوى الملكى السعودى .[٢١] ومع وصول المزيد من المعلومات المخابراتية الدقيقة حول العراق إلى « الثقب الأسود » ، تضخمت قائمة الأهداف ، فارتفعت من ستين هدفاً إلى حوالى أربعمائة .

وقرب منتصف سبتمبر ، وضعت هيئة أركان القيادة المركزية ، التى كانت تتسع بسرعة لتصبح متعددة الخدمات والقوميات ، خطة عمليات جوية وضع فيها جلوسون كل ثقته . وفى ١٣ سبتمبر ، عرض الخطة على الجنرال باول ، الذى كان يقوم عندئذ بجولة لتفقد القوات الأمريكية فى المملكة العربية السعودية . وقال كبير مخططى العمليات الجوية فى القيادة المركزية لرئيس أركان حرب القوات المشتركة (الجنرال باول) أن القذائف الدقيقة التوجيه وطائرات ستيلث (الشبح) ستتيحان للقوات المتحالفة مهاجمة العراق طوال الأربع والعشرين ساعة يومياً ، وخاصة فى الليل عندما تكون وسائل الدفاع الجوى العراقية فى أضعف حالاتها . وبذلك يمكن تقليل الخسائر الجوية للائتلاف إلى الحد الأدنى . أما تأثير ذلك على البنية الأساسية العراقية فسيكون مدمراً .

ومما يبعث على الدهشة ، أن جلوسون أمر معاونيه بوضع خطة العمليات الجوية دون الإشارة إلى قوات محددة . فقد كان مقتنعاً بأن قائده العام ـ الرئيس بوش ـ سوف يدبر أى قوات تكون ضرورية لتنفيذ ما بات يسمى بالفعل بعملية « عاصفة الصحراء » . وفى الحقيقة ، فإنه فى منتصف سبتمبر كان جلوسون يعتبر خطة العمليات الجوية « جاهزة للتنفيذ . »[٢٢] ومع وصول قوات إضافية إلى مسرح العمليات ، ومع تحسن المعلومات المخابراتية حول العراق وقواته المسلحة ، عكف معاونو جلوسون على تجويد الخطة القائمة التى فى أيديهم ، رغم أن فلسفتها وهيكلها العام ظل كما هو . وأتاحت القوات الإضافية تحقيق تكثيف أكثر فى مراحل الخطة ، والقدرة على تنفيذ أكثر من مرحلة فى وقت واحد .

ورغم أن خطة جلوسون الأصلية للعمليات الجوية ظلت بلا تغيير فى الأساس ، حتى بعد أن أصبحت جزءا من عملية أوسع كانت تشمل هجوما برياً ضخماً ، فإن مسئولى الائتلاف أثناء « عملية عاصفة الصحراء » صوروا الجهد الجوى فى المحل الأول باعتباره عمليات قصف تمهيدية استهدفت إضعاف الجيش العراقى قبل بدء الحرب البرية . ولم يكن لخطة العمليات الجوية ذاتها اسم شفرى مميز . ومن الناحية الرسمية ، كانت هناك خطة عسكرية مشتركة موحدة واحدة ، تلعب القوة الجوية فى إطارها دوراً رئيسياً .

وبعد إنتهاء الحرب ، وعندما ظهر جلياً حجم الدمار فى البنية الأساسية للعراق ، فإن هذا الانحراف الظاهرى فى تنفيذ « عاصفة الصحراء » جعل بعض النقاد يرون فى مسار الأحداث جدول أعمال سرى « تجاوز الأهداف العسكرية البحتة . »(٢٣) وعلى سبيل المثال فإن الحملة الجوية لقوات التحالف ضربت نظام الطاقة الكهربائية العراقى ، مما أدى إلى تخفيض إنتاجه أثناء الحرب الجوية التى دامت ثلاثة وأربعين يوما بنسبة ٩٦ فى المائة ، من ٩٠١٣ ميجاوات إلى ٣٤٠ .(٢٤) وكان لهذه الهجمات تأثير على السكان المدنيين للعراق أكبر بكثير من تأثيرها على الآلة الحربية لصدام .

بيد أن الضربات التى وجهت للشبكة الكهربائية فى العراق لم تكن جزءاً من أى خطة سرية . ففى رسالة الرئيس بوش بتاريخ ٩ يناير - التى رفض طارق عزيز تسلمها - حذر بوش .. صدام من أن « مستقبل العراق » هو الذى تجرى المخاطرة به . وقد أعتزم الرئيس أن يفعل أى شىء ضرورى لاسترجاع « الأمن والاستقرار فى الخليج العربى » ، وهذا كان يعنى إضعاف البنية الأساسية للصناعة فى العراق .

والأكثر أهمية أن نشوء وتطور خطة العمليات الجوية يكاد يكون قد حدد سلفاً مدى اعتماد قوات التحالف على القوة الجوية لهزيمة صدام . ففى أواخر الصيف وفى الخريف ، كان على الجنرال شوارتزكوف ، العاجز عن شن حملة برية لتحرير الكويت ، أن يعطى قدراً لا يصدق من حرية العمل لرجاله من مخططى العمليات الجوية . والنتيجة هى أنه مهما كانت شكوك الجنرال شوارتزكوف والجنرال باول فى قدرات القوة الجوية إذا استخدمت منفصلة عن غيرها من أسلحة الجيش الأخرى ، فقد وجد جلوسون نفسه يوجه تطور خطة جوية يأمل من ورائها أن يجعل « من غير الضرورى شن حملة برية » . ورغم التعزيزات اللاحقة لقيادة شوارتزكوف ، ورغم بدء تخطيط جدى لهجوم برى ، ظلت الخطة الأساسية للعمليات الجوية دون تغيير . ويستعيد جلوسون وقائع تلك الأيام ، فيقول « إننا لم نُدخل أى تغيير على الإطلاق على الخطة بعد الثالث عشر من سبتمبر ، والشىء الوحيد الذى فعلناه ... هو أن أنجزنا جزءا أكبر من الخطة فى وقت واحد . »(٢٥)

وهكذا ، ما إن بدأت « عاصفة الصحراء » حتى شن الحلفاء حربين جويتين بالتوازى . فقد قامت عناصر الأسطول الجوى الضخم التابع للجنرال هورنر بعمليات جوية استراتيجية مستقلة ضد

العراق ، بينما ركزت وحدات جوية أخرى اهتمامها على إعداد ميدان القتال وتوجيه مساندة للحملة البرية . وفيما يختص بالهجمات الاستراتيجية لقوات التحالف ، مثل تلك التى استهدفت ضرب نظام توليد الطاقة الكهربائية العراقى ، فقد كتب الكولونيل واردين يقول :

« من المهم أيضا ملاحظة أن مراكز الثقل قد تكون فى بعض الحالات مرتبطة بطريقة غير مباشرة فقط بقدرة العدو على شن عمليات عسكرية فعلية . وكمثال على ذلك ، فإن نظام توليد الطاقة هو مركز استراتيجى فى معظم الدول . فبدون طاقة كهربائية يصبح إنتاج السلع المدنية والحربية ، وتوزيع الطعام والضروريات الأخرى ، كما تصبح الاتصالات المدنية والعسكرية ، والحياة بوجه عام صعبة إن لم تكن مستحيلة . وما لم يكن الرهان فى الحرب عاليا جدا ، فإن معظم الدول ستقدم التنازلات المطلوبة عندما يوضع نظام توليد الطاقة لديها تحت ضغط كاف أو عندما يُدمر فعلياً . ولاحظوا أن تدمير نظام الطاقة قد يكون تأثيره محدودا فى المدى القصير . »(٢٦)

وعلى العموم ، فإن المؤسسة العسكرية الأمريكية قللت ، لأسباب تتعلق بضيق أفق تفكير بعض العسكريين ، من مدى سعى العمليات الجوية فى عاصفة الصحراء لهزيمة صدام من خلال استخدام القوة الجوية . وكان ضباط السلاح الجوى حذرين بشأن توقعاتهم ، وخاصة بعد طرد الجنرال دوجان الصريح . وعلى سبيل المثال ، فقد اعترف الجنرال ماك بيك ، خليفة دوجان ، فيما بعد ، بأنه تكهن رسمياً بخسائر فى طائرات التحالف أعلى مما كان يتوقع فى سريرته . وقال معترفاً « أنت تعلم أن المدافعين عن السلاح الجوى عبر السنين جلبوا على أنفسهم المتاعب بسبب تفاخرهم أكثر مما يجب بما سوف نفعله ، ومن ثم فقد حاولت أن أنبّه إلى ذلك ، وأن أضيف قدراً قليلا من عنصر المراوغة فى هذا الأمر . »(٢٧) وبينما كان مخططو العمليات الجوية فى واشنطن والرياض يأملون بوضوح فى كسب الحرب بالسلاح الجوى ، فإن جنرالات مثل شوارتزكوف وباول وغيرهما ، كانوا غير مستعدين للاعتراف بوجود حملة جوية مستقلة ، أو بأن السلاح الجوى يمكن أن يكسب الحرب دون حاجة إلى حرب برية . وصرح باول وشوارتزكوف أكثر من مرة بأن السلاح الجوى وحده لا يستطيع أداء هذه المهمة . واتضح عدم رغبة الجيش فى الاعتراف بأى شىء سوى أن السلاح الجوى مجرد عنصر مساعد ، وإن يكن عنصرا مهما فى الحملة البرية ، فى مذكرة صريحة من الجنرال سانت الذى تولى قيادة كل القوات الأمريكية فى أوروبا :

« من المؤكد أن القيمة التعبوية للسلاح الجوى جعلت مهمتنا أكثر سهولة : يجب أن نعطى لكل صاحب حق حقه بالكامل . بل نحن مستعدون للموافقة على أنه كانت هناك « حملة جوية » فى الحرب ، نظراً لأن الهجوم على القدرة الإنتاجية النووية والكيماوية للعراق حقق أحد الأهداف الاستراتيجية المقررة للائتلاف بدون مساعدة من فرع آخر بالقوات المسلحة . ومع ذلك ، فإن ما يثير القلق هو فكرة أن « الحملة الجوية » كانت كل شىء قبل بدء الحرب البرية . وعلينا ألا ندع هذا القول يمر بلا تفنيد . لقد كانت هناك حملة واحدة فقط لتحقيق الأهداف الاستراتيجية المتعلقة بإرغام قوات صدام على مغادرة الكويت وتدمير قدرتها الهجومية . »(٢٨)

ورغم هذه الاعتراضات ، فقد كان هناك بوضوح جهد جوى استراتيجى مستقل لهزيمة صدام بالسلاح الجوى . وفى مقابلة جرت فى أواخر ديسمبر ، قال نائب المارشال جوى بيل راتن ، نائب قائد القوة العسكرية البريطانية المرابطة فى الخليج ، للصحفيين : « عندما تبدأ الضربة الجوية

ويسمح لها بأن تستمر إلى نهايتها فإنها يمكن أن تكون حاسمة . »(٢٩) وعلق الجنرال جلوسون قائلاً : « كنت أعرف ، ومازلت أعتقد أن السلاح الجوى يستطيع تحقيق الأهداف الرئاسية إذا استطعنا أن ننتظر التأثير الذى يحدثه » .

وكما توقع راتن ، ووارديــن ، ودوجان ، ومور ، وجلوسون ، وغيرهم فإن قصف قوات التحالف المستديم جعل صدام يوافق على الانسحاب من الكويت - رغم أن تفاصيل وشروط هذا الانسحاب ظلت متروكة للتفاوض - عندما بدأ الهجوم البرى للتحالف . وكان الكولونيل جون واردين مقتنعا بأنه لو كان قد تم تأخير الهجوم البرى بضعة أيام ، لكان السلاح الجوى قد هزم صدام .(٣٠) وكان رئيس أركان السلاح الجوى ماك بيك صريحا فى تقديره للموقف : « اقتناعى الخاص هو أن هذه هى المرة الأولى فى التاريخ التى يُهزم فيها جيش ميدانى بالسلاح الجوى . »(٣١)

كانت خطة العمليات الجوية للقوات المتحالفة ، فى صورتها النهائية ، التى وضعت فى « الثقب الأسود » فى الرياض تتكون من أربع مراحل مترابطة . المرحلة الأولى تدوم من سبعة إلى عشرة أيام تقوم خلالها القوات الجوية المتحالفة بـ « تفكيك أوصال » نظام الدفاع الجوى العراقى الموحد وإحراز التفوق الجوى والسيادة الجوية . ويقوم طيران الائتلاف وصواريخ كروز التى تطلق من السفن بتدمير نظام القيادة والسيطرة العراقى ، أو ما وصفه الجنرال ماك بيك بـ « مهاجمة الأدمغة والجهاز العصبى للقدرة العراقية على السيطرة على قواتها ذاتها . »(٣٢) وتقوم طائرات أخرى بضرب مقار الحكومة ، ومراكز القيادة العسكرية ، ومراكز الإذاعة والتليفونات والتليفزيون ، والمطارات ، ومواقع الرادار وشبكات صواريخ « سام » ، وغيرها . والمرحلة الثانية تدوم يوما واحدا فقط أو يومين ، ويتم خلالها مواصلة المرحلة الأولى بالتعامل بنفس الطريقة مع وسائل الدفاع الجوى العراقية الأقل تطورا فى مسرح العمليات الكويتى . والمرحلة الثالثة ، التى قد تكون أطول المراحل ، تشمل الهجمات ضد وحدات الجيش العراقى المنتشرة فى مسرح العمليات الكويتى استعدادا للهجوم البرى للتحالف . وخلال المرحلة الرابعة والأخيرة ، تتولى طائرات الائتلاف مساندة الهجوم لقوات التحالف التى ستحرر الكويت . ونظراً لأنه كانت تتوافر لدى هورنر وجلوسون طائرات كثيرة جدا تحت تصرفهما ، خلال المراحل الثلاث الأولى للحملة ، فإن كل أنواع الأهداف العراقية ستتعرض للهجوم ، رغم أنه سيتم التركيز على مجموعة معينة من الأهداف فى كل مرحلة . وأثناء المرحلة الرابعة ، سوف تستمر الهجمات على أهداف المراحل الأولى والثانية والثالثة ، فى الوقت الذى تدخل فيه القوات البرية المتحالفة الكويت .

وبينما ظلت خطة العمليات الجوية للتحالف بلا تغيير فى الأساس ، نظرياً على الأقل ، فى الفترة من سبتمبر ١٩٩٠ حتى يناير ١٩٩١ ، فإن التخطيط للحرب البرية شهد تغيراً هائلاً . ففى البداية ، أدى قلق الجنرال شوارتزكوف - وله ما يبرره - من احتمال اندفاع عراقى صوب الجنوب إلى داخل المملكة العربية السعودية إلى حمل معاونيه على تركيز الاهتمام على الجانب الدفاعى . وفى الخريف ، عندما طلبت واشنطن تخطيطاً إجماليا لحملة برية هجومية ، وضعت القيادة المركزية خطة توغل مباشر إلى قلب الخطوط الدفاعية العراقية فى الكويت . ولم تكن تحت سيطرة

شوارتزكوف سوى حفنة من الوحدات الأمريكية التى يمكن الاعتماد عليها والمدربة جيداً والمجهزة جيداً بالمعدات ، ولذا لم يكن راغباً فى الهجوم . أما فى حالة تلقيه الأمر بالهجوم ، فإنه كان يعتزم القيام بعملية هجومية - دفاعية . وفى هذه الحالة سيرغم هجوم عسكرى عنيف فى قلب الكويت ، العراقيين على تحريك فرق الحرس الجمهورى من مواقعها الاحتياطية فى العراق إلى الجنوب للاشتباك مع الوحدات المتحالفة . وما إن يتحرك العراقيون حتى يصبحوا فى متناول الهجوم الجوى لقوات الائتلاف .(٣٣)

ولكن مع استمرار صدام فى تقوية دفاعاته فى الكويت ، ومع استمرار وصول تعزيزات برية لقوات التحالف إلى المملكة العربية السعودية ، ظهرت بوضوح احتمالات شن هجوم حول الجناح الأيمن العراقى . ومنذ وقت مبكر يرجع إلى شهر أكتوبر ، بدأ شوارتزكوف ومعاونوه دراسة مشكلات وإمكانيات ضربة خطافية من الناحية اليسرى عبر الصحراء . فقد أكدت عمليات الاستطلاع الفعلية ، ووجود وحدات عراقية على طول الحدود السعودية غربى الكويت أن المنطقة التى توصف على الخريطة بأنها « رمال وحصى » وتقطعها « سبخات » (مستنقعات مالحة صغيرة) ، يمكن للقوات الآلية أن تسير فيها . والأهم من ذلك ، فيما يبدو ، أن شهورا من التجربة العملية فى الصحراء السعودية كانت قد أثبتت أن الوحدات العسكرية المجهزة بأدوات استقبال نظام تحديد المواقع الكونى المتصل بالأقمار الصناعية تستطيع أن تشق طريقها عبر مثل هذه الأرض المجردة من الملامح وغير المطروقة .

إلا أن شوارتزكوف كان لايزال قلقاً من المخاطر التى تنطوى عليها مثل هذه العملية ، ولكى يضمن نجاحها ، أمر بوضع خطة محكمة للتمويه ليخدع العراقيين ويخفى عنهم اتجاه الهجوم الرئيسى لقوات التحالف . وكما لاحظ ونستون تشرشل فى عام ١٩٤٣ فإنه « فى زمن الحرب تكون الحقيقة غالية جدا بحيث يجب أن يقوم على خدمتها والسهر عليها دائماً حرس خصوصى من الأكاذيب . »(٣٤)

واستعان الجنرال شوارتزكوف بحرسه الخصوصى من الأكاذيب لإقناع صدام بأن خطر هجوم برمائى من الخليج العربى هو خطر حقيقى ، وبأن القوات المتحالفة تعتزم الهجوم مباشرة فى خط مستقيم باتجاه الشمال على قلب الدفاعات العراقية فى الكويت . وفى سبيل تحقيق هذا الغرض ، أمر شوارتزكوف معاونيه بأن يحتفظوا بالجيش البرى المتنامى للائتلاف محتشداً بين البحر ووادى الباطن ، كما لو كان متأهباً لهجوم مباشر على الكويت . وقام مهندسو التحالف بتشييد نسخة كاملة مطابقة للنظام الدفاعى العراقى على الخطوط الأمامية ، وقامت الوحدات العسكرية للائتلاف بمناورات مكثفة للتدريب على اختراق حقول الألغام وعلى حرب الخنادق بهدف تحقيق غرضين على السواء هما إعداد الوحدات لهجوم فعلى على الكويت ، وإقناع العراقيين بأن اتجاه الهجوم الرئيسى للحلفاء سيقع مباشرة من ناحية الساحل .(٣٥) وتوقع شوارتزكوف أن تؤدى مناورات عسكرية برمائية متعددة على نطاق واسع ، يتم الإعلان عنها جيداً ، إلى إجبار العراقيين على الدفاع عن جناحهم المواجه للبحر . وفى الجو ، ساعدت موجات العمليات المتكررة على تهيئة العدو لرؤية

اعداد كبيرة من الطائرات تنقل جوا الجنود والمهمات إلى منطقة مباشرة جنوبى الحدود .(٣٦) وإذا سار كل شيء وفقاً للخطة ، فإن بدء الحرب الجوية والضربة الخطافية من الناحية اليسرى عبر الصحراء سيشكلان مفاجأة كاملة للعراقيين .

واشتملت الخطة البرية الفعلية لقوات التحالف على عناصر متعددة . فقد كانت قيادة التحالف تأمل فى أن تعزز تحركات التحالف الأولى الآمال المعلقة على نجاح خطة الخداع فى التمويه على العراقيين . وستقوم القوات البرمائية الأمريكية بمناورة على مقربة من ساحل الكويت ؛ وتزحف فيالق مشاة البحرية الأمريكية والوحدات العربية المتحالفة شمالا إلى داخل الكويت ؛ وستقوم فرقة الفرسان الأولى الأمريكية بهجوم مخادع عبر وادى الباطن . وفى نفس الوقت ، وعلى مسافة بعيدة ناحية الغرب ، ستتحرك الوحدات الفرنسية والوحدات الأمريكية التابعة للفيلق الثامن عشر المحمول جوا - المصطفة على طول الحدود السعودية فى قطاع تركه العراقيون فعلياً بلا دفاع - ستتحرك شمالاً إلى داخل العراق ، وتتخذ مواقع لحماية الجناح الأيسر لقوات التحالف ولتقطع الطريق الرئيسى السريع الثامن جنوبى نهر الفرات . وبعد مرور أربع وعشرين ساعة يبدأ الهجوم الرئيسى عندما يقوم الفيلق السابع لقوات التحالف باقتحام واختراق الوحدات العراقية المنتشرة على طول الحدود السعودية غربى وادى الباطن ويتجه شمالا وشمال شرق نحو نهر الفرات . وفى الوقت الذى تجرى فيه كل هذه التحركات ، تواصل الطائرات المتحالفة دك جيش صدام ، وإضعاف قوته الدفاعية وشل حركته .

وأدمج مخططو شوارتزكوف أحدث عقيدة عسكرية فى خطة الحملة البرية . ووضع « خبراء المناورة » فى فيلق مشاة البحرية الأمريكى الخطط لاختراق سريع لـ « خط صدام » ، وتوغل سريع بعده ، على أمل تجنب هجوم دموى وجهاً لوجه . وساعد « فرسان جيدى » - وهم مجموعة من كوادر مخططى الجيش الأمريكى المدربين على نظريات حرب المناورة فى معهد الدراسات العسكرية المتقدمة فى فورت ليفنورث بولاية كانساس - معاونى الجنرال شوارتزكوف على وضع خطة الزحف حول الجناح الأيمن العراقى .(٣٧) ووصل الفيلق السابع الأمريكى القوى ، الذى نقل من بافاريا لإعادة نشره فى المملكة العربية السعودية ، إلى الصحراء مشرباً بعقيدة المعركة الجوية البرية ، مرتاحاً الى « تصوره » حول « الفيلق القادر » الذى يدمج بين افكار تدور حول « ميدان القتال غير المؤلف بين خطوط مستقيمة » وبين حركة التشكيلات الكبيرة عبر « مسافات تتخللها العمليات الحربية » كمقدمة لشن « هجمات سريعة » خارج إطار الزحف .(٣٨)

وفى الواقع فإنه بالنظر إلى العقيدة الحالية للجيش الأمريكى ، وحجم القوة المرابطة فى المملكة العربية السعودية ، والوضع الجغرافى لمسرح العمليات الكويتى ، فإنه لم يكن أمام شوارتزكوف خيارات كثيرة سوى الالتفاف على الجناح الأيمن العراقى . وبينما كان العمل غرب وادى الباطن يشكل أحد الخيارات فى أكتوبر ونوفمبر ، فإنه ما إن بدأ وصول الدفعة الثانية من القوات المتحالفة الإضافية إلى المملكة العربية السعودية حتى أصبح زحف جناح أيسر ضرورة . ويبلغ طول جبهة الحدود الكويتية - السعودية بين الخليج العربى ووادى الباطن حوالى مائة ميل . وطبقا لما ذكره

الجنرال توماس كيلى ، فقد بلغ مجموع القوات البرية المتحالفة ما يعادل حوالى سبع عشرة فرقة .(٣٩) ولم يكن ممكنا استخدام قوات كبيرة بهذا الحجم مادياً بطريقة فعالة على طول جبهة ضيقة على هذا النحو . ويكشف اختبار تحرك فيالق قوات التحالف كل على حدة أثناء تنفيذ الضربة الخطافية من الناحية اليسرى أن وحدات كثيرة ، وخاصة التشكيلات العربية ، كانت محشورة فى مواقع الخط الأمامى فى اليومين الثالث والرابع للحرب البرية لأنه لم يكن هناك مجال كاف للمناورة . ولم يتراءى أمام العقيدة العسكرية للجيش الأمريكى مثل هذا الاحتشاد للقوات فى مساحة ضيقة فى حملة مناورة ، وهذا هو نمط الحملة التى أراد الجنرال شوارتزكوف وغيره من كبار القادة العسكريين والسياسيين الأمريكيين أن يخوضوها فى مقابل المباراة المخططة سلفاً بعناية والبطيئة التى فضلها صدام .

وكانت جغرافية الجبهة ملائمة أيضا لهجوم يستهدف الالتفاف والتطويق . فخطوط المواصلات العراقية كانت تسير بموازاة نهر الفرات وتشكل زاوية مع الجبهة ، وكانت عرضة للسقوط أمام هجوم لقوات التحالف غربى الكويت . وعرض الكتيب المختصر العملياتى لمعركة الجيش البرية - فام ١٠٠ - ٥ - نموذجاً تاريخياً للاستخدام الفعال للمناورة ضد خطوط مواصلات معادية فى موقف مماثل تماماً .(٤٠)

وأشتملت عقيدة الجيش أيضا على شكلين لمناورة عسكرية حاسمة قابلة للتنفيذ ، بهدف دفع الجيش للاحتكاك بالعدو بدون هجوم مباشر بالمواجهة . واستهدف التطويق تجاوز جبهة العدو الأمامية والضرب فى جناحه عن طريق مهاجمة قواته فى أضعف حلقاتها .(٤١) واستهدفت حركة الالتفاف أو التطويق « تجنب الدفاع تماما » ، والتوغل فى عمق مؤخرة العدو ، وتهديد خطوط مواصلاته . وثمة عناصر ممكنة أخرى يمكن استخدامها فى حركة الالتفاف تشمل عمليات إنزال برمائية ، وعمليات إسقاط قوات محمولة جوا .

وقرر الجنرال شوارتزكوف عدم استخدام وحداته البرمائية أو المحمولة جواً بسبب رفضه المخاطرة بأى عمل قد يسفر عن خسائر بشرية عالية فى صفوف قوات التحالف . ومما أثار خيبة أمل الكثيرين من مشاة البحرية ، ولكن ليس كلهم بأى حال من الأحوال ، أن لواءى الحملات البحرية الرابع والخامس قاما بهجوم مخادع مفيد ، بيد أنهما لم يقوما بهجوم قتالى أثناء سير الحملة . وأستخدمت الفرقة ٨٢ المحمولة جوا التابعة للجيش الأمريكى كفرقة مشاة خفيفة أثناء سير العمليات ، ولم تقم بهجمات محمولة جوا . كذلك لم يكن شوارتزكوف راغباً فى المخاطرة بالكل فى حركة التفاف كاسحة فى المؤخرة العراقية . فبعد الوصول إلى نهر الفرات ، سوف يرسل الفيلق الثامن فرقة واحدة فقط - فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرين - فى مسيرة طويلة حول الجناح نحو البصرة ، فى عمق الخطوط الخلفية العراقية . وسيشتمل الهجوم الأمريكى الرئيسى على أقل مخاطرة ، وربما على أقل حركة إطلاق نيران حاسمة مباشرة من جانب الفيلق السابع ، وهو تشكيل آلى قوى قادر على عمليات هجومية أو دفاعية مستديمة ضد الجناح العراقى .

وشكل الفيلق السابع بقيادة الجنرال فرد فرانك قوة ساحقة مدرعة ، هى التى اعتزم الجنرال

شوارتزكوف أن يكتسح بها المنطقة الواقعة حول الجناح العراقى . وكان فيلق فرانك الذى يضم أربع فرق أمريكية وفرقة بريطانية ، يضع فى ميدان القتال أكثر من ألفى عربة قتالية مدرعة ، ويعد أقوى تشكيل فى مسرح العلميات . لا شيء - ولا حتى حرس صدام الجمهورى - كان يمكن أن يضاهى الفيلق السابع فى قوة النيران والقدرة على المناورة . وإذا نجحت خطة الخداع كما هو مخطط لها وتم استدراج قوات الاحتياطى العراقية جنوبا إلى المعركة على الحدود الكويتية - السعودية ، فإن فيلق فرانك يستطيع أن يدور حول الجناح الأيمن العراقى ويوقع قوات صدام فى الكويت فى المصيدة .

ومما يثير الدهشة ، أنه رغم امتلاك القوات المتحالفة لمزايا كاسحة - يعد التفوق الجوى الكامل وفيلق فرانك السابع مجرد مثالين منها - فقد وصف الجنرال شوارتزكوف فى تصريحاته الشهيرة الآن ، التى أدلى بها يوم ٢٧ فبراير ، خطته للهجوم بأنها « لعبة السلام لك يا مريم » . وقال شوارتزكوف للصحفيين المجتمعين ولملايين الأمريكيين الذين يشاهدون التليفزيون فى الوطن « عندما يشعر اللاعب الذى يلعب دور الظهير ويوجه حملات فريقه الهجومية باليأس ، فإن ما يفعله هو أن يثبت قدميه وراء لاعب الوسط ، وفجأة يبتعد كل واحد من متلقى الكرة فى اتجاه إلى أحد الأجنحة ثم يطلقون جميعا سيقانهم للريح فى الملعب بأسرع ما يستطيعون إلى منطقة النهاية » . غير أنه فى يوم بدء الحرب البرية فى ٢٤ فبراير ، يصعب القول بأن الجنرال شوارتزكوف كان يواجه موقفا عسكريا « يائسا » . ووقف صدام ، وليس نورمان شوارتزكوف ، على حافة الهزيمة . والتشبيه الأكثر ملاءمة بكثير ، فى مجال كرة القدم ، هو لعبة « يسار جسم الطالب » التى نشاهد فيها خطا هجومياً قوياً ومسيطراً يقود حامل الكرة إلى النهاية .

ومنذ مولد تشبيه « السلام لك يا مريم » ، وهناك قدر كبير من الغلو فيما يتعلق بخطة الحرب البرية أو تنفيذها . فقد صور المشاركون ومعظم المحللين والصحفيين وآخرين ممن كتبوا عن الحرب أو ناقشوها ، خطة المرحلة البرية من عاصفة الصحراء والجهد الخداعى للتمويه باعتبارها نجاحاً كاملاً . وعلق الجنرال شوارتزكوف فى وقت ما قائلاً : « إننا فقط اتجهنا يميناً حولهم » . ووصف الجنرال وليام « جاس » باجونيس ، المسئول عن العمليات اللوجستية فى قيادة شوارتزكوف ، الحملة البرية بأنها « أكبر عمليات التمويه فى التاريخ ... أفضل من يوم غزو نورماندى فى الحرب العالمية الثانية . »(٤٢)

وبسبب ضخامة إنجازات الجنرال شوارتزكوف ، فإنه يجب الحكم ، فى واقع الأمر ، على « عاصفة الصحراء » بأنها انتصار هائل . ذلك أن إلحاق هزيمة منكرة بجيش ضخم معاد على هذا النحو ، وحدوث خسائر بشرية طفيفة فى صفوف الجيوش الصديقة هو إنجاز يصعب تصديقه . ولكن هذا لا يعنى أن كل شيء سار وفقاً للخطة الموضوعة ، أو أن « عاصفة الصحراء » نجحت نتيجة لنجاح خطة الخداع والتمويه .

هناك نقطتان يجب توضيحهما بصدد خطة الجنرال شوارتزكوف الخداعية . أولاً ، إن الانتشار المتأخر لفيلقين كاملين غربي وادى الباطن ، وهى منطقة لا يخترقها سوى طريق واحد ، كان

كابوساً لوجستياً وفرض مصاعب حقيقية على القوات . وقد أراد الجنرال باجونيس تحريك القوات في وقت مبكر . وحتى الجنرال شوارتزكوف اعترف بأن قرار تأخير تحريك الفيلق السابع والفيلق الثامن جلب عليه « الكثير من الكلام القاسي » . وعلق قائلا : « لقد حاربوني طوال الوقت . »(٤٣) وثانيا ، ليس من الواضح أن خطة الخداع قد نجحت . فقد توصل التقرير الرسمي لوزارة الدفاع الأمريكية حول مسار الحرب إلى أن « الهجوم المدرع الذي شنه شوارتزكوف للتطويق في الغرب يبدو أنه لم يكن متوقعا . »(٤٤) وكانت وزارة الدفاع من الحكمة بحيث تلطف من عبارات التقرير ، نظراً لوجود دلائل على أن العراقيين لم ينخدعوا بخطة قوات التحالف .

وبالنسبة للعراقيين ، فإن الدفاع العسكري عن العراق اصطدم بمشكلات استراتيجية وعملياتية لا تعد ولا تحصى . فقد واجهت قوات صدام تهديدات من البحر على يسارها ، ومن وسطها ناحية الساحل مباشرة ، ومن الصحراء حول جناحها الأيمن أو جناحها الغربي . ولحراسة جناحهم الأيسر والأوسط ، استخدام العراقيون بين خمس وسبع فرق لحماية الساحل الكويتي للخليج العربي ، وقاموا بتحصين الحدود الكويتية - السعودية . والادعاء بأن هذه التصرفات نتيجة مباشرة لخطة قوات التحالف الخداعية هو محض سخف . ففي وقت مبكر يرجع إلى الأسبوع الثاني من أغسطس ، كان العراقيون قد شرعوا في حفر الخنادق على طول ما أصبح يسمى بـ « خط صدام » . وما دامت توجد تحت تصرف التحالف قوات برمائية منتشرة في البحر ، فقد كان على صدام أن يحرس الساحل . والظروف - وليست أي خطة خداعية - هي التي أملت التصرفات والترتيبات العراقية في الجناح الأيسر وفي الوسط . وأمتلك اللواءان الأمريكيان لمشاة البحرية في البحر قوة نيران أكبر بكثير من الفرق العراقية التي تراوحت بين خمس وسبع فرق قابعة في الانتظار على طول الساحل الكويتي .

وكان الجناح الأيمن العراقي يمثل مشكلة خاصة . ذلك أن صدام - بصرف النظر عن حجم جيشه - لم يملك قوات كافية للدفاع عن كل حدود العراق مع المملكة العربية السعودية من الكويت حتى الأردن . وفي مكان ما من الصحراء غربي وادي الباطن ، كان ثمة جناح عراقي مكشوف . ومن الناحية التاريخية ، فإن المهاجمين في حروب الصحراء - كما حدث في الحرب العالمية الثانية - يضربون جناح عدوهم المكشوف في الصحراء .

والدفاع النموذجي في مواجهة مثل هذا الهجوم هو أن يحرم المرء نفسه من جناحه ، أي يسحب التشكيلات في الجناح المكشوف ويضع احتياطيات قوية متحركة في المؤخرة للتصدي لأي قوة تلتف حول جناحه ، وعندئذ فإن الاشتباك المدرع هو الذي يقرر مسار المعركة ، وربما الحرب .

إن دراسة أوضاع الجيش العراقي عشية الحرب البرية - كما هو واضح من خرائط الجنرال شوارتزكوف التي استخدمها خلال شرح الموقف في ٢٧ فبراير ، وتلك التي نشرت في التقرير المؤقت لوزارة الدفاع الأمريكية عن الحرب - تبين أن العراقيين كانوا منتشرين لمواجهة تحرك لقوات التحالف حول أجنحتهم أو ، في الحقيقة ، لمواجهة طارىء من هذا النوع . فقد كانت هناك نحو ثماني عشرة فرقة ، من الفرق الثلاث والأربعين العراقية المنتشرة في مسرح العمليات

الكويتى ، ومنها أربع من فرق صدام المدرعة الست وسبع من فرق حرسه الجمهورى الثمانى ، مرابطة فى طريق الفيلق السابع . ووضع العراقيون أضخم الحشود لقواتهم المتحركة ليس فى مؤخرة الجبهة فى الكويت ، ولكن فى الشمال الغربى حيث كانت ترابط فى الأساس احتياطيات صدام الآلية : وكان فى استطاعة هذه القوات عندئذ التحرك جنوبا لإعاقة الزحف فى داخل الكويت ، أو التحرك صوب الجنوب الغربى لمواجهة زحف حول الجناح الأيمن المكشوف للجيش . وهناك شواهد من الحكايات المسلية على أن بعض احتياطيات التشكيلات العراقية على الأقل كانت تقف فى مواجهة الناحية الجنوبية الغربية عشية الهجوم البرى لقوات التحالف ، كما لو كانت تتوقع هجوماً من الصحراء .

وقد نشرت وزارة الدفاع الأمريكية أيضا صورا للمواقع والتحركات العراقية فى ٢٤ فبراير ، تكذب الأنباء القائلة بأن قادة صدام العسكريين قد انخدعوا بخطة التمويه المتحالفة . وهناك صورة للجبهة فى ٢٤ فبراير تبين بوضوح تشكيلات قوات التحالف وهى تقترب من الدفاعات العراقية فى جنوبى الكويت ، بينما فى الشمال تتقدم الطوابير المتحركة العراقية ليس صوب الجنوب نحو المعركة الناشبة ، وإنما إلى الغرب نحو مواقع اعتراضية .(٤٥) وثمة صورة مماثلة ، التقطت فى موعد لاحق إلى حد ما فى يوم ٢٤ فبراير ، تبين الطوابير العراقية وهى تتحرك إلى مواقع اعتراضية ، ومرة أخرى كانت هذه المواقع مواجهة للغرب .(٤٦) ونظراً لأن الفيلق السابع لم يكن قد تحرك بعد ، فإن هذه الصور تعنى ، على الأقل ، أن القيادة العليا العراقية توقعت تحركاً لقوات التحالف للالتفاف حول جناحها ، وأنه ما إن بدأت الحرب البرية ، حتى شرعت فى نقل وحداتها المتحركة لمواجهة هذا الهجوم .

كذلك ليس على المرء أن يقبل كحقيقة مطلقة مسألة نجاح خطة الخداع والتمويه لكى يفسر انتصار القوات المتحالفة . ذلك أن حرس شوارتزكوف الخصوصى من الأكاذيب كان المقصود به إقناع العراقيين بأن الهجوم الرئيسى للتحالف سيقع مباشرة من الساحل . ومع ذلك فإن وحدات الائتلاف المكلفة بالهجوم المباشر شمالا ، شنت هجوما مدمرا عبر المواقع العراقية بسهولة . وحتى لو كان صدام يمتلك نسخة من خطة « عاصفة الصحراء » ، فإن جيشه لم يكن بوسعه أن يفعل الكثير ، إن كان فى استطاعته أن يفعل شيئاً على الإطلاق ، لمواجهة هجوم التحالف .

وكانت أكبر مفاجأة تلقاها العراقيون ليس اتجاه هجوم التحالف وإنما سرعة وعنف هذا الهجوم . فربما توقع العراقيون أن تنبثق وحدات الائتلاف من حصونها مرتبكة تفتقر إلى الإمدادات الكافية ، تاركة وراءها دبابات مدمرة وعربات منثورة لمسافة أميال عبر الصحراء غير المطروقة ، كما حدث لتشكيلات صدام الآلية ذاتها فى نهاية هجومها على الكويت . فرغم كل شىء ، كان الرئيس العراقى منذ أغسطس يقلل من تقدير حجم القوة الضاربة للعسكرية الأمريكية . وكان يقدر قليلا قوة الترسانة الجوية للتحالف ، أو حقائق الحرب المتحركة الآلية الحديثة . وهذا هو السبب فى تجاهله فى يوليو ١٩٩٠ احتمال رد فعل أمريكى وقيامه بغزو الكويت . وكان هذا هو السبب فى استمراره فى تجاهل التهديدات ـ التى لم تكن مقنّعة أو غامضة ـ بعمل عسكرى للدول المتحالفة .

وكان هذا هو السبب فى أنه فى الساعات الأولى ليوم ١٧ يناير ، نزل صدام وكبار قادته العسكريين والسياسيين ، وجيشه وشعبه ، إلى مستوى القيام بدور الأهداف للجهد الجوى للقوات المتحالفة التى طارت فى الأربع والعشرين ساعة الأولى من عملياتها فى عدد من الطلعات يفوق عدد الطلعات التى قام بها السلاح الجوى العراقى على مدى ثمانى سنوات من الحرب الإيرانية ـ العراقية .

الفصل الحادى عشر

وفقاً للخطة المقررة تماما

العاصفة من الجو

مع تطور أزمة الخليج ، أصبح للقوة الجوية جوانب عديدة تجذب الأمريكيين . فالاعتماد على هجوم جوى أتاح وسيلة لهزيمة صدام بدون حرب برية ، وبدون التعرض لاحتمال وقوع خسائر بشرية فادحة . ولكن أهمية الحملة الجوية كعنصر أساسى من عناصر استراتيجية التحالف ، تعكس أيضا الجهد الأمريكى الطويل لتجنب معركة عسكرية فى المنطقة . فالقوة الجوية استعمال من على مبعدة للقدرة العسكرية ، ومغامرة مجهولة يمكن الاضطلاع بها بدون « الهبوط والاتساخ » . وبهذه الوسيلة استطاع الأمريكيون تفادى وقوع حمامات دم محتملة تتعرض لها قواتهم على الأقل ، ليس هذا فقط ، بل أيضا استطاعوا حماية مصالحهم فى الخليج العربى بدون إتاحة فرصة للعدو للإمساك بجيش أمريكى وجره إلى ورطة لا يمكن التنبؤ بعواقبها .

فى الساعات المبكرة ليوم ١٧ يناير ، ملأت مئات من طائرات التحالف السماوات فوق المملكة العربية السعودية والخليج العربى والبحر الأحمر . وكانت هناك حشود مماثلة من القوة المتحالفة قد حلقت فى الجو ست مرات على الأقل خلال الشهرين السابقين . غير أن تلك الاستعراضات الجوية للائتلاف كانت جزءا من خطة خداعية هدفها أن يعتاد العاملون على أجهزة الرادار العراقية على صور حشود مقتربة من الطائرات . وكانت تلك الطائرات تغير اتجاهها دائماً قبل دخول المجال الجوى العراقى وتستدير مبتعدة . أما فى هذه المرة ، فإنها اتجهت جنوبا مرة أخرى ولكن لفترة قصيرة فقط ، وما إن فعلت ذلك حتى انفصلت عنها مقاتلات « ستيلث » ـ نايت هوكس « إف ـ ١١٧ ايه » ـ التى أسرعت دون أن يتم اكتشافها نحو أهدافها فى العراق .(١) فقد كانت ساعة بدء « عاصفة الصحراء » ـ الثالثة فجر يوم ١٧ يناير ١٩٩١ ـ تقترب .

وفى اللحظة التى خلق فيها الأسطول الجوى للائتلاف فى أجواء شبه الجزيرة العربية ، كان الرئيس بوش فى واشنطن يقضى ساعات المساء الأولى ليوم ١٦ يناير يرقب الأنباء فى مكتب صغير بعيدا عن المكتب البيضاوى مع « كويل » نائب الرئيس ، وبرنت سكوكروفت مستشار الأمن القومى ، وجون سنونو رئيس هيئة العاملين بالبيت الأبيض ، ومارلين فيتزووتر السكرتير

الصحفى . وفى حوالى الساعة السادسة والدقيقة ٣٥ مساء ، أذاعت شبكتا (ايه . بى . سى) و (سى . إن . إن) أن نيران المدفعية المضادة للطائرات تطلق فوق بغداد . وكانت لاتزال هناك خمس وعشرون دقيقة باقية على موعد بدء الهجوم - الساعة السابعة مساء بتوقيت شرقى الولايات المتحدة - وكشفت النيران المتقطعة أن العراقيين فى حالة عصبية غير أنهم متأهبون أيضا . وبعد دقائق ، نقل المراسلون فى بغداد نبأ وقوع انفجارات . وعلق بوش قائلا « كل شىء يتم وفقاً للخطة المقررة » . وبناء على توجيه الرئيس ، أسرع مارلين فيتزووتر إلى غرفة الصحافة ، وأعلن أن « تحرير الكويت » قد بدأ . وبعد ساعتين ، وجه بوش نفسه خطابا إلى أمة دخلت الحرب .

وكان الرئيس قد وقّع فى صباح يوم ١٥ يناير توجيها - لا يحمل تاريخا محدداً - أمنياً قومياً يخول صلاحية شن الهجمات . وعندئذ أرسل وزير الدفاع تشينى أمراً تنفيذياً للجنرال شوارتزكوف .(٢) وحدد أمر العمليات رقم « ٩١ - ١ .. » بتاريخ ١٧ يناير ، الأهداف الرسمية للعمل العسكرى على النحو التالى : « مهاجمة القيادة السياسية - العسكرية العراقية ومراكز القيادة والسيطرة ؛ وإحراز التفوق الجوى والمحافظة على هذا التفوق ؛ وقطع خطوط الإمدادات العراقية ؛ وتدمير المرافق المعروفة لإنتاج وتخزين وتداول المواد الكيماوية والبيولوجية والنووية ؛ وتدمير قوات الحرس الجمهورى فى مسرح العمليات الكويتى ؛ وتحرير مدينة الكويت . »(٣) لقد سبق السيف العذل ، كما يقول المثل المشهور . وكانت كل الاستعدادات النهائية قد اكتملت . وأعطت إدارة بوش علماً لقيادة الكونجرس وكذلك للحلفاء الرئيسيين . إن شهور الجدل والانتظار قد ولت .

بدأ الهجوم الجوى قبل موعده بدقائق ، عندما قامت طائرات « إف - ١١٧ إيه » وقوات العمليات الخاصة الأمريكية بتدمير مواقع الإنذار الرئيسية لأجهزة الرادار العراقية فى غرب وجنوب العراق . وأصابت هذه الهجمات الدفاعات العراقية بالعمى ، فى الوقت الذى توغل فيه الأسطول الجوى للائتلاف فى المجال الجوى العراقى .

وفى الساعة الثالثة صباحا بالتوقيت المحلى ، بدأت طائرات أخرى من طراز « إف - ١١٧ إيه » ضرب أهدافها فى بغداد وحولها . وكانت أضواء المدينة لاتزال مشتعلة . وسقطت القنابل الموجهة بأشعة الليزر فوق مبانى أجهزة الاتصالات ، ومنشآت القيادة والسيطرة ، ومراكز قيادة الأمن الداخلى ، ووكالات المخابرات ، والقصر الجمهورى . وضربت صواريخ كروز توما هوك التى أطلقتها البحرية الأمريكية أهدافا سهلة مثل محطات الطاقة الكهربائية للعاصمة والمحطات الفرعية . وفى نفس الوقت ، هاجمت طائرات هجومية أخرى تابعة للتحالف مواقع من أقصى العراق إلى أقصاه(٤) .

وطبقا للخطة الأصلية التى وضعت فى شهر أغسطس وأوائل سبتمبر ، كان المفترض أن تقوم موجة هجومية مكثفة ثانية بضرب العاصمة ، ولكن عقب تعليقات الجنرال دوجان بشأن قصف المركز التجارى لبغداد ، قام الجنرال جلوسون ومعاونوه بمراجعة الخطة . وهكذا شملت الموجة الثانية الآن طائرات البحرية الأمريكية التى تحمل شراكاً خداعية تصدر منها علامات مميزة

اليكترونية ورادارية للطائرات المهاجمة ، وطائرات حليفة أخرى مزودة بصواريخ عالية السرعة مضادة للإشعاع من طراز (هارم) لتوجيهها إلى الرادارات النشيطة المتمركزة على الأرض . وافترض جلوسون أن العراقيين قرأوا أنباء تصريحات دوجان للصحافة مما جعلهم يتوقعون هجوما واسع النطاق ، وبالتالى سوف يُستدرجون إلى إدارة معداتهم عندما يتحقق الهجوم الخداعى . وعندئذ ستضرب صواريخ « هارم » ضربتها لتطيح بنظام الدفاع عن العاصمة العراقية(٥) . واستجاب العراقيون بالطريقة التى توقعها جلوسون وتكبدوا الخسارة نتيجة لذلك . وقامت موجة ثالثة من طائرات « إف - ١١٧ » بضرب بغداد بعد ذلك ، وقوبلت بمقاومة أقل بشكل ملحوظ .

ولم يمض كل شيء على ما يرام بالنسبة للتحالف كما أعلن فى البداية . فقد حدث تهليل كثير لهجوم قوات العمليات الخاصة على موقع رادار للإنذار المبكر فى جنوب العراق ، وعلى سبيل المثال فقد تم تصوير هذا الهجوم فى البداية على أنه نجاح كامل . وفى ضوء ما ذكرته مجلة « نيوزويك » ، فإن العملية كانت حاسمة بالنسبة لمرحلة بدء الحملة الجوية ، لأنه كان على قوات العمليات الخاصة أن تفتح ثغرة فى الدفاعات الجوية العراقية يتدفق منها بعد ذلك « المئات » من الطائرات . وأوضح تقرير المجلة أن الهجوم كان يتطلب توقيتا دقيقاً لأن مصيره كان يتوقف على جزء من الثانية ، فإذا فشل ، فسوف تشتعل وتضيء وسائل الدفاع الجوى حول بغداد كما يحدث فى احتفالات الرابع من يوليو . »(٦) وفى الحقيقة ، فإن العملية استهدفت فتح طريق لثمانى عشرة طائرة من طراز إيجل « إف - ١٥ إى » الهجومية المتجهة إلى أحد مواقع صواريخ سكود . ومع أن الهجوم حقق نجاحاً رائعاً ، إلا أن الضربة وقعت فى وقت مبكر عن موعدها ، الأمر الذى جعل العراقيين يتنبهون للهجوم الوشيك . وقبل وصول طائرات « إف - ١١٧ » إلى بغداد بخمس عشرة دقيقة ، بدأ العراقيون يملأون سماوات العاصمة بنيران المدفعية المضادة للطائرات .(٧)

ورغم ذلك ، فإن الضربات الأولى للقوات المتحالفة كانت نجاحاً ساحقاً . وأصيبت وسائل الدفاع الجوى العراقية بالعمى والاضطراب ثم تعرضت لهجوم ماحق . أما الطائرات العراقية القليلة التى حلقت فى الجو فقد تم إسقاطها أو إبعادها بواسطة مقاتلات التحالف . وتم تدمير أو إلحاق أضرار جسيمة بالمنشآت الحيوية للقيادة والاتصالات . وفى تقدير رئيس أركان حرب السلاح الجوى الأمريكى ماك بيك فإن « السلاح الجوى العراقى لم يتعاف قط من الهجوم الافتتاحى للحملة الجوية . »(٨) وحققت القوات الجوية للتحالف هذه النجاحات الأولى بأقل الخسائر . فقد قام الائتلاف بـ ٢٣٨٨ طلعة جوية يوم ١٧ يناير ، ولكنه لم يخسر سوى طائرتين - طائرة تابعة للبحرية الأمريكية من طراز هورنيت « اف / ايه - ١٨ » ، وطائرة كويتية من طراز « ايه - ٤ كيه يو » - فوق أراضى العدو . ووصلت طائرة جاجوار فرنسية إلى قاعدتها وهى تترنح وفى حالة سيئة ، حتى أنها أعتبرت مفقودة فى المعركة .

جاء العدد الضئيل من الخسائر الجوية للتحالف بمثابة مفاجأة سارة فى واشنطن . فقد تكهن العديد من الخبراء بأن الخسائر الجوية سوف تتجاوز خمسمائة طائرة على مدى حملة تستغرق أربعين يوما .(٩) وتوقع مخططو القوات الجوية للائتلاف أن يخسروا حوالى ١٥٠ طائرة ، معظمها فى

المرحلة الأولى من الحملة قبل تعجيز وسائل الدفاع العراقية . وكان نجاح الهجمات الأولى يعنى أن القوات المتحالفة يمكن أن تتوقع أن يظل معدل الخسائر منخفضاً . وفى الحقيقة ، فإنه طوال الحملة التى استغرقت ٤٣ يوما ، فقد الائتلاف ٣٦ طائرة فقط ذات أجنحة ثابتة فى القتال .(١٠) والطائرات الثمانى والعشرون الأمريكية التى فقدت فى المعركة تمثل معدل استنزاف منخفض على نحو لا يصدق هو ٠,٣ فى المائة .(١١)

وهناك أسباب كثيرة جداً للسيادة الجوية التى حققها التحالف . فمن الناحية العملية كانت القوات الجوية للائتلاف تحرز تفوقاً نوعياً وكمياً فى كل المجالات ، فالنسبة العددية بينها وبين العراقيين هى ثلاثة إلى واحد على الأقل ، كما كانت القواعد العراقية معرضة للهجوم من كل الاتجاهات . ومن بين أكثر من ٧٠٠ طائرة عراقية ، لم تكن هناك سوى حفنة طائرات - حوالى ٧٥ طائرة ميراج فرنسية « إف ١ » وخمسون طائرة « ميج - ٢٩ » سوفيتية الصنع - تضاهى مستوى طائرات التحالف من طراز المقاتلات الأمريكية « الحديثة » - إيجل « إف - ١٥ » ، وفالكون « إف - ١٦ » ، وتوم كات « إف - ١٤ » ، وهورنيت « إف - ١٨ » - وكذلك الطائرات الأوروبية من طراز ميراج - ٢٠٠٠ » وتورنادو « إف ٣ » . وأيضا لم يكن الطيارون العراقيون قد تلقوا تدريباً جيداً بالمقارنة بنظرائهم الغربيين أو العرب . وكان المدربون السوفيت ، فى مجال الطيران ، يشيرون إلى تلامذتهم العراقيين بأنهم « ذوو رؤوس صماء » . وفى مجرى الحرب الجوية أسقط العراقيون عدداً من طائراتهم أكثر مما أسقطوا من الطائرات المتحالفة . ويروى المحلل نورمان فريدمان أنه فى يوم ١٧ يناير أسقط طيار عراقى يقود طائرة ميج - ٢٩ الطائرة التى تقود السرب العراقى فى الجو ، ثم ارتطم هو نفسه بطائرته بالأرض :

« يبدو أن الطيارين العراقيين كانوا قد أعدوا أجهزة الرادار جوّ - جوّ فى طائراتهم بحيث تكون أجهزة الإطلاق فى حالة تصويب ومعدة سلفا ، وبحيث تنطلق صواريخ الطائرة بطريقة الإطلاق المباشر بمجرد التقاط الرادار لأول هدف يقابله دون حاجة إلى الضغط على آلة الإطلاق . وهكذا بدلاً من أن تنطلق صواريخ الطائرة الميج الثانية إلى هدف معاد ، فإنها اتجهت إلى أقرب مصدر حرارى وهو كرة اللهب شديدة الحرارة المنبعثة من الطائرة الميج الأولى ففجرتها . والسبب هو أن رادار الطائرة الثانية مجهز لالتقاط أول هدف يقابله وعندها يحدث الإطلاق مباشرة وتلقائياً . »(١٢)

وإذا وضعنا فى الاعتبار أن الطائرة ميج - ٢٩ هى أكثر الطائرات تقدماً فى الترسانة العراقية ، وأن الأرجح أن أحسن الطيارين العراقيين هم الذين تولوا قيادتها ، فإنه يجب ألا يكون هناك محل للاستغراب من عجز السلاح الجوى العراقى عن إسقاط طائرة واحدة للتحالف فى قتال جوى طوال فترة الحرب كلها ، فى الوقت الذى خسر فيه السلاح الجوى العراقى ٣٦ من طائراته فى الجو .

وكان طيارو القوات المتحالفة مدربين على أعلى مستوى . فقد أمضى معظم طواقم الطائرات الأمريكية المقاتلة والهجومية فترة فى مراكز تدريب متقدمة مثل مدرسة الاسلحة المقاتلة للبحرية الأمريكية فى محطة ميرامار البحرية الجوية (توب جان) ، أو مركز الحرب الهجومية البحرية فى فالون فى نيفادا ، أو قاعدة القوات الجوية فى نيلليس ، فى نيفادا أيضا ، حيث أجرت القوات الجوية الأمريكية مناورات « العلم الأحمر » (رد فلاج) فى مساحة ميدانية أوسع من الكويت .

وفى حين كان الطيارون العراقيون غير فعالين على الإطلاق فى الجو ، نجح طيارو التحالف فى مناسبات عديدة فى عمليات تدمير عدد كبير من الطائرات .(١٣)

وهناك مثال جيد يوضح مستوى تدريب ومهارات طيارى التحالف ومرونة حركة طائراتهم . فقد حدث فى اليوم الأول للحرب الجوية أن أقلع سرب من الوحدة الجوية ١٧ كاريير من حاملة الطائرات « ساراتوجا » العاملة فى البحر الأحمر متجهاً إلى هدف فى غرب العراق . واكتشف طاقم طائرة المراقبة والإنذار هوك آى « إى - ٢ سى » (طائرات إنذار مبكر محمول جوا) طائرتى ميج تسرعان نحو بعض طائرات السرب الهجومى العائدة إلى ساراتوجا ، وحذر الطاقم السرب من اقتراب العدو . وبناء على هذا التحذير ، بدأت طائرتان هورنيت « إف / ايه ١٨ » العمل . وكانت الأولى بقيادة الرائد البحرى مارك فوكس ، والثانية بقيادة الملازم (الليفتنانت) نيك مونجيلو . قام الاثنان بتحويل وضع طائرتيهما من حالة الاستعداد للقتال جو / أرض إلى القتال جو / جو . وعلى الفور تقريبا التقط رادار فوكس إحدى طائرتى الميج وأطلق نحوها صاروخ « سايدويندر » الباحث عن الحرارة والمتعدد الأغراض ، وأعقبه بصاروخ « سبارو » موجه بالرادار . وأطلق مونجيلو صاروخ سبارو على الطائرة الميج الثانية . وهكذا تم تدمير طائرتى الميج بعد أربعين ثانية من تحذير « هوك آى » . وتحولت الطائرتان « هورنيت » مرة أخرى إلى وضع القتال جو / أرض ، واستأنفتا طريقهما إلى الهدف وقامتا بقصفه .(١٤)

وربما كانت أكبر ميزة يتمتع بها التحالف تتركز فى مجال القيادة والسيطرة . فقد تولت طائرات السلاح الجوى الأمريكى سنترى « إى - ٣ ايه » التى تسمى « أواكس » (نظام التحذير والتحكم المنقول جوا) وطائرات البحرية الأمريكية هوك آى « إى - ٢ سى » (للإنذار المبكر المحمول جوا) أداء مهام التحكم والمراقبة لتحركات المئات من طائرات الائتلاف فوق العراق وشبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر والخليج العربى . ولم يقع حادث اشتباك واحد بين طائرات التحالف وطائرات صديقة . وكانت الطائرات العراقية التى تحلق فى الجو تُكتشف بسرعة وتُهاجم ، وعادة ما كانت تُدمر على أيدى مقاتلات الائتلاف التى تحلق فى دوريات جوية قتالية هجومية ودفاعية .

وما حققته « أواكس » فى الحرب الجوية ، حققه نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف بطائرات « إى - ٨ ايه » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى فى الحرب البرية . وفى استطاعة مُشغِّل الإشارات القوية على متن البوينج ٧٠٧ المزودة بالرادار أن يفرق بين رجع صدى عربات تسير على عجلات وعربات مقطورة ، وأن يلتقط خيوط سلك كونسرتينة (نوع من الأكورديون) تتأرجح فى النسيم ، وأن يزود القادة العسكريين بصورة كاملة عن الموقف على الأرض .(١٥)

ولم يكن من المقرر أن يصبح « نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف » فى الخدمة قبل عام ١٩٩٧ ، رغم أن نموذجاً أولياً من هذا النظام شارك فى المناورة العسكرية لحلف شمال الأطلسى - التى كانت تحمل اسم « الضربة العميقة » - والتى استخدم خلالها الجنرال فرانك قائد

الفيلق السابع معلومات زوده بها « نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف » لاكتشاف طابور دبابات « معتدٍ » ، ومباغتته ، وشن هجوم مضاد عليه . وبناء على اقتراح من فرانك ، طلب شوارتزكوف نشر « نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف » . وتم بسرعة نقل اثنتين من طائرات « إى ـ ٨ ايه » إلى المملكة العربية السعودية فى الوقت المناسب قبل بدء « عاصفة الصحراء » .

كذلك ، فإن طائرات التحالف « للإجراءات المضادة الاليكترونية » مثل طائرات ريفن « إى إف ـ ١١١ ايه » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى ، وبراولر « إى ايه ـ ٦ بى » التابعة للبحرية الأمريكية وفيلق مشاة البحرية ، حققت نجاحا لم يسبق له مثيل فى خداع شبكة الرادار الدفاعية العراقية وإصابتها بالعمى ، فى الوقت الذى قامت فيه طائرات أخرى بتدمير أجهزة إطلاق صواريخ « سام » أرض / جو ، وأجهزة الرادار ، ومراكز القيادة والسيطرة ، والأهداف الاستراتيجية الأخرى . وقد برهنت طائرات البحرية الأمريكية ، وخاصة طائرات براولر ، على كفاءة متميزة فى مهام « إسكات الدفاعات الجوية للعدو . »(١٦) وقامت طائرات « الإجراءات المضادة الاليكترونية » الأمريكية بعملها فى مواجهة الدفاعات الجوية العراقية كما فعلت فى ليبيا يوم ١٤ أبريل ١٩٨٦ أثناء عملية « الدورادو كانيون » ، وإن كان على نطاق أوسع وعلى مدى زمنى أطول فى العراق . وأطلق العراقيون الآلاف من صواريخ « سام » على طائرات التحالف ، ولكنهم نجحوا فقط فى إصابة الهدف حوالى عشر مرات فقط أثناء الحرب .(١٧) وطبقاً لتقرير أعده السلاح الجوى الأمريكى ، فإنه بعد اليوم الرابع للحرب « فإن كل طائرات التحالف لم تتعرض لأى أذى فى أثناء تحليقها على ارتفاع متوسط وشاهق فوق مسرح العمليات العراقى . »(١٨)

وبطبيعة الحال ، فإن إصابة دفاع العدو بالعمى كانت وسيلة لتحقيق غاية : وضع القنابل فى الهدف . وقد زادت فعالية الهجمات الجوية للقوات المتحالفة بدرجة كبيرة بفضل « الذخائر دقيقة التوجيه » . وخلال حرب الخليج كانت الذخائر دقيقة التوجيه التى أسقطت أو أطلقت تصيب الهدف بنسبة ترجيحية تزيد ١٩٠ مرة على القنابل التى أسقطت خلال حرب فيتنام ، وبنسبة ترجيحية تزيد تسعة آلاف مرة على القنابل التى أسقطتها الطائرات فى الحرب العالمية الثانية .(١٩) ووفقاً للتقديرات الرسمية ، فإن تسعين فى المائة من الـ ٦٥٢٠ طناً من « الذخائر دقيقة التوجيه » التى أسقطت أو أطلقت على أهداف معادية أثناء الحرب أصابت الهدف ، بينما خمسة وعشرون فى المائة فقط من الـ ٨١٩٨٠ طناً من القنابل التى ألقيت بطريقة « التفريغ » أصابت أهدافها . وهكذا ، فإنه على الرغم من أن « الذخائر دقيقة التوجيه » تشكل سبعة فى المائة فقط من مجموع الذخائر التى استخدمت ، فإنها تشكل ٢٢ فى المائة من المعدات التى أصابت الهدف .(٢٠)

وكان فى استطاعة مخططى الحرب الجوية فى الخليج أن يخصصوا حفنة من الطائرات القادرة على استخدام نظام « الذخائر دقيقة التوجيه » ليعهدوا إليها بالتعامل مع هدف ما ، وأن يتوقعوا نسبة نجاح كانت تتطلب فى حروب سابقة استخدام تشكيلات عديدة ضخمة من الطائرات . وعلى سبيل المثال ، فإن الضربات ضد وحدات العدو المدرعة أثناء الحرب العالمية الثانية اتخذت بوجه عام

شكل « قصف السجاد » ، أي إلقاء القنابل على مساحة من الأرض لتغطيتها كما لو كان بسجادة ، بمعنى إسقاط أنواع ضخمة من القنابل وبكميات هائلة على أمل أن يصيب البعض منها الهدف . أما في الخليج ، فإنه حدث - طبقا لتقرير من السلاح الجوى - « في مناسبات متعددة ، أن طائرتين « إف - ١٥ إى » تحملان ١٦ قنبلة دمرتا ١٦ دبابة . »(٢١) ووصف الطيارون في السلاح الجوى ، الذين تفوقوا في ضرب الدبابات العراقية بقنابل زنتها ٥٠٠ رطل ، الهجمات بأنها « العزف على الدبابات . »(٢٢)

كان الصاروخ الهجومى الأرضى التكتيكى للبحرية الأمريكية الذى يحلق على ارتفاع منخفض ويعانق الأرض ، هو واحد من التكنولوجيات الحديثة المتعددة التى ظهرت لأول مرة فى « عملية عاصفة الصحراء » . وقد خصص مخططو العمليات الجوية للتحالف ، فى إطار نظام تسلسل المهام الجوية ، الصاروخ الهجومى الأرضى التكتيكى (تلام) ، المعروف باسم توماهوك ، لاستخدامه ضد الأهداف فى مناطق الخطر الشديد . وكما جاء فى تقرير للبحرية ، فإن هذه الصواريخ « محصنة ضد السمات البشرية مثل العصبية » ، وليس هناك ما يمنعها من التحليق فى طريق الخطر . وقد أطلقت سفن وغواصات البحرية ٢٨٨ صاروخ توماهوك ، منها ٩٨ فى المائة أطلقت بنجاح . وشق ٨٥ فى المائة من هذه الصواريخ طريقة إلى الهدف وألحق « خسائر معتدلة على الأقل . »(٢٣) ومع أن الرأس الحربى للصاروخ الهجومى الأرضى التكتيكى (ألف رطل) تحد من جدواه فى ضرب الأهداف المنيعة مثل الخنادق أو دعامات الجسور الخرسانية والفولانية ، فإن دقة الصاروخ وقدرته على العمل ليلاً وفى كل الظروف المناخية أتاحتا لمخططى المهام الحربية مرونة إضافية . وأطلقت البحرية صواريخ توماهوك على مرافق الاسلحة الكيماوية والنووية ، وعلى مواقع صواريخ أرض / جو ، وعلى مراكز القيادة والسيطرة ، وعلى قصر صدام الرئاسى .

ومما لاشك فيه أن النجمة التكنولوجية للحملة الجوية كانت المقاتلة ستيلث « إف - ١١٧ إيه » (الشبح) التابعة للسلاح الجوى الأمريكى ، والمعروفة باسم « نايت هوك » (الصقر الليلى) . كانت الطائرات الاثنتان والأربعون من طراز « إف - ١١٧ ايه » التابعة للوحدة المقاتلة التكتيكية التى تحلق من « تونوبا شرق » - خميس مشيط فى جنوب غربى المملكة العربية السعودية - هى الطائرات الوحيدة للتحالف التى يقودها طيارون التى تضرب أهدافاً فى بغداد(٢٤) . وفى يوم ١٧ يناير ، كانت طائرات « إف - ١١٧ ايه » تشكل ٢,٥ فى المائة من « القوة الجوية الضاربة فى مسرح العمليات » ، ومع ذلك فإنها ضربت ٣١ فى المائة من الأهداف .(٢٥) وطوال فترة الحرب كلها ، حلقت « صقور الليل » واحدا فى المائة من مجموع الطلعات الجوية ، ولكنها « غطت حوالى أربعين فى المائة من الأهداف المحددة للحملة الجوية الاستراتيجية . »(٢٦)

وأتاحت الطائرة ستيلث (الشبح) للمخططين الجويين للتحالف ميزتى المفاجأة وحرية العمل . فكانت طائرات « إف - ١١٧ ايه » تكلف بمهام الأهداف الصعبة التى كان يجب تعطيلها تمهيدا لضربات أخرى ، أو الأهداف التى تتطلب منتهى الدقة ، مثل القصر الجمهورى الذى تقع السفارة الصينية على الناحية الأخرى من الشارع الذى يوجد فيه . وتستطيع الطائرة حمل تشكيلة متنوعة من المعدات ، بما فيها قنابل تفجير الخنادق زنة ٢٠٠٠ رطل .

وبرهنت التجربة بسرعة على أن هذه الطائرات بارعة جداً فى المراوغة إلى حد أن قوات الدفاع الجوى العراقية لم تتبين فى مرات كثيرة أن طيران التحالف يحلق فوق رؤوسها إلا عندما يبدأ انفجار القنابل . وأحيانا ، كان التشويش على الرادار بواسطة سباركفارك « إى إف ـ ١١١ » ، على سبيل المثال ، ينبه العراقيين الذين يسارعون ـ وإن كان بطريقة عمياء ـ إلى تغطية السماء بنيران المدفعية المضادة للطائرات . وحتى تكنولوجيا ستيلث لم تكن لتحميها من رصاصة طائشة . وتعلمت القوات المتحالفة أن تؤخر بدء الإجراءات المضادة الاليكترونية النشيطة حتى تفرغ « صقور الليل » من إلقاء حمولاتها وتبدأ فى الهرب . ورغم أن تقارير أشارت إلى إصابة عدد قليل من طائرات « إف ـ ١١٧ ايه » إصابات طفيفة بالمدفعية المضادة للطائرات إلا أنه لم تُدمر طائرة واحدة .

وحددت المزايا التى تمتع بها التحالف فى الجو ، إلى جانب التأثير الساحق المدمر للهجمات الأولى ، بصورة مشتركة مسار بقية الحملة الجوية . فبعد ١٧ يناير ، ضعفت الدفاعات العراقية تدريجياً . وكانت أكبر مشكلة واجهت قوات التحالف أثناء الاسبوع الأول للحرب هو الطقس ، الذى قيل إنه أسوأ طقس خلال أربع عشرة سنة . وعقب طلعات اليوم الافتتاحى للحرب ، وكان عددها ٢٣٨٨ طلعة ، هبط المعدل إلى الربع تقريبا ووصل إلى ١٨٤٢ طلعة فى اليوم العشرين ، ولكنه أرتفع إلى ٢٤٢٤ طلعة فى اليوم الثالث والعشرين .(٢٧)

ولما كان صدام عاجزاً عن الدخول طرفا فى مباراة السيطرة الجوية مع قوات التحالف ، فقد رد على هجوم الائتلاف بشن هجمات بصاروخ سكود أرض / أرض ضد المملكة العربية السعودية والبحرين وقطر ، والأكثر أهمية ضد إسرائيل . والرؤوس الحربية الكيماوية أو النووية وحدها ، والتى يبدو أن صدام لم يكن قد امتلكها بعد ، هى التى كان يمكن أن تجعل من سكود تهديدا عسكرياً كبيراً . وحيث إن صواريخ سكود التى أُطلقت كانت مزودة برؤوس حربية تقليدية شديدة التفجير ، فإنها كانت تصلح فقط لهجمات ضد أهداف كبيرة ، مثل المدن لإثارة الذعر .

وأثناء الحرب ، كانت الضربات ضد المملكة العربية السعودية والدول العربية الأخرى غير فعالة ، باستثناء هجوم واحد ضد الظهران أسفر عن مصرع ٢٧ أمريكيا . وتحطمت معظم صواريخ سكود أثناء مسار انحنائها للهبوط ، وأخطأت أهدافها ، أو تم إسقاطها بواسطة صواريخ باتريوت الأمريكية الصنع المضادة للصواريخ .

ولكن ثمانية صواريخ سكود ضربت بالفعل مدينتى حيفا وتل أبيب الإسرائيليتين يوم ١٨ يناير . وكانت هناك لحظات عصبية فى واشنطن مع وصول تقارير مبدئية من إسرائيل تشير إلى أن الصواريخ مزودة برؤوس حربية كيماوية . كان احتمال رد انتقامى إسرائيلى أو دخول إسرائيل الحرب بمثابة العامل الذى يفسد مجموعة أوراق اللعب التى يملكها التحالف . فالتدخل الإسرائيلى قد يمد نطاق الحرب إلى الأردن ، ويمكن أن تكون له انعكاسات يصعب التكهن بها بين الحلفاء العرب لأمريكا .

ولحسن الحظ ، فإن الرؤوس الحربية كانت ـ وستظل ـ تقليدية . والضرر الذى لحق بإسرائيل كان سيكولوجيا أكثر منه حقيقيا . وتحركت الولايات المتحدة بسرعة لضمان التزام إسرائيل بضبط

النفس عن طريق إيفاد فريق دبلوماسى على مستوى عال إلى القدس ، ونقل بطاريات باتريوت على وجه السرعة من أوروبا إلى إسرائيل . وخصصت القيادة المركزية طائرات إضافية لاصطياد منصات الإطلاق المتحركة لسكود ، والتى اخطأت المخابرات المتحالفة فى تقدير عددها خطأ فادحاً عندما وضعت تقديرات أقل كثيرا من الحقيقة . ولما كان الإسرائيليون يدركون جيداً أن ضربات سكود التى يوجهها صدام تستهدف حثهم على القيام برد انتقامى ، فإنهم رفضوا بحكمة أن يكونوا طرفا فى لعبة الديكتاتور العراقى .

ولم يكن بوسع صدام أن يفعل شيئا لكى يغير مسار الحرب الجوية العنيد إلى الاتجاه المضاد . ولم تؤد إذاعة « المقابلات التليفزيونية » مع طيارى التحالف ، الذين كان يبدو بوضوح أنهم تعرضوا للضرب والذين شاء حظهم العاثر أن يسقطوا فى أيدى العراقيين ، سوى إلى المزيد من إثارة مشاعر الرأى العام الغربى وإشعال المناقشات حول محاكمات جرائم الحرب . واستمر سقوط الصواريخ والقنابل نهاراً وليلاً على أهداف فى أنحاء العراق والكويت .

وعقب انقضاء الاسبوع الأول للحرب الجوية ، أعلن وزير الدفاع تشينى ورئيس هيئة أركان الحرب المشتركة باول أن القوات المتحالفة حققت التفوق الجوى . غير أن باول قال أيضا بوضوح إن الحرب الجوية تشكل جزءا من خطة أكبر : « إن استراتيجيتنا لملاحقة هذا الجيش بسيطة جدا ، جداً . أولاً سوف نمزقه ثم لا نلبث أن نقضى عليه . »(٢٨) كانت الحملة ماضية فى طريقها وسوف تمضى قدماً ، وفقاً للخطة الموضوعة .

وفى بغداد ، أدرك العراقيون أنهم لم يعودوا ، بعد أسبوع من الحرب ، قادرين على النهوض بدفاع مؤثر ، وأن عليهم تغيير تكتيكاتهم . ولما كانت الرادارات العراقية عاجزة عن الدخول فى مباراة السيطرة على الجو ، فقد بدأت شاشاتها تتوقف عن العمل فى اليوم الثامن . وبسبب فعالية عمليات التحالف فى مجال إسكات الدفاعات الجوية للعدو ، فإن الظروف المحيطة بالعاملين على رادارات صواريخ سام العراقية كانت مهلكة حتى أن إرسال إشارات إيجابية أصبح عملاً انتحارياً .(٢٩) وتدهور الحال بالعراقيين حتى لم يعد لديهم سوى نيران المدفعية المضادة للطائرات وإطلاق صواريخ سام عشوائيا .(٣٠) وقام العراقيون أيضا بتنفيذ أكبر وأنجح عملياتهم فى الحرب : الخروج إلى إيران المحايدة . ومع نهاية الحرب ، كانت حوالى ١٤٠ طائرة قد لجأت إلى إيران .

وكانت الخطوة التالية لصدام المحبط ، هى الشروع فى حملة إرهاب بيئية ، عن طريق ضخ ما يقدر بمائة وعشرين مليون جالون من النفط فى الخليج العربى من محطة جزيرة البحر الكويتية . ولكن القوة الجوية وفرت للتحالف ، مرة أخرى ، وسيلة فعالة للرد . ففى ٢٧ يناير ، ضربت طائرات اردفارك « إف ـ ١١١ » التابعة للسلاح الجوى الأمريكى وصلة الفتحات التى تتحكم فى تدفق النفط من مستودعات التخزين إلى محطة الضخ المواجهة للساحل .

وبحلول نهاية يناير ، كان تركيز الهجمات الجوية للتحالف قد انتقل من الأهداف الاستراتيجية إلى الاستعداد لميدان المعركة : لقد بدأت المرحلة الثانية . وخلال عرض موجز فى ٣٠ يناير ،

تناول الجنرال شوارتزكوف بالتفصيل بعض نتائج أكثر من ثلاثين ألف طلعة جوية تمت حتى ذلك الوقت . قال شوارتزكوف إنه تمت مهاجمة حوالى ٧٥ فى المائة من مراكز القيادة والسيطرة العراقية وشبكة الطاقة الكهربائية ، وأن حوالى ستين فى المائة من تلك الأهداف إما « لحقت بها أضرار جسيمة أو دُمرت » . كما أن ربع مرافق توليد الطاقة الكهربائية فى العراق أصبحت « معطلة تماما ، وخمسين فى المائة أخرى كانت تعانى من عمليات تشغيل متدنية فى مستواها » . وهذه الأهداف ، وغيرها من الأهداف الاستراتيجية سوف تستمر عمليات « تدميرها بصورة منتظمة » . وتم بالمثل ضرب حوالى ٧٥ فى المائة من نظام القيادة والسيطرة العراقى . وقال شوارتزكوف للصحافة إنه نتيجة لهذه الهجمات ، « تخلى العراقيون عن السيطرة المركزية على دفاعهم الجوى داخل العراق والكويت . »(٣١)

بدأت الحرب الجوية ، مع بداية المرحلة الثالثة ، فوق مسرح العمليات الكويتى بصورة جدية . وبحلول الثالث من فبراير ، كانت الطائرات المنطلقة من حاملات الطائرات الأمريكية الأربع العاملة فى وسط الخليج العربى قد « قضت على القدرة القتالية » للقوات البحرية العراقية .(٣٢) وعلى الشاطىء ، قامت الطائرات الهجومية المتحالفة ابتداء من طراز ورثوج « ايه - ١٠ » مدمر الدبابات ، وحتى طراز اجليز « بى - ٥٢ » ، بالشروع فى تحويل مواقع الجيش العراقى إلى جحيم مستعر .

ودفعت متطلبات العمليات الجوية فوق مسرح العمليات الكويتى إلى إجراء بعض التغييرات فى إدارة الحملة الجوية . ففى حملة ضد أهداف ساكنة أثناء المرحلتين الأولى والثانية ، فإن وجود تسلسل مفصل للمهام الجوية كان أمراً جوهرياً لتنفيذ جهد جوى متكامل ومشترك بحق . أما خطة مفصلة أكثر مما ينبغى فلم تكن لتتلاءم مع أهداف متحركة بدرجة أكبر ، مثل الوحدات الآلية العراقية فى مسرح العمليات الكويتى . ووضعت قيادة التحالف نظام « صناديق القتل » التى كانت توجه إليها الطائرات . وفى إطار كل صندوق ، ستقوم طائرات مراقبة جوية سريعة تحلق على ارتفاع منخفض بالتعرف على الأهداف وتحديدها ثم ترشد الطائرات الهجومية التى تحت إشرافها والتى توشك على الظهور .. إلى الهدف .(٣٣)

وكانت مواصلة الحرب الجوية بهذه القوة فوق مسرح العمليات الكويتى ترتبط بصورة وثيقة بخطة الحرب النفسية « لعاصفة الصحراء . »(٣٤) فقد « دكت » طائرات التحالف وحدات الخط الامامى العراقية بالمنشورات التى تصور الأخوّة العربية ، وتعد بحسن معاملة أسرى الحرب . وكان يتم تحذير بعض الوحدات قبل مهاجمتها فى محاولة لنشر الرعب ، وللحث على الهروب من الخدمة العسكرية والاستسلام . وعملت قوات التحالف بعناية واجتهاد على مواصلة الضغط المادى والسيكولوجى على العدو . وعلّق أحد مخططى الحملة الجوية بقوله : « كان أشد ما يحرص عليه جدول مواعيد عملياتنا لقصف الحرس الجمهورى العراقى بالقنابل هو ألا يتوافر لديهم أبداً أكثر من ساعتين للنوم . ففى هذه الحرب ، تجاوزت عملياتنا السيكولوجية مجرد إسقاط المنشورات على قوات العدو . »(٣٥)

ومع استمرار المرحلة الثالثة ، هرب المزيد والمزيد من العراقيين إلى الأمان فى خطوط القوات المتحالفة . وفى العشرين من فبراير ، وقبل أربعة أيام من بداية الحرب البرية ، أغارت أربع طائرات هيليكوبتر تابعة للجيش الأمريكى على شبكة خنادق عراقية ، وحققت نتيجة طيبة سريعة فى ثلاثة عشر موقعاً من المواقع الخمسة عشر . وعلى الفور جرى حوالى ٤٠٠ من جنود العدو خارج الخنادق للاستسلام . وانتزعت طائرات الهيليكوبتر تشاينوك « سى اتش ـ ٤٧ دى » ، ذات الحمولة الثقيلة ، أسرى الحرب من وسط دفاعات الحدود العراقية .

ورغم تدهور الموقف على الجبهة وفى أنحاء العراق ، رفض صدام الإذعان . وحذر فى كلمة ألقاها يوم ٢٠ يناير من راديو بغداد قائلاً :

« فى المرحلة القادمة ، سيكون رد العراق على نطاق أوسع ، مستعينا بكل الوسائل والإمكانات التى منحنا أياها الله والتى استخدمناها جزئياً فقط حتى الآن . إن قواتنا البرية لم تدخل المعركة بعد ... والسلاح الجوى للجيش لم يستخدم وكذلك البحرية . ولم يستخدم بالكامل ثقل قوتنا الصاروخية . »(٣٦)

ولكن قوة صدام الجوية والبحرية كانت على حافة الدمار الكامل . فقد كانت طائرات التحالف وقواته الخاصة مستغرقة فى اصطياد منصاته لإطلاق صواريخ سكود . أما تهديدات صدام بأن « نسبة الموت وعدد القتلى سوف ترتفع ، بإذن الله ، بين صفوف الإلحاد والظلم والطغيان » فقد كان رنينها أجوف مثلما كان التنبؤ بأن راية « الله أكبر » سوف ترفرف خفاقة بالنصر العظيم فى أم كل المعارك » .

وفى ٢٦ يناير ، زار صدام الجبهة ، وبرهن كما فعل مرات كثيرة جداً من قبل على إحساس سقيم ـ بصورة لا تصدق ـ بالتوقيت . ففى الوقت الذى بدأت فيه القوات المتحالفة المرحلة الثالثة ، وملأت السماوات فوق الكويت بطائرات الائتلاف الهجومية ، أمر صدام قواته بمغادرة خنادقها الواقية والهجوم جنوباً صوب شرقى المملكة العربية السعودية .

وبسبب سيطرة التحالف على الجو ، والقدرات المتدنية فى مجال القيادة والسيطرة ، وربما ضعف مستوى عمل القيادة ، فإن الهجوم لم يبدأ إلا فى ليلة ٢٩ يناير ، عندما تحرك طابور آلى عراقى صوب الجنوب من « مرفق » الحدود بينما شرع طابور آخر فى الهجوم على طول الساحل .(٣٧) وقامت عناصر كتيبة مشاة البحرية الثالثة بإرغام الطابور القادم من الداخل على التراجع إلى جنوب غربى « وفرة » ، ولكن المجموعة العراقية الثانية وصلت إلى بلدة الخفجى السعودية المتروكة بلا دفاع . وفى صباح اليوم التالى ، اتجه طابوران عراقيان آخران صوب الجنوب ، غير أنه تم إيقافهما على الطريق بواسطة تشكيلات برية وهجمات جوية لقوات التحالف . وفى يومى الثلاثين والحادى والثلاثين من يناير ، قامت القوات السعودية والقطرية ، بمساندة جيدة من مشاة البحرية الأمريكية وطيران التحالف ، ببطء وبعناية ، بطرد العراقيين من بلدة الخفجى وأخذت ٤٥٠ أسيراً .

ومازالت القصة المكتملة النهائية لمعركة الخفجى تنتظر من يكتبها . فالغرض من الهجوم

العراقى غير واضح . وقد يكون هذا التحرك قد تم التخطيط له كغارة . وقد يكون صدام قد علّق أمله على أن اشتباكا بريا محدوداً يبدؤه جيشه يمكن أن يتصاعد إلى معركة أوسع ، ثم إلى حملة برية شاملة تسفر عن حمامات الدم التى يحتاجها لإحراز « النصر » . أم أن صدام كان يختبر القوة القتالية للقوات العربية المنتشرة فى المنطقة على أمل تمزيقها وإضعاف الائتلاف .

وبصرف النظر عن نوايا صدام ، فإن الخفجى كانت كارثة للعراقيين ، رغم أن الحقيقة لم تكن واضحة دائما فى التقارير الصحفية . لقد استولت قوات صدام على البلدة لسبب وحيد هو أنها كانت بلا دفاع . وكانت الخفجى - وهى فى مرمى مدفعية المواقع العراقية فى الكويت - قد قُصفت فى وقت سابق من الحرب ، وهى تقع فى شمال مستنقع ملح ويصعب الاقتراب منها من ناحية الجنوب . وكان القادة العسكريون للتحالف قد قرروا أنه يصعب الدفاع عن تلك البلدة وأجلوا سكانها السعوديين . كذلك خسر العراقيون عدداً أكبر من الرجال ومن المعدات ، أكبر بكثير من الدبابات الاثنتى عشرة والـ ٤٥٠ رجلا من كتيبة مشاة سقطت فى نهاية المطاف فى الفخ الخفجى . فقد أرغمت طوابير الفرقة الآلية الخامسة المتضخمة العدد ، التى تضم تسعة ألوية بدلا من الألوية الثلاثة المعتادة ، على التقهقر لأميال شمال الحدود وتركزت عليها الهجمات الجوية للتحالف بصورة دائمة ومؤثرة . وأظهرت المعركة أيضا أن القوات العربية فى الائتلاف ، والتى تعمل بمساندة جوية قوية ، كانت أكثر من منافس كفء لمقاتلى صدام المتمرسين .

وعقب الاندحار فى الخفجى ، ظل العراقيون بلا حراك ينتظرون ضربة الموت من الائتلاف ، ويساورهم أمل عقيم بأن الحرب البرية سوف تسفر عن قوائم خسائر بشرية ضخمة من شأنها تقويض الإرادة السياسية للولايات المتحدة . وبينما كانت الوحدات العراقية المنتشرة فى مسرح العمليات الكويتى تنتظر الهجوم إذ بها تشعر بالانشوطة تضيق حول رقبتها . وطبقا لتقديرات القيادة المركزية ، فإن حوالى أربعين لواء من الاثنين والخمسين لواء رئيسياً اللازمة لإمداد مسرح العمليات الكويتى قد لحقت بها أضرار جسيمة أو دمرت .(٣٨) ونقصت حركة الإمدادات إلى مسرح العمليات فى بعض المناطق بنسبة تسعين فى المائة . ورغم أن محللى مخابرات التحالف لم يكونوا على يقين من مدى الضرر الذى لحق بالجيش العراقى ، مما تسبب فى شعور بالضيق الشديد لدى الجنرال شوارتزكوف ، فقد كانت هناك شواهد مؤكدة ومعلومات غير منشورة يتبادلها الأفراد تبين أن الموقف أصبح غير محتمل على نحو متزايد .(٣٩)

كان شوارتزكوف مستعداً الآن لإطلاق قواته البرية . ومنذ ١٧ يناير - اليوم الأول للحرب الجوية - وقوات الفيلق الثامن عشر المحمول جوا والفيلق السابع تشق طريقها ببطء صوب الغرب وتتخذ مواقع هجومية . وعلى طول الحدود مع الكويت ، زادت وحدات التحالف من نشاطها ، ودفعت مجموعات استطلاعية صغيرة إلى الخطوط الخلفية العراقية ، وقامت بغارات بالمدفعية لكى تجعل انتباه العدو مثبتاً على الجنوب . وبعيدا عن الساحل ، واصلت البحرية الأمريكية نشاطها ، واستولت على آبار نفطية قبالة الشاطىء ، وعلى جزيرة صغيرة ، وظلت تشكل تهديدا برمائيا

للساحل الكويتى . وفى ٢٤ يناير ، قامت البحرية بمناورة عسكرية - هى « جندى البحر ٤ » - شملت أكبر حشد لقوة برمائية منذ عملية الإنزال فى إنشون عام ١٩٥٠ أثناء الحرب الكورية .

وبحلول منتصف فبراير - بعد شهر من الضربات الساحقة من الجو - كانت المقاومة العراقية قد بدأت تتصدع . وأدرك صدام ببطء وبعد فوات الوقت مدى خطئه فى الحساب . ففى الساعة الحادية عشرة ، وربما دقائق فقط قبيل منتصف الليل لكى نكون أكثر دقة ، قام صدام بمحاولة غير مجدية لإنهاء الحرب قبل أن تشن القوات المتحالفة هجومها البرى . وعلى نحو يشبه كثيراً ما فعله اليابانيون ، الذين حاولوا فى صيف عام ١٩٤٥ بطريقة خرقاء إيجاد مخرج ما يحفظ ماء الوجه لحربهم مع الولايات المتحدة عن طريق استخدام الاتحاد السوفيتى كوسيط ، حاول صدام أيضا التحرك من خلال موسكو فى محاولة للإفلات من الموت والدمار من الجو وعدم تعريض وطنه للغزو .

وما إن بدأت الحرب الجوية ، حتى أدرك الكرملين بأن زبونه السابق يتجه بسرعة نحو الكارثة رغم مليارات الروبلات من المعونة العسكرية . وكان الرئيس ميخائيل جورباتشوف يريد أن يساعد العراق على تجنب حرج هزيمة كاملة ، كما أنه كان يتوق بلاشك إلى أن يعود العالم ويركز اهتمامه مرة أخرى على الأحداث فى أوروبا ، ولذلك وجه النصح إلى صدام بأن يضع حداً لخسائره وينهى الحرب . وفى ١٢ فبراير حذر يفجينى بريماكوف ، المبعوث السوفيتى الخاص إلى بغداد ، صدام بأنه إذا لم ينه الحرب بسرعة ، فإن هجوما بريا للقوات المتحالفة سوف يستكمل تدمير القوات العراقية فى الكويت . ونصح بريماكوف صدام بأن يعلن استعداده للانسحاب .

وأطلقت مبادرة موسكو الدبلوماسية حركة ما نحو السلام . وأعلن صدام استعداده للعمل مع السوفيت فى مسعى لإنهاء الحرب . ولكن الدول المتحالفة ، وخاصة الولايات المتحدة ، تشككت فى إخلاص صدام واعتبرت تصريحاته الدبلوماسية محاولة لتفادى الهزيمة الكاملة . كذلك كانت إدارة بوش تتخذ موقف الحذر من الدور السوفيتى . فرغم العلاقة الجديدة التى نشأت بين واشنطن وموسكو ، ظل العديد من الأمريكيين يعتقدون بأن الروس يعملون من أجل حرمان الولايات المتحدة من النصر الكامل الذى أحرزته فى الخليج ، ومن أجل إنقاذ نظام حكم كان حليفا لموسكو فى تلك المنطقة لأحقاب طويلة .

وبصرف النظر عن إخلاص السوفيت والنوايا العراقية ، فإن صدام برهن مرة أخرى على حماقته . لقد استخدم المساعى الحميدة للرئيس جورباتشوف أسوأ استخدام . وتم إهدار وقت ثمين بسبب التأخيرات الناشئة عن عدم رغبة صدام فى السماح لوزير خارجيته طارق عزيز بحرية التفاوض أثناء وجوده فى موسكو ، وبالتالى الاضطرار إلى القيام برحلات مكوكية بين موسكو وبغداد عن طريق طهران ، وكذلك بسبب انهيار وسائل الاتصالات العراقية نتيجة قصف القوات المتحالفة لها .

ورغم ذلك ، بدأ فى منتصف فبراير - نتيجة للجهود السوفيتية - سيل من التقارير اليومية المنتظمة التى تتعلق بالعروض وبالعروض المضادة تخرج من بغداد وموسكو وواشنطن .

وانتشرت الشائعات القائلة بأن صدام يوشك على إعلان الانسحاب من الكويت . ثم حدث أن أصدر مجلس قيادة الثورة العراقى فى ١٥ فبراير بيانا بقبول قرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ ، وهو القرار الذى يدعو للانسحاب . ولسوء الحظ أن العراقيين أعلنوا فى الوقت نفسه مجموعة من المطالب : وقف إطلاق النار فورا ؛ وإنهاء الحظر الاقتصادى ؛ وأن « تلغى » الأمم المتحدة كل القرارات ذات الصلة التى صدرت عقب القرار ٦٦٠ ؛ وأن تنسحب قوات التحالف فى تزامن مع الانسحاب العراقى ، بما فى ذلك إزالة بطاريات صواريخ باتريوت التى أرسلت إلى إسرائيل عقب الهجمات الأولى لصواريخ سكود ؛ والانسحاب الإسرائيلى من الأراضى « العربية » المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ؛ وموافقة الائتلاف على « إعادة بناء ما دمره العدوان . »(٤٠)

ولم تكن مفاجأة أن الرئيس بوش ندد فى الحال بهذا البيان باعتباره « خدعة فظة . »(٤١) ورفض الأعضاء العرب الثمانية فى التحالف خطة صدام برمتها . ووصف الرئيس الفرنسى ميتران الاقتراح العراقى بأنه « غير مقبول » ، ووصفه رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور بأنه « رياء كاذب . »(٤٢) وحتى السوفيت بدا أنهم فوجئوا برد صدام . وقال فيتالى تشوركين المتحدث باسم وزارة الخارجية السوفيتية للصحفيين : « إن الشيء الرئيسى ، من وجهة نظرنا ، ينحصر فى حقيقة أن القيادة العراقية تتحدث عن الانسحاب من الكويت » . ولكن تشوركين أضاف ، « ولسوء الحظ أن هذه الفقرة المبدئية مرتبطة بشروط كثيرة بحيث تجعلها بلا معنى . »(٤٣)

ولم يكف جورباتشوف عن المحاولة ، وكشف عن « خطته » السرية للعمل فى موسكو يوم ١٧ فبراير ، عندما وصل هناك وزير الخارجية العراقى طارق عزيز لإجراء مناقشات .(٤٤) واشترك جورباتشوف بنفسه فى المحادثات ، وحذر قائلا إن على صدام أن يحزم أمره على الانسحاب بدون شروط بأسرع ما يمكن . ولكن عزيز لم يكن مفوضاً بالتحدث بالنيابة عن صدام ، وعاد إلى بغداد بالخطة المقترحة . ووعد برد سريع .

ولكن الأيام مرت دون أن تخرج كلمة من بغداد . وإما أن صدام لم يستطع أن يتخذ ما كان يعتبر بالنسبة له قراراً صعباً ، أو أنه أساء تقدير الحاجة إلى توخى السرعة فى مداولاته ، أو أنه كان يحاول فقط - وهو ما كان يخشاه الأمريكيون - تأخير بدء الحرب البرية . ولم يزعج صمت صدام الرئيس بوش الذى كان يعلق أملاً ضئيلاً على تحقيق ثمار من جهود جورباتشوف ، كما كان يعتقد أن الخطة السوفيتية « لا تتمشى على الإطلاق » مع ما يعتبره الائتلاف ضرورياً لإنهاء الحرب .(٤٥)

وفى النهاية ، قبل العراقيون فى يوم ٢١ فبراير اقتراح الكرملين وأعلنوا موافقتهم على « انسحاب كامل غير مشروط » من الكويت يبدأ فى اليوم التالى لوقف إطلاق النار ، ويستكمل فى إطار زمنى محدد وإن كان لم يتم الاتفاق عليه بعد . غير أن القبول العراقى لم يكن ، فى الواقع ، غير مشروط . وأصر صدام على أنه عند اكتمال الانسحاب تسقط بقية قرارات الأمم المتحدة .(٤٦) ولا يكون هناك حظر اقتصادى بعد الحرب ، وليس على العراقيين دفع تعويضات .

لم تكن الخطة السوفيتية مرضية بالنسبة للدول المتحالفة ، وخاصة الولايات المتحدة .(٤٧) ولم يجد الرئيس بوش مبرراً كافيا ، وهو على أعتاب النصر ، للموافقة على شروط صدام المهزوم . وفى ٢٢ فبراير ، تحدث بوش باسم التحالف ، فطرح من جانبه مجموعة مطالب ، وحدد مهلة لقبولها : ظهر يوم السبت ٢٣ فبراير ١٩٩١ بتوقيت واشنطن .(٤٨) وعلى صدام أن يوافق على انسحاب فورى وسريع ، ويقبل كل قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بدون شروط .

كان إحجام دول التحالف عن تأخير الموافقة العراقية الكاملة على قرارات الأمم المتحدة أو رفضهم قبول ما هو أقل من ذلك .. أمراً مفهوماً . فقد أكمل الفيلقان السابع والثامن عشر تحركاتهما إلى مواقع هجومية فى عمق الصحراء السعودية . وكان يمكن أن يؤدى تثبيت حركة القوات هناك إلى تقويض أية آمال يعلقها الجنرال شوارتزكوف على تحقيق مفاجأة استراتيجية وعملياتية ، وكانت الأعباء اللوجستية ستصبح هائلة وتهدد بإحباط أى هجوم صوب الشمال فى وقت لاحق . وكانت إدارة بوش على علم أيضا بأنه فى الوقت الذى يتحدث فيه صدام عن السلام ، فإنه يدمر الكويت بطريقة منهجية . ومنذ وقت مبكر يرجع إلى ٣٠ يناير والجنرال شوارتزكوف يتفجع على التدمير العراقى المتعمد للبنية الأساسية للكويت . وفى ١٢ فبراير ، أعلن البنتاجون أن العراقيين أشعلوا النار فى آبار نفط كويتية يصل عددها إلى خمسين بئراً . وفى ٢٢ فبراير ، عندما وافق صدام فى النهاية على انسحابه « غير المشروط » ، ذكرت تقارير مخابرات التحالف أن حوالى نصف آبار النفط الكويتية ـ أكثر من ١٥٠ من مجموع ٣٦٣ بئراً ـ قد أشعلت فيها النار .(٤٩) وفى كل يوم كانت تحرق آبار نفط جديدة .(٥٠) وفى ١٧ فبراير انهمر مطر أسود فى غربى إيران مع انتشار أحدث كارثة بيئية صنعها صدام .(٥١) وكانت هناك أنباء أيضا تقول إن العراقيين يعتقلون عشرات الآلاف من المدنيين الكويتيين الذين طالت معاناتهم .(٥٢) ويبدو أن البعض منهم استخدم كدروع بشرية ، والبعض الآخر نُقل إلى العراق لأسباب غير معروفة . وكان يصعب على دول التحالف تنحية المطالب بشأن التعويضات بينما صدام يدمر الكويت عامداً متعمداً .

وكان الوقت قد نفد بالنسبة لصدام ، وبالنسبة للجيش العراقى . وكانت وجهة نظر بريماكوف أن الخلافات التى تفصل بين دول التحالف وصدام « ليست جوهرية إلى الحد الذى يبرر المزيد من تصعيد الحرب » . وربما لم تكن جوهرية بالفعل ، ولكن قبل أن يتسنى بذل جهود أخرى ، بما فى ذلك الدعوة السوفيتية إلى عقد جلسة طارئة للأمم المتحدة ، كان الموعد المقرر لبدء الحرب البرية قد حل ، وهو الذى أطلق عليه « يوم ب » . كان لدى صدام والسوفيت أسبوعان للتوصل إلى تسوية . وكان لدى صدام خمسة شهور لمواجهة الحقائق والانسحاب . وتأخير الحرب البرية ، فى وقت تحترق فيه الكويت بالمعنى الحرفى للكلمة ، سيكون فى حد ذاته جريمة . وفى الحقيقة فإن الحرب البرية أدت ، لحسن الحظ ، إلى تقصير أمد الحرب . فبعد مائة ساعة حقق جيش الجنرال شوارتزكوف ما كان يتطلب فترة تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ، أو أكثر ، فى حالة تحقيقه من الجو .

الفصل الثانى عشر

أم المعارك ، أم الهزائم

العاصفة فى البر

مع حلول منتصف فبراير ، كانت معارضة الائتلاف لشن حرب برية قد اختفت . وازداد القلق من احتمال أن تنهى الحملة الجوية والمبادرات الدبلوماسية السوفيتية « الوليمة » قبل أن تتدخل القوات البرية . وبدأ كبار القادة العسكريين للتحالف يعترفون بأنهم بالغوا بدرجة مفرطة فى تقدير القدرات العراقية وقللوا من تقدير التأثير الماحق للقوة الجوية . وكان سعى صدام لوقف إطلاق النار دليلا على القوة التدميرية للهجمات الجوية للائتلاف . وقد سُحقت القوة الجوية العراقية أو هربت إلى إيران . وتم تدمير البحرية العراقية بواسطة ضربات وجهت فى المحل الأول من الطائرات المحمولة على حاملات الطائرات الأمريكية العاملة فى الخليج العربى .

والأكثر أهمية ، أن الجيش العراقى كان يتحطم وبدأ يبدو مثل نمر من ورق . وكشفت عمليات الاستطلاع فى الجبهة أن العديد من حقول الألغام على خط صدام قد أُعدت بطريقة تفتقر إلى سعة الخيال ، وغالباً كانت هناك ممرات خالية من الألغام تحمل علامات واضحة كما أن حقول الألغام لم يتم صونها على نحو كاف . فقد لاحظ جنود التحالف أن الألغام التى كانت تنفجر بفعل الجمال الهائمة لا يتم إحلالها . وظهرت نتوءات الكثير من الألغام التى أطلت برأسها من داخل الأرض بعد أن تسبب طقس الشتاء فى تآكل الرمال التى تغطيها . ومع اقتراب يوم بدء الحرب البرية ، أظهرت الغارات التى شنها مشاة البحرية الأمريكية أنه على الرغم من تفاخر العراقيين بتفوق مدفعيتهم ، فقد كان ردهم يتسم بالبطء كما كانوا عاجزين عن الرد بالنيران بطريقة فعالة . وتحدثت الأعداد المتزايدة من الجنود العراقيين الهاربين الذين وصلوا إلى خطوط التحالف عن الأوضاع المتردية ، والمعنويات المنخفضة ، وعمليات الهروب الجماعى التى يمكن أن تكون قد بلغت خمسين فى المائة فى بعض الوحدات . ومن بين التشكيلات الأحد والأربعين التى ظهرت على الخرائط التى استخدمها الجنرال شوارتزكوف أثناء مؤتمره الصحفى يوم ٢٧ فبراير ، أشارت التقديرات إلى أن ثلاثة عشر تشكيلا منها أصبحت قوتها أقل من خمسين فى المائة مما كانت عليه ، وأثنى عشر تشكيلا أصبحت قوتها أقل من ٧٥ فى المائة . ودمرت القوات الجوية المتحالفة الآلاف

من الدبابات العراقية وحاملات الجنود المدرعة والمدافع . وتم « تجهيز » ميدان القتال . وفى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ فبراير ١٩٩١ ، بالتوقيت المحلى ، بدأت المرحلة الرابعة « لعاصفة الصحراء » : الهجوم البرى .

كانت قوات الجنرال شوارتزكوف موزعة على ست تجمعات رئيسية . وظل حوالى ١٨ ألفا من مشاة البحرية الأمريكية التابعين للواء الحملات البحرية الرابع ولواء الحملات البحرية الخامس (المؤهلة لعمليات الإبرار) ووحدة الحملات البحرية الثالثة عشرة (المؤهلة للعمليات الخاصة) على متن السفن فى الخليج العربى ، مما كان يضطر العراقيين إلى حراسة الساحل الكويتى . وعلى الشاطىء ، تولى مسئولية قطاع الفيلق فى أقصى الطرف الشرقى قيادة القوات العربية المشتركة - شرق ، وهى تتكون من « قوات خاصة » فى حجم ثلاث فرق من وحدات سعودية ، ووحدات من الإمارات العربية المتحدة ، وعمانية ، وبحرينية ، وقطرية ، وكويتية . وفى الخط التالى قوة الحملات البحرية الأولى الأمريكية - الفرقة الأولى والفرقة الثانية لمشاة البحرية ، ولواء « تيجر » الأول التابع للفرقة المدرعة الثانية فى الجيش الأمريكى . وعلى يسار مشاة البحرية ، كانت توجد الوحدة العسكرية العربية الرئيسية ، وهى قيادة القوات المشتركة - شمال ، التى تضم الآلاى الهجومى والفرقتين الثالثة الآلية والمدرعة الرابعة المصرية ، ووحدة الكوماندوز الخامسة والأربعين والفرقة المدرعة التاسعة السوريتين ، والآلاى المدرع الرابع والآلاى الآلى العشرين السعوديين ، ولواء الشهيد ولواء التحرير الكويتيين . وكانت القوات التابعة لقيادة القوات المشتركة - شمال تصطف على طول الحدود الكويتية من وادى الباطن حتى « الإبط » حيث ينحنى خط الحدود نحو الجنوب الشرقى . وإلى الغرب من وادى الباطن نشر الفيلق السابع القوى آلاى الفرسان المدرع الثانى وفرقة المشاة الأولى ، وفرقة الفرسان الأولى ، والفرقتين المدرعتين الأولى والثالثة ، والفرقة المدرعة الأولى البريطانية . وفى أقصى الجناح الغربى لخط القوات المتحالفة ، كان يوجد الفيلق الثامن عشر المحمول جوا ، الذى يضم الفرقة المدرعة السادسة الفرنسية وآلاى الفرسان المدرع الثالث الأمريكى والفرقتين ٨٢ و ١٠١ المحمولتين جوا الأمريكيتين ، وفرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرين .

ومن الطبيعى أن تثير قيادة قوة كبيرة بهذا الحجم ومتباينة تشمل وحدات جوية وبرية وبحرية ووحدات مساندة من ٣٨ دولة نوعاً من المشاكل . فقد تحدثت التقارير عن خلافات ظهرت على السطح فى أواخر أغسطس ١٩٩٠ حول من الذى يتولى القيادة ، وذلك عندما أبلغ القائد العسكرى السعودى الفريق أول الركن الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز الصحفيين بأن الأمريكيين لن يشنوا عمليات هجومية قبل أن يتباحث الرئيس بوش أولاً مع الملك فهد ويحصل على موافقته . لقد قبل السعوديون الدعم الأمريكى للدفاع عن المملكة ، وليس لضرب العراق ، وأى تغيير من العمليات الدفاعية إلى العمليات الهجومية يجب أن يكون موضع موافقة الملك . ورأى الجنرال شوارتزكوف ، فى ضوء هذه التقارير ، أن هذا النظام المرهق البطىء سيقيد يديه ، ويحول دون هجوم مضاد فعال إذا تطلب الموقف ذلك .(١) وحمل شوارتزكوف شكواه إلى الرئيس الذى كان عليه أن يتدخل لدى السعوديين ويهدىء حالة الغضب .

ورغم أن شوارتزكوف أنكر الرواية الصحفية المغالية فى الإثارة حول الخلاف السعودى - الأمريكى .(٢) إلا أنه كان من الواضح تماما أن هناك مشاكل فى الهيكل القيادى « لدرع الصحراء » . فشبه الجزيرة العربية ليست أوروبا الغربية ، ولم تكن قيادة شوارتزكوف المركزية تشتمل على هيكل قيادى مشترك على شاكلة حلف الأطلسى ، وذلك لأسباب سياسية واضحة . وبينما يحتمل أن يكون قانون جولدووتر - نيكولز قد أدى إلى تقوية سيطرة شوارتزكوف على القوات المسلحة الأمريكية ، إلا أن حكمة الكونجرس بالولايات المتحدة لم تكن واضحة بهذا القدر من السهولة لدى عرب الخليج العربى . ومبدأ القيادة الموحدة ، الذى هو شرط ضرورى لا غنى عنه بالنسبة للعسكرية الأمريكية ، لا يمكن أن يكون فى المملكة العربية السعودية إلا عقبة كأداء . ومما لا شك فيه أنه لا الرئيس بوش ، ولا نورمان شوارتزكوف ، كان على وشك تسليم القيادة التعبوية لمئات الآلاف من رجال ونساء القوات المسلحة الأمريكية إلى السعوديين . كذلك لم يكن السعوديون ، أو العرب الآخرون ، مستعدين للتخلى عن قيادة قواتهم للأمريكيين الكفرة .

كان عاملان يضمنان ألا تصبح مثل هذه المشكلات ، قضايا سياسية أو عسكرية كبرى تواجه الائتلاف . ففى الوقت الذى كان فيه شوارتزكوف مقتنعاً على وجه اليقين بأنه من الزاوية العسكرية المحضة فإن التحالف سيعمل بالطريقة الأكمل إذا كان هو نفسه القائد الأوحد ، إلا أنه أدرك أيضا أن الحساسيات السعودية من شأنها استبعاد هذا الحل . وكان كبار القادة السعوديين ، الذين اقتنعوا يقيناً بأن قائداً عسكرياً سعودياً يجب أن يقود كل القوات المنتشرة فى المملكة العربية السعودية ، لأسباب سياسية تتصل بالوضع الداخلى وأوضاع العالم العربى ، يعرفون أنه لا يوجد رئيس أمريكى يمكن أن يأمر شوارتزكوف بالتخلى عن سلطة قيادة عمليات القوات الأمريكية .

وعبر الشهور التالية ، ومع وصول وحدات عسكرية إضافية إلى مسرح العمليات ، قام التحالف تدريجيا بتشكيل هيئة قيادة تصلح للعمل فى جو يتميز بدرجة أكبر بأنه أقرب إلى التفاهم منه إلى المواجهات . وكانت الدول العربية تفضل وضع قواتها تحت قيادة سعودية . وفى منتصف سبتمبر ، وافق البريطانيون على وضع قواتهم تحت القيادة التعبوية الأمريكية .(٣) ثم حدث فى أواخر أكتوبر أن أعلن الجنرال شوارتزكوف - عقب اجتماعات أمريكية سعودية على مستوى عال - أنه اتفق مع الفريق أول الركن الأمير خالد بن سلطان على « خطة دفاعية متكاملة شاملة جداً جداً » .(٤) ووفقاً لخطة الحل الوسط ، فإن خطين مزدوجين للسلطة يمتدان من حكومتى السعودية والولايات المتحدة من خلال خالد وشوارتزكوف كل على حدة ، ومن ثم إلى القوات الإسلامية والقوات غير الإسلامية . ويوجد بين هذين المسارين « مركز اتصالات التنسيق والتكامل للائتلاف » . ومهمة هذا المركز هى ضمان أن عدم وجود قائد أعلى « لن يعوق العمليات . »(٥)

ورغم أوجه القصور الواضحة فى مثل هذا النظام ، فقد نجح بدرجة كافية خلال حملة مضت قدما بنجاح كبير إلى حد أن الأحداث لم تختبر قط فى الحقيقة هيكل القيادة . والأكثر أهمية ، أنه بصرف النظر عما كان يبدو عليه هذا التنظيم على الورق ، فإن الجنرال شوارتزكوف اتخذ القرارات التى يجب اتخاذها أثناء « عاصفة الصحراء » ، ومن خلال « مركز اتصالات التنسيق

والتكامل للائتلاف ، ، وجه عمليات القوات الإسلامية وكذلك غير الإسلامية . وكما أكد ضابط أمريكي كبير لمراسل وكالة أنباء أسوشيتد برس ريتشارد بايل ، فإن قوات الولايات المتحدة « لن يشل حركتها كلام كثير لا يساوى شيئاً ومحض هراء . »(٦)

وفى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٤ فبراير ، وبناء على أمر من شوارتزكوف ، شنت قوات الائتلاف أربع هجمات مساندة تستهدف اختراق الجبهة على طول الحدود الكويتية ، واقتحام مؤخرة العدو ، وشل حركة قوات الاحتياط العملياتية العراقية وتشكيلات الحرس الجمهورى أو استدراجها ناحية الجنوب .

قادت الهجوم فرقة مشاة البحرية الأولى ، ضاربة مفصل الحدود الكويتية ـ السعودية ، وبسهولة مذهلة اخترقت خطى الدفاعات العراقية الأول والثانى . وفى ميسرة فرقة مشاة البحرية الأولى ، وجهت فرقة مشاة البحرية الثانية ـ يدعمها اللواء « تيجر » التابع للجيش الأمريكى ـ ضربة إلى الخط فى الساعة الخامسة والنصف صباحا وأحرزت تقدماً مماثلاً . وواصل مشاة البحرية تقدمهم خلال النهار . ووصلت فرقة مشاة البحرية الأولى إلى قاعدة أحمد الجابر الجوية وحقل نفط البركان وأمنتهما ، ودمرت فى طريقها ٢١ دبابة عراقية وأسرت أربعة آلاف جندى عراقى . وفى ناحية الغرب ، اشتبكت فرقة مشاة البحرية الثانية مع طابور دبابات عراقى زاحف ودمرته وأسرت خمسة آلاف جندى .(٧)

وعلى الجناحين الأيمن والأيسر لمشاة البحرية ، حققت القوات العربية تقدماً مرضياً . وفى الساعة الثامنة ، اخترقت « قوات القيادة العربية المشتركة ـ شرق » الدفاعات العراقية على الساحل وزحفت صوب الشمال . وفى وقت لاحق من نفس اليوم ، وبعد أن قرر الجنرال شوارتزكوف تسريع هجوم « قيادة القوات العربية المشتركة ـ شمال » ، هاجمت القوات العربية شمالاً وهى تزحف بتمهل ، ولكن نظراً لطبيعة الدفاع العراقى فى ٢٤ فبراير ، فقد أحرزت تقدماً طفيفاً نسبياً . وأشار التقرير الرسمى لوزارة الدفاع الأمريكية إلى أنه « عندما أدخل المصريون فى حسابهم احتمال وقوع هجوم عراقى مضاد ، اتخذوا مواقع اعتراضية فى القطاع . »(٨) وبعبارة أخرى ، ففى آخر النهار ، انتقل المصريون إلى موقف الدفاع بدلا من التقدم .

وفى أقصى الجناح الأيسر لقوات التحالف ، قامت قوات الجنرال جارى لاك التى تنتمى إلى الفيلق ١٨ المحمول جوا ، بهجوم فى الشمال فى نفس الوقت الذى ضربت فيه فرقة مشاة البحرية الأولى خط صدام . وفى الساعة الرابعة صباحا ، تحركت الفرقة المدرعة الخفيفة السادسة الفرنسية (القادمة من نيمس) ، التى تشكل جزءاً من « قوة العمل السريع » الفرنسية ، صوب الشمال من مواقعها الهجومية شرقى « راثا » . كان قوام الفرقة الفرنسية ، المعروفة باسم فرقة « اجويه » (فرقة المراقبة) والمعززة بلواء من الفرقة الأمريكية ٨٢ المحمولة جوا ، حوالى ١٣ ألف رجل . وكان الهدف الافتتاحى لفرقة « اجويه » هو « السلمان » ، وهى حصن قديم على مقربة من مفترق طرق فى منتصف المسافة بين الحدود السعودية ونهر الفرات . وكانت مهمة التشكيل الفرنسى هى تغطية الجناح الأيسر لزحف قوات التحالف ، وتأمين عدة طرق تشكل أهمية لإمدادات الفيلق ١٨ المحمول جوا .(٩)

اتجه الفرنسيون شمالاً فى طابورين وأحرزوا تقدماً ممتازاً . وكان العراقيون قد نشروا عناصر فيلقهم التاسع ، الذى يتكون من ثلاث فرق ، بين الناصرية والسلمان ، غير أن العراقيين الذين اشتبك معهم الفرنسيون كانوا من قوات الاحتياط الذين كانوا يهربون ، فى معظم الأحوال ، عند اقتراب قوات التحالف . ووصل الطابور الأيمن لفرقة « اجويه » إلى الهدف : رو شامبو - وهو ملتقى طرق على مقربة من « طق الحاج » فى منتصف المسافة بين الحدود والسلمان - عند هبوط الليل . وكان فى استطاعة الفرنسيين أن يتحركوا إلى السلمان ، ولكنهم قرروا أن يؤخروا هجومهم إلى صباح اليوم التالى لتجنب وقوع خسائر بين المدنيين فيما يمكن أن يصبح قتالاً ليلياً بالنيران على نحو يوقع الاضطراب . وتقدم الطابور الأيسر أكثر ، وأصبح يرابط فى مواقع تتيح له تسديد الضربات إلى ما وراء الدفاعات العراقية فى السلمان إذا قام العدو بأى تحرك للدفاع .

فى صباح اليوم التالى ، تقدم الفرنسيون نحو البلدة ، وقوبلوا بمقاومة ضعيفة . وكان الفرنسيون قد أسروا أكثر من ثلاثة آلاف ، أثبتوا أنهم عبء لوجستى . ولحسن الحظ ، فإن خمسة عشر شخصا فقط من سكان السلمان المدنيين - البالغ عددهم ٢٠٠٠ شخص - بقوا فى البلدة وأصبحوا موضع رعاية ، أما الباقون فقد تم إجلاؤهم فى وقت سابق . وصرح ضابط عراقى أسير برتبة عقيد ، فيما بعد ، للجنرال الفرنسى دانييل جازو بأن وجود الفرنسيين عبر الحدود لم يكن سراً . وعندما سئل الجنرال جازو فى مؤتمر صحفى عما إذا كانت تصريحات العقيد العراقى ، وإخلاء البلدة ، ووضع القوات العراقية فى منطقة السلمان دليل على أن القادة العسكريين لقوات صدام كانوا يتوقعون نوعاً من الهجوم تشنه قوات التحالف فى المنطقة ، أجاب الجنرال الفرنسى ببساطة قائلاً : « آسف ! » .

وفى ميمنة الفرنسيين ، شنت الفرقة الأمريكية ١٠١ المحمولة جوا هجوماً بقوات محمولة بالهيليكوبتر على قاعدة جوية عراقية صغيرة قديمة مهجورة فى « العُبيّد » . وسيصبح « الهدف كوبرا » ، وهو الاسم الكودى للمطار الذى تم الاستيلاء عليه ، قاعدة أمامية لعمليات أخرى للفيلق ١٨ المحمول جوا فى وادى نهر الفرات . وباغتت « النسور الصارخة » عناصر فرقة المشاة العراقية السادسة والعشرين فى « العُبيّد » وأسرت ٥٠٠ جندى .

ولما كان هجوم التحالف يمضى بنجاح ، فقد تلقى الجنرال « لاك » الإذن من الجنرال شوارتزكوف بتطوير الهجوم الذى تشنه الوحدة الثقيلة للفيلق ١٨ المحمول جوا - فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرون - التى كان من المقرر أن تبدأ هجومها فى الساعة السادسة صباحا من يوم ٢٥ فبراير . وبدلا من الانتظار حتى ذلك الوقت ، هاجمت فرقة الجنرال بارى ماكفرى شمالاً فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٤ فبراير . ومن مواقع حول « الشّباه » المقابلة للطرف الغربى للمنطقة المحايدة العراقية - السعودية ، أحرز جنود فرقة « النصر » تقدماً فورياً وسريعاً . واستسلم العراقيون بأعداد كبيرة ، وتوسلوا للحصول على الطعام .

وقرر شوارتزكوف أيضا تسريع هجوم الفيلق السابع بقيادة الجنرال فردريك فرانك ، وهو الهجوم الذى كان من المقرر أن يبدأ أصلاً فى ليلة ٢٤ - ٢٥ فبراير . ومازالت الأسباب الكامنة

وراء ذلك القرار غير واضحة . فالتقارير التى نشرت أو أذيعت وقتذاك كانت تنوه بالتقدم الممتاز وغير المتوقع الذى تحقق فى مواقع الجبهة الأخرى . ولكن الزحف المؤجل للفيلق السابع استهدف منح العراقيين الوقت الكافى للرد على الهجوم المشترك للفيلق العربى ـ ومشاة البحرية فى الكويت ، وهو هجوم قصد به استدراج قوات الاحتياط العراقية إلى الجنوب . وأوضحت صور « نظام الرادار المشترك للمراقبة والمهاجمة للهدف » التى أذيعت حتى ذلك الوقت ـ بعد ظهر يوم ٢٤ فبراير ـ أن العراقيين لا يردون بالشكل المتوقع . فقد لوحظ أن القادة العسكريين التابعين لصدام لا يحركون احتياطيهم المدرع نحو الجنوب لشن هجوم مضاد على زحف مشاة البحرية ، وإنما يحركونهم غرباً إلى مواقع تقع مباشرة فى طريق الفيلق السابع . وكان من شأن تأخير هجوم فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرين ، والفيلق السابع بقيادة فرانك ، إعطاء العراقيين وقتاً إضافيا ليتخذوا مواقع جديدة ويعدوا أنفسهم لمقابلة هجوم التحالف . وهكذا ، فإن تغيير الجدول الزمنى للهجوم قد يكون ، فى جانب منه ، نتيجة الفشل الجزئى لخطة التمويه والخداع .

وبصرف النظر عن السبب ، فإن الفيلق السابع دخل العراق بعد ظهر يوم ٢٤ فبراير ، قبل الموعد المقرر لهذا الدخول بخمس عشرة ساعة ، واكتسح أمامه عناصر الفيلق العراقى السابع . وبينما قامت فرقة الفرسان الأولى بهجوم وهمى على طول وادى الباطن ، شنت الفرقتان المدرعتان الأولى والثالثة بقيادة فرانك وفرقة المشاة الآلية الأولى ، « متجمعة كلها لتشكل قبضة واحدة كبيرة » ، هجوماً على جبهة طولها ستين ميلاً مع وجود امتداد لعناصر الفيالق فى المملكة العربية السعودية بعمق مائة وعشرين ميلاً . وبعد إحداث ثغرة كاملة فى الجبهة العراقية ، اخترق آلاى الفرسان المدرع الثانى الخطوط العراقية ، وفى آخر النهار كان قد توغل لمسافة ٤٥ ميلاً داخل العراق .

كان اليوم الأول للحملة البرية « لعاصفة الصحراء » نجاحاً تاماً . فقد تقدمت قوات التحالف فى كل مكان . وفيما عدا ، وحدات مبعثرة للعدو قامت بدفاع جرىء ولكنه قصير الأمد ، فإن الجيش العراقى كان يترنح على حافة الانهيار . واستسلم حوالى خمسة آلاف عراقى ، وكان هناك آلاف آخرون يهيمون على وجوهم فى ميدان المعركة عاجزين عن القتال . أما خسائر قوات التحالف فإنها تُعد بالعشرات .

ومع حلول صباح يوم ٢٥ فبراير ، أصبح واضحاً أمام معظم كبار القادة العسكريين للتحالف أن خطتهم الأصلية باتت عقيمة . وكانت الأمور تمضى بسلاسة كاملة ، والفرصة مفتوحة على كل الجبهات . وأصبحت قوة الحملات الأولى التابعة لمشاة البحرية تغير الخطط الآن بطريقة روتينية ، وتضع الرسوم التخطيطية على الرمال ، أو على ظهر صناديق الجراية المصنوعة من الورق المقوى كما كان الحال مع خطة مهاجمة مطار الكويت الدولى .

وعلى امتداد الساحل ، واصلت قوات « القيادة العربية المشتركة ـ شرق » زحفها شمالاً بمساعدة هجوم برمائى وهمى شنه مشاة البحرية التابعون للواء الحملات البحرية الرابع . وكانت أكبر المشكلات التى تواجه العرب هى إدارة طرق المرور . ذلك أن الوحدات العربية الصغيرة الحجم

التى تشكل « قيادة القوات العربية المشتركة ـ شرق » كانت ، على خلاف الأوروبيين والمصريين والسوريين ، غير معتادة على تحريك تشكيلات كبيرة عبر ميدان القتال . وكل ما فعلته فقط الحشود المندفعة من أسرى الحرب العراقيين التى ملأت الطرق هو أنها زادت الطين بلة .

وعلى الناحية اليسرى من « قيادة القوات العربية المشتركة ـ شرق » ، وجد مشاة البحرية ، فى قوة الحملات البحرية الأولى ، أنفسهم يتحركون دائما وسط غلالة من الضوء الشاحب ، الذى يشبه ضوء الشفق ، الناشىء عن دخان المئات من آبار النفط الكويتية المحترقة . ولم يتسبب ذلك فى الحيلولة دون استمرار تقدم مشاة البحرية . واندفعت فرقة مشاة البحرية الأولى ، بعد تأمين مطار الجابر ، نحو الشمال إلى مسافة عشرة أميال من مدينة الكويت . واقتحمت فرقة مشاة البحرية الثانية « العبدلية » . وصدت فرقتا مشاة البحرية خلال يوم ٢٥ فبراير عدة هجمات مضادة مدرعة ، ودمرت أو أسرت حوالى ٢٠٠ دبابة ، معظمها من فرقة المشاة الآلية الخامسة العراقية . وفى المؤخرة ، قام لواء الحملات البحرية الخامس بعملية إنزال إدارية وأصبح الاحتياطى لقوة الحملات البحرية الأولى .

وفى ميسرة مشاة البحرية ، بدأت وحدات « قيادة القوات العربية المشتركة ـ شمال » اختراق الجبهة العراقية . وأسرت الفرقة المصرية الثالثة ، وحدها ، ١٥٠٠ عراقى . ومع نهاية النهار ، كانت « قيادة القوات العربية المشتركة ـ شمال » متأهبة لتوجيه ضربتها إلى مدينة الكويت .

وزادت سرعة تقدم الفيلق السابع فى اليوم الخامس والعشرين من فبراير . وبينما واصلت فرقة الفرسان الأولى عملياتها فى منطقة الحدود المثلثة ، اجتازت الفرقة المدرعة الأولى البريطانية ثغرة فُتحت فى الجبهة العراقية بواسطة فرقة المشاة الآلية الأولى الأمريكية . وما إن قام اللواءان المدرعان الاثنان التابعان للفرقة البريطانية باختراق الثغرة ، ومعهما حوالى ١٥٠ دبابة من دبابات القتال الرئيسية من طراز تشالنجر ، حتى اشتبكا مع الفرقة المدرعة الثانية عشرة العراقية ودمراها . وعلى يسار البريطانيين ، قاد آلاى الفرسان المدرع الثانى الأمريكى زحف الفرقتين الثالثة والأولى المدرعتين . ومع نهاية النهار ، كانت الدبابات والمشاة الآلية التابعة للفرقة الأولى قد أحكمت السيطرة على ملتقى طريقى معفر والبوسيا ، على مسافة حولى خمسين ميلاً من الطريق الرئيسى رقم ٨ ونهر الفرات .

وعلى الناحية اليسرى ، واصل الفيلق ١٨ المحمول جوا ، بقيادة الجنرال « لاك » ، عملياته لتأمين جناح قوات الائتلاف المتقدمة . وطردت فرقة « اجويه » عناصر فرقة المشاة الخامسة والأربعين العراقية من السلمان ، وقامت بتأمين ملتقى الطرق الحيوى . وفى ذلك الوقت ، كانت الطرق الواقعة إلى الجنوب مزدحمة بالفعل بقوافل إمدادات القوات المتحالفة الزاحفة نحو الشمال . وأعاق سوء الأحوال الجوية احتشاد الفرقة ١٠١ المحمولة جوا ، ولكن المظليين المحمولين بطائرات الهيليكوبتر اتجهوا شمالا بالرغم من ذلك وقطعوا ، عند الغسق ، الطريق الرئيسى رقم ٨ جنوب غربى الناصرية . كذلك أحرزت فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرون تقدماً ممتازاً ناحية

الشمال ، واستولت على مطار طليل فى وقت متأخر من النهار بعد اشتباك عنيف دام أربع ساعات مع آلاى من الكوماندوز العراقيين .

وبحلول مساء يوم ٢٥ فبراير ، كان حجم ومدى انتصار قوات التحالف قد أصبح واضحا للعيان . وحتى صدام اعترف أخيراً بأن لعبته قد انتهت . وفى الساعة الواحدة والدقيقة ٣٥ من صباح يوم ٢٦ فبراير ، أعلن راديو بغداد أنه نظراً لأن القوات المسلحة للعراق قد « أوفت بواجب الجهاد » ، ونظراً لأنها « خاضت معركة ملحمية باسلة سوف تُسجل فى التاريخ بحروف من نور » ، فسوف تبدأ القيام « بانسحاب منظم » من الكويت .(١٠) وتحدث صدام حسين نفسه ، فى وقت لاحق من نهار نفس اليوم ، وأعلن بطريقة طنانة أن النصر قد تحقق . وقال للشعب العراقى « لقد انتصرتم ، أنتم الظافرون . »(١١)

ومن المحتمل أن يكون نداء صدام للانسحاب قد أدى إلى التعجيل بانهيار جيش كان يتداعى بالفعل . فعلى امتداد قطاعات عديدة من الجبهة ، كانت الطرق المكدسة بالأسرى والمغطاة بحقول الألغام تشكل عائقاً أمام التقدم المستمر لقوات التحالف أكبر بكثير من الجيش العراقى « الظافر » .

قامت قيادة « القوات العربية المشتركة ـ شرق » بتأمين قطاع فيلقها ، وتقدمت نحو ضواحى مدينة الكويت ، بينما قام مشاة البحرية من لواء الحملات البحرية الرابع باستعراضات برمائية ضد جزيرتى فيلكة وبوبيان . وتقدمت فرقة مشاة البحرية الأولى نحو مطار الكويت الدولى ، وبدأت معركة دبابات كبرى استمرت حتى الساعات الأولى من صباح يوم ٢٧ فبراير . وأسرعت فرقة مشاة البحرية الثانية نحو رأس خليج الكويت ، ووصلت إلى بلدة الجهرة وسلسلة تلال موتله ، وهى هضبة تطل على الطريق المفضى إلى مدينة الكويت . وعلى يسار مشاة البحرية ، وصلت عناصر « قيادة القوات الغربية المشتركة ـ شمال » إلى قاعدة « على السالم » الجوية وقامت بتأمينها ، وهى تقع على مسافة أقل من عشرة أميال من الجهرة .

غير أن الخطوة المهمة يوم ٢٦ فبراير هى التى حدثت فى الرياض ، حيث قرر الجنرال شوارتزكوف أن اللحظة قد حانت لكى ينعطف الفيلق السابع بقيادة فرانك نحو الشرق . وكما جاء فى تقرير وزارة الدفاع الأمريكية عن الحرب فإن : « الفيلق السابع نفذ عملية انعطاف نحو اليمين وغير مركز عملياته . »(١٢)

وشجع الأمر الذى أصدره صدام لقواته فى الكويت بالانسحاب ، وحالة الفوضى والارتباك التى بدأت فى جنوب الكويت ، على التحرك للقضاء على القوات العراقية المتبقية قبل أن تتمكن من الانسحاب إلى نهر الفرات . وكان السماح للفيلق السابع القوى بقيادة فرانك بالتحرك صوب الشمال الشرقى والبصرة من شأنه أن يؤدى إلى الإيقاع بالعراقيين فى المصيدة . وفى الحقيقة فإن حدود الفيلق السابع تمتد ناحية الشمال الغربى تجاه البصرة على الخرائط التى يشتمل عليها التقرير الرسمى المرحلى لوزارة الدفاع الأمريكية عن الحرب حتى يوم ٢٦ فبراير .(١٣) وربما يكون شوارتزكوف قد رأى أن استمرار الفيلق السابع فى التقدم إلى الأمام نحو نهر الفرات ينطوى على مخاطرة شديدة ، فى الوقت الذى ظلت فيه على جناح فرانك فرق آلية عراقية ، بينما ثلاث فرق

على الأقل من الحرس الجمهورى ، سليمة لم يمسها أذى ولم تشتبك معها أية قوة . وبالتالى فإن إعادة توجيه مسار تقدم الفيلق السابع نحو الشرق كان ينطوى على أقل مخاطرة ، ولكن بدلا من تجنب القوات الفعالة المتبقية لصدام فإنه قُدِّر لهذا الفيلق الدخول فى اشتباك بالمواجهة واسع النطاق .

وقد تكون هناك عوامل عديدة أسهمت فى قرار تغيير محور تقدم الفيلق السابع . فرغم تعليقات الجنرال شوارتزكوف وآخرين ، فإن خطة التمويه والخداع فشلت كما هو واضح تماماً ، سواء لأن العراقيين لم تنطل عليهم الخدعة ، أو لأنهم كانوا ببساطة عاجزين ، فى مواجهة القوات الجوية المتحالفة ، عن الرد على الهجمات الوهمية المخادعة بالطريقة التى يرغب فيها شوارتزكوف ومعاونوه . ومع تطور الحملة العسكرية ، كانت قوات الاحتياط العراقية ، بما فى ذلك فرق الحرس الجمهورى ، فى مواقع جيدة تتيح لها تهديد أى تقدم لقوات التحالف نحو نهر الفرات وتغطية تقهقرها من الكويت . كذلك لم تكن « قيادة القوات العربية المشتركة - شمال » - بسبب تقدمها البطىء نسبياً - قد اشتبكت مع القوات العراقية المنتشرة فى شمال غربى الكويت وعطلتها . ويحتمل أن تكون الاعتبارات والمشكلات اللوجستية أيضا المتعلقة بتحريك تشكيلات مدرعة كبيرة عبر أرض صحراوية غير مطروقة جنوبى البصرة قد أثرت على موقف شوارتزكوف .

وتغيير اتجاه تقدم الفيلق السابع كان ينطوى على مغزى أكبر بكثير من إعادة رسم خطوط قليلة وتحريك حفنة من الرموز على خريطة . وكما جاء فى تقرير وزارة الدفاع عن العمليات ، فإن توجيه الفيلق السابع وجهة جديدة كان « مناورة بالغة الصعوبة . »(١٤) وعلى سبيل المثال ، فقد كان على فرقة المشاة الآلية الأولى ، أن تمر من خلال آلاى الفرسان المدرع الثانى أثناء الليل . وتشير التقارير إلى أن الجنرال بول فانك ، قائد الفرقة المدرعة الثالثة ، والكولونيل وليام ناش ، الذى تولى قيادة اللواء الأول للوحدة ، وضعا تفصيلات التغيير فى محور تقدم الفرقة فى خمس عشرة دقيقة على خرائط نثرت فوق غطاء محرك سيارة .(١٥) ومما لاشك فيه أن قدرة فرق فرانك على تنفيذ التغيير الذى أحدثه شوارتزكوف فى الخطط دون أن تفقد قوة الدفع فى تقدمها ، والالتحام المباشر بالعدو أثناء الزحف ، كانت من أروع الإنجازات العملياتية فى الحرب .

ففى ليلة ٢٦ فبراير ، ومع استكمال الفيلق السابع لانعطافته ، بدأت فرق فرانك مواجهة القوات العراقية ، بما فى ذلك فرقة « حمورابى » المدرعة الأولى وفرقة « المدينة » المدرعة الثانية والفرقة الآلية الثالثة « توكلنا » ، وكلها من فرق الحرس الجمهورى . وتحركت عناصر الفرقة المدرعة الأولى والفرقة المدرعة الثالثة وفرقة المشاة الآلية الأولى الأمريكية ، أثناء الليل وحتى صباح يوم ٢٧ فبراير ، للاشتباك مع العراقيين وتدميرهم وفتح طريق إلى الشرق لاستكمال تحطيم القوات العراقية المتقهقرة من الكويت .

وكان قرار شوارتزكوف بتغيير اتجاه حركة الفيلق السابع ليسير نحو الشرق يعنى أن قوات الجنرال لاك هو المسئولة الوحيدة ليس فقط عن تغطية الجناح الأيسر لقوات التحالف الزاحفة ، بل أيضا عن قطع الطريق على التقهقر العراقى بالتقدم نحو البصرة ، التى تقع داخل قطاع الفيلق

١٨ المحمول جوا . وسجلت فرقة « اجويه » ، التى تحمى أقصى الجناح الأيسر للتحالف من السلمان ، قدرا ضئيلا من النشاط العراقى . وقامت الفرقة ١٠١ الأمريكية المحمولة جوا بسهولة بتشتيت عناصر فرقة المشاة العراقية التاسعة والأربعين ودخلت الناصرية على نهر الفرات . وواصلت فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرون تقدمها شمالاً على جبهة تمتد من طليل على الناحية اليسرى إلى جليبة على الناحية اليمنى .

وبمجىء صباح يوم ٢٧ فبراير ، أصبح الموقف العراقى ميئوساً منه . فقد تم تدمير ٢٢ فرقة عراقية ، أى حوالى نصف الوحدات العسكرية التى نشرها صدام فى مسرح العمليات الكويتى . وكان معظم بقية الوحدات على شفا الانهيار . وكانت الظروف فى الجبهة من السوء إلى حد أن أربعين عراقياً يائساً فى حالة يرثى لها حاولوا الاستسلام لطائرة أمريكية بلا طيار يتم التحكم فيها عن بعد .. فأخذوا يجرون هنا وهناك وهم يلوحون بأذرعتهم بينما الطائرة تحلق فوق رؤوسهم .(١٦) وبلغ عدد أسرى الحرب الذين وقعوا فى أيدى الائتلاف بالفعل ثلاثين ألفا .

فى ٢٧ فبراير ، انتهت المقاومة المنظمة فى الكويت . ودخلت القوات السعودية والكويتية العاصمة . وتولت فرقة مشاة البحرية الأولى تأمين مطار الكويت الدولى بعد تدمير أكثر من ٣٠٠ دبابة عراقية ، منها ٧٠ دبابة من طراز « تى - ٧٢ » . وسيطر مشاة البحرية من قوة الحملات البحرية الأولى على المواقع الحاكمة حول مدينة الكويت . والتأم شمل الوحدات العربية التابعة « لقيادة القوات العربية المشتركة - شمال » مع قوات التحالف الأخرى قرب العاصمة الكويتية . وهربت فلول القوات العراقية شمالا على طول الطريق الرئيسى إلى البصرة ، وهو الطريق الذى سيعرف بعد ذلك بوقت قصير باسم « طريق الموت » أو « الطريق إلى جهنم » . ووصف طيارو « هارير » من فيلق مشاة البحرية الأمريكية الموقف على طول الطريق بأنه « مائدة تحتوى على كل أنواع وألوان المركبات الحربية » ، و « باحة مخصصة لوقوف السيارات » ، و « بيئة غنية بالأهداف » على حد تعبير المثل المشهور .(١٧) وفى الأعالى حلقت طائرات التحالف النفاثة لتقصف الطريق بالقنابل والصواريخ والمدافع حتى أحالته إلى مجزر بينما يهرب العراقيون التماسا للنجاة .(١٨)

وخلال النهار ، قاتلت فرق الجنرال فرانك من الفيلق السابع لتشق طريقها إلى الشرق فى الوقت الذى برهنت فيه القوات الآلية للتحالف على تفوقها النوعى على العراقيين . وفى العادة ، كانت الدبابات الأمريكية والبريطانية المزودة بأجهزة الرؤية الحرارية تفتح النار قبل أن يكتشفها العراقيون ، وكثيراً ما أصابت أهدافها بالطلقات الأولى وهى لاتزال تتحرك . وعندما يرد العراقيون على النار بالمثل ، كانوا يحرزون نجاحاً قليلاً . وليس هناك ما يؤكد حدوث اختراقات لدروع من نوع « إم ١ » أو « إم ١ ايه ١ » بواسطة قذائف عراقية ، ومن بين السبع دروع « إم ايه ١ » التى ذكرت تقارير أنها أصيبت بقذائف أطلقتها دبابات « تى - ٧٢ » ، لم تلحق بأى منها أضرار . ولم يكن من المستغرب أن المعارك التى دخلتها دبابات التحالف مع الدبابات العراقية كانت قصيرة فى مدتها بوجه عام ، وأسفرت عن تدمير قوات صدام . وفى أحد الاشتباكات دمرت دبابات ابرامز

« إم ١ ايه ١ » التابعة للواء الثانى من الفرقة المدرعة الأولى ، مائة دبابة عراقية وثلاثين ناقلة جنود مدرعة فى ٤٥ دقيقة ، أى أنه تم تدمير مركبة عراقية كل عشرين ثانية !(١٩) وأتاحت هذه الاشتباكات للفيلق السابع أن يستكمل تدمير تشكيلات الحرس الجمهورى - ومنها « حمورابى » الذى كان محل تفاخر العراقيين - وأن يتقدم نحو الخليج . وفى صباح اليوم التالى ، اشتبكت وحدات آلية بريطانية وأمريكية مع فرق عراقية ، ودمرت أكثر من ١٢ فرقة ، وأصبحت تشكل فكى كماشة على طرق التقهقر الرئيسية الخارجة من الكويت .

وبينما كانت القوات الفرنسية والأمريكية تتولى عمليات تطهير فى الغرب والشمال ، اتجهت فرقة المشاه الآلية الرابعة والعشرون من الفيلق ١٨ إلى وادى الفرات . وفى الفجر ، استولى لواء المشاه رقم ١٩٧ من الفرقة المذكورة على مطار طليل جنوبى الناصرية . وفى الناحية الشرقية ، استولى اللواء الثانى بقيادة الكولونيل بول كيرن على جليبة ، ودمر عشر طائرات ميج على الأرض . واستدار الجنرال ماكفرى بسرعة بفرقته بمساندة طائرات الهليكوبتر وآلاى الفرسان المدرع الثالث واتجه شرقاً على الطريق رقم ٨ وفاجأ الوحدات العراقية ، ومنها وحدة تضم خمسين دبابة ، وتولى تشتيتها بسرعة أو الاستيلاء عليها فى الوقت الذى أسرعت فيه طلائع الفرقة نحو البصرة . وفى وقت متأخر من اليوم وحتى ساعات الصباح ، اشتبكت الفرقة مع عناصر من الفرقة الآلية الرابعة (الفاو) للحرس الجمهورى كانت تتحصن فى خنادق . ومع الساعات الأولى من صباح يوم ٢٨ فبراير ، كان العراقيون قد لحقت بهم الهزيمة وانسحبوا . وكان رجال ماكفرى مستعدين للمضى قدماً إلى البصرة لإغلاق الطريق الرئيسى للهرب أمام العراقيين . غير أنه فى الساعة الثامنة صباحا توقفت كل العمليات الهجومية . فقد انتهت « عاصفة الصحراء » .

فى يوم ٢٨ مارس نشرت صحف الصباح فى الولايات المتحدة قصة مفادها أن الجنرال شوارتزكوف صرح فى مقابلة صحفية مع ديفيد فروست ، كان من المقرر أن تذاع فى نفس الليلة فى محطة إذاعة «PBS» ، بأن « القرار الشجاع » للرئيس بوش بوقف الحرب بعد مائة ساعة حال بين القيادة المركزية وبين استكمال تدمير الجيش العراقى . وقال شوارتزكوف لفروست « بصراحة ، كانت التوصية التى قدمتها تدعو إلى استمرار الزحف » ، لأن قوات التحالف كان بوسعها « إغلاق الباب تماماً وجعلها معركة إبادة » . وطبقاً لما ذكره شوارتزكوف ، فإن « قرار بوش ترك بالفعل بعض طرق الهروب مفتوحة أمامهم للنجاة بأنفسهم . »(٢٠) وفى اليوم التالى - بعد إذاعة هذه المقابلة الصحفية - أبلغ بوش الصحفيين أنه بالقدر الذى يعنيه ، فقد كان هناك « اتفاق تام فيما يتعلق بالموعد الذى يجب أن تنتهى عنده هذه الحرب . »(٢١)

والملاحظات التى أدلى بها شوارتزكوف لفروست ، وهى الملاحظات التى تراجع عنها الجنرال بسرعة ، محيرة نظراً لأن شوارتزكوف نفسه هو الذى أثار فى مؤتمره الصحفى يوم ٢٧ فبراير لأول مرة علنا إمكانية وقف العمليات الهجومية . وكان أحد الصحفيين قد وجه إليه السؤال التالى :
« هل تخشى ألا تكون قادراً على إنجاز هدفك ، ومن حدوث ضغط سياسى ما على الحملة ؟ »
وأجاب شوارتزكوف قائلاً :

« أظن أنني أوضحت للجميع أنني كنت أفضل لو أن الحرب لم تبدأ على الإطلاق ، وكنت أفضل لو أنني لم أفقد روحاً واحدة في هذه الحرب . فلم يكن هذا هو اختيارنا . لقد أنجزنا مهمتنا ، وعندما يتوصل صناع القرار إلى قرار بأنه يجب وقف إطلاق النار ، فلن يكون هناك من هو أكثر سعادة مني . »(٢٢)

ولم يمض وقت طويل على ذلك المؤتمر الصحفي ، حتى استدعى الجنرال كولين باول .. شوارتزكوف وسأله عن رأيه في وقف العمليات . وحسب شهادة لاحقة أدلى بها شوارتزكوف أمام الكونجرس ، وافق على القرار ، والسبب « أننا كنا نلحق دمارا هائلاً بحق بالعدو ونقتل الأرواح بلا ضرورة . »(٢٣)

وتكشف تصريحات شوارتزكوف المتناقضة بشأن منشأ الأمر الصادر بوقف الهجوم - بصرف النظر عن المسار الذي كان يفضله في ذلك الوقت - عن احتمال حدوث جدل بين شخصيات أمريكية كبيرة وشخصيات عسكرية كبيرة من التحالف حول الاستمرار في العمليات الحربية أو وقفها . واعترف الجنرال ماك بيك ، رئيس أركان السلاح الجوي الأمريكي ، في وقت لاحق قائلا « لم نكن متأكدين تماما من أننا نقدم على الخطوة الصحيحة عندما توقفت قواتنا البرية - الفرقتان الآلية الرابعة والعشرون والمدرعة المشتبكتان هناك مع الحرس الجمهوري - وعرضت ، في الحقيقة ، على القوات البرية العراقية الرأفة الرحيمة . »(٢٤)

وأصبح واضحاً بالنسبة للتحالف مدى تدني الموقف العراقي ، أثناء المحادثات التي جرت بين العسكريين من الجانبين يوم ٣ مارس في مدينة صفوان العراقية شمال الحدود الكويتية مباشرة . ففي الاجتماع ، التقى الجنرال شوارتزكوف والفريق أول الركن خالد ، وغيرهما من كبار القادة العسكريين للتحالف ، مع اللواء سلطان هاشم أحمد الجبوري نائب رئيس الأركان العراقي وعشرة من كبار الضباط العراقيين لوضع تفاصيل وقف الأعمال الحربية . وخلال مناقشة حول إطلاق سراح أسرى الحرب ، وجه الجبوري سؤالا حول عدد العراقيين الذين أسرتهم قوات التحالف . وعند إبلاغه بأن العدد يتجاوز ٥٨ ألفا ، توجه نائب رئيس الأركان العراقي ، وهو في حالة ارتياع ، إلى اللواء الداغستاني قائد الفيلق الثالث الذي كان يرابط في الكويت وسأله عن مدى دقة هذا الرقم . وأجاب الداغستاني بأنه لا يعلم شيئاً ، ولكن الرقم يمكن أن يكون صحيحاً . وفي وقت لاحق ، وأثناء رسم خط الحدود الذي يفصل بين قوات التحالف والقوات العراقية ، وجه الجبوري سؤالا عن السبب في أن الخط يقع وراء الوحدات العراقية . وأجاب شوارتزكوف بأن الخط يوضح أماكن المواقع الأمامية لقوات الائتلاف . ومن الواضح أن القادة العسكريين العراقيين المذهولين لم يكونوا على علم - حتى بعد عدة أيام من انتهاء العمليات - بعمق توغل القوات المتحالفة .(٢٥)

وبينما تجري المحادثات في صفوان ، وصلت إلى الغرب أنباء عن قلاقل أهلية بين السكان الشيعة في العراق ، في الجزء الجنوبي الشرقي من البلاد .(٢٦) وسرعان ما اتسعت دائرة القتال من البصرة إلى مدن في الشمال مثل الناصرية وكربلاء . وبعد أيام ، بدأ القتال في أقصى شمال البلاد ، حيث قام الأكراد بطرد قوات صدام من كردستان .

اندلاع الاضطرابات فى العراق ، وجهود صدام الوحشية والناجحة لقمعها ، جعل المناقشة حول توقيت إنهاء « عاصفة الصحراء » أكثر أهمية من مجرد مسألة ذات قيمة أكاديمية محضة . ذلك أن الأنباء التى ذكرت أن بعض الوحدات التى اشتركت فى قمع التمرد كانت قد أفلتت من الكارثة التى لحقت بها فى الكويت ، أثارت الشك فى حكمة قرار الرئيس بوقف العمليات بعد مائة ساعة .

وفى الحقيقة فإن بعض الوحدات العسكرية التى استخدمها صدام فى استعادة سيطرته على كردستان والجزء الجنوبى الشرقى من البلاد كانت مرابطة فى مسرح العمليات الكويتى . ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن هذه الوحدات كانت ستتعرض للتدمير لو استمرت الحرب البرية . فقد أوضح الجنرال شوارتزكوف فى مؤتمره الصحفى يوم ٢٧ فبراير ، وخلال المقابلة الصحفية مع ديفيد فروست ، أن المعدات الثقيلة للجيش العراقى التى تم نشرها فى الجنوب قد دمرت أو سقطت فى الفخ ، أما الوحدات التى أفلتت من التدمير ، فهى تلك التى « حزمت أمتعتها وخرجت » قبل إغلاق البوابة فى ٢٧ فبراير .

وبحلول صباح يوم ٢٨ فبراير ، كان شوارتزكوف قد أنجز بوضوح الأهداف التى كُلف بها . إذ تم تحرير الكويت ، وتم إضعاف جيش صدام بحيث لم يعد يشكلّ تهديداً لجيران العراق . فالأمم المتحدة ، والائتلاف ، والولايات المتحدة لم تدخل غمار الحرب البرية بهدف التدمير الكامل للجيش العراقى (الذى لم يكن كله مرابطاً فى الجنوب) ولم تدخل غمار تلك الحرب لاحتلال العراق أو تمزيق أوصاله . ولم تكن لدى القوات المتحالفة رغبة فى ممارسة احتلال كان سيضع على كاهل الائتلاف ، فى حالة حدوثه ، المسئولية المادية والإدارية لإعادة هيكلة وإعادة بناء العراق .

وبالنسبة للرئيس بوش ولقطاع من الشعب الأمريكى ، فإن صدام قد يكون « هتلر » آخر ، غير أن العراق لم يكن بالقطع ألمانيا أخرى . ففى عام ١٩٤٥ ، كان الألمان شعبا تحدوه المشاعر القومية ويريد أن يتوحد ، بينما العراقيون فى ربيع ١٩٩١ لم يكونوا شعبا على الإطلاق ، بل بالأحرى مجموعات عرقية ودينية متباينة ، بعضها يرغب فقط فى الانفصال عن العراق . وكان احتلال التحالف للعراق بعد الحرب سيجلب كارثة للولايات المتحدة .

وبينما علقت إدارة بوش آمالها علناً على أن العراقيين سيطيحون بصدام بعيدا عن السلطة ، فقد كان الرئيس يفكر فى القيام بانقلاب عسكرى أو سياسى ، وليس فى تمرد جماهيرى شعبى دموى . ولا يعنى عدم حدوث انقلاب ناجح (حتى كتابة هذه السطور) بالضروة أن آمال الإدارة الأمريكية كانت بلا أساس . لقد ساعدت أعمال التمرد فى الجنوب الشرقى وفى كردستان على الإبقاء على صدام فى السلطة . وأى خليفة محتمل لصدام سيكون عربياً سنياً آخر حريصا كل الحرص على السلطة المركزية لبغداد وعلى وحدة أراضى العراق . والقضاء على صدام كان سيؤدى فقط إلى تنشيط قوى التفتت التى تتحرك فى البلاد ، ويجعل مهمة إعادة تأكيد السيطرة المركزية أكثر صعوبة بالنسبة للقائمين بالانقلاب . وأى شخص يفكر فى الإطاحة بصدام كان يعرف أيضا أن العراق سوف تُفرَض عليه أعباء تعويضات مالية على نمط تعويضات فرساى ، كما

ستفرض قيود على سيادته . والأرجح أن صدام سيبقى فى السلطة إلى أن يوافق على تسوية نهائية مع الائتلاف .

ورغم أن صدام مازال فى الحكم ، إلا أن عمليتى « درع الصحراء » و « عاصفة الصحراء » أنجزتا الأهداف المحدودة التى وضعتها إدارة بوش، وهى الأهداف التى ساندتها الدول المتحالفة مع هذه الإدارة والأمم المتحدة ، وهى أيضا الأهداف التى تعبر عن الرفض التقليدى للولايات المتحدة للمخاطرة بتورط سياسى وعسكرى أعمق فى الخليج . وقد أدت الاضطرابات الدينية والعرقية الدموية فى العراق بالفعل إلى التقليل من وقع انتصار التحالف ، غير أن انتصار الأمم المتحدة فى أوروبا عام ١٩٤٥ لم يحل أيضا كل مشكلات القارة . ولم يحرر تدمير الجيش العراقى فى الكويت الولايات المتحدة فحسب من مهمة المضى فى المسيرة كلها إلى بغداد للقضاء على القدرات العسكرية الهجومية لصدام ، بل أيضا وفر الضمان بأن حجم القوات العسكرية الأمريكية التى ستضطر للبقاء فى المنطقة بعد الحرب ستكون عند مستوى الحد الأدنى ، وبسبب سرعة ومدى نجاحها سوف تمتلك الحد الأقصى لقوة الردع .

ونتيجة لنجاح « عاصفة الصحراء » ، كانت الولايات المتحدة فى صيف عام ١٩٩١ ، فى ذروة قوتها ونفوذها فى الخليج العربى ، ولكن التزاماتها أصبحت أكثر عمقاً نوعا ما مما كانت عليه قبل الأزمة . وسوف يقول منتقدو السياسة الأمريكية ، ولديهم المبرر لهذا القول ، إن الولايات المتحدة ربما لم تكن ، لتحقق نجاحا بهذه الدرجة لو أن صدام قام بغزو المملكة العربية السعودية فى أغسطس ١٩٩٠ . غير أن زعماء الشرق الأوسط ، الذين رأوا العراق ورابع أكبر جيش فى العالم يتمزقان فى حرب دامت ستة أسابيع ، يعرفون أن القوة الأمريكية حقيقة واقعة وليست سراباً فى صحراء . ومع ذلك ، من الذى كان فى استطاعته أن يتكهن فى يوليو ١٩٩٠ بأن الأمريكيين سيتمكنون من تشكيل مثل هذا التحالف وينشرون حوالى ٧٥٠ ألف عسكرى فى الخليج العربى ؟

الفصل الثالث عشر

الضامن للملاذ الأخير

كانت « درع الصحراء » / « عاصفة الصحراء » بالنسبة للولايات المتحدة تمثل ذروة عملية بدأت قبل قرنين . ففى القرن التاسع عشر ، ساد الاعتقاد لدى العديد من الأمريكيين بأن القدر شاء أن يعهد إلى الولايات المتحدة بمهمة نشر مزايا المثل السياسية والاقتصادية الأمريكية فى أنحاء العالم .(١) وكان الخليج العربى واحداً من بين أماكن كثيرة يبحث فيها التجار والدبلوماسيون الأمريكيون عن فرص تجارية . وقد شرعوا ، عندما وصلوا إلى مسقط فى عام ١٨٣٣ ، فى العمل بهدف تقويض النظام العالمى القديم وإقامة ما تراءى لهم أنه يمكن أن يكون النظام العالمى الجديد . وكان هدفهم المعلن صراحة هو السعى لأن تحل الولايات المتحدة محل بريطانيا العظمى بصفتها القوة الاقتصادية المسيطرة فى الخليج ، بحيث لا تصبح بعد الآن ، كما وصفها بطريقة فظة العميد البحرى شوفيلت ، « الانجليز رقم ٢ » .

وتوقع الأمريكيون بسذاجة أن يحلوا محل البريطانيين فى المجال التجارى دون أن يضطروا لتحمل مسئوليات سياسية أو عسكرية على النمط الذى كان سائدا فى العالم القديم . وكانت الولايات المتحدة تتوق إلى التجارة مع فارس فى الخمسينات من القرن التاسع عشر ، ولكن لم تكن تحدوها الرغبة فى ممارسة الدور الأكبر فى الخليج ، وهو الدور الذى كان الشاه يطالب به فى البداية . وطوال الفترة التى ظلت فيها بريطانيا العظمى هى القوة الأولى فى المنطقة ، استطاع الأمريكيون ، والأمر كذلك ، تجاهل الحقائق السياسية خلال سعيهم وراء أسواق جديدة .

وكان يجب على الأمريكيين عدم إنهاء دور بريطانيا العظمى فى الخليج بهذه السرعة وبهذا الحماس . فقد كان البريطانيون ، أيضا ، قد وصلوا فى البداية إلى الخليج العربى سعياً وراء التجارة فقط .(٢) ولكن مع زيادة النشاط التجارى ، زادت بالمثل الحاجة للقيام بدور أوسع على نحو متزايد . وفرضت بريطانيا هدنة فى مجال الملاحة البحرية لإتاحة الفرصة أمام النشاط التجارى ، وبحلول نهاية القرن التاسع عشر ، كانت قد حددت طبيعة المصالح الاستراتيجية فى المنطقة . وقد أدت التهديدات الفرنسية والألمانية والروسية إلى تورط سياسى واسع فى شئون الخليج ، وخاصة على طول شاطئه الجنوبى . ثم تمخض تطور صناعة النفط فى إيران فى بداية القرن العشرين واعتماد بريطانيا العظمى المتزايد على الخليج العربى فى إمدادها بالبترول .. تمخض عن مصالح جغرافية ـ اقتصادية كان يجب الدفاع عنها أيضا .

وثمة تماثل بين تطور الدور الأمريكى فى الخليج وبين النموذج البريطانى لهذا التطور : مرحلة طويلة من النشاط التجارى فقط ، يعقبها تطور أسرع للمصالح الاستراتيجية والجغرافية ـ الاقتصادية . وفى الأربعينات من القرن العشرين حل الأمريكيون محل البريطانيين باعتبارهم أكبر قوة اقتصادية فى الخليج العربى . ولسوء الطالع ، فقد تزامن مع هذه السيطرة التجارية الجديدة الاضطلاع بدور دبلوماسى وعسكرى أكبر ، الأمر الذى لا يبعث على الدهشة . وقد قاومت الولايات المتحدة هذا الاتجاه ، فى محاولة لإقناع البريطانيين بأن يظلوا القوة « المسئولة » عن أمن الشرق الأوسط ، ولكن على غير طائل .

وبحلول أواخر الستينات من هذا القرن ، لم تعد لدى البريطانيين القوة ولا الرغبة لحراسة المنطقة . ولماذا يجب عليهم أن يفعلوا ؟ لقد قضى تأميم شركات النفط البريطانية فى الخليج ، وضياع الهند ومصر ، على المصالح الجغرافية الاقتصادية والاستراتيجية لبريطانيا العظمى تقريبا فى الشرق الأوسط . والمصالح التجارية التى بقيت كانت محدودة جدا بحيث يصعب أن تبرر دوراً سياسياً ـ عسكرياً رئيسياً فى شرقى السويس .

وبالنسبة للولايات المتحدة ، فإن الانسحاب البريطانى لم يكن ليحدث فى توقيت أسوأ مما حدث فيه . ذلك أن إدارة نيكسون ، التى كانت غارقة فى مستنقع حرب الهند الصينية ، أدركت أن الشعب الأمريكى لن يؤيد سياسة تدعو الولايات المتحدة إلى أن تحل محل بريطانيا العظمى فى الخليج . وقد أثبتت السياسة البديلة ، وهى الاعتماد على إيران والمملكة العربية السعودية باعتبارهما الدعامتين التوءم للغرب ، أنها فى الواقع العملى سياسة الاعتماد على شاه إيران ، وقد انهارت هذه السياسة بطريقة مذلّة مع انهيار عرش الشاه فى عام ١٩٧٩ .

ووقعت على عاتق إدارة كارتر مهمة مواجهة حقائق الموقف الأمريكى فى الخليج العربى . وكان على الولايات المتحدة إما أن تنفض يدها من المنطقة ، أو تقبل مسئولية تأمين المصالح الغربية . واختار الرئيس كارتر قبول الأمر الثانى ، ومنذ الإعلان عن مبدئه فى عام ١٩٨٠ ، قبل الأمريكيون ـ وهو قبول على مضض ـ حقيقة أن الولايات المتحدة ، باعتبارها القوة الأولى فى الخليج ، يجب أن تتحمل المسئوليات السياسية والعسكرية التى تحملتها بريطانيا العظمى لوقت طويل .

وهكذا أصبح الأمريكيون ـ مثلهم مثل البريطانيين فى القرن التاسع عشر ـ حراس الخليج . وكما لاحظ المؤرخ والمحلل والمعلق ، فؤاد عجمى ، عقب زيارة للكويت فى ربيع عام ١٩٩١ ، فإن « إمارة صغيرة قد أنزلقت إلى الفلك الأمريكى . »(٣) ولم تنفع الكويتيين فى شىء أحقاب من المساندة للعراق وللفلسطينيين ، وللقومية العربية ، عندما وقعت المواجهة بينهم وبين صدام حسين . ولما كان العديد من الكويتيين قد أصيبوا بخيبة أمل كاملة بسبب المعاملة التى عوملوا بها على أيدى « أشقائهم » فى الجنس والدين ، فإنهم يلتمسون الآن « الحماية » من دولة يعتبرونها « الضامن للملاذ الأخير » .

وقد تكون الكويت نموذجاً قاسياً غير عادى للحالة المزاجية لعرب الخليج ، ولكن رغم نفورهم

من الاعتراف بذلك ، فإنهم بالمثل قد أصبحوا جزءا من محمية أمريكية جديدة نشأت بحكم الأمر الواقع . ففى غياب المساندة الأمريكية ، يتعرض بقاء الكويت والبحرين وقطر والإمارات وعمان ، بل المملكة العربية السعودية ، للخطر . وفى الماضى القريب ، وفى الماضى غير القريب جداً ، كان جيرانهم الأكبر حجماً والأكثر سكانا ـ العراق وإيران ومصر ـ يضمرون جميعا طموحات إقليمية فى شبه الجزيرة العربية . ويعترف عرب الخليج بهذه الحقيقة ، حتى إذا كانوا يفضلون عدم طرحها للنقاش . وهذا هو السبب فى ترحيبهم بوصول نصف مليون جندى أجنبى إلى أراضيهم بعد الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠ .

ومن المفارقات ، أن المحمية الأمريكية فى الخليج وُجدت وتطورت نتيجة سياسة مرسومة ، ونتيجة للمصادفة أيضا . فعلى مدى قرنين ، ظل الأمريكيون يطردون البريطانيين بطريقة منتظمة من المنطقة . ولسوء الحظ ، فإنه عندما وجد الأمريكيون أنفسهم فى نهاية المطاف « الانجليز رقم ١ » ، اكتشفوا أيضا أنه من الصعب التمييز بين النظام العالمى القديم والنظام العالمى الجديد فى مناطق مثل الخليج العربى . وجاء شعورهم بالارتباك والضيق لأن السيطرة الاقتصادية جلبت معها مسئوليات سياسية وعسكرية .

كذلك فإن اعتماد الغرب ـ والولايات المتحدة بدرجة أقل ـ على بترول الخليج العربى لم يأت بطريقة غير مقصودة . ففى الأربعينات ، خطط صناع القرار السياسى الأمريكى لذلك أيضا ، على أمل الحفاظ على نفط نصف الكرة الغربى ليكون بمثابة احتياطى استراتيجى ضخم . وتحقق هدف الولايات المتحدة عندما أُستخدم نفط الشرق الأوسط فى إنعاش أوروبا الغربية اقتصادياً بعد أن دمرتها الحرب . وربما كان هذا التطور هو أهم عوامل منع انتشار الشيوعية داخل أوروبا .

ومن ثم ، فإن سياسة الولايات المتحدة فى الخليج يجب اعتبارها ناجحة . فمنذ عام ١٩٤٥ ، حقق الأمريكيون ما كانوا يسعون إليه فى الخليج العربى وما كانوا يريدونه منه . بل إن الأمريكيين أصابوا نجاحاً فى الخليج العربى ، وبالحد الأدنى من التكاليف ، بالمقارنة بإنفاقهم العسكرى الهائل على مدى أكثر من خمسين سنة فى الدفاع عن أوروبا الغربية ، وبالمقارنة بتجربة التدخل المرّة فى جنوب شرقى آسيا ، وبالمقارنة بذلك المزيج من النجاح والإخفاق فى أمريكا اللاتينية .

وبطبيعة الحال فإنه لا يمكن القول بأن كل شيء تحقق وفقاً للخطة الموضوعة . ذلك إن افتراض أن عائدات النفط يمكن أن تحوّل منطقة راكدة اقتصاديا وغير مستقرة وشبه اقطاعية إلى منطقة « متقدمة » ومستقرة وموالية للغرب سياسياً واجتماعياً وتجارياً .. هو ادعاء غير صحيح . (ولكن هؤلاء الذين يعتقدون أن المال يمكن أن يحل مشكلات الخليج سيكونون أمريكيين نموذجيين حقاً) .(٤) وقد ظلت المنطقة موالية للغرب فى توجهها على الصعيد العالمى ، ولكن التقدم السياسى والاجتماعى الذى توقعه أصحاب القرار السياسى الأمريكى ذات يوم ، لم يحدث .

ورغم ذلك ، فإن كل الأمور نسبية ، والأمريكيون يجب ألا يكونوا بهذا القدر من السطحية عندما يصورون الخليج بوصفه مجموعة غير مستقرة من أنظمة الحكم شبه الاقطاعية المتخلفة سياسياً واجتماعياً . فالواقع أن الدول العربية فى الخليج العربى كانت على مدى نصف القرن المنقضى

أكثر استقراراً بكثير من دول في مناطق العالم الثالث الأخرى ، مثل أفريقيا أو جنوب آسيا أو جنوب شرقي آسيا أو أمريكا اللاتينية والجنوبية . وحتى في داخل الشرق الأوسط ، فإن الخليج هو أكثر المناطق الفرعية استقراراً . ومع أن الحكومات العربية في الخليج لا تتوافق مع المثل الغربية للديمقراطية ، فإنها ليست شمولية بأي حال في سياساتها . أما من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فإن عرب الخليج أفضل حالاً من بقية العالم الثالث ، بل حتى من أجزاء من العالم الأول والثاني .

كذلك لا ينبغي على الأمريكيين المغالاة في الحديث عن الحدود « المصطنعة » في الخليج العربي . فكل الحدود التي رسمها البشر مصطنعة . وعلى سبيل المثال ، فإن الحدود « الطبيعية » لفرنسا المعترف بها لوقت طويل هي الراين والألب والبرانس ، ولكن عليك أن تقول ذلك للألمان والهولنديين والبلجيك لترى رد الفعل .

ويبدو أن بعض الأمريكيين يظنون أن هذه الأنظمة « شبه الإقطاعية » و « المصطنعة » في الخليج تفتقر إلى حد ما إلى الحق في الوجود . وتركزت المناقشات غالبا إبان حرب الخليج على الكيفية التي رسم بها البريطانيون الإمبرياليون الحدود وصنعوا دولاً مثل الكويت . وخلال المناقشة التي جرت في الكونجرس في يناير ١٩٩١ حول استخدام القوة ، وجه السناتور دانيل باتريك ، الذي يجيد التحدث عادة بطريقة لبقة مقنعة ، سؤالا إنشائيا عما حدث في الخليج . وأجاب هو نفسه على السؤال قائلا : « لم يقع حدث ضخم . وكل ما حدث هو أن بلداً صغيراً كريهاً قام بغزو بلد أصغر ، ولكنه كريه بنفس الدرجة . »(٥)

وقد رسم البريطانيون بالفعل الكثير من الحدود في المنطقة ، وبدون مساندة وحماية بريطانية ، لم يكن من الممكن أبداً أن يستمر وجود دول الخليج الأصغر في القرن التاسع عشر . بيد أن الدولة التي تأسست بطريقة مصطنعة أكثر من غيرها في الخليج والحديثة العهد هي العراق وليست الكويت . أما الأسرة الحاكمة الكويتية ، فإنها تتولى إدارة البلاد منذ قرون ، وقبل وقت طويل من ظهور دولة باسم العراق . والمملكة العربية السعودية هي أكثر دول المنطقة تجانساً إلى حد بعيد من ناحية العنصر والدين .

وعلى الأمريكيين أن يفهموا ، وهم يضعون سياسة للخليج العربي ، أن الدول العربية في الخليج لا تتعرض للتهديد لأنها دول مصطنعة ـ وهي ليست كذلك ـ بل لأنها دول صغيرة ، ضعيفة ، غنية بالنفط ، وتقع في زاوية خطيرة ولكنها زاوية مهمة في العالم من الناحية الاستراتيجية . والمأزق الذي يواجه الأمريكيين ـ وهو على شاكلة المأزق الذي واجه البريطانيين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ـ هو أنهم يجب أن يقرروا ما إذا كان إنفاق الوقت والموارد (والأرواح الأمريكية من بين هذه الموارد) لضمان البقاء المستمر لدول الخليج ، يتفق مع مصلحتهم أم لا .

وعند الإجابة عن هذا السؤال ، يجب على الأمريكيين أن يلاحظوا أنه مهما كان ثمة استقرار نسبي في الخليج ، فإن هناك قوى مثيرة للمتاعب تمارس نشاطها داخل العالم العربي ، أو ـ عند التحدث بصورة أشمل ـ العالم الإسلامي ، وهي قوى تهدد بإغراق المنطقة في فوضى أشمل وأعم .

وأشارت مجلة « ايكونوميست » فى عدد صدر فى ربيع ١٩٩٠ إلى أن هناك « انحطاطا فى المعنويات » وشعور بسوء الحال فى العالم العربى بينما يبدو معظم بقية الكوكب على وشك الدخول فى ألفية من الديمقراطية والرخاء الاقتصادى . إن النمو السكانى السريع فى دول الشرق الأوسط ، والعوائق المناخية أمام زيادة إنتاج الطعام ، والتفاوت فى الثروات (نتيجة للنفط) داخل العالم العربى ، يهدد استقرار المنطقة بأسرها .

وإذا كانت العوامل التى تتعلق بالأمور الداخلية للعالم العربى والخليج العربى فى حالة تحول مستديم ، فإن التأثيرات الخارجية التى شكلت السياسة الأمريكية فى الماضى فى حالة تحول مستديم أيضا . ومن بين المجموعات الثلاث من المصالح التى وجهت دبلوماسيتنا خلال القرنين الماضيين ، فإن انتهاء الحرب الباردة قلل بصورة جذرية من أهمية المصالح الاستراتيجية . فقد اختفى التهديد السوفيتى (الروسى) من الشمال ، فى الوقت الحاضر على الأقل .

كذلك فإن نهاية الحرب الباردة أدت إلى تعديل بعض عناصر المعادلة الجغرافية ـ الاقتصادية . فاحتواء الشيوعية لم يعد يجبر الولايات المتحدة على ضمان التدفق المستمر للنفط من الخليج إلى أوروبا الغربية . ومع ذلك ، فإن الأهمية الكلية للعناصر الجغرافية ـ الاقتصادية فى السياسة الخارجية الأمريكية قد زادت . والأسباب هى ، أولاً : يدرك أصحاب القرار السياسى الأمريكى ، وأغلبية الشعب الأمريكى ، أنه ليس فى مصلحة الولايات المتحدة حدوث انهيار فى اقتصادات شركائها التجاريين الرئيسيين فى أوروبا وآسيا . وثانياً : إن نمو اقتصادات الدول الديمقراطية الجديدة فى أوروبا الشرقية يعتمد ، جزئياً ، على توافر النفط الشرق أوسطى رخيص السعر. وثالثاً : من المرجح أن يزداد اعتماد أمريكا على بترول الخليج العربى المستورد . وبوجه عام ، فإن الشعب الأمريكى ينفر من الموافقة على تشييد المزيد من محطات الطاقة النووية ، خوفاً من الحوادث ومن المشكلات المتصلة بإنتاج النفايات النووية ؛ كما يرفض الشعب الأمريكى زيادة عمليات الحفر للتنقيب عن النفط قبالة الشواطىء ، خشية تلوث المياه وأماكن الاستحمام فى البحر ؛ ويرفض إحراق المزيد من الفحم حتى لا يزداد تلوث الهواء وحتى لا يسقط المطر الحمضى .

وهذه التغييرات فى طبيعة المصالح الأمريكية فى الخليج العربى ، والتصميم الذى ظهر فى موقف إدارة بوش أثناء درع الصحراء / عاصفة الصحراء ، ورغبة الشعب الأمريكى فى تأييد حملة عسكرية واسعة ويمكن أن تكون باهظة التكاليف ، كل ذلك يوضح أن مسألة المسار المقبل للسياسة الأمريكية فى الخليج العربى قد تقررت بالفعل . فالصراع على الكويت كان ، رغم كل شىء ، أول أزمة فى فترة ما بعد الحرب الباردة ، وهى أزمة حدثت بعد أن بدأت المعادلات الاستراتيجية والجغرافية ـ الاقتصادية تتغير . ويتمشى الدور الأمريكى فى عمليتى « درع الصحراء » و « عاصفة الصحراء » مع اتجاه حركة السياسة الأمريكية فى الخليج منذ الأربعينات من القرن العشرين . وبدأت الاعتبارات الجغرافية ـ الاقتصادية تصبح أثقل وزنا وأكثر أهمية من الاعتبارات الاستراتيجية منذ وقت مبكر يرجع إلى منتصف السبعينات ، أى قبل سقوط سور برلين بحقبة كاملة .

وقد أدت نهاية الحرب الباردة إلى زيادة الأهمية النسبية للخليج العربى أكثر فأكثر بالنسبة للولايات المتحدة ، وسوف يستمر تعاظم هذه الأهمية . ومع تضاؤل ضرورة الدفاع عن أوروبا الغربية وشرقى آسيا ، فإن أهمية الشرق الأوسط سوف تزداد . ويحتمل أن يكون الخليج هو المنطقة الوحيدة فى العالم الثالث ، إلى جانب الكاريبى والفناء الخلفى الأمريكى اللاتينى ، التى ستعترف الولايات المتحدة بمصالح حيوية فيها خلال الحقبة القادمة .

وإذا كان لابد أن تلعب الولايات المتحدة دور حارس الخليج العربى فى المستقبل ، فإن دروساً تاريخية عديدة قد تصلح لكى يسترشد بها أصحاب القرار السياسى الأمريكى . وأول هذه الدروس ، أنهم يجب أن يركزوا انتباههم على الشرق الأوسط . وفى واقع الأمر ، أن كل الأزمات التى حدثت فى المنطقة ، وكانت الولايات المتحدة طرفاً فيها ، بدأت عندما كانت بؤرة اهتمام أصحاب القرار السياسى الأمريكى موجهة إلى مكان آخر . وهذا هو ما حدث فى عام ١٩٤٦ ، قبل الأزمة الأولى مع الاتحاد السوفيتى فى إيران ، وهذا هو ما حدث أيضا فى عام ١٩٩٠ قبل غزو صدام للكويت . والدرس الثانى ، أن الموارد العسكرية اللازمة لتأمين مصالح ولايات متحدة « ملتزمة » هى موارد ضئيلة جداً ، وخاصة إذا قورنت بالأعباء التى تحملها الأمريكيون فى أوروبا الغربية وشرقى آسيا . ورغم حجم ونطاق عمليتى « درع الصحراء » و « عاصفة الصحراء » ، فإنه ما إن توصلت الأمم المتحدة والعراق إلى اتفاقية نهائية لوقف إطلاق النار حتى سحبت الولايات المتحدة فعلياً كل قواتها البرية والجوية ومعظم قواتها البحرية . وعرب الخليج لا يريدون وجودا أمريكياً واسعاً دائماً على البر . إنهم يفضلون أن يروا القوات الأمريكية فى البحر ، فى الخليج ، تتحرك عن الأفق وتدخل الميناء فى فترات دورية . ولابد أن الولايات المتحدة ، التى أظهرت قدرتها على الرد بقوة وفعالية فى الخليج ، ستجد من الأسهل ردع صدام حسين آخر فى المنطقة قد يظهر فى مرحلة تالية .

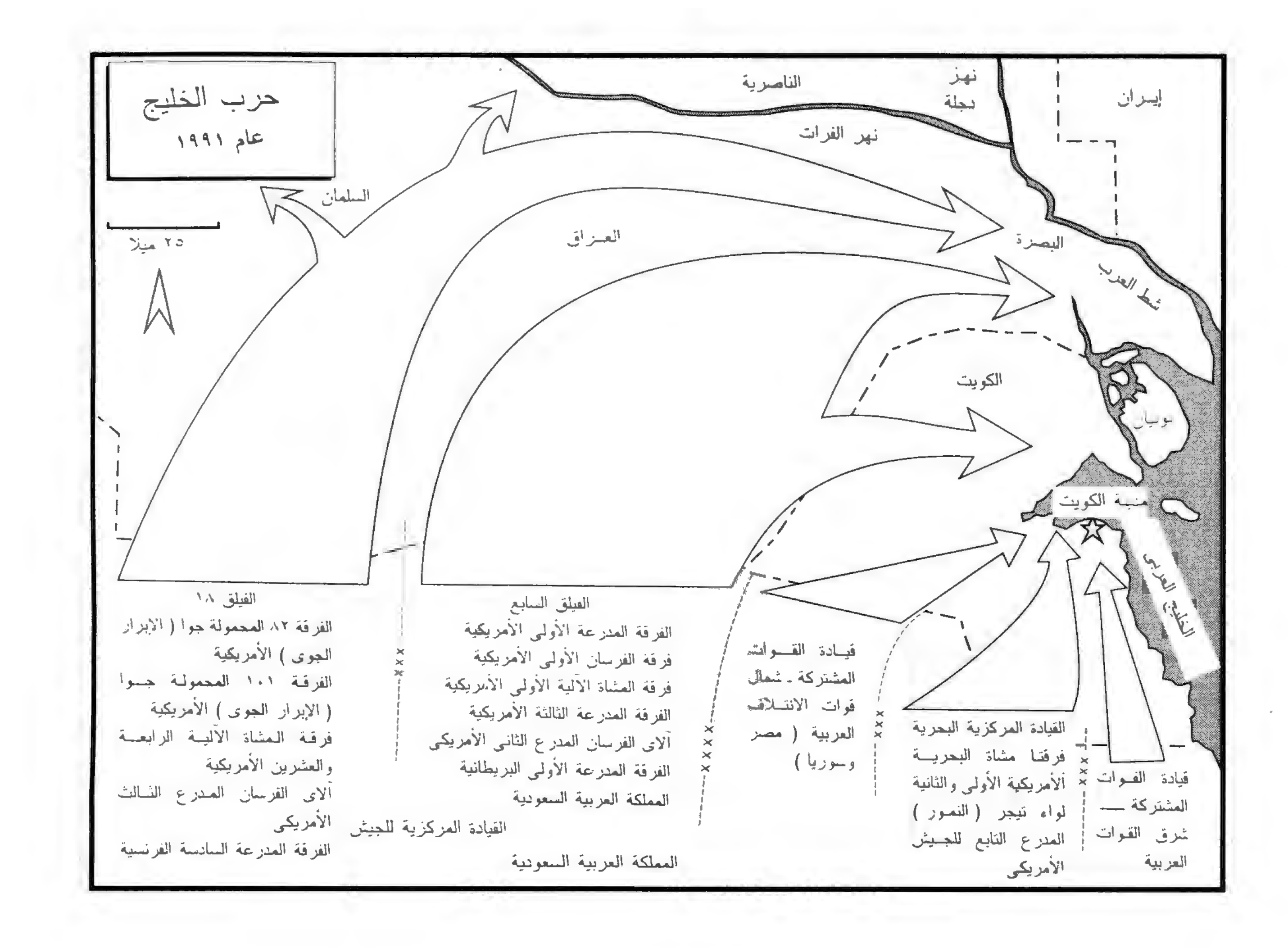
وبالنظر إلى الخبرة التاريخية للولايات المتحدة ، فإن أصحاب القرار السياسى الأمريكى يجب أيضا أن يلزموا جانب الحذر فى تشجيعهم للتغير السياسى والاجتماعى فى الخليج . ويجب على الأمريكيين أن يفهموا أن النمط الثابت للجمهوريات الإسلامية الثيوقراطية المناوئة للغرب لا يمثل الشكل الوحيد ، ولا حتى النموذجى ، للتنظيم الاجتماعى الإسلامى . ومن الناحية التاريخية ، فإن المجتمع الإسلامى كان تقدميا من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومتقدما من الناحية العلمية . ورغم الأوضاع الحالية فى العالم الإسلامى ، فإنه لا يوجد شىء فى العقيدة الاسلامية ، أو فى الممارسات الإسلامية السابقة ، يحول دون نهضة سياسية واجتماعية واقتصادية .

وفى غضون ذلك ؛ يجب على الأمريكيين أن يتجنبوا المغالاة فى رد الفعل تجاه الأخطار التى يتصورونها ناشئة عن الأصولية فى الخليج . فالظاهرة ليست جديدة كما يتضح من خلال صعود الوهابية فى شبه الجزيرة العربية ، والتمرد الذى قاده الملالى ضد الاحتكار البريطانى للدخان فى بلاد فارس . لذلك فإنه ليس من المحتم أن تكون الحكومة الإسلامية الأصولية معادية للغرب فى توجهاتها السياسية والاقتصادية . فالمملكة العربية السعودية صاحبة نزعة أصولية أكبر بكثير من إيران ، ولكنها مع ذلك من أكثر الدول موالاة للغرب فى المنطقة .

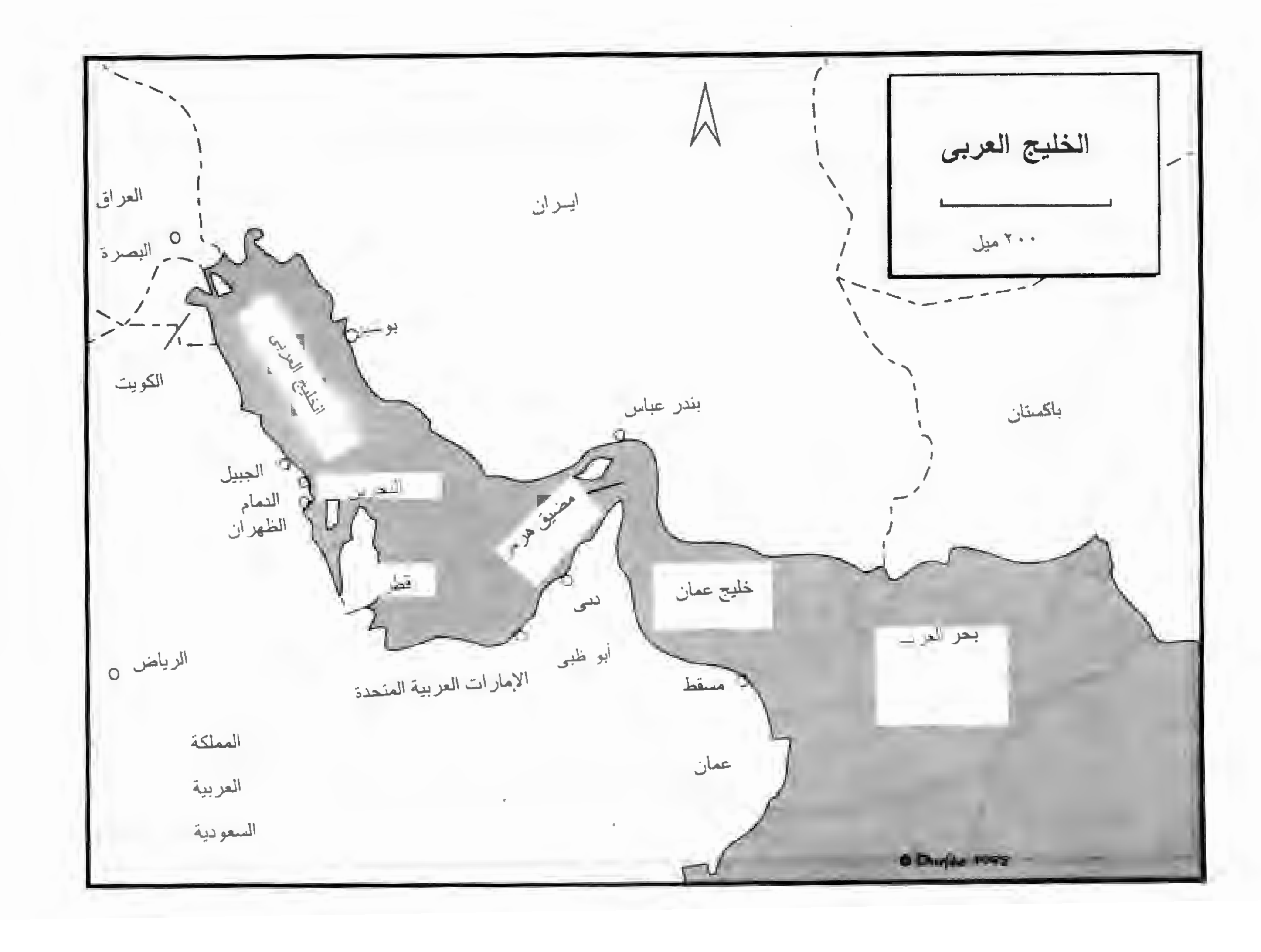
وهكذا ، فإن على الأمريكيين أن يحددوا مسار سياستهم فى القرن القادم بدرجة من التفاؤل المشوب بالحذر ، فى الوقت الذى يتابعون فيه بأنظارهم التغيرات المرتقبة فى الحالة الجوية ويراقبون فيه سحب العاصفة التى تنذر بالسوء ، وهى السحب التى طالما هددت بتعكير صفو الخليج العربى . ما الذى يخبئه المستقبل ؟ بالقطع ، المزيد مما شاهده الأمريكيون وتعاملوا معه بنجاح خلال الأحقاب القليلة الماضية . وستنفجر مشكلات وأزمات بكثرة ، ولكنها يجب أن تكون من النوع الذى يتسنى معالجته . ورغم كل شىء ، ورغم مخاوف رجال من أمثال جيمس فوريستال ، فإن الولايات المتحدة استطاعت على مدى خمسين عاما أن تساند إسرائيل دون أن تدفع العالم العربى بأسره إلى المعسكر السوفيتى ، وهو المعسكر الذى لم يعد له مجرد وجود .

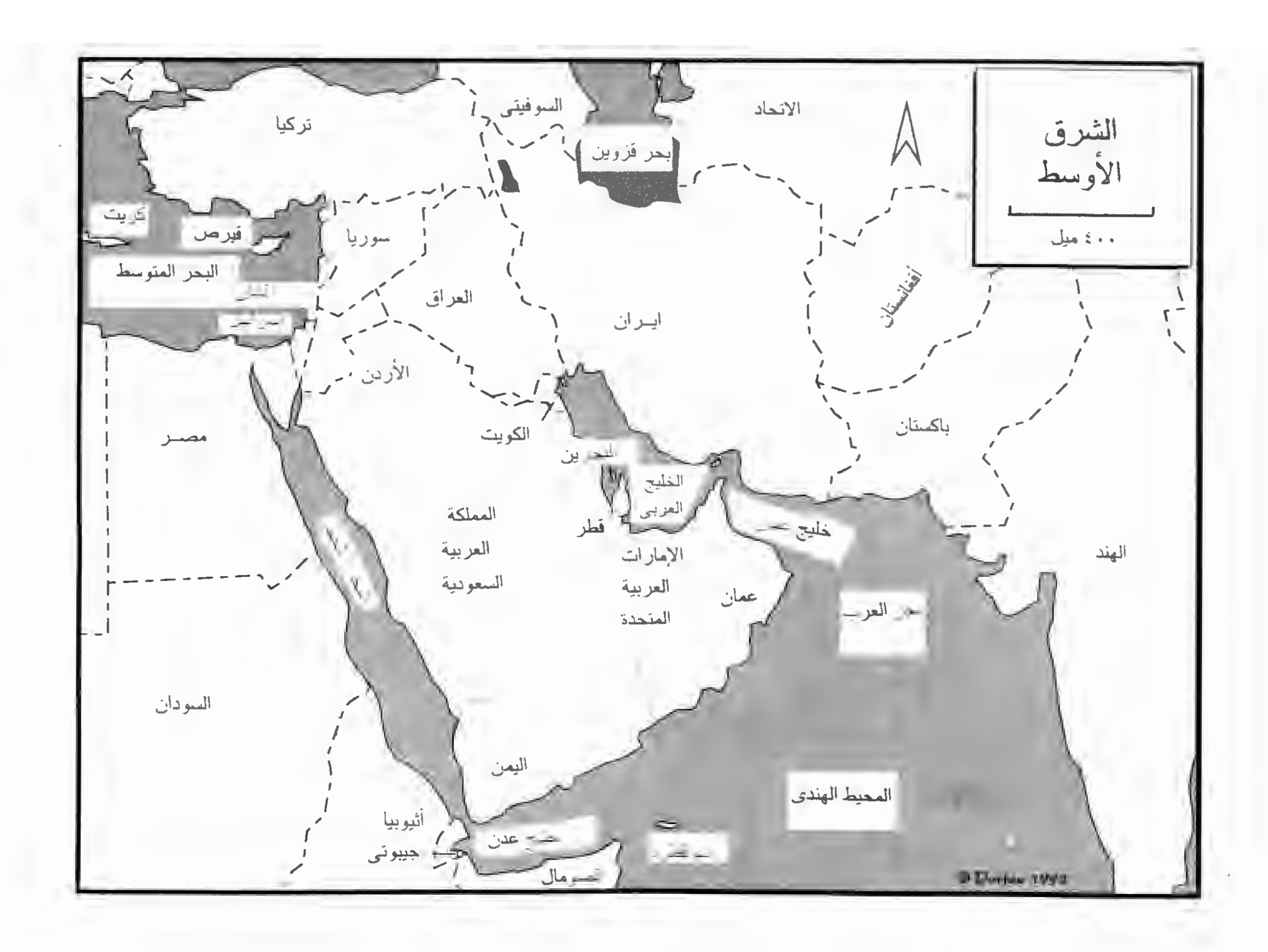
ومثلما كانت بريطانيا العظمى فى سنة ١٩١٩ ، فإن الولايات المتحدة فى سنة ١٩٩١ كانت فى أوج قوتها فى الخليج . وقد يكون هذا درسا تاريخياً آخر فى حد ذاته ، لأن السيطرة البريطانية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى أثبتت أنها قصيرة العمر . ولكن التحدى التجارى من جانب قوة غربية أخرى ـ الولايات المتحدة ـ دفع البريطانيين إلى الخروج من الخليج ، ولم يكن القوميون العرب أو الإيرانيون هم الذين أخرجوا البريطانيين . والفترة الزمنية التى ستحافظ الولايات المتحدة خلالها على مواقعها فى المنطقة سوف تتحدد على الأرجح بعوامل من خارج الخليج العربى . والوصول إلى مستودعات البترول هو ، فى نهاية المطاف ، وسيلة إلى غاية . وسوف تكشف مجريات الأمور ما إذا كان الأمريكيون سوف يستخدمون ـ أم لا ـ نفط الخليج فى تنشيط النمو الاقتصادى الديناميكى فى القرن الحادى والعشرين . فإذا لم يحدث .. فإن الأمريكيين سوف يكتشفون ، فى يوم ما ، ربما لن يكون بعيداً جداً .. أن دولة أوروبية أو آسيوية ، أو مجموعة من الدول ، سوف تتجه رأساً نحو تحقيق هدف أن تحل محل الولايات المتحدة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً فى المنطقة . ولكن ، إلى أن يجىء هذا اليوم ، سوف يظل الأمريكيون حراس الخليج .

الخرائط



حرب الخليج
عام ١٩٩١
٢٥ ميلا
السلمان
العـراق
الناصرية
نهر الفرات
نهر دجلة
إيـران
البصرة
شط العرب
الكويت
بوبيان
الكويت
الخليج العربي
الفيلق ١٨
الفرقة ٨٢ المحمولة جوا (الابرار الجوى) الأمريكية
الفرقة ١٠١ المحمولة جـوا (الابرار الجوى) الأمريكية
فرقة المشاة الآلية الرابعـة والعشرين الأمريكية
آلاى الفرسان المدرع الثالث الأمريكى
الفرقة المدرعة السادسة الفرنسية
الفيلق السابع
الفرقة المدرعة الأولى الأمريكية
فرقة الفرسان الأولى الأمريكية
فرقة المشاة الآلية الأولى الأمريكية
الفرقة المدرعة الثالثة الأمريكية
آلاى الفرسان المدرع الثانى الأمريكى
الفرقة المدرعة الأولى البريطانية
المملكة العربية السعودية
القيادة المركزية للجيش
المملكة العربية السعودية
قيادة القـوات المشتركة ـ شمال قوات الانتـلاف العربية (مصر وسوريا)
القيادة المركزية البحرية فرقتا مشاة البحريـة الأمريكية الأولى والثانية لواء تيجر (النمور) المدرع التابع للجيش الأمريكى
قيادة القـوات المشتركة — شرق القوات العربية


الخليج العربى
٢٠٠ ميل
العراق
البصرة
الكويت
إيران
الخليج العربى
بندر عباس
باكستان
الجبيل
الدمام
الظهران
قطر
مضيق هرمز
خليج عمان
دبى
أبو ظبى
الرياض
الإمارات العربية المتحدة
مسقط
عمان
المملكة
العربية
السعودية


الشرق
الأوسط
٤٠٠ ميل
تركيا
السوفيتى
الاتحاد
بحر قزوين
قبرص
البحر المتوسط
سوريا
العراق
ايـران
أفغانستان
الأردن
مصـر
الكويت
باكستان
الخليج
العربى
المملكة
العربية
السعودية
قطر
الإمارات
العربية
المتحدة
عمان
الهند
السودان
اليمن
المحيط الهندى
أثيوبيا
جيبوتى

الهوامش

الفصل الأول : ساحة مفتوحة لرأس المال والصناعة الأمريكيين

١ – للرجوع إلى دراسة ممتازة للعناصر المحركة للسياسات التجارية والخارجية الأمريكية فى المرحلة الوطنية المبكرة ، انظر : James A. Field, Jr., *America and the Mediterranean World* (Princeton : Princeton University Press, 1969).

٢ – المصدر السابق ، ص ١٤ .

٣ – قبل افتتاح قناة بنما عام ١٩١٤ ، كان المرور إلى المحيط الهادى يستلزم بوجه عام عبور المحيط الهندى .

٤ – سيطر تجار « سالم » Salem (ولاية ماساشوسيتس) على التجارة فى المحيط الهندى تماما حتى القرن التاسع عشر . وجلب الكابتن تشارلس ديربى السفينة الشراعية «كاديت » من « سالم » إلى مسقط – عمان – فى عام ١٧٩٥ . وكتب الكابتن جوزيف بيدل ، لدى عودته إلى « سالم » فى مركب ذى ثلاث صوار اسمه « اليزا » فى مايو ١٨٠٥ تقريرا حول القرصنة فى الخليج . انظر : James Duncan Phillips, *Salem and the East Indies : The Story of the Great Commercial Era of the City* (Boston : Houghton Mifflin, 1947), pp. 186, 238.

٥ – Alfred W. Crosby, Jr., «American Trade with Mauritius in the Age of the French Revolution and Napoleon,» *American Neptune* 45 (January 1965) : 5-17.

كانت موريشيوس وريونيون هما الميناءين التجاريين الرئيسيين للتجار الأمريكيين فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر . وفى عام ١٧٩٦ ، توقفت ٤٩ سفينة أمريكية فى موريشيوس ، وفى عام ١٨٠٥ توقفت ٩٨ سفينة . غير أن الحروب مع فرنسا (١٧٩٨ – ١٨٠١) ومع بريطانيا (١٨١٢ – ١٨١٥) ، والغزو البريطانى لموريشيوس فى عام ١٨١٠ أدت إلى تغيير أنماط التجارة الأمريكية فى حوض المحيط الهندى .

٦ – Michael a. Palmer, *Stoddert's War : Naval Operations During the Quasi-War with France, 1798-1801* (Columbia, South Carolina : University of South Carolina Press, 1987), p. 207.

٧ – Boies Penrose, *Travel and Discovery in the Renaissance, 1420-1620* (New York : Atheneum, 1971), p. 78.

٨ – Albert Hourani, *A History of the Arab Peoples* (Cambridge, MA : Belknep Press, 1991) pp. 243, 253, 261.

٩ – حتى فى العصر النووى ، مازالت سفن البحرية الأمريكية تستغرق أقل من شهر بقليل للوصول إلى الخليج .

١٠ – Alfred T. Mahan, From Sail to Steam Recollections of a Naval Life (New York and London : Harper & Row, 1907), p. 223.

١١ – المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

١٢ – المصدر السابق .

١٣ – Master Commandant David Geisinger to Secretary of the Navy levi Woodbury, January 17, 1834, National Archives, Record Group 45, Masters Commandants Letters to the Secretary of the Navy, January- June 1834, # 108 ; Edmund Roberts, *Embassy to the Eastern Courts of Cochin- China, Siam, and Muscat ; in the U.S. Sloop- of- War Peacock, David Geisinger, Commander, during the Years 1832-3-4* (New York : Harper & Brothers, 1938), pp. 351-63 ; J.B.Kelly, Britain and the Persian Gulf, 1795-1880 (Oxford : Clarendon Press, 1968), p. 236 ; Charles I. Bevans, ed., *Treaties and*

Other International Agreements of the United States of America, 1776-1949, vol. 9 (Washington, D.C. : Department of State, 1968-1976), pp. 1291-93 ; and David F. Long, *Gold Braid and Foreign Relations : Diplomatic Activities of U.S. Naval Officers, 1798-1883* (Annapolis : Naval Institute Press, 1988), pp 261-62.

Roberts, *Embassy,* p. 363.

١٤ - كانت بحرية السلطان تتكون من ١٥ سفينة حربية منها سفينة تضم ٧٤ مدفعا .

١٥ - للتعرف على خلفية تاريخ الخليج العربى ، انظر Roger M. Savory, «The Ancient Period», «A.D. 600-1800» and Malcolm Yapp, «The Nineteenth and Twentieth Centuries» فى Alvin J. Cottrell, ed., *The Persian Gulf States : A General Survey* (Baltimore and London : Johns Hopkins University Press, 1980) pp. 3-13, 14-40, and 41-69.

١٦ - Kelly, *Britain and the Gulf,* p.2. Charles Rathbone low, *History of the Indian Navy,* 1613-1863, 2 vols. (London : Richard Bentley & Son, 1977).

وذلك للتعرف على الموقف من زاوية رؤية شركة الهند الشرقية والبحرية الهندية .

١٧ - Kelly, *Britain and the Gulf,* p. 66. وإلى أن حدث التمرد الهندى فى ١٨٥٧ - ١٨٥٨ ، ظلت شركة الهند الشرقية ، وليست الحكومة البريطانية ، تتولى مسئولية المنطقة .

١٨ - Field, *America and the Mediterranean World,* p. 191.

١٩ - أشار تقرير قنصل أمريكى فى ديسمبر ١٨٥١ إلى أن ما بين ١٠ - ١٢ سفينة أمريكية كانت تعمل فى النشاط التجارى فى الخليج ، مستخدمة زنزبار كمحطة لها . انظر : John F. Webb, William H. Jelly, and Samuel, R. Masury to John Aulick, December 5,, 1851 فى Norman R. Bennett and George E. Brooks, Jr., eds. *New England and Merchants in Africa : A History Through Documents, 1802 to 1865* (Boston, Boston University Press, 1965), pp 488-9C,

٢٠ - Spence to Marcy, November 25, 1854 فى Hunter Miller, ed., *Treaties and other International Acts of the United States of America,* vol. 7, (Washington : Government Printing Office, 1931-48) p. 459.

٢١ - انظر : Nicholas V. Riasanovsky, *A History of Russia* (New York, London, and Toronto : Oxford University press, 1969) ; and David Gillard, *The Struggle for Asia, 1828-1914 : A Study in British and Russian Imperialism* (London : Metheun, 1977).

٢٢ - Miller, *Treaties and Other International Acts,* p. 459.

٢٣ - المصدر السابق ، ص ٤٦٢ .

٢٤ - المصدر السابق ، ص ٤٦٦ .

٢٥ - Field, *America and the Mediterranean,* p. 261

٢٦ - Miller, *Treaties and Other International Acts,* p. 468.

٢٧ - Spence to Khan, June 1, 1856 ، المصدر السابق ، الصفحات ٤٦٩ - ٤٧٣ .

٢٨ - Spence to Marcy, December 22, 1856 ، المصدر السابق ، الصفحات ٤٧٤ - ٤٧٨ .

٢٩ - المصدر السابق .

٣٠ - المصدر السابق ، ص ٤٨٢ .

٣١ - المصدر السابق ، الصفحات ١٥٩ - ١٦١ والصفحات ١٨٢ - ١٨٦ .

٣٢ - George N. Curzon, *Persia and the Persia Question,* vol. 1, (London and New York : Longmans, Green, 1892), pp. 509, 541.

٣٣ - Frederick C. Drake, *The Empire of the Seas : A Biography of Rear Admiral Robert Wilson Shufeldt, USN* (Honolulu : University of Hawaii Press, 1984).

٣٤ - المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ؛ وانظر Kelly, *Britain and the Gulf,* pp. 775-76.

٣٥ - Drake, *Shufeldt,* pp. 220, 224.

١٣ - انظر : Weinberger, *Fighting for Peace*, p. 390.
١٤ - *The Independent*, September 11, 1987.
١٥ - February 12, 1988 CNA working paper, USNATO Persian Gulf Files (unprocessed), OA.
١٦ - يقرر كوردسمان Cordesman فى كتابه «*The Iran - Iraq War*» ص ٣١٨ ، أن العميد البحرى هارولد برنسن ، قائد قوة الشرق الأوسط ، والأميرال كراو ، رئيس هيئة الأركان المشتركة ، خططا العملية فى أوائل سبتمبر أثناء الجولة التى قام بها الأخير فى الخليج . وطبقا لما ذكره روبن رايت Robin Wright فى كتابه «*In the Name of God*» ص ١٦٨ ، فإنه « تم اقتفاء أثر « إيران آجر » لعدة أيام بعد أن أشارت تقارير المخابرات إلى أنها اكتشفت « أجهزة مشتبها فيها » فى ميناء إيرانى » . ولاحظ واينبرجر فى كتابه «*Fighting for Peace*» ص ٤١٧ أن « إمساكنا بالسفينة لم يكن مصادفة » .
١٧ - *O'Rourke, «The Tanker War», p. 33.*
١٨ - انظر : *Wall Street Journal*, February 8, 1988, p. 1.
وانظر : Wright, *In the Name of God*, p. 170.
١٩ - *Washington Times*, December 16, 1987, p. 4.
وانظر : *Washington Post*, December 18, 1987, p. 18.
وانظر : *New York Times*, December 18, 1987, p. 1
٢٠ - مقابلة مع انطونى أ . ليس Anthony A. Less ، انظر : «Mideast Perspective», *Wings of Gold* 15 (Spring 1990) : 50 - 52.
٢١ - Ronald O'Rourke, «Gulf Ops», United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989) : 44.
٢٢ - U.S. Congress, Senate, Committee on Foreign Relations, Staff Report, *War in the Persian Gulf : The U.S. Takes Sides*, p. 50.
٢٣ - حول فشل الانتشار الأمريكى فى ردع الإيرانيين انظر :
Janice Gross Stein, «The Wrong Strategy in the Right Place : The United States in the Gulf», *International Security* 13 (Winter 1988/89) : 155 and 155 n.
٢٤ - U.S. Congress, Senate, Committee on Foreign Relations, Staff Report, *War in the Persian Gulf : The U.S. Takes Sides*, p. 51.
٢٥ - O'Rourke, «Gulf Ops», p. 49.
٢٦ - «The Persian Gulf : Commitment and Objectives in Troubled Waters», OP - 60 unclassified brief March 1988, Iran - Iraq, vol. II 1988, USNATO Persian Gulf Files (unprocessed), OA.
٢٧ - Wright, *In the Name of God*, pp. 173 - 75.
٢٨ - الرواية التالية عن عملية « فرس النبى المتعبد » مأخوذة من :
O'Rourke, «Gulf Ops», pp. 44 - 47; Bud Langston and Don Bringle, «Operation Praying Mantis : The Air View», United Stated Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989) : 54 - 65; J.B. Perkins III, «Operation Praying Mantis : The Surface View» Ibid. (المصدر السابق) و pp. 66 - 70; John H. Admire, «A Report on the Gulf», *Marine Corps Gazette* 72 (December 1988) : 56 - 61; William M. Rakow, «Marines in the Gulf - 1988». Ibid. (المصدر السابق) و pp. 62 - 68; Hans S. Pawlisch, «Operation Praying Mantis», *VFW Magazine* (January 1989) : 34 - 37.
وأيضا من مناقشات المؤلف مع المشاركين فى العملية .
٢٩ - تصريح لوزير الدفاع كارلوتشى فى ٢٩ أبريل ١٩٨٨ ، انظر : State Department, *Current Documents, 1988*, # 245.
وأعلن كارلوتشى أيضا عن تعاون مستمر وأعمق فى الخليج بين الولايات المتحدة وحلفائها الأوروبيين .
٣٠ - Wright, *In the Name of God*, pp. 180 - 85.
٣١ - المصدر السابق ، ص ١٧٦ .
٣٢ - المصدر السابق ، ص ١٨٥ - ١٨٦ .
٣٣ - حول حادثة الطائرة الإيرباص ، انظر :
Norman Friedman, «The *Vincennes* Incident», United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1988) : 72 - 79.
وانظر : William M. Fogarty, *Investigation Report : Formal Investigation into the Circumstances Surrounding the Downing of Iran Air Flight 655 on 3 July 1988* (Washington : Department of Defense 1988)

٣٤ ـ Weinberger, *Fighting for Peace*, p. 411.

٣٥ ـ من ذاكرة المؤلف . انظر :

Norman Friedman, «The *Vincennes* Incident», United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989) : 72 - 79.

واقرأ بوجه خاص تعليقات القائد ديفيد ر . كارلسون على مقال فريدمان فى المصدر السابق (سبتمبر ١٩٨٩) : ٨٧ ـ ٩٢ . وقد تولى كارلسون قيادة الفرقاطة « سايدز » التى كانت تعمل مع « فينسينز » فى ٣ يوليو .

٣٦ ـ Friedman, «The *Vincennes* Incident», p 73. ؛ وذاكرة المؤلف الخاصة .

٣٧ ـ بالإضافة إلى : Friedman, «The *Vincennes* Incident» ، انظر أيضا : U.S. Congress, Senate, *Investigation into the Downing of an Iranian Airliner by the U.S.S. «Vincennes»*, HASC, 100/2, 8 September 1988. S.Hrg. 100 - 1035.

٣٨ ـ Wright, *In the Name of God*, p. 186.

٣٩ ـ المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

الفصل الثامن : الطريق إلى عاصفة الصحراء

١ ـ أرقام مستمدة من : International Institute For Strategic Studies, *The Military Balance, 1989 - 1990* (London, 1989).

٢ ـ *The Economist*, September 29, 1990, pp. 19 - 22.

٣ ـ *New York Times*, November 12, 1990, p. A 14.

٤ ـ أثار تنفيذ حكم الإعدام احتجاجات دولية حادة ، ودفع بريطانيا العظمى إلى استدعاء سفيرها فى بغداد . وفى أبريل ١٩٩١ ظهرت ادعاءات بأن بازوفت كان يتجسس بالفعل لحساب بريطانيا عندما ألقى القبض عليه . انظر : *Washington Times*, April 25, 1991, p. A8.

٥ ـ الواضح أن مشروع المدفع العملاق توقف نتيجة تحركات بريطانية واغتيال جيرالد بول ـ الذى كان قد وضع تصميم هذا المدفع ـ على يد عملاء الموساد الإسرائيلى على نحو ما قيل .

٦ ـ *Wall Street Journal*, June 28, 1990, p. 1.

٧ ـ انظر : Efraim Karsh and Inari Rautsi, «Why Saddam Hussein invaded Kuwait», *Survival* 33 (January/ February 1991) : 25.

٨ ـ *The Economist*, July 21, 1990, pp. 37 - 38.

٩ ـ انظر : Efraim Karsh and Inari Rautsi : *Saddam Hussein : A Political Biography* (New York : The Free Press, 1991).

١٠ ـ انظر : Dilip Hiro, *The Longest War : The Iran - Iraq Military Conflict* (New York : Routledge, 1991) : pp. 250 - 51.

وانظر : Cordesman, *The Iran - Iraq War*, p. 3.

١١ ـ Sluglett and Sluglett, *Iraq*, p. 272.

١٢ ـ Clark, *The Political Economy of World Energy*, pp. 348 - 53.

١٣ ـ المصدر السابق ، ص ٣٤٩ .

١٤ ـ Karsh and Rautsi, *Saddam Hussein*, pp. 152 - 53.

١٥ ـ انظر : المصدر السابق ص ٣ ، وانظر :

David Fromkin, «How the Modern Middle East Map Came to be Drawn», *Smithsonian* 22 (May 1991) : 132 - 49.

١٦ ـ Kelly, *Arabia, the Gulf and the West*, p. 285.

١٧ ـ انظر ، كمثال ، مقتطفا من محضر اجتماع بين صدام وأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى روبرت دول ، وآلان سيمبسون ، وهوارد متزنباوم ، وجيمس ماكلور ، وفرانك ماركوفسكى فى ١٢ ابريل ١٩٩٠ ، وقد أعيد طبعه تحت عنوان : «U.S. Senators Chat With Saddam» ، فى كتاب : Micah L. Sifry and Christopher Cerf, eds., *The Gulf War Reader : History, Documents, Opinions* (New York : Times Books, 1991), p. 119 - 21.

١٨ ـ *Wall Street Journal*, October 1, 1990, p. 1.

وانظر ايضا : المصدر السابق فى ١٨ ديسمبر ١٩٩٠ ، ص ١٤ .

١٩ - *Washington Post*, July 24, 1990, p. A1.
وانظر : *New York Times*, July 24, 1990, p. A9.

٢٠ - ظهرت نسخة من محضر المناقشة فى « نيويورك تايمز » ، عدد ٢٣ سبتمبر ١٩٩٠ ، ص A١٩ .

٢١ - ظهرت جلاسبى أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ فى ٢٠ مارس ، وأمام اللجنة الفرعية للشئون الخارجية بمجلس النواب فى ٢١ مارس . انظر : *Congressional Quarterly*, March 23, 1991, pp. 759- 60. ومما يؤسف له ، أنه عندما حصل الكونجرس على نسخة من تقرير جلاسبى الرسمى عن الاجتماع ، شعر العديد من أعضاء مجلس الشيوخ أن السفيرة « تعمدت تضليلهم » . انظر : *Washington Post*, July 12, 1991, p. A1. ؛ وانظر : المصدر السابق ، ١٣ يوليو ١٩٩١ ، ص A1 ؛ وانظر أيضا : *The New Republic*, August 5, 1991, pp. 8 - 10

٢٢ - *Washington Times*, May 31, 1991, p. A 2. لو أن صدام توقع فى ٢٥ يوليو ردا أمريكياً على غزوه للكويت ، فإن هذا يعنى ضمنا أنه لا بد أن يكون قد حزم أمره على الهجوم . ومن ثم فإن الاجتماع برمته كان أحجية .

٢٣ - *New York Times*, July 26, 1990, p. A1; July 27, 1990, p. A2; July 28, 1990, p. A1.

٢٤ - Don Oberdorfer, «Missed Signals in the Middle East», *The Washington Post Magazine*, March 17, 1991, p. 40.

٢٥ - Desert Shield/Storm talk by Lieutenant General Thomas Kelly, April 24, 1991, George Washington University, Washington, DC.

٢٦ - مقابلة شوارتزكوف مع ديفيد فروست فى ٢٨ مارس ١٩٩١ . وطبقاً لما ذكره بوب وودوارد فى كتابه : Bob Woodward, *The Commanders* (New York : Simon & Schuster, 1991), p. 220. فإن شوارتزكوف لم يستخدم العرض الموجز للموقف من جانب هيئة الأركان المشتركة للتنبؤ بغزو ، ولا التنبؤ حتى بعبور محدود للحدود . وإما أن وودوارد تلقى معلومات غير دقيقة ، أو أن شوارتزكوف ضلل فروست ، أو أن قائد القيادة المركزية لم يكن راغباً فى التنبؤ بغزو فى عرضه الموجز للموقف ، ولكنه أسر إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة - الجنرال كولين باول - بأنه من المحتمل أن يعبر العراقيون الحدود .

٢٧ - *U.S.A Today*, September 12, 1990, p. 1.

٢٨ - Oberdorfer, «Missed Signals in the Middle East, p. 40.

٢٩ - *Los Angeles Times*, September 24, 1990, p. 1.

٣٠ - *U.S.A Today*, October 8, 1990, p. 8.

٣١ - *Washington Post*, March 8, 1991, p. A26.

٣٢ - الردع : جهد تقوم به الدولة (أ) لإقناع الدولة (ب) بعدم مهاجمة الدولة (أ) . الردع الموسع : جهد تقوم به الدولة (أ) لإقناع الدولة (ب) بعدم مهاجمة الدولة (جـ) .

٣٣ - بينما يوجد شك فى صحة التصريحات المنسوبة إلى السفيرة الأمريكية ، فإن التصريحات المنسوبة إلى صدام حسين يمكن اعتبارها رسمية سواء قيلت فعلياً لجلاسبى فى الاجتماع أم لم تُقل . والمحضر وثيقة رسمية نشرتها الحكومة العراقية .

٣٤ - Mary C. FitzGerald, «Early Soviet Assessments of U.S. Military Success in the Gulf War, «*Strategic Review* 19 (Spring 1991) : 77 - 80.

٣٥ - *Washington Times*, October 18, 1990, p. 10.

٣٦ - *The Baltimore Sun*, March 7, 1990, p. 15.

٣٧ - Stephen C. Pelletiere, Douglas V. Johnson II, Leif R. Rosenberger, *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East* (Carlisle Barracks, Penn. : U.S. Army War College, 1990), p. xi.

٣٨ - John F. Antal, «The Iraqi Army Forged in the Other Gulf War», *Military Review* 71 (February 1991) : 63 - 72.

للوقوف على رأى معارض ، انظر (فى استعراض للأحداث الماضية) مقالاً ينم عن قدرة كبيرة على فهم الأمور بقلم الضابط المتقاعد فى الجيش الأمريكى الكولونيل والاس فرانز Wallace Franz ، وعنوانه : «Defeating the Iraqis : Saddam's Troops Are Not Ready for a War of Maneuver», *Armor* 100 (Jan - Feb 91) : 8 - 9 - وقد حذر فرانز قائلا : « رغم أن التقليل من تقدير قوة عدوك يعد خطيئة رئيسية فى التخطيط العسكرى ، فإنه من المهم ألا تبالغ فى تقدير قوة عدوك وبالتالى تستبعد بعض الخيارات القابلة للتطبيق . وهناك اتجاه فى بعض الدوائر للمغالاة فى تقدير قدرات الجيش العراقى ، ومن ثم قدرته على إلحاق خسائر بشرية بالقوات الأمريكية » . واختتم فرانز مقاله بالقول بأن جيشاً قادرا على القيام بعمليات متحركة ، مثل الجيش الأمريكى ، يمكن أن « يهزم بسرعة جيشاً معدا للدفاع [مثل الجيش العراقى] بدون أن يتكبد خسائر بشرية تتجاوز الحد » .

الفصل التاسع : درع فى الصحراء

١ - للاطلاع على تفاصيل لماحة لقصة الغزو ، انظر :
Norman Friedman, *Desert Victory : The War for Kuwait* (Annapolis : Naval Institute Press, 1991) : pp. 35 - 42.

٢ - للتعرف على ما قيل حول تخطيط وإعداد عراقى للغزو ، انظر :
Los Angeles Times, September 24, 1990, p. 1.
وطبقاً للتقارير ، فقد كانت لدى العراقيين خطة لغزو الكويت عمرها خمس سنوات . وكانت هذه الخطة ، على الأرجح ، خطة طوارىء . ولكن مقال الصحيفة زعم أيضا أن العراقيين كانوا يعدون بجدية للهجوم منذ ١٩٨٨ ، وأنهم قاموا بتدريب القوات الخاصة على الهجوم فى منتصف يوليو فى وسط العراق فى منطقة وقع عليها الاختيار لتشابهها مع تضاريس الكويت . وإذا كان هذا التقرير دقيقاً ، فإنه يمكن أن يقيم الدليل على أن صدام كان قد اتخذ قرار الحرب قبل لقائه مع « ابريل جلاسبى » .

٣ - للاطلاع على نصوص قرارات مجلس الأمن الدولى ، انظر : Sifry and Cerf, eds., *The Gulf War Reader*, pp. 137 - 56.

٤ - *New York Times*, August 4, 1990, p. A5.

٥ - *New York Times*, August 9, 1990, p. A17.

٦ - *New York Times*, August 4, 1990, p. A4.

٧ - U.S. Congress, Senate, Committe on Armed Services, *Crisis in the Persian Gulf Region : U.S. Policy Options and Implications*, S. Hrg. 101 - 1071, sess. 101/2, p. 645.

٨ - Woodward, *The Commanders*, p. 249. وقد أعطى شوارتزكوف ، نفسه ، أرقاماً مماثلة فى مقابلات صحفية متعددة عقب الحرب .

٩ - *New York Times*, October 4, 1990, p. A15.

١٠ - *New York Times*, August 6, 1990, p. A6.

١١ - *New York Times*, August 7, 1990, p. A10.

١٢ - *New York Times*, August 7, 1990, p. A9.

١٣ - *New York Times*, August 6, 1990, p. A1.

١٤ - *New York Times*, August 6, 1990, p. A1.

١٥ - للاطلاع على مقتطفات من خطاب الملك فهد ، انظر : *New York Times*, August 10, 1990, p. A10.

١٦ - Kelly Talk, April 24, 1991.
طبقا لما يقوله كيلى Kelly ، فإن السعوديين كانوا قد حزموا أمرهم على السماح للأمريكيين بالدخول فى الثالث من أغسطس . وطبقاً لما ذكره وودوارد فى كتابه : Woodward, *The Commanders*, p. 254. ، فإن قرار السعوديين كان يقتصر على الطائرات ، إلى أن غيروا موقفهم فى السادس من أغسطس .

١٧ - *New York Times*, August 8, 1990, p. A1.

١٨ - *New York Times*, August 9, 1990, p. A16.

١٩ - New York Times, October 4, 1990, p. A15.
٢٠ - U.S. Congress, Senate, «Crisis in the Persian Gulf Region : U.S. Policy Options and Implications», SASC, S. Hrg. 101 - 1071, sess. 101/2, p. 645.
٢١ - Woodward, *The Commanders*, p. 237.
وقد سمع المؤلف تقديرات مماثلة تتردد فى أجواء البنتاجون فى أغسطس ١٩٩٠ .
٢٢ - *Washington Post*, March 16, 1991, p. A19.
٢٣ - *Washington Post*, March 16, 1991, p. A19.
٢٤ - *New York Times*, August 10, 1990, p. A8.
٢٥ - *New York Times*, August 11, 1990, p. A6.
٢٦ - *New York Times*, August 16, 1990, p. A1.
٢٧ - *New York Times*, August 9, 1990, p. A16.
٢٨ - U.S. Air Force, *White Paper : Air Force Performance in Desert Storm* (Washington, April 1991), p. 2.
٢٩ - للاطلاع على مناقشة ممتازة حول تحرك قطع فيلق مشاة البحرية إلى المملكة العربية السعودية والخليج ، انظر : Edwin H. Simmons, «Getting Marines to the Gulf», United States Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991) : pp. 50 - 64.
٣٠ - انظر : Ronald O'Rourke, *Sealift and Operation Desert Shield* (Washington : Congressional Research Service, 1990), pp. 16 - 17.
٣١ - Joseph P. Hoar, «The U.S. Marines and Operation Desert Storm», presentation at the Marine Corps Historical Center, Washington, DC, 1 April 1991.
٣٢ - Woodward, *The Commanders*, pp. 215 - 216.
٣٣ - Office of the Chief of Naval Operations, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»* (Washington, 1991), p. 13.
٣٤ - CNO, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, pp. 15 - 16, 28.
٣٥ - Douglas M. Norton, «Sealift : Keystone of Support», United States Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991) : 44.
٣٦ - المصدر السابق ، ص ٤٦ .
٣٧ - CNO, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, p. 29.
٣٨ - U.S. Air Force, *White Paper*, p. 8.
٣٩ - CNO, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, p. 14.
٤٠ - CNO, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, p. 28.
٤١ - المصدر السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .
٤٢ - المصدر السابق ، ص ٢٥ .
٤٣ - *London Financial Times*, August 21, 1990, p. 2.
وانظر : *Washington Times*, August 23, 1990, p. 8.
انظر : *Defense News*, August 27, 1990, p. 1.
٤٤ - *Los Angeles Times*, August 29, 1990, p. 1.
انظر : *Washington Time*, August 29, 1990, p. 8. انسحاب فرق الحرس الجمهورى إلى مواقع دفاعية احتياطية أبعد نحو الشمال ، كما هو واضح ، يشير إلى أنه فى وقت سابق من الشهر ، عندما كانت هذه الفرق منشورة قرب الحدود السعودية ، فإن الحرس كان قد اتخذ مواقعه سواء لغزو المملكة العربية السعودية أو ، فى الحد الأدنى ، لتخويف السعوديين . وهكذا يكون صدام إما قد وجد ما يردعه ، أو أنه أفلت من موقف عصيب بهذه الخدعة ليقع فى أزمة لا يمكن السيطرة على أبعادها .
٤٥ - *Washington Post*, September 1, 1990, p. A26.
٤٦ - *New York Times*, September 4, 1990, p. A1.
٤٧ - *Washington Post*, September 1, 1990, p. A26.
٤٨ - *Washington Post*, September 2, 1990, p. A33.
٤٩ - Kelly Talk, April 24, 1991.

٥٠ - للوقوف على نموذج لرأى الكونجرس فيما يتعلق بقابلية العقوبات للتطبيق ، انظر : *New York Times*, September 4, 1990, p. 10.

٥١ - عمليات حصار تحالف الولايات الإحدى عشرة التى انفصلت عن الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب الأهلية الأمريكية ، وكذلك حصار ألمانيا الامبراطورية أثناء الحرب العالمية الأولى ، واليابان خلال الحرب العالمية الثانية ، حدثت كلها فى تزامن مع عمليات عسكرية هجومية نشيطة . وللوقوف على محاولة غير مقنعة للتوصل إلى حجج تاريخية بشأن العقوبات ، انظر : Kimberly Elliott, Gary Hufbauer, and Jeffrey Schott, «Sanctions Work : The Historical Record», in Sifry and Cerf, eds. *Gulf War Reader*, pp. 255 - 59.

٥٢ - *Washington Times*, September 5, 1990, p. A7.

٥٣ - Jonathan T. Dworken, *Economic Factors in Desert Shield Deployments : Multinational Aspects* (Alexandria, Vir. : Center for Naval Analysis, 1991), p. 11.

٥٤ - *Time*, September 24, 1990, p. 32.

٥٥ - U.S. Congress, Senate, Committee on Armed Services, *Crisis in the Persian Gulf Region : U.S. Policy Options and Implications*, S. Hrg. 101 - 1071, sess. 101/2, pp. 648 - 49.

٥٦ - المصدر السابق ، ص ٦٤٩ .

٥٧ - *London Sunday Times*, 23 September 1990, p. 2.

٥٨ - *Washington Times*, September 14, 1990, p. A1.
وانظر : المصدر السابق ، ٢٤ سبتمبر ١٩٩٠ ، ص A 1 .
وانظر : *Washington Post*, September 14, 1990, p. A1.

٥٩ - *Washington Post*, December 4, 1990, p. A1.

٦٠ - *Washington Post*, September 16, 1990, p. A1.

٦١ - *Aviation Week and Space Technology*, September 17, 1990, p. 24.
وانظر : *Seattle Post - Intelligencer*, October 12, 1990, p. 1.

٦٢ - *New York Times*, October 5, 1990, p. A8.

٦٣ - *Boston Globe*, September 30, 1990, p. 26.

٦٤ - *New York Times*, September 7, 1990, p. A9.

٦٥ - John J. Yeosock, «Army Operations in the Gulf Theater», *Military Review* 71 (Sept. 91) : 3.

٦٦ - انظر : Richard Mackenzie, «A Conversation with Chuck Horner», *Air Force Magazine* 74 (June 1991) : 58.

٦٧ - *Washington Times*, September 11, 1990, p. A8.
وانظر : *Aviation Week and Space Technology*, September 17, 1990, p. 26.

٦٨ - *Newsweek*, March 18, 1991, pp. 28 - 29.

٦٩ - *Washington Post*, September 16, 1990, p. A1.

٧٠ - *Los Angeles Times*, September 17, 1990, p. A1.

٧١ - *Washington Post*, September 18, 1990, pp. A1, 25.

٧٢ - *Time*, March 11, 1991, p. 27.

٧٣ - SASC, «Crisis in the Persian Gulf Region : U.S. Policy Options and Implications», p. 663.

٧٤ - المصدر السابق ، ص ٦٦٤ - ٦٦٥ .

٧٥ - انظر : Woodward, *The Commanders*, pp. 299 - 300.

٧٦ - Kelly talk, April 24, 1991.

٧٧ - *New York Times*, September 19, 1990, p. A1.
وانظر : *Los Angeles Times*, September 19, 1990, p. A1.

٧٨ - Woodward, *The Commanders*, p. 349.
من واقع التجربة الشخصية للمؤلف ، فإن رقم ٢٠ ألفا الذى ذكره وودوارد يتفق مع التقديرات « الرسمية » التى أعلنت فى خريف عام ١٩٩٠ ، بل يقل عن بعض هذه التقديرات .

٧٩ - انظر ، على سبيل المثال ، صحيفة « لوس انجيلوس تايمز » ، عدد ١٨ سبتمبر ١٩٩٠ ص H1 . وقد تكهن اوجين ج . كارول (جونيور) العميد البحرى المتقاعد فى الأسطول الأمريكى - وهو من المنتقدين الأشداء للسياسات الدفاعية لإدارتى ريجان وبوش - بأن حرباً كلية سوف تسفر عن مصرع عشرة آلاف أمريكى ،

وإصابة ما بين ٣٠ و ٤٠ ألفا بجراح . انظر :

Atlanta Journal and Constitution, November 25, 1990, p. H1.

وأوضحت تقديرات عميد بحرى آخر متقاعد من الخدمة فى الأسطول الأمريكى ، هو جين ر. لاروك - وهو أيضا من المنتقدين الأشداء - أن عشرة آلاف سيلقون مصرعهم وحوالى ٣٥ ألفا سيصابون بجراح ، بالإضافة إلى ما بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا ما بين قتيل وجريح فى صفوف القوات المتحالفة ، ومصرع وإصابة مائة ألف من المدنيين فى العراق . انظر : *Los Angeles Times*, November 28, 1990, p. 8.

٨٠ - Woodward, *The Commanders*, p. 314.

٨١ - T.N. Dupuy, *Attrition : Forecasting Battle Casualties and Equipment Losses in Modern War* (Fairfax, Vir. : Hero, 1990), p. 131.

٨٢ - *Washington Post*, February 28, 1991, p. D1.

٨٣ - *Philadelphia Inquirer*, October 13, 1990, p. A6.

٨٤ - Stephen C. Pelletiere, et al., *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East*, p. 71.

٨٥ - CINCUSAREUR to CINCEUR, April 26, 1991.

٨٦ - *Time*, March 11, 1991, p. 27.

٨٧ - *Time*, March 11, 1991, p. 27.

٨٨ - Woodward, *The Commanders*, pp. 304 - 6.

٨٩ - *New York Times*, September 29, 1990, p. A1.

٩٠ - *Los Angeles Times*, October 15, 1990, p. A6.

٩١ - *Wall Street Journal*, October 15, 1990, p. 10.

وانظر : *Washington Times*, October 15, 1990, p. 10.

٩٢ - *Washington Times*, September 26, 1990, p. 8.

٩٣ - *Washington Post*, October 19, 1990, p. A1.

٩٤ - *Washington Post*, October 23, 1990, p. A1.

وانظر : *New York Times*, October 24, 1990, p. A1.

وانظر : *New York Times*, October 26, 1990, p. A1.

٩٥ - *Washington Post*, October 24, 1990, p. A15.

٩٦ - Woodward, *The Commanders*, pp. 309 - 11.

٩٧ - *New York Times*, October 26, 1990, p. A1.

٩٨ - Woodward, *The Commanders*, pp. 318 - 20.

٩٩ - Kelly talk, April 24, 1991.

١٠٠ - *Los Angeles Times*, October 30, 1990, p. A1.

وانظر : *Washington Times*, October 31, 1990, p. 1.

١٠١ - *Washington Post*, October 31, 1990, p. A1.

١٠٢ - *Washington Post*, November 25, 1990, p. C - 4.

١٠٣ - *Miami Herald*, October 29, 1990, p. 8.

١٠٤ - *New York Times*, November 2, 1990, p. A9.

وانظر : *New York Times*, November 5, 1990, p. A1.

١٠٥ - *London Daily Telegraph*, November 1, 1990, p. 10.

١٠٦ - *Washington Times*, November 26, 1990, p. 1.

وانظر : *New York Times*, November 26, 1990, p. A1.

وانظر : *Washington Post*, November 27, 1990, p. A1.

١٠٧ - *Philadelphia Inquirer*, November 26, 1990, p. A1.

وانظر : *Boston Globe*, November 26, 1990, p. 1.

وانظر : *New York Times*, November 27, 1990, p. A23.

رغم أن تكهنات تشينى فى ذلك الوقت حول القدرات النووية العراقية قد قوبلت بقدر كبير من الشك ، واعتبرت جزءا من حملة دعائية للتأثير فى الرأى العام ، فإن عمليات التفتيش التى قامت بها بعد ذلك فرق الأمم المتحدة على الطبيعة أكدت أن العراقيين كانوا أسبق بكثير فى الحقيقة فى برنامجهم النووى مما كان مفهوماً قبل الحرب .

١٠٨ - Sifry and Cerf, eds., *Gulf War Reader*, pp. 154 - 55.
١٠٩ - المصدر السابق ، ص ١٥٥ - ١٥٦ .
١١٠ - *New York Times*, November 28, 1990, p. A14.
١١١ - *New York Times*, November 29, 1990, p. A14.
١١٢ - *New York Times*, November 30, 1990, p. A1.
١١٣ - *The Estimate*, January 3, 1991, p. 1.
١١٤ - *Washington Post*, December, 7, 1990, p. A1.
١١٥ - *New York Times*, December 20, 1990, p. A21.
١١٦ - *Washington Times*, December 26, 1990, p. A1.
١١٧ - طبقاً لما ذكره وودوارد ، فى كتابه : The Commanders, pp. 335 - 36 ، فإن الأمير بندر ، السفير السعودى فى الولايات المتحدة ، كان يرى أن المبادرة الدبلوماسية لإدارة بوش أرسلت إشارة إلى بغداد تدل على الضعف مما أزال تأثير قوة الرسالة التى أرسلها مجلس الأمن ، رغم أن هذه المبادرة ربما أحدثت صدى طيباً فى وسائل الإعلام الأمريكية .
١١٨ - *Washington Post*, January 1, 1991, p. A1.
١١٩ - Sifry and Cerf, eds., *The Gulf War Reader*, pp. 172 - 77.
وانظر : *New York Times*, January 10, 1991, p. A1.
١٢٠ - Sifry and Cerf, eds., *Gulf War Reader*, pp. 178 - 79.
١٢١ - *Time*, March, 11, 1991, p. 32.
١٢٢ - *Los Angeles Times*, January 10, 1991, p. A11.
١٢٣ - Sifry and Cerf, eds., *Gulf War Reader*, pp. 287 - 89.
١٢٤ - العرض الموجز للصحافة على لسان شوارتزكوف فى ٢٧ فبراير ١٩٩١ ، ص ٢ .
١٢٥ - هذه الرواية مأخوذة من تقرير صحفى يقوم على نص تسجيل للاجتماع اكتشفه الأكراد وقاموا بتهريبه من العراق . انظر : *Washington Times*, June 14, 1991, p. A7.

الفصل العاشر : حلم قائد عسكرى

١ - *Washington Post*, November 20, 1990, p. A10.
وانظر : *New York Times*, November 20, 1990, p. A13.
٢ - *Washington Post*, March 17, 1990, pp. A1, A24.
٣ - Woodward, *The Commanders*, p. 324.
٤ - للوقوف على نموذج مبكر من الثمانينات للأفكار والتصورات الإصلاحية ، انظر : Heritage Foundation's «Green Book», Jeffrey G. Barlow, ed., *Critical Issues : Reforming the Military* (Washington : The Heritage Foundation, 1981).
٥ - انظر : G.I. Wilson, «The Gulf War, Maneuver Warfare, and the Operational Art», *Marine Corps Gazette* 75 (June 1991) : 23 - 24.
٦ - للوقوف على مثال للدور المسند إلى السلاح الجوى فى دعم الحملة البرية ، انظر : Richard G. Davis, *The 31 Initiatives : A Study in Air Force - Army Cooperation* (Washington : Office of Air Force History, 1987).
٧ - John A. Warden, III, *The Air Campaign : Planning for Combat* (Washington : Pergamon - Brassey's, 1989).
٨ - Warden, *The Air Campaign*, pp. xvii.
٩ - يعزو هورنر على نحو غير دقيق التخطيط الأول إلى هيئة الأركان المشتركة ، انظر : Mackenzie, «A Conversation with Chuck Horner», p. 58.
١٠ - مقابلة المؤلف مع الكولونيل جون أ . واردين الثالث ، من السلاح الجوى الأمريكى ، فى ١٩ يونيو ١٩٩١ .
١١ - Warden, *The Air Campaign*, pp. 16, 17.
١٢ - المصدر السابق ، ص ٣٣ .
١٣ - للاطلاع على مناقشة لأفكار دوهيه ، ولأفكار آخرين ممن دافعوا منذ وقت مبكر عن السلاح الجوى ، انظر : Edward Warner, «Douhet, Mitchell, Seversky : Theories of Air Warfare», in Edward Mead Earle, ed., *Makers of Modern Strategy : Military Thought from Machiavelli to Hitler* (Princeton, N.J. : Princeton University Press, 1943).

١٤ - Aviation Week and Space Technology, April 22, 1991, p. 42.
١٥ - المقابلة مع واردين ، ١٩ يونيو ١٩٩١ .
١٦ - مقابلة المؤلف مع الجنرال باستر جلوسون ، من السلاح الجوى الأمريكى ، فى ٢٣ يوليو ١٩٩١ بواشنطن العاصمة .
١٧ - المقابلة مع جلوسون ، ٢٣ يوليو ١٩٩١ .
١٨ - Mackenzie, «A Conversation with Chuck Horner», p. 60.
١٩ - *Aviation Week and Space Technology*, April 22, 1991, p. 42.
٢٠ - المقابلة مع جلوسون ، ٢٣ يوليو ١٩٩١ .
٢١ - *Newsweek*, March 18, 1991, p. 28.
٢٢ - المقابلة مع جلوسون ، ٢٣ يوليو ١٩٩١ .
٢٣ - انظر على سبيل المثال : *Washington Post*, June 23, 1991, p. A1.
٢٤ - *Washington Post*, June 23, 1991, p. A1.
٢٥ - المقابلة مع جلوسون ، ٢٣ يوليو ١٩٩١ .
٢٦ - John A. Warden, III, «Centers of Gravity : The Key to Success in War», unpublished paper, p. 3.
٢٧ - النص المكتوب لعرض موجز قدمه الجنرال ميريل أ . ماك بيك قائد أركان السلاح الجوى ، فى ١٥ مارس ١٩٩١ ، ص ١٣ .
٢٨ - Saint to Galvin, March 26, 1991.
٢٩ - *Washington Times*, December 26, 1990, p. 1.
٣٠ - المقابلة مع واردين ، ١٩ يونيو ١٩٩١ .
٣١ - McPeak briefing, p. 14.
٣٢ - McPeak briefing, p. 3.
٣٣ - *Washington Post*, March 18, 1991, p. A1.
٣٤ - مقتبس فى : Michael Howard, *Strategic Deception*, vol. 5 of *British Intelligence in the Second World War*, (New York : Cambridge University Press, 1990), p. 107.
٣٥ - *Washington Post*, March 18, 1991, p. A1.
٣٦ - U.S. Department of Defense, *Conduct of the Persian Gulf Conflict : An Interim Report to Congress* (Washington : Department of Defense, 1991), p. 24 - 2.
٣٧ - Woodward, *The Commanders*, pp. 347 - 48.
وانظر : *U.S. News and World Report*, May 6, 1991, p. 31.
٣٨ - Saint to Galvin, March 26, 1991.
٣٩ - Kelly talk, April 24, 1991.
٤٠ - الكتيب المختصر يستخدم حملة فيكسبورج كمثال . انظر :
U.S. Army, *FM 100 - 5 : Operations* (Washington : U.S. Army, 1986), pp. 91 - 94.
٤١ - FM 100 - 5, pp. 101 - 2.
٤٢ - *U.S. News and World Report*, March 11, 1991, p. 14.
٤٣ - *Newsweek*, March 11, 1991, p. 34.
٤٤ - Department of Defense, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 24 - 3.
٤٥ - *Aviation Week and Space Technology*, May 25, 1991, pp. 27.
٤٦ - *Jane's Defense Weekly*, May 4, 1991, p. 735.

الفصل الحادى عشر : وفقاً للخطة المقررة تماما

١ - *Aviation Week and Space Technology*, May 6, 1991, p. 66.
٢ - Woodward, *The Commanders*, pp. 366 - 67.
٣ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 2 - 3.
٤ - للوقوف على توضيحات بشأن مدى انتشار الأهداف التى هوجمت فى الساعة الأولى وفى الساعات الثلاث والعشرين التالية ، انظر الخريطتين (٥) و (٦) فى الكتاب الذى أصدرته وزارة الدفاع الأمريكية (DOD) :
Conduct of the Persian Gulf Conflict, pp. 4 - 17, 4 - 18.

٥ - Aviation Week and Space Technology, July 22, 1991, p. 60 - 61.

٦ - Newsweek, June 17, 1991, pp. 20 - 21.

٧ - العميد باستر جلوسون ، الذى وضع خطة الحملة الجوية ، وضع الأمور فى نصابها حول العملية الخاصة التى كثر الحديث عنها ، وذلك فى مقابلة صحفية نشرت فى «Air Force Times» ، عدد ٨ يوليو ١٩٩١ ، ص ٢٧ .

٨ - العرض المختصر الذى قدمه ماك بيك فى ١٥ مارس ١٩٩١ ، ص ٤ .

٩ - تكهن دوبوى Dupuy فى كتابه : How to Defeat Saddam Hussein ، ص ١٠٣ ، بفقد ٥٠٥ طائرات خلال حملة تستغرق أربعين يوماً .

١٠ - فقدت عشر طائرات أخرى لأسباب لا تتعلق بالقتال .

١١ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 6 - 1.

فقدت الولايات المتحدة سبع طائرات أخرى لأسباب لا تتعلق بالقتال . وبلغ مجموع خسائر القوات المتحالفة - غير الأمريكية - فى الجو تسع طائرات ، ولم تخسر هذه القوات طائرات هيليكوبتر فى المعارك ، وخسرت طائرتين لأسباب لا تتعلق بالقتال ، ولم تخسر أى طائرة هيليكوبتر لأسباب لا تتعلق بالقتال . وخسرت الولايات المتحدة ٢١ طائرة هيليكوبتر ، منها خمس فقط فقدتها فى المعارك .

١٢ - Norman Friedman, *Desert Victory*, p. 357.

١٣ - *Aviation Week and Space Technology*, January 21, 1991, pp. 23 - 24.

وانظر ، المصدر السابق ، ١٨ فبراير ١٩٩١ ، ص ٤٥ - ٤٦ .

١٤ - Dirk T. Rose, «Saratoga MiG Killers : Hollywood Need not Apply», *Naval Aviation News* 73 (May - June 91) : 13 - 14.

١٥ - Peter Grier, «Joint STARS Does Its Stuff», *Air Force Magazine* 74 (June 91) : 38 - 42.

١٦ - مقابلة المؤلف مع الكابتن وليام سويتزر ، الثالث ، بحرية الولايات المتحدة ، فى ١٩ يونيو ١٩٩١ ، واشنطن العاصمة .

١٧ - James W. Canan, «The Electronic Storm», *Air Force Magazine* 74 (June 91) : 26.

١٨ - U.S. Air Force, *White Paper*, p. 5.

١٩ - *U.S. News and World Report*, February 11, 1991, p. 27.

٢٠ - *Washington Post*, March 16, 1991, p. A1.

٢١ - U.S. Air Force, *White Paper*, p. 7.

٢٢ - Mackenzie, «A Conversation with Chuck Horner», p. 60.

٢٣ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 6 - 8.

وانظر : U.S. Navy, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, pp. 47 - 48.

٢٤ - قامت طائرات أخرى تابعة لقوات التحالف ، مثل المقاتلات والطائرات الحاملة لمعدات الكترونية مضادة ، بعمليات لمساندة ضربات طائرات F - 117 A (ستيلث) داخل وحول العاصمة العراقية . والقاعدة الرئيسية لطائرات F - 117 A فى الولايات المتحدة هى « تونوباه » فى نيفادا .

٢٥ - U.S. Air Force, *White Paper*, p. 3.

٢٦ - U.S. Air Force, «Stealth and Desert Storm»,

عرض قدمه الفريق تشارلس هورنر Charles Horner والعميد باستر جلوسون Buster Glosson إلى :
The Committee on Appropriations, Subcommittee on Defense, United States House of Representatives, April 30, 1991, p. 2.

٢٧ - حول إجمالى الطلعات اليومية ، انظر :
U.S. Navy, *The United States Navy in «Desert Shield» «Desert Storm»*, p. D - 2.

٢٨ - *Washington Times*, January 24, 1991, p. 1.

٢٩ - Dan Hampton, «The Weasels at War», *Air Force Magazine* 74 (July 91) : p. 58.

٣٠ - *Aviation Week and Space Technology*, January 28, 1991, p. 24.

٣١ - للاطلاع على نص العرض الموجز ، انظر :
Richard Pyle, *Schwarzkopf : The Man, the Mission, the Triumph* (New York : Signet, 1991), pp. 207 - 34.

٣٢ - Michael A. Palmer, «The Navy Did Its Job», U.S. Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991) : 89.

٣٣ - Aviation Week and Space Technology, February 18, 1991, p. 62 - 63.

٣٤ - منذ الحرب العالمية الثانية ، اشتملت الخطط العسكرية الأمريكية بوجه عام على ثلاثة عناصر : الخطة الاستراتيجية الفعلية أو خطة العمليات - خطة للتمويه - خطة لحرب نفسية . ومع رفع الحظر عن سرية الخطط العسكرية الأمريكية على مر السنين ، فإن ما أذيع أو نشر هو الخطط العسكرية فقط . وظلت خطط التمويه وخطط الحرب النفسية الملازمة للخطط العسكرية فى طى الكتمان داخل ملفات « سرى جداً » . وفى الحقبة الأخيرة فقط ، أو نحو ذلك ، خرجت إلى النور خطط التمويه والحرب النفسية فى الحرب العالمية الثانية . والمناقشات العلنية التى أجراها الجنرال شوارتزكوف وغيره من المسئولين فيما يتعلق بعمليات التمويه والحرب النفسية خلال « عاصفة الصحراء » تعد شيئاً استثنائياً .

٣٥ - Aviation Week and Space Technology, February 25, 1991, p. 21.

٣٦ - خطاب أعيد طبعه فى : Sifry and Cerf, Gulf War Reader, p. 315 - 16.

٣٧ - تشتمل الحدود السعودية - الكويتية على انحناءين ، عُرفا أثناء الحرب باسم « المرفق » حيث تنعطف الحدود شمالا إذا تحرك المرء صوب الغرب ، و « الإبط » حيث تستأنف الحدود مسارها نحو الغرب .

٣٨ - Aviation Week and Space Technology, April 22, 1991, p. 46.

٣٩ - Washington Post, June 13, 1991, p. A1.

٤٠ - للاطلاع على نص البيان العراقى ، انظر : Philadelphia Inquirer, February 16, 1991, p. 7 - A.

٤١ - المصدر السابق .

٤٢ - Philadelphia Inquirer, February 16, 1991, p. 7 - A.

٤٣ - Philadelphia Inquirer, February 17, 1991, p. 18 - A.

٤٤ - Philadelphia Inquirer, February 19, 1991, p. 1 - A.

٤٥ - Philadelphia Inquirer, February 19, 1991, p. 1 - A.
وانظر : المصدر السابق ، ٢٠ فبراير ١٩٩١ ، 1 - A .

٤٦ - Philadelphia Inquirer, February 22, 1991, p. 1 - A.

٤٧ - Philadelphia Inquirer, February 23, 1991, p. 7 - A.

٤٨ - Philadelphia Inquirer, February 23, 1991, p. 1 - A.

٤٩ - Philadelphia Inquirer, February 23, 1991, p. 1 - A.

٥٠ - Philadelphia Inquirer, February 13, 1991, p. 1 - A.

٥١ - Philadelphia Inquirer, February 18, 1991, p. 8 - A.

٥٢ - Philadelphia Inquirer, February 21, 1991, p. 15 - A.

الفصل الثانى عشر : أم المعارك ، أم الهزائم

١ - Washington Post, September 4, 1990, p. 1.

٢ - Pyle, Schwarzkopf, p. 98.

٣ - London Financial Times, September 21, 1990, p. 2.

٤ - Atlanta Journal and Constitution, October 28, 1990, p. 1.

٥ - DOD, Conduct of the Persian Gulf Conflict, p. 15 - 1.

٦ - المصدر السابق .

٧ - للاطلاع على موجز جيد لأنشطة مشاة البحرية ، انظر :
Edwin H. Simmons, «Getting the Job Done», U.S. Naval Institue Proceedings 117 (May 1991) : 94 - 96.

٨ - DOD, Conduct of the Persian Gulf Conflict, p. 4 - 8.

٩ - المعلومات عن العمليات الفرنسية مأخوذة من تقارير الصحف والعرض الموجز على شاشة التليفزيون الذى قدمه العميد دانييل جازو فى ٢٨ فبراير ١٩٩١ .

١٠ - Philadelphia Inquirer, February 16, 1991, p. 5 - A.

١١ - Philadelphia Inquirer, February 27, 1991, p. 6 - A.

١٢ - DOD, Conduct of the Persian Gulf Conflict, p. 4 - 9.

١٣ - انظر الخريطتين (١٤) و (١٥) فى : DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, pp. 4 - 26, 4 - 27.

١٤ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 4 - 8.

١٥ - *Wall Street Journal*, March 11, 1991, p. A16.

١٦ - *Time*, March 11, 1991, p. 27.

١٧ - Dale R. Cooper, «Young Guns : Harrier Pilots in the Persian Gulf», *Leatherneck* 74 (July 1991) : 46.

١٨ - للاطلاع على وصف حى من مصدر مباشر « للطريق إلى جهنم » «highway to hell» ، انظر :
Michael Kelly, «Highway to Hell», *The New Republic*, April 1, 1991, pp. 11 - 14.

١٩ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, p. 6 - 5.

٢٠ - هذه المقتبسات مأخوذة من ملاحظاتى فى مفكرتى الخاصة عن القصة التى أذيعت فى الإذاعة ومما نقلته وكالة أنباء رويتر والذى نشر فى : *Philadelphia Inquirer*, March 28, 1991, p. 8 - A.

٢١ - *Philadelphia Inquirer*, March 29, 1991, p. 1 - A.

٢٢ - Schwarzkopf February 27, 1991 briefing transcript, p. 16.

٢٣ - *Washington Post*, June 13, 1991, p. A - 1.

٢٤ - McPeak briefing, March 15, 1991, p. 14.

٢٥ - DOD, *Conduct of the Persian Gulf Conflict*, pp. 4 - 9, 4 - 10.

٢٦ - *Philadelphia Inquirer*, March 4, 1991, p. 1 - A.

الفصل الثالث عشر : الضامن للملاذ الأخير

١ - للاطلاع على مناقشة ممتازة للمعتقدات السياسية الأمريكية وعلاقتها بالتوسع التجارى ، انظر :
Field, *America and the Mediterranean World*, pp. 3 - 26.

٢ - للاطلاع على مناقشة ممتازة لتطور الانخراط البريطانى فى الخليج ، انظر :
L.B.H. Haworth to the foreign secretary of the Government of India, September 10, 1927, University Publications of America, *From the First to the Second World War Turkey, Iran, and the Middle East*, Part II, Series B, vol. 5 of *British Documents on Foreign Affairs*, part II : 384.

٣ - *U.S. News and World Report*, June 24, 1991, p. 45.

٤ - من الدروس المفتقدة عادة فى تجربتنا فى الخليج العربى هو هذا الإخفاق فى الدعم الاقتصادى لمعالجة الأمراض السياسية والاجتماعية .

٥ - Sifry and Cerf, eds., *The Gulf War Reader*, pp. 284 - 86.

البيبليوغرافيا

مصادر المخطوطة

(Washington, DC)
National Archives, Record Group 45:
Masters Commandants Letters to the Secretary of the Navy, January–June 1834
Naval Historical Center, Operational Archives Branch:
Records of the Immediate Office of the Chief of Naval Operations, the 00 (Double Zero) file
Political-Military Affairs Division Records
Files of the CNO Secretariat, Joint Staff (JCS files)
Dispatch Files, Operations Division, COMINCH
Command Files
Plans Files
Report Files
Privileged Manuscript Collection
Press Release Files

مصادر أولية مطبوعة

Bennett, Norman R., and George E. Brooks, Jr., eds. *New England Merchants in Africa: A History Through Documents, 1802 to 1865*. Boston: Boston University Press, 1965.

Bernstein, Barton J., and Allen J. Matusow, eds. *The Truman Administration: A Documentary History*. New York and London: Harper & Row, 1966.

Bevans, Charles I., ed. *Treaties and Other International Agreements of the United States of America, 1776–1949*. 13 vols. Washington: Department of State, 1968–1976.

Carter, Jimmy. *Public Papers of the Presidents of the United States: Jimmy Carter*. 12 vols. Washington: Government Printing Office, 1977–1982.

Joint Chiefs of Staff. *Records of the Joint Chiefs of Staff, 1946–1953*. Washington, DC: University Publications of America, Inc., 1979.

Miller, Hunter, ed. *Treaties and Other International Acts of the United States of America*. 8 vols. Washington: Government Printing Office, 1931–1948.

Nixon, Richard M. *Public Papers of the Presidents of the United States: Richard M. Nixon*. 6 vols. Washington: Government Printing Office, 1971–1975.

United Nations. *Statistical Yearbook, 1949–1950*. New York: United Nations, 1950.

U.S. Congress. House. Committee on Armed Services. *Investigation into the Downing of an Iranian Airliner by the U.S.S. "Vincennes."* 100th Cong., 2d sess, 1988.

U.S. Congress. Senate. Committee on Armed Services. *U.S. Military Forces to Protect "Re-flagged" Kuwaiti Oil Tankers*. 100th Cong., 1st sess., 1987.

U.S. Congress. Senate. Committee on Armed Services. *Crisis in the Persian Gulf Region: U.S. Policy Options and Implications*. 101st Cong., 2d sess., 1990.
U.S. Congress. Senate. Committee on Armed Services. *National Security Strategy*. 100th Cong., 1st sess., 1987.
U.S. Department of State. *American Foreign Policy: Basic Documents, 1977–1980*. Washington: Department of State, 1983.
U.S. Department of State. *American Foreign Policy: Current Documents*. Washington: Department of State, 1982–.
U.S. Department of State. *Foreign Relations of the United States*. Washington: Government Printing Office, 1861–.
———. *U.S. Department of State Bulletin*.
Wattenberg, Ben J., ed. *The Statistical History of the United States: From Colonial Times to the Present*. New York: Basic Books, 1976.

لقاءات وحكايات شفوية

Interviews with the author:
Glosson, Buster, July 23, 1991.
Swartz, Peter M., August 24, 1990.
Switzer, William H., June 26, 1991.
Warden, John A., III, June 19, 1991.
Weinberger, Caspar W., July 24, 1990.
United States Naval Institute Oral History Collection. Annapolis, Maryland:
Bieri, Bernhard H. Interview with John T. Mason, Jr., 1970.
Columbia University Oral History Project. New York, New York:
Conolly, Richard L. Interview with Donald F. Shaughnessy, 1960.

مصادر ثانوية

كتب

Abrahamsson, Bernhard J., and Joseph L. Steckler. *Strategic Aspects of Seaborne Oil*. Beverly Hills and London: Sage, 1973.
Acharya, Amitav. *U.S. Military Strategy on the Gulf*. London and New York: Routledge, 1989.
Acheson, Dean. *Present at the Creation: My Years in the State Department*. New York: W. W. Norton, 1969.
Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement*. New York: Capricorn, 1965.
Barlow, Jeffrey G., ed. *Critical Issues: Reforming the Military*. Washington: The Heritage Foundation, 1981.
Bartlett, C. J. *The Long Retreat: A Short History of British Defense Policy, 1945–1970*. London and Basingstoke: Macmillan, 1972.
Baylis, John. *Anglo-American Defense Relations, 1939–1984: The Special Relationship*. 2d ed. New York: St. Martin's, 1984.
Bergquist, Ronald E. *The Role of Airpower in the Iran-Iraq War*. Maxwell Air Force Base, Alabama: Air University Press, 1988.
Best, Richard A., Jr. *"Cooperation with Like-Minded Peoples": British Influences on*

American Security Policy, 1945–1949. New York, Westport, Conn., and London: Greenwood, 1986.
Bezboruah, Monoranjan. *U.S. Strategy in the Indian Ocean: The International Response*. (New York and London: Praeger, 1977.
Bill, James A. *The Eagle and the Lion: The Tragedy of American-Iranian Relations*. New Haven and London: Yale University Press, 1988.
Blechman, Barry M., and Stephen S. Kaplan. *Force Without War: U.S. Armed Forces as a Political Instrument*. Washington: The Brookings Institute, 1978.
Bouchard, Joseph F. *Command in Crisis: Four Case Studies*. New York: Columbia University Press, 1991.
Boyle, Peter G., ed. *The Churchill-Eisenhower Correspondence, 1953–1955*. Chapel Hill, N.C., and London: University of North Carolina Press, 1990.
Brands, H. W. *Inside the Cold War: Loy Henderson and the Rise of the American Empire, 1918–1961*. New York and Oxford: Oxford University Press, 1991.
Brown, Harold. *Thinking about National Security; Defense and Foreign Policy in a Dangerous World*. Boulder, Colo.: Westview, 1983.
Brzezinski, Zbigniew. *Power and Principle: Memoirs of the National Security Adviser, 1977–1981*. New York: Farrar, Straus, Giroux, 1983.
———. *The Grand Failure: The Birth and Death of Communism in the Twentieth Century*. New York: Collier, 1990.
Burrell, R. M., and Alvin J. Cottrell. *Iran, the Arabian Peninsula, and the Indian Ocean*. New York: National Strategy Information Center, 1972.
Campbell, John C. *Defense of the Middle East: Problems of American Policy*. Rev. ed. New York: Praeger, 1960.
Carter, Jimmy. *Keeping Faith: Memoirs of a President*. New York: Bantam, 1982.
Chubin, Shahram, and Charles Tripp. *Iran and Iraq at War*. Boulder, Colo.: Westview, 1988.
Clark, John G. *The Political Economy of World Energy: A Twentieth Century Perspective*. Chapel Hill, N.C., and London: The University of North Carolina Press, 1990.
Condit, Kenneth W. *1947–1949*. Vol. II of *The History of the Joint Chiefs of Staff: The Joint Chiefs of Staff and National Policy*. Washington: Joint Chiefs of Staff, 1978.
Cordesman, Anthony H. *The Gulf and the Search for Strategic Stability: Saudi Arabia, the Military Balance in the Gulf, and Trends in the Arab-Israeli Military Balance*. Boulder, Colo., and London: Westview Press/Mansell, 1984.
———. *The Iran-Iraq War and Western Security, 1984–1987: Strategic Implications and Policy Options*. London and New York: Jane's, 1987.
Cottrell, Alvin J., ed. *The Persian Gulf States: A General Survey*. Baltimore and London: The Johns Hopkins University Press, 1980.
Cottrell, Alvin J., and Michael L. Moodie. *The United States and the Persian Gulf: Past Mistakes and Present Needs*. New York: National Strategy Information Center, 1984.
Curzon, George N. *Persia and the Persia Question*. 2 vols. London and New York: Longmans, Green, 1892.
Darby, Phillip. *British Defense Policy East of Suez, 1947–1968*. London: Oxford University Press, 1973.
Davenport, E. H., and Sidney Russell Cooke. *The Oil Trusts and Anglo-American Relations*. New York: Macmillan, 1924.

Davis, Richard G. *The 31 Initiatives: A Study in Air Force–Army Cooperation*. Washington: Office of Air Force History, 1987.
Davis, Vincent. *Postwar Defense Policy and the U.S. Navy, 1943–1946*. Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1962.
Donovan, Robert J. *Conflict and Crisis: The Presidency of Harry S. Truman, 1945–1948*. New York: W. W. Norton, 1977.
Dragnich, George S. *The Lebanon Operation of 1958: A Study of the Crisis Role of the Sixth Fleet*. Alexandria, Vir.: Center for Naval Analysis, 1970.
Drake, Frederick C. *The Empire of the Seas: A Biography of Rear Admiral Robert Wilson Shufeldt, USN*. Honolulu: University of Hawaii Press, 1984.
Dupuy, T. N. *Attrition: Forecasting Battle Casualties and Equipment Losses in Modern War*. Fairfax, Vir.: Hero, 1990.
Dworken, Jonathan T. *Economic Factors in Desert Shield Deployments: Multinational Aspects*. Alexandria, Vir.: Center for Naval Analysis, 1991.
Earle, Edward Mead, ed. *Makers of Modern Strategy: Military Thought from Machiavelli to Hitler*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1943.
Epstein, Joshua M. *Strategy and Force Planning: The Case of the Persian Gulf*. Washington: The Brookings Institution, 1987.
Fanning, Leonard M. *American Oil Operations Abroad*. New York and London: McGraw-Hill, 1947.
Faroughy, Abbas. *The Bahrein Islands, 750–1951: A Contribution to the Study of Power Politics in the Persian Gulf*. New York: Verry, Fisher, 1951.
Farouk-Sluglett, Marion, and Peter Sluglett. *Iraq Since 1958: From Revolution to Dictatorship*. London and New York: I. B. Tauris, 1990.
Feis, Herbert. *Petroleum and American Foreign Policy*. Stanford, Calif.: Food Research Institute, Stanford University, 1944.
Field, James A., Jr. *America and the Mediterranean World, 1776–1882*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1969.
———. *History of United States Naval Operations in Korea*. Washington: Government Printing Office, 1962.
Fisher, Carol A., and Fred Krinsky, eds. *Middle East in Crisis: A Historical and Documentary Review*. Syracuse, N.Y.: Syracuse University Press, 1959.
Fisher, Sir John. *Memoirs and Records of Admiral of the Fleet Lord Fisher*. 2 vols. London, New York, and Toronto: Hodder and Stoughton, 1919.
———. *The Papers of Admiral Sir John Fisher*. Edited by P. K. Kemp. 2 vols. Navy Records Society, 1960–1964.
Fogarty, William M. *Investigation Report: Formal Investigation into the Circumstances Surrounding the Downing of Iran Air Flight 655 on 3 July 1988*. Washington: Department of Defense, 1988.
Freedman, Robert O. *Soviet Policy Toward the Middle East since 1970*. New York: Praeger, 1975.
Frey, John W., and H. Chandler Ide, eds. *A History of the Petroleum Administration for War, 1941–1945*. Washington: Government Printing Office, 1946.
Friedman, Norman. *Desert Victory: The War for Kuwait*. Annapolis, Md.: Naval Institute Press, 1991.
Gaddis, John Lewis. *The United States and the Origins of the Cold War*. New York: Columbia University Press, 1972.

Gillard, David. *The Struggle for Asia, 1828–1914: A Study in British and Russian Imperialism*. London: Metheun, 1977.

Gold, Dore. *America, The Gulf and Israel: CENTCOM (Central Command) and Emerging US Regional Security Policies in the Mideast*. Jerusalem and Boulder, Colo.: The Jerusalem Post and Westview, 1988.

Hahn, Peter L. *The United States, Great Britain, and Egypt, 1945–1956: Strategy and Diplomacy in the Early Cold War*. Chapel Hill, N.C., and London: The University of North Carolina Press, 1991.

Halberstadt, Hans. *NTC: A Primer of Modern Land Combat*. Novato, Calif.: Presidio Press, 1989.

Hanks, Robert J. *The U.S. Military Presence in the Middle East: Problems and Prospects*. Cambridge, Mass., and Washington: Institute for Foreign Policy Analysis, 1982.

Hay, Rupert. *The Persian Gulf States*. Washington: The Middle East Institute, 1959.

Hiro, Dilip. *The Longest War: The Iran-Iraq Military Conflict*. New York: Routledge, 1991.

Hough, Richard. *Admiral of the Fleet: The Life of John Fisher*. New York: Macmillan, 1969.

Hourani, Albert. *A History of the Arab Peoples*. Cambridge, Mass.: Belknap, 1991.

Howard, Michael. *Strategic Deception*. Vol. 5 of *British Intelligence in the Second World War*. New York: Cambridge University Press, 1990.

International Institute for Strategic Studies. *The Military Balance, 1989–1990*. London: IISS, 1989.

Johnson, Maxwell Orme. *The Military as an Instrument of U.S. Policy in Southwest Asia: The Rapid Deployment Joint Task Force, 1979–1982*. Boulder, Colo.: Westview, 1983.

Joss, John, and George Hall. *Strike: U.S. Naval Strike Warfare Center*. Novato, Calif.: Presidio Press, 1989.

Karsh, Efraim, ed. *The Iran-Iraq War: Impact and Implications*. New York: St. Martin's, 1989.

Karsh, Efraim, and Inari Rautsi. *Saddam Hussein: A Political Biography*. New York: The Free Press, 1991.

Katouzian, Homa. *Musaddiq and the Struggle for Power in Iran*. London and New York: I. B. Tauris, 1990.

Kelly, J. B. *Arabia, the Gulf and the West*. New York: Basic Books, 1980.

———. *Britain and the Persian Gulf, 1795–1880*. Oxford: Clarendon, 1968.

Khadduri, Majid. *The Gulf War: The Origins and Implications of the Iran-Iraq Conflict*. New York and Oxford: Oxford University Press, 1988.

Kissinger, Henry. *For The Record: Selected Statements, 1977–1980*. Boston and Toronto: Little, Brown, 1977–1981.

———. *White House Years*. Boston and Toronto: Little, Brown, 1979.

Kolko, Joyce and Gabriel. *The Limits of Power: The World and United States Foreign Policy, 1945–1954*. New York: Harper & Row, 1972.

Kuniholm, Bruce Robellet. *The Origins of the Cold War in the Near East: Great Power Conflict and Diplomacy in Iran, Turkey, and Greece*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1980.

Kyle, James H., with John Robert Edison. *The Guts to Try: The Untold Story of the Iran Hostage Rescue Mission by the On-Scene Desert Commander*. New York: Orion, 1990.

Kyle, Keith. *Suez*. New York: St. Martin's, 1991.

LaFeber, Walter. *America, Russia, and the Cold War, 1945–1984*. 5th ed. New York: Alfred A. Knopf, 1985.

Ledeen, Michael, and William Lewis. *Debacle: The American Failure in Iran*. New York: Alfred A. Knopf, 1981.

Lee, David. *Flight from the Middle East: A History of the Royal Air Force in the Arabian Peninsula and Adjacent Territories, 1945–1972*. London: Her Majesty's Stationery Office, 1980.

———. *Wings in the Sun: A History of the Royal Air Force in the Mediterranean, 1945–1986*. London: Her Majesty's Stationery Office, 1989.

Lenczowski, George. *Oil and State in the Middle East*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1960.

———. *Russia and the West in Iran, 1918–1948: A Study in Big-Power Rivalry*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press, 1949.

Lewis, Bernard. *The Arabs in History*. New York: Harper Collophon, 1966.

———. *The Middle East and the West*. New York: Harper Torchbooks, 1964.

Long, David F. *Gold Braid and Foreign Relations: Diplomatic Activities of U.S. Naval Officers, 1798–1883*. Annapolis, Md.: Naval Institute Press, 1988.

Longrigg, Stephen Hemsley. *Oil in the Middle East: Its Discovery and Development*. 2d ed. London, New York: Oxford University Press, 1961.

Louis, William Roger. *The British Empire in the Middle East, 1945–1951: Arab Nationalism, the United States, and Postwar Imperialism*. Oxford: Clarendon, 1984.

Love, Kennett. *Suez: The Twice Fought War*. New York and Toronto: McGraw-Hill, 1969.

Low, Charles Rathbone. *History of the Indian Navy, 1613–1863*. 2 vols. London: Richard Bentley, 1877.

McGhee, George. *The US-Turkish-NATO Middle East Connection: How the Truman Doctrine Contained the Soviets in the Middle East*. New York: St. Martin's, 1990.

Mackay, Ruddock F. *Fisher of Kilverstone*. Oxford: Clarendon, 1973.

Maddox, Robert James. *From War to Cold War: The Education of Harry S. Truman*. Boulder & London: Westview, 1988.

Mahan, Alfred Thayer. *The Problem of Asia and Its Effect upon International Policies*. Boston: Little, Brown, 1900.

———. *Retrospect & Prospect: Studies in International Relations, Naval and Political*. Boston: Little, Brown, 1902.

———. *From Sail to Steam: Recollections of Naval Life*. New York: Harper & Row, 1907.

Marder, Arthur J. *From Dreadnought to Scapa Flow: The Royal Navy in the Fisher Era, 1904–1919*. 5 vols. London and New York: Oxford University Press, 1961–70.

Maull, Hanns, and Otto Pick, eds. *The Gulf War: Regional and International Dimensions*. New York: St. Martin's, 1989.

Meeser, Robert L. *The End of an Alliance: James F. Byrnes, Roosevelt, Truman, and the Origins of the Cold War*. Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1982.

Metz, Helen Chapin, ed. *Iran: A Country Study*. Washington: Library of Congress Federal Research Division, 1989.

Miller, Aaron David. *Search for Security: Saudi Arabian Oil and American Foreign Policy, 1939–1949*. Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1980.

Millis, Walter, ed. *The Forrestal Diaries*. New York: Viking, 1951.
Motter, T. H. Vail. *United States Army in World War II, The Middle East Theater: The Persian Corridor and Aid to Russia*. Washington: Government Printing Office, 1952.
Naff, Thomas, ed. *Gulf Security and the Iran-Iraq War*. Washington: National Defense University Press, 1985.
Nash, Gerald D. *United States Oil Policy, 1890–1964: Business and Government in Twentieth Century America*. Pittsburgh, Penn.: University of Pittsburgh Press, 1968.
Nitze, Paul H. *From Hiroshima to Glasnost: At the Center of Decision*. New York: Grove Weidenfeld, 1989.
Nixon, Richard. *RN: The Memoirs of Richard Nixon*. New York: Grosset & Dunlap, 1978.
O'Ballance, Edgar. *The Gulf War*. London: Brassey's, 1988.
Olson, William J., ed. *US Strategic Interests in the Gulf Region*. Boulder, Colo.: Westview, 1987.
O'Rourke, Ronald. *Sealift and Operation Desert Shield*. Washington: Congressional Research Service, 1990.
Pahlavi, Mohammad Reza. *Answer to History*. New York: Stein and Day, 1980.
Palmer, Michael A. *Origins of the Maritime Strategy: American Naval Strategy in the First Postwar Decade*. Washington: Naval Historical Center, 1988.
———. *Stoddert's War: Naval Operations during the Quasi-War with France, 1798–1801*. Columbia, South Carolina: University of South Carolina Press, 1987.
Pelletiere, Stephen C., Douglas V. Johnson, II, and Leif R. Rosenberger. *Iraqi Power and U.S. Security in the Middle East*. Carlisle Barracks, Penn.: U.S. Army War College, 1990.
Penrose, Boies. *Travel and Discovery in the Renaissance, 1420–1620*. New York: Atheneum, 1971.
Petroleum Industry Research Foundation, Inc. *World Oil, Fact and Policy: The Case for a Sound American Petroleum Policy*. New York: Petroleum Industry Research Foundation, 1944.
Phillips, James Duncan. *Salem and the East Indies: The Story of the Great Commercial Era of the City*. Boston: Houghton Mifflin, 1947.
Pyle, Richard. *Schwarzkopf: The Man, the Mission, the Triumph*. New York: Signet, 1991.
Quandt, William B. *Decade of Decisions: American Policy Toward the Arab-Israeli Conflict, 1967–1976*. Berkeley, Los Angeles, and London: University of California Press, 1977.
Quinlan, David A. *The Role of the Marine Corps in Rapid Deployment Forces*. Washington: National Defense University Press, 1983.
Ramazani, Rouhollah K. *The Northern Tier: Afghanistan, Iran, and Turkey*. New York: D. Van Nostrand, 1966.
———. *The Persian Gulf: Iran's Role*. Charlottesville, Va.: University Press of Virginia, 1972.
Rearden, Steven L. *The Formative Years, 1947–1950*. Vol. 1 of *History of the Office of the Secretary of Defense*. Washington: Historical Office of the Secretary of Defense, 1984.
Record, Jeffrey. *The Rapid Deployment Force and U.S. Military Intervention in the*

Persian Gulf. Cambridge, Mass., and Washington: Institute for Foreign Policy Analysis, 1981.

———. *Revising U.S. Military Strategy: Tailoring Means to Ends*. Washington: Pergamon-Brassey's, 1984.

Riasanovsky, Nicholas V. *A History of Russia*. New York and London: Oxford University Press, 1969.

Roberts, Edmund. *Embassy to the Eastern Courts of Cochin-China, Siam, and Muscat; in the U.S. Sloop-of-War Peacock, David Geisinger, Commander, during the Years 1832–3–4*. New York: Harper & Brothers, 1837.

Roosevelt, Archie. *For Lust of Knowing: Memoirs of an Intelligence Officer*. Boston and Toronto: Little, Brown, 1988.

Roosevelt, Kermit. *Countercoup: The Struggle for the Control of Iran*. New York: McGraw-Hill, 1979.

Rosenberg, David A. *Historical Perspectives in Long Range Planning in the Navy: Part I: The Planning Process Overview, 1900–1978*. Washington: Office of the Assistant Secretary of the Navy, 1980.

Saivetz, Carol R. *The Soviet Union and the Gulf in the 1980s*. Boulder, Colo.: Westview, 1989.

Seager, Robert II. *Alfred Thayer Mahan: The Man and His Letters*. Annapolis, Md.: Naval Institute Press, 1977.

Sherwood, Robert E. *Roosevelt and Hopkins: An Intimate History*. New York: Harper & Row, 1948.

Shulimson, Jack. *Marines in Lebanon*. Washington: Headquarters, Marine Corps, 1966.

Shwadran, Benjamin. *The Middle East, Oil and the Great Powers*. New York and Toronto: John Wiley; Jerusalem: Israel Universities Press, 1973.

Sick, Gary. *All Fall Down: America's Tragic Encounter with Iran*. New York: Penguin, 1986.

Siegel, Adam, Karen Domabyl, and Barbara Lingberg. *Deployment of U.S. Navy Aircraft Carriers and Other Surface Ships, 1976–1988*. Alexandria, Vir.: Center for Naval Analysis, 1989.

Sifry, Micah L., and Christopher Cerf, eds. *The Gulf War Reader: History, Documents, Opinions*. New York: Times Books, 1991.

Skrine, Clarmont. *World War in Iran*. London: Constable, 1962.

Sowell, Lewis C., Jr. *Base Development and the Rapid Deployment Force: A Window to the Future*. Washington: National Defense University Press, 1982.

Stoff, Michael B. *Oil, War, and American Security: The Search for a National Oil Policy, 1941–1947*. New Haven, Conn., and London: Yale University Press, 1980.

Sumida, Jon Tetsuro. *In Defence of Naval Supremacy: Finance, Technology and British Naval Policy, 1889–1914*. Boston, London: Unwin Hyman, 1989.

Szaz, Z. Michael, ed. *The Impact of the Iranian Events upon Persian Gulf & United States Security*. Washington: American Foreign Policy Institute, 1979.

Thomas, Hugh. *Suez*. New York: Harper & Row, 1967.

Troen, Selwyn Ilan, and Moshe Shemesh, eds. *The Suez-Sinai Crisis, 1956: Retrospective and Reappraisal*. New York: Columbia University Press, 1990.

Truman, Harry S. *Memoirs*. 2 vols. Garden City, N.Y.: Doubleday, 1955.

Ullman, Richard H. *Anglo-Soviet Relations, 1917–1921*. Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1962–1972.

U.S. Air Force. *White Paper: Air Force Performance in Desert Storm*. Washington: U.S. Air Force, 1991.
U.S. Army. *FM 100–5: Operations*. Washington: U.S. Army, 1986.
U.S. Congress. *Means of Measuring Naval Power with Special Reference to U.S. and Soviet Activities in the Indian Ocean*. Washington: Congressional Research Service, 1974.
U.S. Congress. Congressional Budget Office. *Rapid Deployment Forces: Policy and Budgetary Implications*. Washington: Congressional Budget Office, 1983.
U.S. Congress. Senate. Committee on Foreign Relations. *War in the Persian Gulf: The U.S. Takes Sides*. Washington: Senate Foreign Relations Committee, October 1987.
United States. Department of Defense. *Conduct of the Persian Gulf Conflict: An Interim Report to Congress*. Washington: Department of Defense, 1991.
U.S. Navy. *The United States Navy in "Desert Shield" "Desert Storm."* Washington: Office of the Chief of Naval Operations, 1991.
United States. President's Special Review Board [Tower Commission]. *Report of the President's Special Review Board*. Washington: Government Printing Office, 1987.
Vance, Cyrus. *Hard Choices: Critical Years in America's Foreign Policy*. New York: Simon & Schuster, 1983.
Volkogonov, Dmitri. *Stalin: Triumph and Tragedy*. New York: Grove Weidenfeld, 1991.
Warden, John A., III. *The Air Campaign: Planning for Combat*. Washington: Pergamon-Brassey's, 1989.
Watson, Robert J. *The Joint Chiefs of Staff and National Policy, 1953–1954*. Vol. 5 of *History of the Joint Chiefs of Staff*. Washington: JCS Historical Division, 1986.
Weinberger, Caspar. *Fighting for Peace: Seven Critical Years in the Pentagon*. New York: Warner Books, 1990.
———. *A Report to the Congress on Security Arrangements in the Persian Gulf*. Unclassified version. June 15, 1987.
Woodhouse, C. M. *Something Ventured*. London: Granada, 1982.
Woodward, Bob. *The Commanders*. New York: Simon & Schuster, 1991.
Wright, Robin. *In the Name of God: The Khomeini Decade*. New York: Simon & Schuster, 1989.
Yergin, Daniel. *Shattered Peace: The Origins of the Cold War and the National Security State*. Boston: Houghton Mifflin, 1977.
———. *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power*. New York: Simon & Schuster, 1991.

مقالات

Abramov, M. "U.S. Navy Aggravates Persian Gulf Situation." *Morskoi Sbornik* (March 1988): 78–81.
Adamthwaite, Anthony. "Suez Revisited." *International Affairs* 64 (Summer 1988): 449–64.
Admire, John H. "A Report on the Gulf." *Marine Corps Gazette* 72 (December 1988): 56–61.
Aldrich, Richard, and Michael Coleman. "Britain and the Strategic Air Offensive

against the Soviet Union: The Question of South Asian Bases, 1945–9." *The Journal of the Historical Association* 74 (October 1989): 400–26.
Antal, John F. "The Iraqi Army Forged in the Other Gulf War." *Military Review* 71 (February 1991): 63–72.
Atherton, Alfred L. "The Soviet Role in the Middle East: An American View." *The Middle East Journal* 39 (Autumn 1985): 688–715.
Ballis, William B. "Soviet-Turkish Relations during the Decade 1953–1963." Institute for the Study of the USSR *Bulletin* 11 (September 1964): 3–16.
Bill, James A. "Power and Religion in Revolutionary Iran." *The Middle East Journal* 36 (Winter 1982): 22–47.
Bowden, James A. "The RDJTF and Doctrine." *Military Review* 62 (November 1982): 51–64.
Brewer, William D. "Yesterday and Tomorrow in the Persian Gulf." *The Middle East Journal* 23 (Spring 1969): 149–58.
Canan, James W. "The Electronic Storm." *Air Force Magazine* 74 (June 1991): 26–32.
Cigar, Norman. "The Soviet Navy in the Persian Gulf: Naval Diplomacy in a Combat Zone." *Naval War College Review* 42 (Spring 1989): 56–88.
Cooper, Dale R. "Young Guns: Harrier Pilots in the Persian Gulf." *Leatherneck* 74 (July 1991): 40–46.
Crosby, Alfred W., Jr. "American Trade with Mauritius in the Age of the French Revolution and Napoleon." *American Neptune* 25 (January 1965): 5–17.
DeForth, Peter W. "U.S. Naval Presence in the Persian Gulf: The Mideast Force since World War II." *Naval War College Review* 28 (Summer 1975): 28–38.
Dekmejian, R. Hrair. "The Anatomy of Islamic Revival: Legitimacy Crisis, Ethnic Conflict and the Search for Islamic Alternatives." *The Middle East Journal* 34 (Winter 1980): 1–12.
Fatemi, Khosrow. "Leadership by Distrust: The Shah's *Modus Operandi*." *The Middle East Journal* 36 (Winter 1982): 49–61.
Fish, M. Steven. "After Stalin's Death: The Anglo-American Debate over a New Cold War." *Diplomatic History* 10 (Fall 1986): 333–55.
Fitzgerald, Mary C. "Early Soviet Assessments of U.S. Military Success in the Gulf War." *Strategic Review* 19 (Spring 1991): 77–80.
Franz, Wallace. "Defeating the Iraqis: Saddam's Troops Are Not Ready for a War of Maneuver." *Armor* 100 (January/February 1991): 8–9.
Friedman, Norman. "The *Vincennes* Incident." United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1988): 72–79.
Fromkin, David. "How the Modern Middle East Map Came to be Drawn." *Smithsonian* 22 (May 1991): 132–49.
Gasiorowski, Mark J. "The 1953 *Coup D'Etat* in Iran." *International Journal of Middle East Studies* 19 (August 1987): 261–86.
Grier, Peter. "Joint STARS Does Its Stuff." *Air Force Magazine* 74 (June 1991): 38–42.
Hahn, Peter H. "Containment and Egyptian Nationalism: The Unsuccessful Effort to Establish the Middle East Command, 1950–1953." *Diplomatic History* 11 (Winter 1987): 23–40.
Hampton, Dan. "The Weasels at Work." *Air Force Magazine* 74 (July 1991): 56–59.

Hess, Gary R. "The Iranian Crisis of 1945–46 and the Cold War." *Political Science Quarterly* 89 (March 1974): 117–46.
Hoffmann, Peter. "The Gulf Region in German Strategic Projections, 1940–1942." *Militärgeschictliche Mitteilungen* 44 (2/88): 61–73.
Horner, Charles A. "The Air Campaign." *Military Review* 71 (September 1991): 17–27.
Hunter, Shireen T. "The Gulf Economic Crisis and Its Social and Political Consequences." *The Middle East Journal* 40 (Autumn 1986): 593–613.
Karsh, Efraim and Inari Rautsi. "Why Saddam Hussein Invaded Kuwait." *Survival* 33 (January/February 1991): 18–30.
Kelly, J. B. "Iraq's Borders: Let's Talk Turkey." *National Review* 42 (17 September 1990): 31–34.
Kennedy, Edward M. "The Persian Gulf: Arms Race or Arms Control?" *Foreign Affairs* 54 (October 1975): 14–35.
Khadduri, Majid. "The Problem of Regional Security in the Middle East: An Appraisal." *The Middle East Journal* 11 (Winter 1957): 12–22.
Khalidi, Rashid. "Arab Views of the Soviet Role in the Middle East." *The Middle East Journal* 39 (Autumn 1985): 716–32.
Kingston, Robert C. "From RDF to CENTCOM: New Challenges?" *RUSI Journal* 129 (March 1984): 14–17.
Koburger, Charles W. Jr., "The Kuwait Confrontation of 1961." U.S. Naval Institute *Proceedings* 100 (January 1974): 42–49.
Langenus, Peter C. "Moving An Army: Movement Control in Desert Storm." *Military Review* 71 (September 1991): 40–51.
Langston, Bud, and Don Bringle. "Operation Praying Mantis: The Air View." United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989): 54–65.
Leffler, Melvyn P. "Adherence to Agreements: Yalta and the Experiences of the Early Cold War." *International Security* 11 (Summer 1986): 88–123.
Less, Anthony A. "Mideast Perspective." *Wings of Gold* 15 (Spring 1990): 50–52.
Little, Douglas. "Cold War and Covert Action: The United States and Syria, 1945–1958." *Middle East Journal* 44 (Winter 1990): 51–75.
McFarland, Stephen L. "A Peripheral View of the Origins of the Cold War: The Crises in Iran, 1941–1947." *Diplomatic History* 4 (Fall 1980): 333–51.
Mackenzie, Richard. "A Conversation with Chuck Horner." *Air Force Magazine* 74 (June 1991): 57–64.
Markov, V. "The War in the Persian Gulf, Freedom of Navigation, and International Law." *Morskoi Sbornik* (February 1988): 83–87.
Moran, Theodore H. "Iranian Defense Expenditure and the Social Crisis." *International Security* 3 (Winter 1978/1979): 178–98.
Mosely, Philip E. "The Kremlin's Foreign Policy since Stalin." *Foreign Affairs* 32 (October 1953): 20–33.
Norton, Douglas M. "Sealift: Keystone of Support." United States Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991): 42–49.
Office of Naval Intelligence. "The Arab League." *ONI Review* 2 (July 1947): 37–41.
———. "The Persian Gulf." *ONI Review* 4 (April 1949): 39–44.
———. "Soviet Interest in the Nonexistent Indian Ocean Fleet." *ONI Review* 14 (August 1959): 357–59.

O'Rourke, Ronald. "Gulf Ops." United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989): 42–50.
———. "The Tanker War." U.S. Naval Institute *Proceedings* 114 (May 1988): 30–34.
Pagonis, William G., and Harold E. Raugh, Jr. "Good Logistics is Combat Power: The Logistics Sustainment of Operation Desert Storm." *Military Review* 71 (September 1991): 28–39.
Palmer, Michael A. "The Navy Did Its Job." United States Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991): 88–93.
Pawlisch, Hans S. "Operation Praying Mantis." *VFW Magazine* (January 1989): 34–37.
Perkins, J. B. III. "Operation Praying Mantis: The Surface View." United States Naval Institute *Proceedings* 115 (May 1989): 66–70.
Rakow, William M. "Marines in the Gulf—1988." *Marine Corps Gazette* 72 (December 1988): 62–68.
Ramazani, R. K. "Who Lost America? The Case of Iran." *The Middle East Journal* 36 (Winter 1982): 5–21.
Rose, Dirk T. "Saratoga MiG Killers: Hollywood Need Not Apply." *Naval Aviation News* 73 (May–June 1991): 13–14.
Rosenberg, David Alan. "The U.S. Navy and the Problem of Oil in a Future War: The Outline of a Strategic Dilemma, 1945–1950." *Naval War College Review* 29 (Summer 1976): 53–64.
Rossow, Robert Jr. "The Battle of Azerbaijan, 1946." *The Middle East Journal* 10 (Winter 1956): 17–32.
Ryan, Paul B. *Diego Garcia*." United States Naval Institute *Proceedings* 110 (September 1984): 132–136.
Sapozhnikov, B. "The 'Rapid Deployment Force' as a Weapon of U.S. Neocolonialism." *Morskoi Sbornik* (December 1983): 70–75.
Scharfen, John C. "Interview with Gen. George B. Crist, Commander in Chief, U.S. Central Command." *Marine Corps Gazette* 70 (December 1986): 30–37.
Segal, David. "The Iran-Iraq War: A Military Analysis." *Foreign Affairs* 66 (Summer 1988): 946–963.
Simmons, Edwin H. "Getting Marines to the Gulf." U.S. Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991): 50–64.
———. "Getting the Job Done." U.S. Naval Institute *Proceedings* 117 (May 1991): 94–96.
Stein, Janice Gross. "The Wrong Strategy in the Right Place: The United States in the Gulf." *International Security* 13 (Winter 1988/89): 142–67.
Tibi, Bassam. "The Renewed Role of Islam in the Political and Social Development of the Middle East." *The Middle East Journal* 37 (Winter 1983): 3–13.
Truver, Scott. "Mines of August: An International Whodunit." United States Naval Institute *Proceedings* 111 (May 1985): 95–117.
Turchenko, Sergei. "Sinister Armada." *Soviet Military Review* (July 1988): 52–54.
Wilson, G. I. "The Gulf War, Maneuver Warfare, and the Operational Art." *Marine Corps Gazette* 75 (June 1991): 23–24.
Yeosock, John J. "Army Operations in the Gulf Theater." *Military Review* 71 (September 1991): 3–15.

صحف ومجلات

Air Force Times
Atlanta Journal & Constitution
Aviation Week & Space Technology
Baltimore Sun
Boston Globe
Business Week
Congressional Quarterly
Defense News
Economist
Independent
Jane's Defense Weekly
London Daily Telegraph
London Financial Times
London Sunday Times
Los Angeles Times
Miami Herald
Newsweek
New York Times
Philadelphia Inquirer
Seattle Post-Intelligencer
The Estimate
The New Republic
Time
USA Today
U.S. News & World Report
Wall Street Journal
Washington Post
Washington Star
Washington Times

رسائل وأوراق غير منشورة

Converse, Elliott Vanvelt. "United States Plans for a Postwar Overseas Military Base System, 1942–1948." Ph.D. dissertation, Princeton University, 1984.

Warden, John A., III. "Centers of Gravity: The Key to Success in War."

الفهـــرس

(أ)

آرثر و . رادفورد ، ٨٠
آرشى روزفلت ، ٤١
أ. س. ميلزبوف ، ٢٤
ابريل جلاسبى ، ١٦٠ ، ١٦٢ – ١٦٣
اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية : يسلح العراق ، ٩٢ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ؛ مبادراته الدبلوماسية لانهاء الحرب ، ٢٢٨ ؛ يتوسط للعراق ، ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛ مصالحه فى الشرق الأوسط ، ٤٨ ؛ يغزو أفغانستان ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٩ ؛ يغزو إيران ٢١ ؛ فى أزمات إيران ، ٣٧ ـ ٤٢ ، ٦٨ ، ٧١ – ٧٢ ؛ الكويت تطلب منه رفع علمه على سفنها ، ١٢٤ ، ١٢٥ ؛ قواته البحرية فى المحيط الهندى ، ٨٩ ، ٩٩ ـ ١٠٠ ، ١٠٣ ؛ وتقسيم فلسطين ، ٦٠ ـ ٦١ ؛ رده على قرار الولايات المتحدة برفع علمها ، ١٢٦ ؛ دوره فى الخليج فى الحرب العالمية الثانية ، ٢٨ ؛ يؤيد الأمم المتحـدة ، ١٧٢ ؛ تهديداته ، ٤٣ – ٤٦ ، ٥٨ ، ١١٢ ، ١١٧ ـ ١١٨ ، ١٨٠ ؛ فى حرب يوم الغفران ، ١٠٠
الاتحاد الفيدرالى العربى ٨١
اتفاقية الخط الأحمر ، ٢٤ ، ٢٦
اثيوبيا ، ٢٩ ، ٥٤
إدارة البترول من أجل الحرب ، ٣١
ادموند ماسكى ، ١١٢ ، ١١٥
ادوارد شيفارنادزه ، ١٦١
ادوارد كنيدى ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٥ ، ١٢٦
ادوين م. رايت ، ٣٩
الأراضى البريطانية فى المحيط الهندى : *انظر* دييجو جارسيا
الأردن ، ٢٢٠ : فى مجلس التعاون العربى ، ١٥٣ ؛ التدخل البريطانى فيه ، ٨٣ ؛ أزمة عام ١٩٧٠ فيه ، ١٠٠ ؛ مخاوفه تجاه عبد الناصر ، ٨١ ؛ وحرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ يساند صدام ، ١٧٢
أرليه بيرك ، ٨٣ ، ١٠٤
ارنست م. ايلار ، ٥٥ ، ٦٨
أزمة الرهائن ، ١١٤
إسرائـيل ، ١٠٩ ، ١٢٣ : والسيـاسة الأمريكية ، ٦١ – ٦٣ ؛ فى قمة كامب ديفيد ، ١١٢ ؛ والانتفاضة ، ١٥٣ ؛ تغزو لبنان ، ١١٨ ؛ حرب عام ١٩٤٨ ، ٦١ ؛ هجمات سكود عليها ، ٢٢٠ – ٢٢١ ؛ فى حرب الأيام الستة ، ٨٦ ـ ٨٧ ، ٨٨ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ ـ ٨١ ؛ فى حرب يوم الغفران ، ١٠٠ – ١٠١
أسطول الولايات المتحدة : يبدأ مرافقة الناقلات لحراستها ، ١٣٢ ؛ يحشد قوات فى الخليج وحوله ، ٥٣ – ٥٤ ، ٩٧ – ١٠٠ ، ١٣٣ ؛ يضبط « ايران آجر » وهى تزرع الألغام ، ١٣٤ ؛ مفهوم

العمليـــــات ، ١٣٧ – ١٣٨ ؛ درع الصحراء ، ١٧٨ – ١٧٩ ؛ يقيم قاعدة في دييجو جارسيا ، ٩٨ ـ ٩٩ ؛ ينفذ قرار الأمم المتحدة بفرض حظر اقتصادى على العراق ، ١٧٦ ؛ دور أوسع في الخليج ، ١٠٥ – ١٠٦ ؛ رأيه بشأن الخطر الايرانى فى الخليج ، ١٣٠ – ١٣١ ؛ عمليـات ملاحيـة ، ١٩٢ ؛ استراتيجيه البحرية ، ١٩٧ ؛ تهديـد الألغام له ، ١٣٥ ـ ١٣٨ ؛ فى أزمة النفط (عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) ، ٥١ ـ ٥٢ ؛ وسيناريو « انتزاع النفط » ، ١٠٢ ؛ مكتب المخابرات البحرية وتقييمه للشرق الأوسط ، ٤٢ ؛ يعـارض مشتريـات الأسلحة الإيرانية من الولايات المتحدة ، ٩٤ ؛ يخطط للطواف فى الخليج ، ٥٤ ؛ ينقل معدات قيادة فيالق مشاة البحرية إلى الخليج ، ١٣٣ ؛ يتخصص فى « إسكات الدفاعات الجوية للعدو » ، ٢١٨ ؛ تعرضه للإجهاد من جراء عمليات الخليـج ، ١٣٨ ؛ يضرب المنصات الإيرانية لفصل الغاز عن النفط ، ١٣٤ ؛ اعتماده على نفط الخليج ، ٣١ ، ٤٩ ، ٥٢ – ٥٤ ، ١٠٢

أساطيل :

الأسطول الخامس ، ١٠٦

الأسطول السابع ، ١٠٦

الأسطول السادس، ٤٣، ٥٣، ٨٣، ١٠٦

قوات :

القوات البحرية – أوروبا ، ١٠٥

قوة الشرق الأوسط ، ٧٦ ، ١٣٤ : اتخاذها قواعد للمرابطة ، ٩٣ ، ٩٧ ـ ٩٩ ؛ تأسيسها ، ٥٣ ـ ٥٦ ؛ زيادة مسئولياتها ، ٩٩ ـ ١٠٠ ؛ عمليـة لبنان ، ٨٣ – ٨٤ ؛ مناورات عسكرية مع الامارات العربية المتحدة ، ١٥٩ ؛ عمليات قرب شواطىء اليمن ، ٨٥ – ٨٦ ؛ تعزيز القوة ، ١١١ ؛ صدام يطالب بسحبها ، ١٥٤ ؛ فى حرب الأيام الستة ، ٨٦ ، ٨٧ ؛ القوة تعود إلى المستوى الطبيعى ، ١٥٢ ؛ فى حرب يوم الغفران ، ١٠١ – ١٠٢

أسراب :

سرب تحديد المواقع البحرية مسبقا ، ١٧٢

الإعارة والتأجير ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢

الإعلان الثلاثى ، ٩٥

أفغانستان ، غزو السوفيت لها ، ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٩

ألجير هيس ، ٤١

ألفريد ثيبار ماهان ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٤٧

ألكسندر هيج ، ١١٥

الكسيس م . جاجارين ، ٤١

الامارات العربية المتحدة ، ١٤٧ : الحماية الأمريكية لها ، ٢٤٤ ؛ القوات العسكرية التابعة لها فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ؛ هبوط عائداتها من النفط ، ١٢١ – ١٢٢ ؛ تطلب المساندة الأمريكية ، ١٥٩ ؛ تعرض سفنها للهجوم ، ١٤٢ ؛ تعرضها لتهديدات عراقية ، ١٥٥

الامبراطورية العثمانية ، ٢١

الأمم المتحدة ، ٤٦ ، ١٩١ ، ٢٤٠ : فعالية الحظر ، ١٧٦ ـ ١٧٨ ؛ فى الحرب الإيرانية العراقية ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ؛ ردها على الغزو العراقى ، ٧ ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ١٧٦ ؛ تقرر مهلة نهائية للانسحاب العراقى ، ١٨٩ ، ١٩٥ ؛ فى حرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ فى أزمة السويس ، ٨٠ ؛ تؤيد الخيار العسكرى الأمريكى ، ١٨٩

الأمير سلطان بن عبد العزيز ، ١٧٧

انتاريس ، ١٧٤
انتربرايز ، ١٤١ ـ ١٤٤
الانتفاضة ، ١٥٣
انتونى ليس : يقود « القوة الخاصة المشتركة للشرق الأوسط » و « قوة الشرق الأوسط » ، ١٣٤ ؛ يخطط لضربة انتقامية ، ١٣٩ ـ ١٤١ ؛ وفرس النبى المتعبد ، ١٤٣ ـ ١٤٤
اندبندانس ، ١٥٩ ، ١٦٧
انديرا غاندى ، ٩٣
أنور السادات ، ١١٨
الأواكس ، ٢٠٠ ، ٢١٧
أهميتها لعمليات الخليج ، ١٤٧ ؛ مبيعاتها للمملكة العربية السعودية ، ١٢٠ ؛ ارسالها إلى الخليج ، ١٠٨
أوبراين ، ١٤١
أوكيان (المناورة البحرية السوفيتية) ، ٩٩
أوين بروستر ، ٤٨ – ٤٩
ايران : اتفاقها مع حسين ، ١٩٤ ؛ العمليات الأمريكية فى الخليج ضدها ، ١٤٥ ؛ حشدها للأسلحة يدفع إلى سباق تسلح إقليمى ، ٩٢ ، ٩٦ ؛ أطماعها فى شبه الجزيرة العربية ، ٢٤٤ ؛ هجماتها على سفن متجهة للكويت ، ١٢١ ؛ هجماتها على سفن متجهة للسعودية ، ١٢١ ؛ قصفها للكويت ، ١٢٠ ؛ دعاواها بشأن البحرين ، ٩٦ ؛ المواجهة بينها وبين البريطانيين ، ٦٤ – ٦٥ ؛ أزمة عام ١٩٤٦ ، ٣٧ – ٤٢ ، ٤٧ ، ٦٥ ؛ أزمة الرهائن ، ١٠٨ ، ١٠٩ – ١١١ ؛ تحبذ التدخل فى العراق ، ٨٤ ؛ نشاطها المتزايد فى الخليج ، ١٤٨ ـ ١٤٩ ؛ ضعفها الداخلى ، ٣٨ ؛ الحرب الإيرانية العراقية ، ١١١ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ؛ طريق الاعارة والتأجير للاتحاد السوفيتى ، ٣٠ ؛ تقييم الاحتشاد العسكرى لها ، ٩٣ ـ ٩٦ ؛ حرب الألغام فى الخليج ، ١٣١ – ١٣٢ ؛ أزمة التأميم فيها ، ٦٥ – ٧٧ ؛ كدولة من الصف الشمالى ، ٤٨ ؛ صادراتها البترولية يهاجمها العراق ، ١٢١ – ١٢٢ ؛ إنتاجها من النفط ، ٢٩ ـ ٣٠ ؛ تجتاح شبه جزيرة الفاو ، ١٢١ ؛ وحوادث شغب على أيدى حجاج إيرانيين فى المملكة العربية السعودية ، ١٣٢ ؛ رأيها فى الولايات المتحدة فى مرحلة ما بعد الحرب الإيرانية ـ العراقية ، ١٥٢ ؛ مشاعر موالية للمحور فيها ، ٢٨ ، ٢٩ ؛ تلغيمها البحر الأحمر ، ١٣١ ـ ١٣٢ ؛ علاقتها مع جيرانها العرب ، ٩٠ – ٩٣ ؛ علاقتها مع العراق ١٥٣ ، ١٥٥ ؛ الثورة فيها ، ١٠٦ ـ ١٠٧ ، ١٥٨ ؛ صدام يعيد إليها أراضى كان قد احتلها ، ١٧١ ؛ تسعى للحصول على تأييد أمريكى ، ٣٢ ـ ٣٣ ؛ تسعى للهيمنة فى المنطقة ، ٩٠ ؛ اطلاقها صواريخ سيلك ورم على سفن كويتية ترفع العلم الأمريكى ، ١٣٤ ؛ التهديد السوفيتى لها ، ٥٩ ؛ أهميتها الاستراتيجية ، ٢٠ ؛ امدادها البحرية الأمريكية بالنفط ، ١٠٢ ؛ حرب الناقلات مع الأمريكيين ، ١٢٩ ؛ تهدد مرور الناقلات فى الخليج ، ١٣٥ ـ ١٣٨ ، ١٥٨ ، تهدد الكويت ، ١٢٢ ـ ١٢٤ ؛ تهدد الولايات المتحدة ، ١٣٢ ؛ تقوض الحظر البترولى المفروض منذ عام ١٩٦٧ ، ٨٧ ؛ الولايات المتحدة تلومها على استمرار الحرب الإيرانية العراقية ، ١٢١ ؛ الوجود الأمريكى فيها ، ١٠٧
ايران آجر ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٧

ايران جيت ، ١٥٢
ايزنهاور ، ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٢
ايطاليا ، ٢٩ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣

(ب)

الباب المفتوح ، ٢٣ ـ ٢٤
بارزان تكريتى ، ١٩١
بارى ماكفرى ، ٢٣٢ ، ٢٣٨
باستر س . جلوسون ، ٢٠٠ ـ ٢٠٥ ، ٢١٤
باكستان ، ١٠٢ ، ١١٩
البحرين ، ٣١ ، ٣٢ : تسمح للبحرية الأمريكية بالعمل فيها ، ١٠١ ؛ الأمريكيون يتولون تنمية صناعة النفط فيها ، ٢٥ – ٢٧ ؛ بريطانيا تحد من تنمية النفط فيها ، ٢١ ؛ تدعو إلى سحب قوات الولايات المتحدة ، ١٠١ ؛ التهديد الإيرانى لها ، ٩٦ – ٩٧ ؛ والإنزال فى لبنان عام ١٩٥٨ ، ٨٣ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ؛ رد فعلها تجاه حرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ رد فعلها تجاه غزو السويس ، ٨١ ؛ هجمات صواريخ سكود عليها ، ٢٢٠ ؛ الوجود البحرى الأمريكى فيها ، ٥٥
برنامج الإنعاش الأوروبى : *انظر* مشروع مارشال
برنامج « هوك للسلام » ، ٩٥
برنت سكوكروفت ، ٢١٣
بريدجتون ، ١٣٢
بريطانيا العظمى : تساعد الأمريكيين فى الخليج ، ١٢٦ ، ١٣٣ ؛ قلقها حول الشاه ، ٩١ ، ٩٤ ؛ تأسيس العراق ، ١٥٨ ؛ والخيار العسكرى « عاصفة الصحراء » ، ١٧٩ – ١٨٠ ، ١٨٨ ؛ هيمنتها فى الخليج العربى ، ٩ ، ١٠، ٢١ – ٢٤ ، ٢٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ؛ وسياسة الطوق الداخلى ، ٧٧ ؛ غزوها لإيران ، ٢٩ ؛ فى أزمة إيران ، ٧٢ ـ ٧٧ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ، ٢٣٤ ؛ فى منطقة الموصل ، ٢٤ ؛ وأزمة التأميم فى إيران ، ٦٥ ـ ٧٧ ؛ والدفاع الإقليمى ، ٥٨ – ٥٩ ؛ تعزز موقفها فى الخليج ، ٨٣ ؛ رد فعلها إزاء تلغيم البحر الأحمر ، ١٣١ ، ١٣٢ ؛ اعتماد البحرية الملكية البريطانية على النفط ، ٢١ ؛ والمملكة العربية السعودية ، ٣٣ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ ـ ٨١ ؛ اعتماد الولايات المتحدة عليها ، ٣٥ ، ٦٤ – ٦٥ ، ٩٩ ، ١١٨ ؛ ضعفها ٢٩ ـ ٣٠ ، ٤٤ – ٤٥ ؛ تنسحب من شرقى السويس ، ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٦٥ ، ٢٤٣
بلجيكا ، ١٢٦ ، ١٣٣
بنما ، ١٦٤ ، ١٨٠
بوب وودوارد ، ١٧٣ ، ١٨٤
بول فانك ، ٢٣٦
بول كيرن ، ٢٣٨
بول هـ . نيتز ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٩٨
بولنت أجاويد ، ١٦٠ ، ١٦١
بيجلى ، ١٤١ ، ١٤٤
بيل راتن ، ٢٠٤
بيلى ميتشيل ، ٢٠١

(ت)

تركيا ، ٦٦ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١٥٥ : نزاعها مع بريطانيا حول الموصل ، ٢٤ ؛ تحبذ التدخل فى العراق ، ٨٤ ؛ وأزمة ١٩٤٦ فى إيران ، ٣٨ ـ ٤٠ ؛ العراقيون يضخون البترول عبر أراضيها ، ١٦٨ ؛ فى « منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ،

٦٤ ؛ كدولة من الصف الشمالى ، ٤٨ ؛ التهديد السوفيتى لها ، ٥٩ ؛ أهميتها الاستراتيجية ، ٢٠ ، ٤٣ - ٤٥ ؛ نقلها للبترول العراقى ، ١٢٢
ترنتون ، ١٤١
تشارلس أ . هورنر : التخطيط الجوى له ، ٢٠١ - ٢٠٣ ، ٢٠٥ ؛ يقدم له عرض موجز حول « الرعد الخاطف » ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ والتخطيط للحرب العراقية ، ١٨١
توماس كيلى ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ٢٠٨
توماس هـ . مورر ، ١٣١
تيموثى دوايت ، ١٩
تيودور هـ . موران ، ١٠٧

(ج)

جاريت ، ١٣٤
جارى لاك ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦
جاك وليامز ، ١٤١ ، ١٤٣
الجامعة العربية ، ٦٤ ، ٧٦ - ٧٧ ، ١٥٥
جبهة التحرير الفلسطينية ، ١٧٨
جبيل ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤
جرينادا ، ١٦٤ ، ١٨٠
جزيرة بوبيان ، ١٦١
جزيرة خرج ، ١١٠
جزيرة وربة ، ١٦١
جفير ، ٥٥
جمال عبد الناصر ، ٥٩ ، ٦٤ ؛ وحرب الأيام الستة ، ٨٥ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ - ٨١
الجمهورية العربية المتحدة ، ٨١
جورج آلان ، ٦٦
جورج بوش : يعطى الأمر ببدء « عاصفة الصحراء » ، ٢١٤ ؛ وبنية القيادة فى حرب الخليج ، ٢٢٩ - ٢٣٠ ؛ يقارن بين صدام وهتلر ، ٢٤٠ ؛ يقرر الخيار العسكرى ، ١٨٩ ؛ الشكوك حول سياسته ، ١٩٣ - ١٩٤ ؛ ايمانه بتأييد الشعب الأمريكى ، ١٧٩ - ١٨٠ ؛ يوقف العمليات ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ؛ والغزو العراقى للكويت ، ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ رسالته إلى صدام ، ١٩١ ؛ افتتاحه الهجوم الجوى ، ٢١٣ - ٢١٤ ؛ سياساته فى الخليج العربى ، ٧ ؛ يتلقى مشورة غير صائبة من شوارتزكوف ، ١٨٥ - ١٨٦ ؛ يرفض الجهود السوفيتية ، ٢٢٦ - ٢٢٧ ؛ يضع موعدا نهائيا للانسحاب العراقى ، ٢٢٧ ؛ يساند إقامة القيادة المركزية ، ١٨٧ ؛ يتصل تليفونيا بالملك فهد ، ١٦٨ ؛ عدم رغبته فى الزحف على بغداد ، ١٩٤ ؛ يحذر صدام ، ٢٠٣
جورج ج . ايد ، ١٣١
جورج شولتز ، ١٢٢ : التزامه بالمرور الآمن للناقلات فى الخليج ، ١٢١ ، ١٢٣ ؛ رأيه بشأن قرار رفع العلم ، ١٢٤ ، ١٢٧
جورج ف . كينان ، ٣٨ ، ٤١ - ٤٢
جورج كريست ، ١٣٣ ، ١٣٩
جورج مارشال ، ٦٧
جورج ماكجى ، ٦٣
جورج همفرى ، ٧٢
جوزيف س . جرو ، ٣٧
جوزيف ستالين ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤٨
جوزيف *شتراوس* ، ١٤١ ، ١٤٤
جوزيف هور ، ١٧٣
جوشان ، ١٤٣ ، ١٤٤
جوليو دوهيه ، ١٩٩
جوليوس كروج ، ٥٠
جون أ . واردين الثالث ، ١٩٨ - ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥
جون د . جيرنيجان ، ٦٦

جون سنونو ، ٢١٣
جون ف . كنيدى ، ٨٥
جون فوستر دالاس : فى الأزمة الإيرانية ، ٧١ – ٧٢ ، ٧٦ ؛ فى أزمة السويس ، ٨٠
جون كيلى ، ١٦١
جون لوه ، ١٩٨
جون ميجور ، ٢٢٦
جيبوتى ، ٩٩
جيش الولايات المتحدة : معركة جوية برية ، ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ احتشاده فى الخليج ، ١٣٣ ؛ يخشى وقوع حمامات دم فى مسرح العمليات الكويتى ، ١٨١ ، ١٨٤ ـ ١٨٦ ، ١٨٧ ؛ مغالاته فى تقدير قوة الجيش العراقى ، ١٦٣ – ١٦٤
فيالق :
السابع : ١٨٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٢١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، ٢٣٧
الثامن عشر المحمول جوا : ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧
فرق :
الفرقة المدرعة الأولى ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨
فرقة الفرسان الأولى ، ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٢٢٩ ـ ٢٣٣
فرقة المشاة الآلية الأولى ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
الفرقة المدرعة الثالثة ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧
فرقة المشاة الآلية الرابعة والعشرون ، ٧ ، ١٧٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨
الفرقة ٨٢ المحمولة جوا ، ٨٢ ، ١٠٤ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣١
الفرقة ١٠١ المحمولة جوا ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧
الألوية :
لواء المشاه الـ ١٩٧ ، ٢٣٨
لواء تيجر (النمور) ، ٢٢٩ ، ٢٣١
الآلاى :
آلاى الفرسان المدرع الثانى ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٦
آلاى الفرسان المدرع الثالث ، ٢٢٩
جيمس بيكر ، ١٦١ ، ١٩٠ – ١٩١
جيمس ريستون ، ٤٠
جيمس ف . بيرنز ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٣
جيمس ف . فوريستال ، ٤٨ – ٥١
جيمس ل . هولوواى الثالث ، ١٠٣
جيمس ويب ، ١٢٧
جيمى آدامز الخامس ، ١٨٢
جيمى كارتر ، ١٦٥ ، ١٩٤ : والوصول إلى نفط الخليج العربى ، ١٠٩ ، ١١١ ؛ فى كامب ديفيد ، ١١٢ ؛ تحمسه للشاه ، ٩٥ ؛ يعيد توجيه السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ، ١٠٣ – ١١٣ ، ١١٤ ، ٢٤٣ ؛ وسقوط الشاه ، ١٠٨ ؛ والغزو السوفيتى لأفغانستان ، ١٠٨ ، ١٠٩ ؛ يزور إيران ، ١٠٧
جين كورنيفان ، ٤٠

(ح)

حافظ الأسد ، ١٨٨
حرب الألغام ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٥ – ١٣٧
الحرب الإيرانية العراقية ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٥٢ : القلق الأمريكى بشأنها ،

١٢٠ ؛ التكاليف التى تتحملها الأطراف المتحاربة ، ١٥٥ ـ ١٥٧
حرب الناقلات ، ١٢٠ ، ١٢٩
الحرب النفسية ، ٢٢٢
حزب تودة ، ٧٣ ، ٧٥
حسنى مبارك : ومجلس التعاون العربى ، ١٥٤ ؛ فى أزمة الكويت ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ؛ يسمح بمرور حاملة أمريكية عبر قناة السويس ، ١٦٩ ، ١٧٢
حلف بغداد ، ٦٩ ، انظر أيضا منظمة المعاهدة المركزية : البريطانيون يسعون إلى الحصول على التأييد له ، ٦٣ - ٦٥ ؛ تشكيله ٧٧ ؛ الآمال المعلقة عليه ، ٧٨ ـ ٧٩ ؛ تأثير أزمة السويس عليه ، ٧٩
حلف وارسو ، ١٨٨
« الحلقة الوسط ٧٣ » ، ١٣١

(خ)

خالد بن سلطان بن عبد العزيز ٢٢٩ - ٢٣٠ ، ٢٣٩
خط صدام ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٢٨
الخفجى ، ٢٢٣ ـ ٢٢٤
خليج جرينتش ، ٨٣

(د)

دان كويل ، ١٣٠ ـ ١٣١ ، ٢١٣
دانييل جازو ، ٢٣٢
الدعامتان التوءم ، ٩١ ، ٩٣ ، ١١٨
الدمام ، ١٧٠ ، ١٧٤
دنيس بروكس ، ١٣٣ ، ١٣٤
دوايت د. ايزنهاور : فى أزمة ايران ، ٧١ ، ٧٧ ؛ سياسته فى الشرق الأوسط ، ٨١ - ٨٢ ، ٨٨ ، فى أزمة السويس ، ٨٠
دوجلاس هيرد ، ١٨٨
دول الهدنة ، ٢١ ، ٣٠ ؛ *انظر أيضا* : الامارات العربية المتحدة
ديفيد بن جوريون ، ٨٠
ديفيد فروست ، ٢٣٨
دين اتشيسون ، ٤٠ ، ٦٠
دييجو جارسيا ، ١٠٤ ، ١٧٢ : كقاعدة لقوة الشرق الأوسط ، ١٠١ ؛ التوسع فيها ، ١١٥ ؛ تدعم العمليات اثناء « درع الصحراء » ، ٩٨ - ٩٩ ؛ تدعم العمليات أثناء حرب الناقلات ، ٩٩ ؛ البحرية الأمريكية تقوم بتطوير قاعدة فيها ، ٩٨ ـ ٩٩

(ر)

رأس تنورة ، ٣١ ، ٥٥ ، ١٧٠
راشادات ، ١٣٥ ، ١٤٠
راكيش ، ١٤٢
راندوفا ، ٥٥
رضا شاه بهلوى ، ٢٩
الرعد الخاطف ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، ٢٠١
الرعد الوشيك ، ١٩٢
الرميلة ، ١٥٥ ، ١٦١
روبرت ب . كارنيى ، ٦٨
روبرت جونستون ، ١٨٦
روبرت روسو ، ٣٩ ـ ٤١
روبرت كنجستون ، ١١٧ ـ ١١٨
روبرت هـ . بيلليترو ، ١٢٠
روبرت هانكس ، ١٠١
روبرت ويلسون شوفيلت ، ٢٨ ، ٢٤٢
روح الله خومينى ، ١٠٧ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٥
روسيا ، ٢٢ ، *انظر أيضا* : اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية
رونالد ريجان ، ١٨٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ؛

تسريعه للاحتشاد العسكرى فى الخليج ، ١٣٢ ـ ١٣٣ ؛ وسياسة كارتر فى الخليج ، ١١٤ ـ ١١٥ ؛ النتيجة الطبيعية التى توصل إليها بشأن مبدأ كارتر ١٢٠ ؛ منتقدوه ، ١٢٦ ـ ١٢٧ ؛ والبناء الدفاعى ، ٨ ؛ يقوم بتصعيد العمليات فى الخليج ، ١٤٥ – ١٤٦ ؛ سياسته فى الخليج ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٣ ؛ آماله فى ردع إيران ، ١٢٩ ـ ١٣٠ ؛ إيران جيت ، ١٢٣ ؛ ورفع العلم على ناقلات البترول ، ١٢٤ ـ ١٢٥ ؛ رد فعله إزاء الهجوم على ثكنات مشاة البحرية ، ١١٨ ـ ١١٩ ؛ رده على التهديدات الإيرانية ، ١٥٠ – ١٥١ ؛ رده الانتقامى ، ١٣٤ ، ١٣٩ – ١٤٠

رويال ن . مور (جونيور) ، ١٨٢ ، ٢٠٥

ريتشارد تشينى : والحرب الجوية ، ٢٢١ ؛ يقر « عاصفة الصحراء » ، ٢١٤ ؛ قلقه من الإرهاب ، ١٧٨ ؛ يخشى القدرة النووية العراقية ، ١٨٩ ؛ يُسرِّح دوجان ، ١٨٣ ؛ وطرد العراق من الكويت ، ١٦١ ، ١٩٦ ؛ والتهديد العراقى للمملكة العربية السعودية ، ١٦٧ ، ١٦٩ – ١٧٠ ؛ ومحادثات جدة مع السعوديين ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ يؤيد تعزيز القيادة المركزية ، ١٨٦

ريتشارد ل . كونوللى ، ٥٢ ـ ٥٣

ريتشارد م . نيكسون : سياسته فى الخليج ، ٢٤٣ ؛ سياسته فى الهند الصينية ، ٩٠ ؛ مبدأ نيكسون ٩٠ ـ ٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١١٣ ؛ وحرب يوم الغفران ، ١٠٠

ريتشارد و . ميرفى ، ١٢١ ، ١٢٤ – ١٢٥

ريونيون ، ٩٩

(ز)

زبجنيو بريجنسكى ، ١١٢ ، ١١٦

(س)

س . م . وودهاوس ، ٧٢ ، ٧٥

سابالان ، ١٤٠ ، ١٤٣

ساراتوجا ، ٢١٧

ساسان ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢

سان ريمو ، ٢٢

ساهاند ، ١٤٥

ستارك ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٤٨

ستيفن ل . ماكفرلاند ، ٤٠ ، ٤٥

سعد الصباح ، ١٦١

سعيد مطر ، ١٦٢

سكان بيى ، ١٤٣

السلاح الجوى للولايات المتحدة : القيادة الجوية ، ١٩٨ ـ ٢٠٠ ؛ تقييمه للجيش العراقى ، ١٨٢ ـ ١٨٣ ، خططه للحرب ، ١٨٢

أجنحة :

الجناح المقاتل التكتيكى الأول ، ١٧٢

أسراب :

السرب المقاتل التكتيكى رقم ٧١ ، ١٧٢ ؛ السرب المقاتل التكتيكى رقم ٢٧ ، ١٧٢

سلطان هاشم أحمد الجبورى ، ٢٣٩

سوريا : إسهامها فى درع / عاصفة الصحراء ، ١٧٥ ؛ هجومها على ثكنات مشاة البحرية ١١٨ ـ ١١٩ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ؛ علاقتها مع العراق ، ١٥٣ ، ١٥٥ ؛ ردها على غزو السويس ، ٨١ ؛ فى حرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ تساند الخيار

العسكرى ، ١٨٨ ؛ التأييد الأمريكى لها ، ٦٠ ؛ فى حرب يوم الغفران ، ١٠٠ ، ١٠١
سى ايل ستى ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠
سير جون فيشر ، ٢١
سيرى ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢
سيمبسون ، ١٤١ ، ١٤٤

(ش)

شركة البترول العراقية ، ٢٤
« شركة ستاندارد أويل أوف نيويورك » ، ٢١
« شركة كاليفورنيا أريبيان ستاندارد أويل » ، ٣٣
« شركة النفط الأنجلو ـ فارسية » ، ٢٠ ، ٣١
شط العرب ، ١٢٢
الشيخ جابر الأحمد الصباح ، ١٦٦

(ص)

صامويل ب . *روبرتس* ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٨
صدام حسين ، ١٢٢ : اتفاقه مع إيران ، ١٩٤ ؛ خطة التمويه الأمريكية ضده ، ٢٠٩ ـ ٢١٢ ؛ ومجلس التعاون العربى ، ١٥٤ ؛ تحطيم جيشه ، ٧ ؛ وصف له على لسان الشاه ، ١٥٨ ؛ تشبيهه بهتلر ، ١٩٤ ، ٢٤٠ ؛ جهوده للتمويه ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ؛ يعلن « الجهاد » ضد الأمريكيين ، ١٧١ ؛ يعلن النصر ، ٢٣٥ ؛ والدفاع عن الكويت ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ – ٢٢٣ ؛ يطالب بانسحاب قوة الشرق الأوسط ، ١٥٣ ، ١٥٤ ؛ تدميره الكويت ، ٢٢٧ ؛ اعتداؤه على البيئة ، ٢٢١ ؛ يعدم الضباط ، ١٦٦ ؛ تأييد عرب الخليج له ، ١٢٠ ؛ فى الحرب الإيرانية ـ العراقية ، ١٥٥ ــ ١٥٦ ، ١٩٤ ؛ والهجوم على الخفجى ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ مقابلته مع جلاسبى ، ١٥٩ ـ ١٦٠ ، ١٦٢ – ١٦٣ ؛ يخطىء فى حساب رد فعل الولايات المتحدة ١٦٢ ـ ١٦٣ ، ١٦٤ ؛ قوته فى العراق ، ١٥٦ ؛ يرفض خيار الانسحاب ، ١٨٩ ؛ يعيد راضى لإيران ، ١٧١ – ١٧٢ ؛ اصداره أوامر بشن هجمات بصواريخ سكود ، ٢٢٠ ؛ يلتمس الوساطة السوفيتية ، ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛ وخداع النفس ، ١٩٢ ؛ يفاجأ برد الفعل الدولى لغزو الكويت ، ١٦٦ ؛ تهديداته الإرهابية ، ١٧٨ ؛ يهدد الامارات ، ١٥٩ ؛ يهدد عرب الخليج ، ١٥٥ ؛ يهدد الكويت ، ١٥٩ ؛ يهدد المملكة العربية السعودية ، ١٦٧ ، ١٦٩ ـ ١٧١ ؛ يهدد الولايات المتحدة ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ؛ والرهائن الغربيون ، ١٩٠
الصف الشمالى ، ٧٦ ، ٧٧
صفوان ، ٢٣٩
صواريخ سكود ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٢٠ ـ ٢٢١ ، ٢٢٣

(ط)

طارق عزيز : يتهم عرب الخليج بالتآمر مع الولايات المتحدة ، ١٥٥ ؛ يقابل بيكر ، ١٩٠ ـ ١٩١ ؛ يقابل جلاسبى ، ١٦٠ ، ١٦١ ؛ يتفاوض مع السوفيت ، ٢٢٥ ؛ يرفض خيار الانسحاب ، ١٨٩

(ظ)

الظهران : كرأس جسر جوى « لدرع الصحراء » ، ١٧٢ ، ١٧٤ ؛ قرار بإقامة قاعدة جوية فيها ، ٣٥ – ٣٧ ، أهميتها ، ١٧٠

(ع)

عبد العزيز : انظر الملك بن سعود
« العدالة العاجية » ، ٢٠٠
عدن ، ٥٤ ، ٨٩
العراق : اتفاقه مع إيران ، ١٩٤ ؛ حصاره الجوى لإيران ، ١٢٠ - ١٢١ ؛ انهيار دفاعاته الجوية ، ٢١٧ ـ ٢١٩ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ تدمير قوته الجوية بواسطة هجمات الائتلاف ، ٢١٥ ؛ التقييمات الأمريكية للجيش العراقى ، ١٨٢ ، ١٨٤ ـ ١٨٦ ؛ وخطة التمويه الأمريكية ، ٢٠٩ ـ ٢١٢ ؛ الرد الأمريكى على غزوه الكويت ، ١٩٣ ؛ فى مجلس التعاون العربى ، ١٥٣ ؛ تشكيلات الجيش العراقى ، ٢٣٣ ؛ أطماعه فى شبه الجزيرة العربية ، ٢٤٤ ؛ يهاجم « تشاندلر » ، ١٣٥ ، ١٣٨ ؛ يهاجم المدن الإيرانية ، ١٣٩ ؛ استخدامه الأسلحة الكيماوية ، ١٣٩ ، ١٥٣ ؛ قلاقل أهلية فيه ، ٢٣٩ ـ ٢٤١ ؛ بدء الهجمات الجوية للائتلاف ضده ، ٢١٣ ؛ انقلابات فيه ، ٢٨ ، ٧٨ ، ٨٢ ـ ٨٤ ؛ تأسيسه بواسطة بريطانيا ، ٢٤ ، ١٥٨ ؛ دفاعه عن الكويت ، ١٧١ ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ؛ يدمر الكويت ، ١٨٩ ، ٢٢٧ ؛ استهداف شبكة الطاقة الكهربائية العراقية ، ٢٠٣ ؛ انتهاكات حقوق الإنسان فيه ، ١٩٠ ؛ رد الفعل الدولى ازاء غزوه الكويت ، ١٦٦ ؛ يغزو ايران ، ١١١ ؛ يغزو الكويت ، ١٦٥ ، ١٦٦ ؛ والاحتشاد العسكرى الإيرانى ، ٩٢ ؛ والتهديد الإيرانى ، ١٥٣ ؛ الحرب الإيرانية ـ العراقية ، ١٢١ ، ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ١٥٥ ـ ١٥٦ ، ١٧١ ؛ فى الخفجى ، ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ تدمير قواته العسكرية ، ٢٢٨ ، ٢٣٣ - ٢٣٤ ؛ وضع الجيش العراقى على أهبة الاستعداد للحرب ، ١٥٣ ؛ وعبد الناصر ، ٨١ ؛ قدرته النووية ، ١٨٩ ؛ إنتاجه من النفط ، ٢٩ ـ ٣١ ؛ يخطط للهجوم على الكويت ، ١٦١ - ١٦٢ ؛ قبضة صدام السياسية على العراق ، ١٥٦ ؛ انقلاب محتمل فيه تدبره المخابرات ، ١٦٣ ؛ علاقته مع الولايات المتحدة بعد الحرب الايرانية ـ العراقية ، ١٥٣ ؛ مشاعر موالية للمحور فيه ، ٢٨ ؛ الحرس الجمهورى ، ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ يعيد أراضى لايران ، ١٧١ ـ ١٧٢ ؛ اجراؤه تجارب لاطلاق صواريخ سكود ، ١٩٠ ؛ يسعى لاتفاق مشروط للانسحاب ، ٢٢٦ ؛ يسعى لوساطة سوفيتية ، ٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛ هجومه على « ستارك » ، ١٢٤ ؛ التهديد السورى له ، ١٥٣ ؛ يهدد الكويت ، ٨٩ ؛ يهدد الخليج العربى ، ١٣٥ ؛ يهدد المملكة العربية السعودية ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧١ ؛ ينقل النفط من سفينة لأخرى ، ١٢٢ ؛ حظر تفرضه الأمم المتحدة ضده ، ١٧٦ ـ ١٧٨ ؛ الولايات المتحدة تميل نحوه ١٢١ ، ١٥٨
عزة ابراهيم ، ١٦١
على أكبر هاشمى رافسنجانى ، ١٢٦ ، ١٤٦
عمان ، ٢١ ، ٣٠ ، ٢٢٩ ، ٢٤٤
عمليات حظر النفط ، ٨١ ، ٨٧ ، ١٠٠
العمليات العسكرية ـ الولايات المتحدة : الهراوة الزرقاء ، ١٠٤ ؛ مفترق الطرق ، ٤٤ ؛ مخلب النسر ، ١١١ ؛ الإرادة الجدية (إرنست ويل) ، ١٣٧ ، ١٤٨ ؛

وادى الدورادو الضيق (الدورادو كانيون) ، ١١٩ ، ٢١٨ ؛ السطح الخشن ، ٨٥ ؛ فرس النبى المتعبد ، ١٣٩ ـ ١٤٦ ؛ وعاء الأرز ، ١١١ ؛ الجلد بالسياط ، ٨٠
عملية أجاكس ، ٧٤ ـ ٧٦

(ف)

فارس ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٧ ، ١٥٧ ؛ *انظر أيضا* : إيران
فالى فورج (حاملة طائرات) ، ٥٥
الفتنمة ، ٩٦
فرانسوا ميتران ، ١٧٩ ، ٢٢٦
فرانك كارلوتشى ، ١١٥ ، ١٤٦
فرانك كنوكس ، ٣٥
فرانك هولمز ، ٢٥
فرانكلين د . روزفلت ، ١٢٩ ، ١٦٩ : يقابل الملك ابن سعود ، ٣٥ ـ ٣٦ ؛ سياسات بترولية نابعة من سياسته الاقتصادية الجديدة (النيو ديل) ، ٣٠ ، ٣١ ؛ سياسته تجاه المملكة العربية السعودية ، ٣٣ - ٣٤ ؛ فى مؤتمر طهران ، ٣٣
فردريك فرانك : يوجه عمليات الفيلق السابع ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٣٧ ؛ يخطط الحرب البرية ، ٢٠٩ ؛ يوصى بنظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف ، ٢١٧ - ٢١٨ ؛ يوجه تحرك الفيلق وجهة جديدة ، ٢٣٥ ، ٢٣٦
« فرسان جيدى » ، ٢٠٧
فرنسا : تساعد الأمريكيين فى المحيط الهندى والخليج ، ١٢٦ ، ١٣٣ ؛ التعاون بينها وبين الولايات المتحدة ، ٩٩ ؛ فى أزمة المشرق ، ٦٠ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ، ٢٣١ - ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ؛ رد فعلها ازاء تلغيم البحر الأحمر ، ١٣٢ ، فى أزمة السويس ؛ ٧٩ ـ ٨١
الفلبين ، ٩٩ ، ١٠٨
فلسطين ، ٣٦ ، ٦٠ - ٦١ ؛ *انظر أيضا* ، إسرائيل
فهد بن عبد العزيز ، ١٧٣ : وبنية قيادة الائتلاف ، ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ؛ يفضل نهاية سريعة لأزمة الكويت ، ١٧٩ ؛ محادثات جدة مع الأمريكيين ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ فى أزمة الكويت ، ١٦١ ؛ يؤيد الخيار العسكرى ، ١٨٨ ؛ يتلقى مكالمة تليفونية من بوش ، ١٦٨
فوريست ب . شيرمان ، ٥٦
فياشيسلاف مولوتوف ، ٣٩
فيتالى شوركين ، ٢٢٦
فيتنام : *انظر* ، الهند الصينية
الفيلق الاستراتيجى للجيش ، ٨٢ - ٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٤
فيلق مشاة البحرية ـ الولايات المتحدة : غارات المدفعية ، ٢٢٨ ؛ ثكنات بيروت ، ١١٩ ؛ احتشاده فى الخليج ، ١٣٣ ؛ درع الصحراء ، ١٧٨ - ١٧٩ ؛ عمليات الانزال فى لبنان ، ٨٣ ، ٨٤ ؛ حرب المناورات ، ١٩٧ ؛ دوره فى الحرب البرية ، ٢٠٧ ؛ دوره فى الخليج ، ١٠٦ ، ١١٥
فيالق :
قوة الحملات العسكرية الأولى لمشاة البحرية ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧
فرق :
فرقة مشاة البحرية الأولى ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
فرق مشاة البحرية الثانية ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥

الألوية :
لواء مشاة البحرية الأول للحملات العسكرية ، ١٧٣ ، ١٨٦
لواء مشاة البحرية الرابع للحملات العسكرية ، ٢٠٨، ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥
لواء مشاة البحرية الخامس للحملات العسكرية ، ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤
لواء مشاة البحرية السابع للحملات العسكرية ، ١٧٢ ، ١٧٣
وحدات *الحملات* :
وحدة مشاة البحرية رقم ١٣ للحملات العسكرية (المؤهلة للعمليات الخاصة) ، ٢٢٩
أجنحة :
جناح طيران مشاة البحرية الثالث ، ١٨٢
فينسينز ، ١٤٦ ، ١٤٨ ـ ١٤٩

(ق)

القائد الفرنسى للمحيط الهندى ، ٩٩
قطر : الحماية الأمريكية لها ، ٢٤٤ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ؛ تنمية النفط فيها ، ٢١ - ٣٠ ؛ هجمات بصواريخ سكود عليها ، ٢٢٠
قناة السويس ، ٤٤ ، ٥٤ : حاملة الطائرات الأمريكية تعبرها ، ١٦٩ ؛ الأزمة حول القناة ، ٧٩ ـ ٨١ ، ٨٢ ؛ المواجهة المصرية ـ البريطانية حولها ، ٦٤ ؛ الأهمية الاستراتيجية للقناة ، ٤٧
قوة الخليج العربى : *انظر* ، اسطول الولايات المتحدة ؛ قوة الشرق الأوسط
قيادة الجسر البحرى الحربى ، ١٧٣ ـ ١٧٤
قيادة الجسر الجوى الحربى ، ١٧٥
قيادة خدمة الخليج العربى ، ٣٣
قيادة الشرق الأوسط ؛ انظر ، حلف بغداد ، حلف « السنتو » (المركزى)
قيادة القوات المشتركة ـ شرق ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥
القيادة المركزية : *انظر* المنظمات المشتركة ـ الولايات المتحدة ، القيادة المركزية

(ك)

كابيلا ، ١٧٤
كاسبر واينبرجر : والمساعدة العربية للولايات المتحدة ، ١٣٣ ؛ يواصل الحشد البحرى فى المحيط الهندى ، ١١٥ ؛ يأمل فى ردع إيران ، ١٣٠ ؛ والهجمات الايرانية على الكويت ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ـ ١٢٨ ، ١٥٠ ؛ وايران جيت ، ١٢٣
كامب ديفيد ، ١١٢
كردستان ، ٣٧ ، ٤٠ ، ١٥٣ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠
كروسبى سانت ، ١٨٥ ، ٢٠٤
الكلية الحربية البحرية ، ١٨٠
كميل شمعون ، ٨٣ ، ٨٤
كوبا ، ١٦٦ ، ١٧٢
كورو*نادو* ، ١٣٤ ، ١٣٩
كوريا ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٤
كولبى شستر ، ٢١
كولين باول : وقرار التدخل فى شبه الجزيرة العربية ، ١٦٩ ؛ والحظر ضد العراق ، ١٧٨ ؛ يخشى حمامات دم ، ١٨٤ ، ١٨٦ ؛ فى الحملة البرية ، ١٨٧ ، ١٨٨ ؛ يقابل شوارتزكوف ، ١٨٧ ؛ وتحرك سفن تحديد المواقع البحرية مسبقا ، ١٧٢ ؛

رأيه بشأن وقف العمليات ، ٢٣٩ ؛ آراؤه فى القوة الجوية ، ١٨٣ ـ ١٨٤ ، ١٨٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٢١ ؛ التخطيط فى عملية الخليج العربى ، ١٨٠ ؛ التنبؤ بالخسائر البشرية فى حرب الخليج ، ١٨٠
الكويت ، ١٣٧ : الحماية الأمريكية لها ، ١٥١ ، ٢٤٤ ؛ تساعد الولايات المتحدة فى الخليج ، ١٣٣ ؛ مخاوف حول سلامة الرعايا الغربيين فيها ، ١٦٨ ؛ الايرانيون يهاجمون السفن المتجهة إليها ، ١٢١ ؛ الايرانيون يقصفونها بالقنابل ، ١٢٠ ؛ العراق يدمرها ١٨٩ ، ٢٢٧ ؛ الانتهاكات العراقية لحقوق الإنسان فيها ، ١٩٠ ؛ العــراق يغــزوها ، ١٦٥ - ١٦٦ ؛ العراقيون يخططون للهجوم عليهــا ، ١٦١ - ١٦٢ ؛ العراق يهددها ، ٨٩ ؛ والانزال فى لبنان عام ١٩٥٨ ، ٨٣ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ٢٢٩ ، ٢٣٧ ؛ تنمية النفط فيها ، ٢١ ، ٢٥ ، ٣٠ ؛ هبوط عائداتها من النفط ، ١٢١ - ١٢٢ ؛ تطلب رفع العلــم الأمريكى ، ١٢٤ ـ ١٢٦ ؛ رد فعلها ازاء غزو السويس ، ٨١ ؛ نقلها البتـرول العراقى فى سفن أخرى ، ١٢٢ ؛ الرد الأمريكى على الغزو العراقى لها ، ١٩٣
كوينسى ، ٣٦
كيتى هوك ، ١٠٨
كيرميت روزفلت ، ٧٤

(ل)

لاسال ، ٢٠٠
لبنان : الحرب الأهلية فيها ، ٨٢ - ٨٥ ١١٨ ، ١١٩ ، ١٥٣ ؛ وعبد النـاصر ٨١ ؛ الدور الإيرانى فيها ، ١٥٢ ؛ إسرائيل تغزوهـا ، ١١٨ ؛ التــدخل الأمريكى فيها ، ٨٣ - ٨٥ ، ١٠٤ ؛ المساندة الأمريكية لها ، ٥٩ - ٦٠
لجنة التنسيق بين وزارات الخارجية والحرب والبحرية ، ٣٦ - ٣٧ ، ٤٤ - ٤٥
لوى هندرسون : فى الأزمة الإيرانية ، ٣٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ؛ رأيه فى الشاه ، ٦٨
لويس أ . دينفيلد ، ٦١
ليبرتى ، ٨٦
ليبيا ، ٢٩ ، ٨٧ ، ١١٩ ، ١٦٤ ، ١٨٠ ، ٢١٨
ليس أسبن ، ١٧٩
ليندون ب . جونسون ، ٨٨ ، ٨٩
ليندى ماكورميك ، ١٤١ ، ١٤٢
لينكولن ماك فيف ، ٣٤

(م)

مارجريت تاتوايلار ، ١٥٩
مارك أ. ميتشر ، ٣٩
مارك فوكس ، ٢١٧
مارلين فيتزووتر ، ٢١٣
ماكديل (قاعدة جوية) ، ١٠٤
مايكل أ. دوجان ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢١٤
مايكل أرماكوست ، ١٣٠
مؤتمر بوتسدام ، ٣٧
مؤتمر طهران ، ٣٣ ، ٤٦
مبدأ ايزنهاور ، ٨٢
مبدأ بريجنيف ، ١٠٦
مجلس الأمن القومى ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٩ - ٧٠ ، ٧٤
مجلس التعاون الخليجى ، ١٢١
مجلس التعاون العربى ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٦
محمد رضا شاه بهلوى ، ١٢٠ : سقوطه ،

١٠٦ ـ ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ؛ الرأى الأمريكى فى شخصه ، ٦٧ - ٦٨ ؛ وصفه لصدام ، ١٥٨ ؛ يحل محل والده ، ٢٩ ؛ يسعى للهيمنة على الخليج ، ٩٣ ـ ٩٤ ؛ يمد البحرية الأمريكية بالنفط ، ١٠٢
محمد مصدق ، ٧١ - ٧٥
محمد منير ارتيجون ، ٣٩
المخابرات : والجيش العراقى ، ٢٢٤ ؛ الغزو العراقى للكويت ، ١٦٧ ؛ المغالاة فى تقدير القدرات العراقية من جانب القوات المتحالفه ، ٢٢٨ ؛ رأيها فى النشاط السوفيتى فى المحيط الهندى ، ٩٩ - ١٠٠
مركز اتصالات التنسيق والتكامل للائتلاف ، ٢٣٠
مركز الدراسات التحليلية البحرية ، ١٣٣
مشروع مارشال ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧
مصر ، ٢٩ ؛ طموحاتها فى شبه الجزيرة العربية ، ٢٤٤ ؛ البريطانيون يتطلعون إلى قواعد فيها ، ٥٨ ؛ فى قمة كامب ديفيد ، ١١٢ ؛ المواجهة بينها وبين بريطانيا ، ٦٤ ؛ مساهمتها فى درع / عاصفة الصحراء ، ١٧٥ ؛ تدخلها فى اليمن الشمالى ، ٨٥ ، ٨٧ ؛ والانزال فى لبنان عام ١٩٥٨ ، ٨٣ ؛ عضويتها فى مجلس التعاون العربى ، ١٥٣ ، ١٥٤ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ،٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ؛ رد فعلها ازاء تلغيم البحر الأحمر ، ١٣٢ ؛ فى حرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ أهميتها الاستراتيجية لبريطانيا ، ٦٤ ، ٧٧ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ ـ ٨١ ؛ وحرب يوم الغفران ، ٩٩ - ١٠١
مضايق هرمز ، ١١٢ : ايران تهدد مرور الناقلات فيها ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، ١٣٠ ، ١٣١ ؛ عمليات فرس النبى المتعبد فيها ، ١٤٢
المعاهدات الانجلو ـ سوفيتية ـ ايرانية ، ٢٩ ، ٣٧
معاهدة سايكس ـ بيكو ، ٢٢
المعاهدة السوفيتية ـ الإيرانية ، ٧٤
المعاهدة الفارسية ـ الروسية ، ٢٣
معمر القذافى ، ١١٩
المغرب ، ١٧٥
الملك بن سعود ، ١٦٩ : تنمية صناعة النفط ، ٢٦ ؛ وقاعدة الظهران الجوية ، ٣٥ - ٣٧ ؛ يقابل تشرشل ، ٣٦ ؛ يقابل فرانكلين روزفلت ، ٣٦ ؛ صعوده ، ٢٦ ؛ يلتمس الدعم الأمريكى ، ٣٣
الملك حسين : ومجلس التعاون العربى ، ١٥٤ ؛ يستدعى القوات البريطانية إلى الأردن ، ٨٣ ؛ فى أزمة الكويت ، ١٦١
الملك فاروق ، ٦٤
الملك فيصل (السعودية) ، ٩١
الملك فيصل (العراق) ، ٨١ ، ٨٢
المملكة العربية السعودية ، ٥٤ ، ٦٦ ، ١٤٧ ؛ الحماية الأمريكية لها ، ٢٤٤ ؛ الجيش السعودى ، ١٦٩ ؛ « أواكس » ، ١٢٣ ؛ كحجر الزاوية فى الخطط الأمريكية فى الخليج ، ١٨١ ؛ قرارها باستدعاء قوات أجنبية ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ تحبذ التدخل فى العراق ، ٨٤ ؛ تحبذ نهاية سريعة لأزمة الكويت ، ١٧٩ ؛ تخشى عبد الناصر ، ٨١ ؛ الايرانيون يهاجمون السفن المتجهة إليها ، ١٢١ ؛ أعمال الشغب التى قام بها حجاج ايرانيون فى

مكة ، ١٣٢ ؛ التهديد العراقى لها ، ١٦٧ ؛ العراقيون ينقلون البترول عن طريقها ، ١٦٨ ؛ والانزال فى لبنان عام ١٩٥٨ ، ٨٣ ؛ تقييم الاحتشاد العسكرى فيها ، ٩٤ ـ ٩٥ ؛ قواتها العسكرية فى « عاصفة الصحراء » ، ٢٢٩ ، ٢٣٧ ؛ تنمية النفط بواسطة الأمريكيين ، ٢٦ – ٢٧ ؛ انتاجها من النفط ، ٣٠ – ٣١ ؛ هبوط عائداتها من النفط ، ١٢١ – ١٢٢ ؛ آفاق العمليات الهجومية لها ، ١٧٧ ؛ علاقتها مع ايران ، ٩١ ؛ ردها على الاحتشاد العسكرى الايرانى ، ٩٢ ؛ رد فعلها ازاء تلغيم البحر الأحمر ، ١٣٢ ؛ رد فعلها ازاء حرب الأيام الستة ، ٨٦ ؛ رد فعلها ازاء أزمة السويس ، ٨١ ؛ هجمات سكود عليها ، ٢٢٠ ؛ والشاه ، ٩٣ ؛ تؤيد الخيار العسكرى ، ١٨٨ ؛ تنقل البترول العراقى فى سفنها ، ١٢٢ ؛ الالتزام الأمريكى بالدفاع عنها ، ١٢٠ ؛ القوات الأمريكية على أراضيها ، ٨٥ ؛ الولايات المتحدة تعترف بأهمية النفط فيها ، ٣٦ – ٣٧ ؛ وحرب يوم الغفران ، ١٠٠

المنظمات المشتركة ـ الولايات المتحدة :

هيئة أركان الحرب المشتركة : قلقها إزاء تقسيم فلسطين ، ٦٠ ، ٦١ ؛ تطور بنية قيادة الشرق الأوسط ، ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ سياستها فى الخليج ، ١١٧ – ١١٨ ؛ وايران ، ٣٨ – ٣٩ ، ٦٥ – ٦٦ ، ٦٩ – ٧٠ ؛ إسرائيل كحليف محتمل ، ٦١ – ٦٢؛ لوجستيات الحشد العسكرى فى الخليج ، ١١٧ ؛ قوة الشرق الأوسط ، ٥٣ ؛ خططها للدفاع عن الشرق الأوسط ، ٤٣ – ٤٦ ، ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٤ – ١٠٦ ، ١١١ ؛ تقديرها للخسائر البشرية فى حرب الخليج ، ١٨٠ ، ١٨٥ ؛ وقرار رفع العلم على ناقلات البترول ، ١٢٧ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ – ٨٠

قيادات :

القيادة المركزية ، ١٠٥ : تقديرها للخسائر البشرية فى « عاصفة الصحراء » ١٨٠ ، ١٨٥ ؛ بنية القيادة ، ١١٥ ، ١١٧ – ١١٩ ، ١٣٣ ، ١٣٤ – ١٣٥ ؛ قواتها البرية تصل إلى المملكة العربية السعودية ، ١٨٦ ؛ أمر المعركة ، ١١٧ ؛ تركيزها فى تخطيطها على العراق ، ١٥٨ – ١٥٩ ؛ خططها لعاصفة الصحراء ، ١٨٠ – ١٨١ ، ١٨٦ ؛ قيامها برد انتقامى على عمليات التلغيم ، ١٤٠ ؛ النقل الاستراتيجى ، ١٦٤

القيادة الأوروبية ، ١٠٥

شمال شرقى الأطلسى ، والبحر المتوسط ، ٥٢ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ١٠٤

قيادة المحيط الهادى ، ١٠٤

قيادة الضربة ، ١٠٤

القيادة المختصة بالشرق الأوسط ، ١٠٤

القوات الخاصة المشتركة :

القوة الخاصة المشتركة للانتشار السريع ، ١١٢ ، ١١٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٠ : انتقادها ، ١١٥ – ١١٧ تطورها ، ١٠٤ ، ١١٥ ؛ تأسيسها ، ١٣٣ ؛ قيامها برد انتقامى على هجمات الألغام ، ١٣٩ – ١٤٠

منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٧٢

منظمة حلف شمال الأطلسى ، ٥٩ ، ٦٤ ،

٧٧ ، ١١٦ ، ١٦٨
منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط : *انظر* ، حلف بغداد ؛ منظمة المعاهدة المركزية (حلف السنتو)
منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) ، ١٠٢ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦١
منظمة العفو الدولية ، ١٩٠
منظمة المعاهدة المركزية (حلف السنتو) ، ٨٤ ، ٩١ ، ١١٨ ، ١٣١
مهدى بازارجان ، ١٤٦
الموصل ، ٢٤
ميخائيل جورباتشوف ، ٢٢٥ – ٢٢٦
ميدواى ، ١٠٨
ميريل ، ١٤١ ، ١٤٢
ميريل ماك بيك ، ١٨٤ : تقييمه للحرب الجوية ، ٢٠٥ ؛ تقييمه للقوة الجوية العراقية ٢١٥ ؛ رأيه بشأن وقف العمليات ، ٢٣٩ ؛ يتكهن بخسائر جوية ، ٢٠٤
ميسورى ، ٣٩

(ن)

نبوخذ نصر ، ١٥٨
نظام الرادار المشترك للمراقبة ومهاجمة الأهداف ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢٣٣
النقابة الشرقية والعامة : *انظر* فرانك هولمز
نورمان شوارتزكوف : يعمل على التعجيل بالهجوم ، ٢٣١ ؛ والهجوم الجوى ، ٢٢٢ ؛ والتخطيط الجوى ، ١٩٧ – ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ – ٢٠٤ ؛ رأيه بشأن القوة الجوية ١٨٣ ، ١٨٦ ؛ عروضه الموجزة ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ – ٢٣٩ ؛ بوش يأمره بالهجوم ٢١٤ ؛ تكهناته بشأن الخسائر البشرية ، ١٨٠ ؛ وبنية القيادة فى حرب الخليج ، ٢٢٩ ـ ٢٣١ ؛ قلقه من الحملة البرية ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ؛ خطة التمويه التى وضعها ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ـ ٢١٢ ، ٢٣٦ ؛ يقدم مشورة غير صائبة لبوش ، ١٨٥ – ١٨٦ ؛ فى « الرعد الخاطف » ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ؛ والتدمير العراقى للكويت ، ٢٢٦ – ٢٢٧؛ والتخطيط العراقى للهجوم على الكويت ، ١٦١ – ١٦٢ ؛ محادثات جدة مع السعوديين ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ يشن الحملة البرية ، ٢٣١ ؛ يقابل باول ، ١٨٧ ؛ ينتقل إلى السعودية ، ١٧٦ ؛ ووقف العمليات ، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ؛ يغالى فى تقدير القوة العراقية ، ١٩٥ ـ ١٩٦ ؛ تخطيط « عاصفة الصحراء » ، ١٨٠ ـ ١٨١ ، ٢٠٥ ، ٢١١ ؛ مستعد لشن حرب برية ، ٢٢٤ ؛ يغير اتجاه زحف الفيلق السابع ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ؛ يرد على الغزو العراقى للكويت ، ١٦١ ، ١٦٨ ؛ محادثاته مع العراقيين ، ٢٣٩
نيك مونجيلو ، ٢١٧

(هـ)

هارولد ايكس ، ٣١
هارولد براون : يشكل قوة الانتشار السريع ، ١٠٤ ، ١٠٩ ؛ يشرف على إعادة تقييم الدفاع الشرق أوسطى ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣
هارولد بيرنسين ، ١٣٤
هارى د. فيلت ، ٥٥
هارى س. ترومان ، ١٠٣ ، ١٢٩ : مبدأ ترومان ، ٦٦ ـ ٦٧ ، ٧٩ ، ١١٦ ؛ سياسته المتشددة ، ٤٨ ؛ وأزمة ايران عام

١٩٤٦ ، ٣٨ ـ ٤٢ ، ٦٧ ـ ٧٢ ، ٧٣ ـ ٧٤ ، ٧٦ ؛ قراره بتخفيض القوات المسلحة ، ٥٨ ؛ فى أزمة النفط (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨) ، ٤٩ ـ ٥١ ؛ وتقسيم فلسطين ، ٦٠ ـ ٦١
الهند الصينية : تأثيرها على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، ٨٥ ، ٨٧ – ٨٩ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٣
هنرى كيسنجر : وسقوط الشاه ، ١٠٦ ، ١٠٧ ؛ سياسته فى الخليج ، ٩٠ – ٩١ ، ٩٥ ؛ رأيه بشأن « انتزاع النفط » ، ١٠٢ ؛ وحرب يوم الغفران ، ١٠٠
هولدر ، ٨٣
هولندا ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٣٣

(و)

و. مورجان شوستر ، ١٩
وارين ج . هاردنج ، ٢٣
وكالة المخابرات المركزية : فى أزمة ايران ، ٧١ ـ ٧٦ ؛ فى أزمة الكويت ، ١٦٠ ـ ١٦١ ، ١٦٢
الولايات المتحدة : سياستها المناهضة للاستعمار ، ٥٩ ، ٦٠ ؛ تقييمها للجيش العراقى ، ١٨٢ ؛ مرابطتها فى البحرين ، ٩٧ – ٩٨ ، ١٠١ ؛ تبدأ الحملة البرية ، ٢٣١ ؛ تحاصر العراق ١٦٧ ؛ تقديراتها للخسائر البشرية لعاصفة الصحراء ، ١٨٠ ؛ مصالحها التجارية فى الخليج العربى ، ٩ ، ٢٨ ؛ قلقها بشأن عدم الاستقرار فى الخليج ، ٣٤ ـ ٣٥ ؛ قلقها بشأن الإرهاب ، ١٧٨ ؛ تجرى مناورات عسكرية مع الامارات العربية المتحدة ، ١٥٩ ؛ الكونجرس يمنح سلطة استخدام القوة فى الخليج ، ١٩١ ؛ قرارها بالتدخل فى شبه الجزيرة العربية ، ١٦٨ ـ ١٦٩ ؛ تهدئة النزاع مع العراق ، ١٣٥ ؛ كحامية فعلية للخليج ، ٢٤٣ – ٢٤٤ ، ٢٤٨ ؛ تصعد العمليات ضد ايران ، ١٤٥ – ١٤٦ ؛ فشلها فى ردع صدام ، ١٦٢ ـ ١٦٤ ؛ تفوز بحقوق امتياز بترولية فى شمال فارس ، ٢٣ ؛ أهمية بترول الخليج بالنسبة لها ، ٢٤٤ ؛ تشعل الحرب الجوية ، ٢١٣ ؛ تدخلها فى لبنان ، ٨٣ ـ ٨٤ ؛ فى أزمة ١٩٤٦ فى ايران ، ٣٧ ـ ٤٢ ؛ تلقى اللوم على ايران فيما يتعلق باستمرار الحرب ، ١٢١ ؛ والتهديد الايرانى للخليج ، ١٣٥ ، ١٣٨ ؛ الرأى الإيرانى فيها ، ١٥٢ ؛ جيشها فى ذروة القوة ، ١٩٧ ؛ التخطيط العسكرى لها ، ٤٧ ؛ وأزمة التأميم فى ايران ، ٦٥ ـ ٧٧ ؛ الرادع النووى ، ٥٨ ؛ الشركات البترولية الأمريكية تتوغل فى الخليج ، ٢٤ – ٢٧ ؛ السيناريو الأمريكى « لانتزاع النفط » ، ١٠٢ ؛ كدولة منتجة للنفط ، ٣١ ؛ انخفاض احتياطاتها من النفط ، ٢٣ ، ٤٨ – ٤٩ ، ٤٩ – ٥١ ؛ سياسة الطوق الخارجى ، ٧٧ ؛ خططها لحرب برية ، ٢٠٥ ـ ٢١٢ ؛ خططها لتحرير الكويت ، ١٩٦ ـ ٢١٢ ؛ توقعاتها السياسية فى الخليج ، ٥٦ – ٥٧ ؛ تعيد تقييم سياستها فى الخليج ، ٣٤ ، ٤٣ – ٤٦ ؛ وتلغيم البحر الأحمر ، ١٣١ ـ ١٣٢ ؛ علاقتها مع العراق ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ – ١٦٤ ؛ اعتمادها على بريطانيا فى الخليج ، ٣٥ ، ٥٦ ؛ اعتمادها على نفط الخليج ، ٣٣ – ٣٤ ؛ ردها على الغزو العراقى للكويت ، ١٦٦ ، ١٩٣ ؛ دورها فى الخليج ، ٢٣ –

٢٤ ، ٢٨ ، ٣٢ - ٣٣ ؛ ونداء صدام للمطالبة بانسحاب قوة الشرق الأوسط ، ١٥٣ ؛ تسعى للحصول على مساعدة فى حوض المحيط الهندى ، ١٠٦ ؛ قوة شركات البترول الأمريكية ، ٢٤ ؛ فى أزمة السويس ، ٧٩ - ٨١ ؛ تأييدها « لمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط » ، ٦٣ ؛ مساندتها للمملكة العربية السعودية ، ٨٥ ؛ مساندتها للشاه ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٦ ؛ تتولى القيادة العسكرية فى الخليج ، ٨٤ ، ١٥٢ ؛ تميل نحو العراق ، ١٥٨ ؛ عدم رغبتها فى الزحف على بغداد ، ١٩٤ ؛ دورها فى الخليج العربى أثناء الحرب العالمية الثانية ، ٢٩ ؛ وحرب يوم الغفران ، ٩٩ - ١٠٠

وليام باجونيس ، ٢٠٩

وليام كراو : يزيد من سرعة الاحتشاد فى الخليج ، ١٣٢ - ١٣٣ ؛ تأكيداته بشأن خطر الألغام الإيرانية ، ١٣٠ ؛ أمله فى ردع ايران ، ١٣٠ ؛ يأمر « فينسينز » بالتوجه إلى الخليج ، ١٤٨ ؛ يقترح ردا انتقاميا ضد ايران ، ١٣٤ ؛ حول قرار رفع العلم الأمريكى على الناقلات ، ١٢٧

وليام كنوكس دارسى ، ٢٠

وليام ليهى ، ٤٥

وليام ناش ، ٢٣٦

ونستون س . تشرشل ، ٢٠٦ : وأزمة ايران ، ٧٣ ؛ خطاب الستار الحديدى ، ٣٩ ؛ يلتقى بابن سعود ، ٣٦ ؛ فى مؤتمر طهران ، ٣٣

وودرو ولسون ، ٢٢ ، ٢٣

ويسكونسين ، ١٦٧ ، ١٨٢

ويلى تايد ، ١٤٣

وينرايت ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤

(ى)

اليابان ، ٢٩ ، ١٣٤ ، ١٦٦

يالطا (مؤتمر) ، ٣٦

يفجينى بريماكوف ، ٢٢٥ ، ٢٢٧

اليمن ، ٨٦ ، ٨٩ ، ١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٧٢

يورك مارين ، ١٤٣

اليونان ، ٤٨ ، ٦٦ ، ١١٦ ، ١٥٨

رقم الإيداع

١٩٩٥ / ٥٣٢٣

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر